# الامام الصادق المهدي

## سيرة ومسيرة

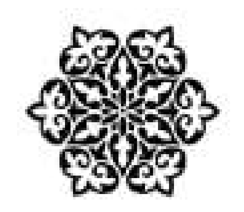
5

# الحكيــم

رباح الصادق




DAWAYA
SUDANESE BOOKS



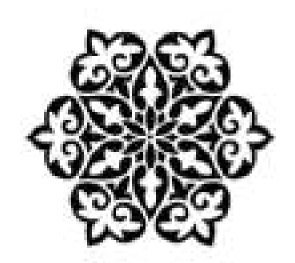
## الإمام الصادق المهدي: سيرة ومسيرة




رباح الصادق

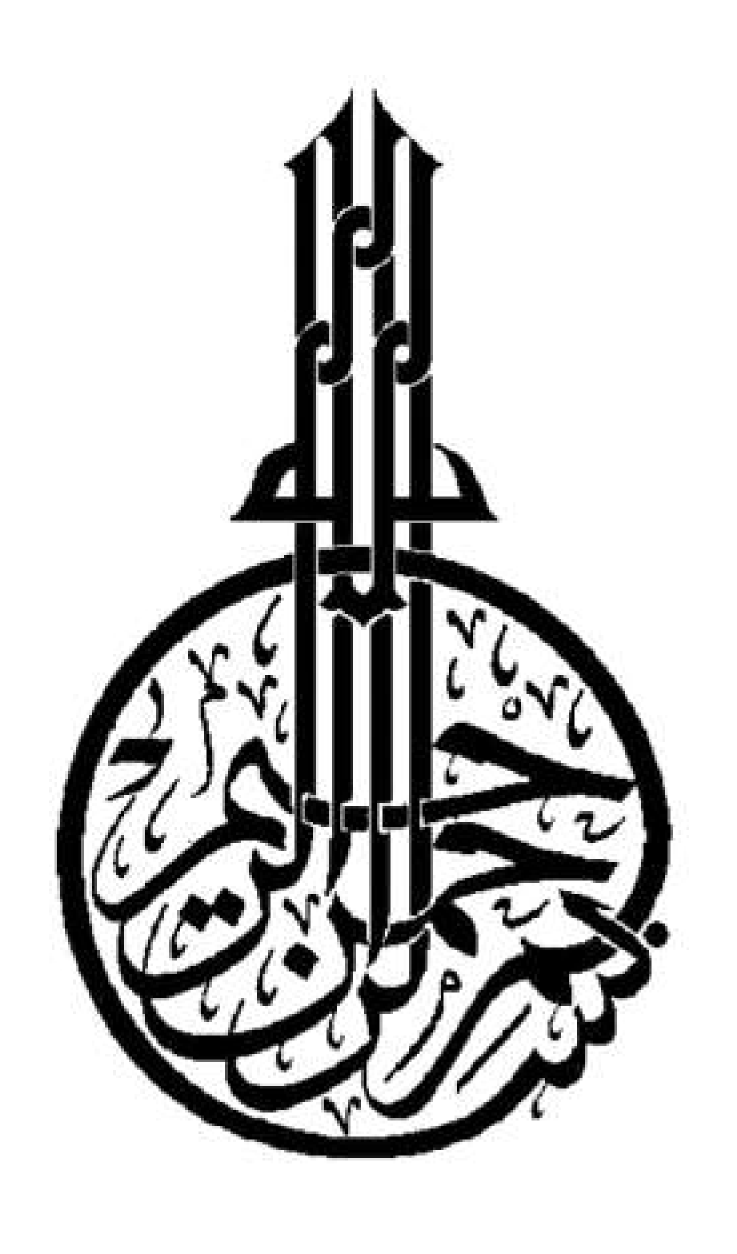
الطبعة الأولى 2019م

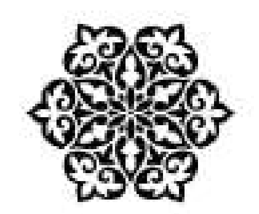




**الكتاب:** الإمام الصادق المهدي: سيرة ومسيرة، الجزء (5): الحكيم.
**المؤلفة:** رباح الصادق.
الطبعة: الأولى، 2019
**الناشر:** صالون الإبداع للثقافة والتنمية، أم درمان.
**رقم الإيداع: 2016/1138**

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر – السودان
962.45 رباح الصادق الصديق عبد الرحمن المهدي 1968- ر.ا
الإمام الصادق المهدي: سيرة ومسيرة (الحكيم، ج 5)/ رباح الصادق الصديق عبد الرحمن المهدي- الخرطوم: ر.ص .ص. عبد الرحمن المهدي، 2016.
ج5، 324 ص؛ 24x 17سم.
ردمك ISBN 978-99942-4-866-7
1. السودان- تاريخ العصر الحديث.
2. السودان- الأحوال السياسية
3. الصادق الصديق عبد الرحمن المهدي، 1935
أ. العنوان.


بسم الله الرحمن الرحيم



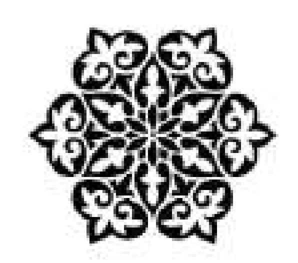
# إهداء

إلى شباب هذا الجيل الذي أعاد لنا الروح بعد موات، أهدي صفحات من الحق الذي حينما يتلمسونه من مختلف المنابع، سوف يقلبون الطاولة على قطاع الطريق الديمقراطي.

وإلى صاحب السيرة الذي قال فيه الناظر العجب العجيب.

وإلى روحي أميّ رحمة وسارا، الأولى أرضعته نعماً، والثانية والته بالمحبة.

رباح



قال تعالى: (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً) صدق الله العظيم.

**مدخل أول**

**راكز مصمم حر بصير**
**نبهت بالخطر البرز**
**ناصحت بالصوت الجهير**
**والكل عمُوا**
**ضاربين طناش أو سلموا**
**للإخطبوط استسلموا**
**إلا البصير فخر البلد ومعلمو**
**زي شعبو متوطي الجمر**
**وطني وأصيل**

|محمد صالح مجذوب|

**مدخل ثانـــي**

|نحن نشعر بالفخر بأن نكون قد لعبنا جزءً صغيراً جداً ولكنه مثير من حياتك كزملاء أعضاء معك في نادي مدريد. ويشرفنا أيضاً أننا تعلمنا منك ومن تجربتك كبطل للديمقراطية والحرية في تاريخ بلادك. إن نضالك من أجل القيم التي نحملها جميعاً ينطلق شعاعاً يضيء لكل من هم في أوضاع مماثلة عبر العالم.|

48 من أعضاء نادي مدريد

رؤساء دول وحكومات سابقين من مختلف بلاد العالم، 2015.

# من أقوال الحبيب الإمام الصادق المهدي

**مدخل ثالث**

|إن هدفي الأسمى هو تحقيق الديمقراطية، وتصحيح المسيرة الإسلامية، وتحقيق السلام في بلادنا.. وفي سبيل هذه الأهداف سوف أبذل ما شاء الله من تضحيات بطلاقة لسان، وبشاشة وجه، وسرور فؤاد، صابراً على رضا الحبيب حتى يقول الناظر العجب العجيب.. وأعتبر المشقات اختبارات، والتضحيات بلاءات.. مستمطراً الخيرات، متأكداً أنه مهما طال الليل فإن فجر الحرية آت.| 8 يوليو 1994م

|أنا ربيب تراث فاصل حتى النخاع، وكالجرّاح الذي شفى من نزيف الجراح، غدوتُ أفرّ من الفصال فراري من الخبائث، وأهرع للوصال حنوك للطيبات.| مارس 2003م

|عملتُ على تطوير مفهوم جديد للإمامة. فصارت الإمامة انطلاقاً من وصية الإمام الصديق انتخابية وصارت بموجب تكوين هيئة شؤون الأنصار مؤسسية. إمامة وظيفية وجماعية بلا قداسة|.

|بعض الناس يعتبرون أن السياسة هي تصيد السلطة وتصيد سقطات الآخرين، هذا هو ما أكسب السياسة سمعة سيئة مما جعل اللعنات تطاردها. نعم السياسة الانتهازية ملعونة، هذا الفهم الذي يفصل السياسة عن الأخلاق غير صحيح.. نعم في المدى القصير يربح النفعيون ولكن من يضحك أخيرا يضحك طويلاً.|

أبريل 2003م

## مدخل رابع

لو ينحني الصخر الأصم ... وارتدّ وش الضي غربْ
لو عدى عكس الريح شراع ... وانهدّ حيلا فيك تعبْ
اتجرع الحنضل واقيف ... فوق المسامير بالغصب

**لا تنحني**

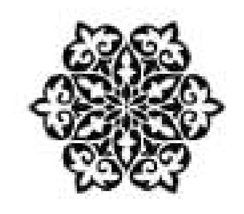
يا قاهر العيشة الفقر ... يا أقوى من جور السنين
فاضلك إيه وبتملكه ... غير صوتك الدُغري وسنين
غير نجمك العالي وأمين ... يهدي الضهابا المتعبين
غير منجلك وكدنكتك ... وتقاوى للجدب اللعين

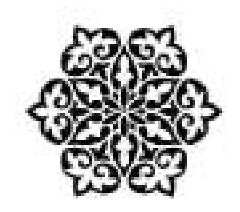
**لا تنحني**

لو يحرقك لفح السموم لا تنحني ... لو تسرى من أفقك نجوم لا تنحني
لو شالو من عينيك نوم لا تنحني ... لو سهدك ليل الهموم لا تنحني
ليك السلام وعليك سلام ... يا منتمي لي فكرة ضد الانهزام
ما بتّ يوم والجار جعان ... ما شفت قدامك مهان
وقدلت يا فرس الرهان
يوم كبوتك إن شاء الله ... ما فال البنات
الزغردن غنوك يا جبل الثبات ... وهتفنا من كل الشتات

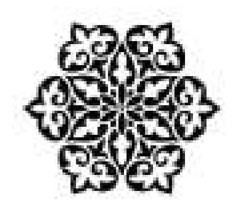
**لا تنحني**

الشاعر مدني النخلي والفنان سيف الجامعة
مهداة للحبيب الإمام الصادق المهدي في عيده السبعيني 2005م





# فهرست



# مقدمة الإمام الصادق المهدي

كياننا السياسي هو مستودع الشرعية الوطنية في السودان بدليل:

- جسدت الثورة المهدية تطلعات أهل القبلة في زمانها، وحررت السودان، ووحدته، وشهرته، وكانت أنجح حركة تحرير ضد الإمبريالية في القرن التاسع عشر.
- رفع شعار تقرير المصير للوطن، وقاد الحركة الاستقلالية حتى حقق الاستقلال.
- رغم ملابسات انقلاب 17 نوفمبر 1958م المؤسفة، فإنه بقيادة رئيسه الإمام الصديق وحد القوى السياسية كلها ضد النظام الانقلابي، وواصل المعارضة له في الجبهة الوطنية المتحدة، حتى أطاحت بالنظام وهو الذي سطر الميثاق الوطني لثورة 21 أكتوبر 1964م.
- صادم العهد المايوي بجسارة في أحداث الجزيرة أبا وودنوباوي وانتفاضة الثاني من يوليو المسلحة، وصالح النظام الباطش لتحقيق التحول الديمقراطي سلمياً، ومع فشل المصالحة إلا أنها هيأت مقداراً من الحريات استغله كياننا والقوى النقابية والسياسية الأخرى فتفجرت انتفاضة رجب/أبريل المباركة، وقد صاغ من جديد ميثاقها الذي وقعه "تجمع القوى الوطنية لإنقاذ الوطن"، وهو التجمع الذي ضم مكونات الثورة النقابية والسياسية التي أطاحت بالطغيان.
- شارك مع كافة القوى السياسية في تكوين التجمع الوطني الديمقراطي، وضم إليه الحركة الشعبية لتحرير السودان، وقاد مؤتمر القضايا المصيرية في أسمرا، وتصدى لافتراءات نظام "الإنقاذ" الكذوبة، وساهم في الانتفاضات الست التي واجهت النظام، وفي ثورة ديسمبر 2018م المجيدة، وقاد نداء السودان الذي جمع القوى السياسية والمدنية والقوى الثورية، واقترح ميثاق الخلاص الوطني الذي عدله التحالف لإعلان الحرية والتغيير، وانفرد بعدم مشاركة النظام مهما كانت الإغراءات، وانفرد بكشف عيوب اتفاقية السلام المسمى "شامل"، ومع دعم الحراك الثوري فإنه رفد الحماسة بالحكمة مراعاة لتوازن القوى، ما جعل الفترة الانتقالية ممكنة، والتحضير للمرحلة الثالثة عبر الانتخابات العامة مبرمجة.
- فاز بالأكثرية الانتخابية في كل الانتخابات العامة الحرة التي أجريت في السودان منذ الاستقلال، وهي خمسة ما عدا الأولى التي شوهها التدخل الخارجي.
- حافظ على كيانه السياسي مؤسسياً وديمقراطياً عبر مؤتمراته العامة، وتصدى لكل مؤامرات النظام الفاشستي الذي اخترق الأحزاب الأخرى ومزقها.

هذه الميزات السبع جعلته مستودع الشرعية الوطنية.

هذا الجزء الخامس يأتي ضمن سلسلة "السيرة والمسيرة" التي أخرجتها ابنتي رباح، وهو يصب في تعزيز تلك الشرعية ودورنا في تعرية ومواجهة النظام الكذوب.

إنه يبين محطات الجهاد المدني الذي قدناه وخاضه شعبنا ما جعله صاحب براءة الاختراع لحركات الربيع العربي، ويرجى أن يكون عطاء شعبنا في إكمال حلقات الثورة، وهي تحرك هادر توجهه قيادة تحدد أهداف البديل المنشود، وترسم خريطة الطريق إليه. يرجى أن يكون هذا العطاء قدوة للآخرين، الذين يخوضون ثورات تفتقر للقيادة، وخريطة الطريق إلى البديل.
يرجى أن تحرص الفترة الانتقالية على سبعة أهداف:

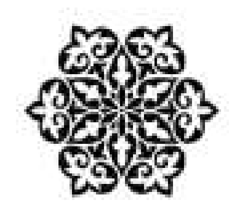
- تحقيق السلام العادل الشامل.
- تحقيق الإصلاح الاقتصادي، وكفالة المعيشة للشعب.
- كفالة الأمن الوطني، والدفاع.
- المحافظة على الشراكة المدنية العسكرية.
- تماسك قوى الحرية والتغيير، وتحقيق أكبر قدر من استصحاب القوى الأخرى المشاركة في التغيير.
- تفكيك تمكين النظام المباد، ومساءلة سدنته قانونياً.
- السعي لتعاون الأشقاء في العالم العربي، والأفريقي، والأصدقاء في الأسرة الدولية، لدعم أهداف الثورة السودانية دون توجهات محورية.

نحن سوف ندعم المرحلة الانتقالية لتحقيق هذه الأهداف السبعة، وسوف نستعد لكسب ثقة الشعب عبر الانتخابات العامة الحرة المنشودة، ونفضل أن يكون التنافس فيها بين يمين يرجح التأصيل على التحديث، ويسار يرجح التحديث على التأصيل ووسط نسعى لجمع صفه في جبهة توفق بين التأصيل والتحديث بشعار "التقدمية المؤصلة".
هذه الجبهة سوف تخاطب قوى المقاومة المسلحة بعد انتهاجها "أرضاً سلاح": إننا أيدنا أهدافكم وإن اختلفت الوسائل، وخياركم الآن أن تكونوا أحزاباً مدنية تنافس مستقلة أو تتحالف معنا أو تنضم إلينا.
حبذا لو أن كل القوى السياسية حرصت على تقديم أوراق اعتمادها مثلنا دعماً للتنافس المبصر على سنة التدافع المحتوم (**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**)[1].

# الصادق المهدي

أم درمان في ديسمبر 2019م

[1] سورة المطففين الآية (29)



# مقدمة

الحمد لله الذي منحنا هذا الجيل العبقري، جيل ثورة ديسمبر 2018م المجيدة.
والحمد لله على عودة الروح لوطن، ولشعب.
والحمد لله على الاعتصام المجيد الذي امتد 58 يوماً حسوماً فخط لبلادنا تاريخاً جديداً من نور: خطوا لينا تاريخ أبيضن، نفخر بيه لي طول الزمن.
والحمد لله على فضه الوحشي الذي حاول ذبح أمة، لكنما الله لطيف خبير. وسوف تدور على الباغي الدوائر بإذنه تعالى.
والحمد لله أن هيأ لأمتنا نعمة الحبيب الإمام الصادق المهدي فشكل صماماً لقلب التحول المنشود، وما همه ما قيل وما يقال في سبيل مصلحة الوطن.
والحمد لله الذي هيأ لنا أن نبلغ بسيرته هذه المحطة، ونحن نزمع التقليب في فكره إن مد الله في أمد رحلتنا هذه حتى نلقاه مؤمنين به وراضين. نسأله التوفيق والتولية في ذلك إنه لطيف سميع قدير.
كنا في الأجزاء الثلاثة الأولى، التي صدرت بالتزامن في ديسمبر 2015م قد غطينا في الجزء الأول **(بينج ماريال)** النشأة الأولى لصاحب السيرة، حتى قيام انقلاب النميري الظلوم في مايو 1969م. وفي الجزء الثاني **(ظلام أب عاج)** تتبعنا معارضته للانقلاب المايوي سلماً وحرباً ومصالحته ثم مقاومته وتعرية قوانينه المسماة إسلامية حتى انبلاج فجر انتفاضة رجب 1985م. وأفردنا الجزء الثالث **(الصادق أمل الأمة.. ولكن)** لدوره في الديمقراطية الثالثة كرئيس وزراء منتخب، والتحديات والحلول التي اجترحها حتى قيام انقلاب الجبهة الإسلامية القومية المشؤوم في الثلاثين من يونيو 1989م. وفي الجزء الرابع **(الثقب الأسود)** رصدنا معالم البطش القميء الذي استنه النظام، وخطابه الدعي المخبول والمواجهة المستمرة له والاعتقالات ثم تهديده للإمام باتخاذه رهينة لمنع التحرك الخارجي مما أدى لخروجه سراً إلى إرتريا في عملية (تهتدون) عام 1996م ثم عودته في (تفلحون) عام 2000م.
في هذا الجزء نتطرق للفترة ما بعد العودة وحتى إبرام اتفاقية سلام نيفاشا في يناير 2005م، وقد أطلقنا عليه عنوان **(الحكيم)** فقد ظهرت بجلاء حكمته ونظره الثاقب الذي استطاع في وقت باكر أن يكشف تزوير السلام، ووقف وحزبه ينادون بترشيد العملية وإلا فعلى السلام السلام. صمام الأمان الأول الذي نادى به هو الربط بين السلام والديمقراطية، فبدونها سنفقد السلام والوحدة معاً. ولكن حكومة المؤتمر الوطني غشت السلام مثلما سوف نرى، ولعبت بالخيوط كلها داخلية وإقليمية ودولية بشكل استطاعت به أن تحقق اتفاقية سلام اغتبط منها الجميع ووضعوا عليها آمالهم بينما كانت ملغومة بشكل يجعلها لا تحقق شيئاً من أهدافها المرجوة. كانت بشريات فجر كذوب.

وللمعتبر أن يرى كيف تفجرت ألغام الاتفاقية التي أشار إليها في دويّ عظيم فصل معه ثلث البلاد وأنذر بتمزق المزيد. وسوف نتابع على طول الخط كيف استبشر الحبيب الإمام الصادق المهدي باتفاقية السلام لكنه فطن للخطر الداهم بإسقاطها للدقرطة وشرعنتها لسيطرة المؤتمر الوطني، وحاول بكل طاقته البحث عن مخرج للوطن من الهلاك الحتمي في ذلكم الركاب الغشوم. لقد تجلت حكمته في ذلكم الموقف، كما تجلت لاحقاً أثناء انتفاضة ديسمبر 2018م حيث كان محط سهام تكسرت فيها النصال بالنصال، لكنه ظل يوجه الرأي العام بمقولات كانت أشبه بالدواء المر الذي تأباه وفيه وحده العلاج.
هذه الحكمة المرة لم تكن بلا ثمن، لقد جعلت صاحب السيرة هدفاً للهجوم من جميع الجهات. لقد تعرض لحملات التكفير من أذناب النظام المباد وعلماء سوئه لأربع مرات: بعد إعلان نيروبي 1994م، وبعد إعلان القاهرة 2005، وفي 2009 و2012م، كما وجهت ضده بلاغات تصل عقوبتها للإعدام في 2014م و2018م؛ وقد ذكرنا في الجزء الرابع تعرضه لمحاولات اغتيال ثلاث مرات بيدي الإنقاذيين، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فات على بعض زملائه في المعارضة إدراك الحكمة وراء مواقفه فلم يوفروا عليه السنان.
لقد فرغنا من هذا الجزء منذ 2106م ليخرج بالتزامن مع الجزء الرابع الذي دشناه لدى احتفالنا بمولد صاحب السيرة في 25 ديسمبر 2016م، لكنه ظل حبيس الأضابير، وها هو الآن يخرج ضمن استعداداتنا للاحتفال بالمولد الميمون في ديسمبر 2019م، فالحمد لله أن رأى النور أخيرا.
ولأننا قررنا أن نتوقف بالسرد هنا في الوقت الراهن، فقد أوردنا فصلاً فيه أهم محطات السيرة منذ المولد وحتى الآن، ونزمع بإذن الله أن نفرد الفصل السادس لفكروية صاحب السيرة.
لقد بيّنا منهجنا في كتابة هذه السيرة والمسيرة في مقدمة الأجزاء الثلاثة الأولى، ونستحضر للتذكير، أو لمن فاتهم الاطلاع عليها، أننا نتتبع حياة الإمام الصادق استعانة في المقام الأول بأوراقه وكتاباته وأجندته المكتبية إضافة لمراجع أخرى كثيرة، والمشاهدات الخاصة.
في هذا الجزء على وجه التحديد استعنتُ بكتاب (أدبيات الحل السياسي الشامل لحزب الأمة) 2002م، والجزء الثاني من (أدبيات الحل السياسي الشامل) وهو كتاب غطى وثائق الفترة ما بين 2002-2007م، كنتُ عكفت عليه ولم أكمله. إضافة لخطب الإمام الصادق المهدي المنبرية والجماهيرية، وكتبه التي تتطرق للمسيرة السياسية في عهد الإنقاذ على رأسها (كتاب العودة) 2000م، و(المصير الوطني في الميزان)2010م، و(انقلاب يونيو 1989م في ألواح التاريخ) 2015م، وعدد من البيانات والأوراق والدراسات والخطابات والمذكرات الداخلية التي يروي فيها لزملائه قادة حزب الأمة أهم الأحداث ويناقش القضايا الجارية.
وبرغم استعانتي بكتابات الإمام الصادق المهدي وأوراقه إلا أن هذا الكتاب من تأليفي، فهو لم يقم حتى بمراجعته أو تصويب ما يرد فيه من أخطاء أو ما يعارضه من تحليلات.
وأتقدم بالشكر لكل من منّ عليّ بإفادة أو معلومة أو تصحيح داخل وخارج كيان حزب الأمة والأنصار. ولا يفوتني شكر زملائي في مكتب الحبيب الإمام الصادق المهدي الخاص خاصة الحبيبين محمد زكي وأحمد يوسف قريبين بهمتهما الاستثنائية التي نسأل الله أن تستنسخ في كثيرين، والحبيبة إنعام الجمري التي أمدتني بجزء ضخم من الوثائق حينما احتجتها لعملي وكنت حينها بعيدة في مدينة أبها بأرض الحرمين الشريفين.

وشكري لأستاذي الحاج وراق الذي تفهم غيابي المتطاول عن عملي في (حريات) حينها، أثناء تحريري لهذه السيرة. أحمد الله على سلامة عوده للبلاد مؤخرا، وأسال الله أن تعود (حريات) في ثوب قشيب يشبه فجرنا الديمقراطي المأمول وينسج خيوط ضياءه.

ومحبتي وعرفاني لأبنائي محمد الرشيد ورحمة ومحمد الطاهر بأبها آنذاك، وبكري أمان التي كانت بعيدة عنا في السودان، وقد تحملوا جميعاً غيابي بين الوثائق والكتب بينما أتابع هذه السيرة كثيرة التشعبات والأحداث خطيرتها، أسال الله أن يخلفهم عن ذلك الغياب بعنايته ولطفه.

وامتناني لا يوصف لطبي الحبيب عبد الرحمن الغالي، إذ يضيف لتأهيله كطبيب بشري طبه للنفوس المعتلة، وقد ظل يمنحني طمأنينة وينفحني سماحة أعجب منها مثلما أعجب من علمه ولطفه المبذول للمتآنسين.

أما صاحب السيرة، النعمة التي وهبها الله لنا والسنا الذي يشع ليهزم صغار الشقاق أثناء الديمقراطيات، والقيود والنفاق أثناء الدكتاتوريات، فإن قلمي يقصر دون اللحاق، وبتعبير عمنا الحبيب المادح عابدين: عابدين بطي كيف لحوقو. ودعائي أن اللهم أنعمت علينا بالحبيب فانعم عليه بنيل مقاصده للدين والوطن. وكلله والأحباب جميعاً بالحفظ والتوفيق والتولية في كل شأن.

حينما كتبت هذا الجزء كانت آمالنا تبدو بعيدة أن يزول ظلام الإنقاذ الطويل، ولكن ها هو ينقشع بالثورة المبدعة المجيدة، ثورة الوعي، والنبل، والحق، والجمال.

اللهم إنا نحمدك أن أريتنا سقوط الطاغية، وبزوغ جيل عبقري، فاسقط اللهم أركان الطغيان كلها، ووفق هذا الشعب النبيل إلى غاياته واخزل صانديه الأثمين.

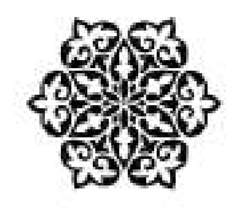
اللهم بارك في شبابنا هذا الجسور وحقق أحلامه، واحفظ أبدانه وجنانه وسلم وجدانه في أوان البناء مثلما سلمته إبان الثورة والاعتصام المجيد. فلا يقعن في شراك التضليل، ولا يتبعن أبواق الأباطيل. إن لك في هذه الأرض بذور بركات، هذه الأرض المؤمنة بأهل الله، فتولها وأهلها بحفظك يا لطيف.

اللهم اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك ووجه الوطن والحق والحقيقة، ولوجه هذا الجيل النبيل.

اللهم أمين.

**رباح الصادق**

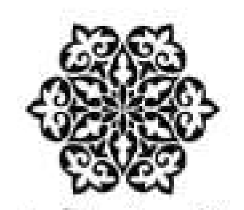
كتبت في أبها في نوفمبر 2016م
عدلت في أم درمان ديسمبر 2019م



## الفصل الأول

# العودة.. والإصبع المفقود!





# الفصل الأول

# العودة والإصبع المفقود

**يا قاصد الخراب شوفلك غراباً جزّو**
**والجبل الأشم شفتو الهبوب بتهزّو؟**

**الحبيب محمد سليمان صالح**

**تابعنا** في الجزء الرابع من هذه السيرة والمسيرة (الثقب الأسود) كيف ضيّق نظام الإنقاذ على الحبيب السيد الصادق وأغلق منافذ العمل من الداخل، فاضطره للهجرة سراً في عملية (تهتدون) قاصداً إرتريا.
ثم كيف عمل السيد الصادق بالخارج مع التجمع الوطني الديمقراطي، وكيف تطورت الأمور. بداية بتغيير النظام لخطابه منذ 1997م، ثم المستجدات في الإقليم بتفجر الحرب الأرترية الأثيوبية وضيق مساحات تحرك المعارضة، ثم الانشقاق داخل النظام بين القصر والمنشية الذين تباريا في الاتصال بالسيد الصادق وبحزب الأمة، فكان لقاء جنيف في مايو 1999م مع المرحوم دكتور حسن الترابي، ثم توقيع (نداء الوطن) مع جماعة القصر في نوفمبر 1999م، أعقب ذلك انعقاد الاجتماعات التنظيمية الأساسية لحزب الأمة في فبراير وأغسطس 2000م، واتخاذ قرار عودة القيادات بالخارج التي بدأت بعودة المرحوم دكتور عمر نور الدائم والسيد مبارك الفاضل في 6 أبريل 2000م، ثم قرار عودة القيادة العليا في نفس العام.
في يوم الخميس 23 نوفمبر 2000م عاد الحبيب المنتظر كما غنى الحادي، وهناك في أم درمان كانت العودة حدثاً اشرأبت له النفوس، حينما عدنا وجدنا شريط كاسيت جديد أنتجه الأحباب تناغماً مع تلك الأشواق العظيمة، فيه:

**يا أمة عملاقة**
**أرواحنا مشتاقة**
**يا الصادق المهدي**
**باكر بنتلاقى**
**الصادق المهدي راجع من الهجرة**
**يا وطني أحضانك مفتوحة للآخر**
**تضمي كل الناس يا بلدي يوم باكر**
**والإيد تكون في الإيد**
**تبني الغد الزاهر**
**يا شعب أنصاري**
**مطبوع على الفطرة**

**الراية تجمعنا والحلم لي بكرة**

وفيه أيضاً أشواق السلام والحرية والعدالة والوحدة:

**حرية يا وطني**
**بالكلمة تتحقق**
**حرية عدل سلام**
**خطواتنا لي قدام**
**لا تتوه ولا تغرق**
**يا تاريخ أقيف**
**دوّن كلام الحق**
**وطناً كبير**
**لا يرضى شق لا طق**
**كل الناس**
**جميع في الحكم ليها الحق**
**في كتّاب السلام**
**العهد يتوثق**

وفي العكد بنهر النيل نجد الشاعر الأنصاري الضخم حاج العمدة عبد الماجد يشارك في كرنفال الفرح بأبي أم سلمة والأشاوس الذين عادوا:

**أعيد البسمة للشعب الفــقد مشهـادو**
**وصارع تاني ما دام الأشاوس عـادوا**
**قشقش دمعة المظلوم وتمْ لو مــرادو**
**نحن ثقتنا فيك ثقة الرجال الســـادوا**

**فاتح بابو لي الضيـفان مجهــز زادو**
**وزي ابن الوليد في العركة شاد أجيادو**
**أبو أم سلمة البحل قيد الكتِل قيـــادو**
**بشّر تاني السودان دهّ نحن أسيـــادو**

و(الكل أسياده)، كما قال الحبيب الإمام.

أستاذ السر قدور ألف ولحّن (أوبريت العودة) الذي مثل تجربة أوبريت (أمجاد الأمة)[2] استند على تراث المهدية، والغناء الوطني، وشارك في أدائه في مهرجان ضخم بدار الأمة بالموردة عدد من كبار الفنانين أذكر منهم الأستاذ عبد الرحمن الشبلي، وكان شيئاً بديعاً. في الأوبريت حيا قدور البقعة وفرحتها:

**يا البقعـــة المنار ذات المقام العـالي**

---

[2] اوبريت الفه بمناسبة عقد المؤتمر العام لحزب الأمة باسمرا في 1998م، تطرقنا له في الجزء الرابع من هذه السلسلة

**نور الفرحة فوق وجهك بشوفه يــلالي**
**من زمن الجدود وفي الزمان الحـــالي**
**انتي الساكنة في الوجدان واسمك غالي**

**اليوم يا وطن عاد للبــــلاد نبراســا**
**الساكن ضميرا وفكرهـــا وإحساسا**
**يمين كل المعارك هو من فراســــا**
**ومن غيرو بيقود الأمة دين وسياسة**

**في بقعـــة المسجد .. الجمع احتشد**
**للــــصادق الــوعد .. بشرانــا بيهو**

**الضحى للبلد ... بالمـــال وبالولد**
**الصادق الوعـــد ... بشرانا بيهو**
**ما غاب عنـــا .. يومـــا ولا ابتعد**
**لاقى الأحداث ... بالصبـر والجلد**
**من أجل الوطن صابـــر واجتهـد**
**والاه الشعـــب وعليــه استـند**
**لاقى القواسي حاشاه مـا ارتعـد**
**الشعب جميعا يتلقى منــه المـد**
**يسمع كلامه ويشاوره ساعة الجد**
**الخالفو انخمد والتابعو انسعـــد**
**السيد السند الفايـح طيبـو نـــد**
**الصادق الوعد... بشرانا بيهـــو**

وكما قال: في بقعة المسجد الجمع احتشد.. فقد كان الحشد في مسجد الخليفة لا يتصور، كأنه يوم الحشر ولا يسأل حميمٌ حميماً، كلهم يريد أن يصل الحبيب العائد يمسه بيده أو حتى ولو ببريق النظر، فقد كان الوصول إليه مع ذلك الحشد مستحيلاً.
كان الطريق من المطار إلى مسجد الخليفة ذاته حاشداً، مئات العربات والحافلات كلها ترفرف فوقها الأعلام والهتافات: ما بنصادق غير الصادق، وجع.. وجع.. الصادق رجع، والتكبير والحمد.. الله أكبر ولله الحمد.
الشاهد، كان يوم العودة مدهشاً، أما منزلنا فقد تحولت حالته المعتادة كنادٍ إلى شيء جديد أشد ازدحاماً من (المحطة الوسطى)، وتحولنا إلى حالة معسكر بمنزل عمتنا أصفى رحمها الله الملتحم بمنزل الوالد.. أطفالنا الصغار كانوا يهيمون على وجوههم فلا نعرف أين هذا وذاك، وقد ضاع مرة مأمون الصغير ابن رندة، وكان عمره حوالي عامين، فوجده بعضهم في الإذاعة وعرفوا من أثر البعوض على وجهه أنه مقيمٌ بالملازمين ولا ندري كيف عرفوا أن مصدره منزلنا تحديداً فأعادوه، وضاعت مرة سلام ابنة طاهرة وعمرها نحو ثلاث سنوات فطلبت

إحدى أخواتي من نديدتها غفران ابنة أم سلمة أن تبحث عنها، وكانت فصيحة على صغرها ولثغتها، فردت مستنكرة: (سلام دايعة "ضايعة"، دايراني أفتش عليها عشان أديع معاها؟) وفعلا، كانت أيام، زي الأحلام، يا وطني!

إن جرعات المحبة والشوق التي ارتسمت في ثياب الحبيب البيضاء الناصعة فحولتها إلى داكنة، والدموع التي سالت على كتفيه من مآقي المتشوقة، وذبذبات التلهف التي أرسلها المحتشدون الآيسون من وصول، لا بد قد وصلت إلى مستقرها في شرايينه فأعطته جرعة من الصبر يخزنها لسنين القحط والصدود التي بانتظاره وهو يدق الباب ويدق الباب فلا يُكلّم ولا يكل متنه.

حينما عدنا وجدنا أن المنزل كما ذكرت تحول لشيء فوق المحطة الوسطى، كانت هناك لجان حزبية تشرف على كل شيء، وإذاعة داخلية يشرف عليها بعض كادر الحزب، ونظام تكبير للصوت، وبرامج مستمرة.

كان أول شيء أنجزناه هو تقديم تصور لتكوين مكتب خاص للحبيب الإمام الصادق المهدي، بعيداً عن المؤسسة الحزبية أو هيئة شؤون الأنصار، وبالتشاور مع بعض الأحباب رُشح بعض الكوادر المعروفين بإخلاصهم وهمتهم، أجاز السيد الصادق التصور، لمكتب يديره السيد إبراهيم علي، وقد ظل بمكتب الحبيب السيد الصادق منذ الستينات حينما كان مديرا لشركة دائرة المهدي الزراعية. يضم المكتب قسمين أساسيين: قسم العلاقات العامة والإعلام يرأسه الحبيب محمد زكي وتقع تحته شعب الإعلام والعلاقات العامة والمراسم، وقسم الدراسات والبحوث والمكتبة والنشر أرأسه وتقع تحته شعب المكتبة والدراسات والنشر، والطباعة والكمبيوتر. ثم بدأ العمل في يناير 2001م.

وفي نهاية نفس العام كان أول احتفال بعد تكوين المكتب بمولد الحبيب الإمام الصادق المهدي، وهو تقليد ظللنا نتمسك به حتى حينما يكون في المنافي، ففي هذا العام[3] مثلا يتم تدشين الجزأين الرابع والخامس من هذه السلسلة ضمن الاحتفال بمولد الإمام الصادق المهدي في القاهرة.

في احتفالنا ليوم 25 ديسمبر 2001م لم يكن الإمام يعرف أننا نظمنا للاحتفال.

قال يومها: *(كان هذا المشهد مفاجئا لي فلم أكن أتوقعه والحقيقة أن الاحتفال بيوم ميلادي كان تقليدا وضعته الوالدة رحمها الله، لعلها تفاءلت بأن يوم الميلاد صادف عيدين الأول من شوال و25 ديسمبر، فمنذ نعومة أظافري وفي وقت لم يكن فيه الناس يحتفلون بعيد الميلاد كانت تحتفل به ثم واصلت هذا التقليد أسرتي المباشرة فكانوا غالبا ما يفاجئونني بهذا الاحتفال، ثم درج الأخ الحبيب صلاح عبد السلام على الاحتفال بهذه المناسبة لسنوات، واليوم وجه دعوة لهذا الاحتفال، ولكنني فوجئت أن مكتبي الخاص، جزا الله خيرا القائمين عليه، رتبوا هذا الاحتفال ثم طلبوا مني أن أقول شيئا.. لا شك أن العبارات الصادقة والمخلصة التي أسمعوني إياها كانت شيئا دافئا حميما حبيبا حنينا ودبا جزاهم الله خيرا، وحبذا أن تكون العلاقات بين الناس الذين يعملون في صعيد واحد لا تقف عند حد المسئوليات الرسمية والمؤسسية وإنما تتعداها لرسم خيوط ووضع جسور المحبة لعل هذا جزء من ميراثنا الصوفي).*

[3] أقيم الاحتفال بمولد الحبيب الإمام بالقاهرة في 25 ديسمبر 2016م، وتم تدشين الجزء الرابع فقط أما هذا الجزء الخامس فكنت قد فرغت من تأليفه وتم تجهيزه للطباعة، ولكنه لم يطبع إلا الآن

لاحقا، صار الحبيب الإمام يستعد للمناسبة بكلمة أطلق عليها عنوان (**وقفة مع الذات لعام مضى وعام آت**) يجري فيها جرد حساب عم أنجز وما فاته وما يستشرفه للعام القادم بإذن الله.

## النداءات

كان عيد الفطر لسنة 1421هـ يوافق الخميس 28 ديسمبر 2000، وهي أول صلاة عيد يؤمها الحبيب السيد الصادق منذ خطبة عيد الفطر 1416هـ (فبراير 1996م) التي صام بعدها عن الكلام.

وجه في الخطبة الأولى (نداءات العصر) وهي ثلاث وثائق أصدرها حينها لمخاطبة حالة التعدد الفكري والمذهبي والملي والحضاري داخل الأوطان وفي العالم. وقد صدرت في نفس العام في كتاب.

أما في الخطبة الثانية فقد وجه الحبيب السيد الصادق نداءَ السلام للحركة الشعبية ومختلف القوى الجنوبية، والنداء الديمقراطي لمختلف القوى السياسية.

قال في الخطبة الأولى:

*(إننا نخاطب الأمة في هذا الصدد بثلاث وثائق هي: نداء المهتدين، ونداء الإيمانيين، وحوار الحضارات.*

## خلاصة نداء المهتدين

***أولاً:*** *الالتزام بالقطعي ورودا والقطعي دلالة من الكتاب والسنة، وتحرير الاجتهاد فيما سوى ذلك.*

***ثانيا:*** *الاتفاق مع الآخر المذهبي على القطعيات والتسامح حول الاجتهادات.*

***ثالثا:*** *الأحكام الإسلامية تقننها مؤسسات منتخبة مستهدية باستشارات فقهية فنية.*

***رابعا:*** *ثلث المسلمين يعيشون أقليات في بلدان العالم، وفي غالبية الأقطار الإسلامية جماعات وطنية ذات أديان خاصة بها. المواطنون في هذه البلدان أهل عهد مواطنة على نمط صحيفة المدينة التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم.*

*المواطنون سواسية في عهد المواطنة. والتعامل بينهم يقوم على (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[4]. وعلى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[5].*

***خامسا:*** *الشريعة الإسلامية واجبة التطبيق علما بأن هامش الالتزام الإسلامي واسع:*

*يمتد من "الجهر بالكفر" في ظروف معينة والقلب عامر بالإيمان، إلى "الحكم بما أنزل الله".*

*ويمتد من (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)[6] إلى (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)[7].*

*ويمتد من (كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)[8] إلى (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ)[9].*

---

[4] سورة البقرة الآية رقم (256)
[5] سورة النحل الآية رقم (125)
[6] سورة التغابن الآية رقم (16)
[7] سورة آل عمران الآية رقم (102)
[8] سورة النساء الآية رقم (77)
[9] سورة الحج الآية رقم (78)

ويمتد من (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)[10] إلى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)[11].
ويمتد من تعليق أحكام الإسلام في ظروف معينة خوف الفتنة إلى الالتزام الكامل بها.
ويمتد من (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا[12])، إلى( وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ[13]).
ويمتد من تخصيص النص بأسباب النزول أو بظروف معينة، إلى لا اجتهاد مع النص.
التطبيق المطلوب الآن هو ذلك الذي يراعي حقوق المواطنة للآخرين، والمغايرة الدينية، ويشرع بوسائل ديمقراطية.

**خامساً:** الجهاد قائم حتى قيام الساعة، والجهاد هادف لتكون كلمة الله هي العليا. وهو قائم بكافة وسائل العمل. ولا يصبح قتالاً إلا دفاعا عن النفس على أساس: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ[14]).

**سادساً:** النظام الدولي يقوم على العهد لا التفرقة بين دار سلام ودار حرب. والعهد يقوم على أساس: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ).[15]

**سابعاً:** نهضة العصر الحديث مؤسسة على ثلاث ثورات: ثورة سياسية حققت كفالة حقوق الإنسان والحريات العامة، وثورة اقتصادية حققت التنمية، وثورة معرفية حققت حرية البحث العلمي والتكنولوجي. هذه المنجزات ينبغي استصحابها في تحديث مؤصل وليس تبعيا.

**ثامناً:** العولمة هي المرحلة الحالية لتطور الإنسانية واستصحابها ضروري، واحتواء سلبياتها مطلوب.

**تاسعاً:** هنالك حقائق جديدة كالوطنية، والقومية. للوطنية كأساس لتنظيم الأمن والتنمية والخدمات دورٌ إيجابي، كما للقومية دورٌ إيجابي تنموي وثقافي. ينبغي التعامل الإيجابي مع الوطنية والقومية ورفض ما قد يلحق بهما من سلبيات نتيجة العصبية.

**عاشراً:** وحدة المسلمين هدف مطلوب ويمكن أن يتحقق منه ما لا يتناقض مع المصالح الوطنية، والقومية، والدولية.

## خلاصة نداء الإيمانيين

**أولاً:** الاعتقاد الديني ضرورة للإنسان. ضرورة للطمأنينة النفسية، وللرقابة الذاتية، ولتحصين الأخلاق، وللتماسك الاجتماعي، وللهوية الجماعية. الإيمان حق إنساني اختياري لا يجوز إكراه الإنسان عليه ولا حرمانه منه. إن الأديان المختلفة هي المسئولة عن تعريف عقائدها. وإن عقائدها كما تعرفها ينبغي أن تحترم.

---

[10] سورة الكافرون الآية رقم (6)
[11] سورة آل عمران الآية رقم (85)
[12] سورة البقرة الآية رقم (286)
[13] سورة البقرة الآية رقم (284)
[14] سورة الحج الآية رقم (39)
[15] سورة الممتحنة الآية رقم (8)

***ثانياً:*** *إن الهوية الحضارية والثقافية حق للإنسانية يجب احترامه وكفالته على أن تعترف الحضارات والثقافات ببعضها بعضاً، وتسعى للقاح اختياري للإثراء المتبادل، والتواصل النافع لأطرافه.*
***ثالثاً:*** *حرية الفكر والبحث العلمي أساس لتقدم الإنسانية. إن على الإيمانيين احترام العقل الإنساني والحقائق التجريبية.*
***رابعاً:*** *إن للإنسان ضرورات ينبغي إشباعها إشباعاً متوازناً وإلا اختلت نفسيته. تلك الضرورات عشر: روحية، مادية، خلقية، معرفية، اجتماعية، تكنولوجية، جمالية، بيئية، رياضية، وترفيهية.. إن الالتزام الديني السوي يعتبر هذه الضرورات لصيقة بفطرة الإنسان ويسمح بإشباعها إشباعاً متوازناً.*
***خامساً:*** *النظام السياسي الذي يليق بكرامة الإنسان هو النظام الذي يكفل حقوق الإنسان كما نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بالإضافة للحقوق الدينية والثقافية، ويكفل حريات الإنسان الأساسية. ويقيم السلطة السياسية على أساس انتخابي حر ومساءلة الحكام بواسطة المواطنين.*
***سادساً:*** *إن اقتصاد السوق الحر هو الذي يحقق أعلى درجات التنمية الاقتصادية. على أن يراعي اقتصاد السوق الحر الرعاية الاجتماعية المطلوبة للسلام الاجتماعي والرعاية البيئية المطلوبة للايكولوجية المستدامة.*
***سابعاً:*** *لقد صيغت وثائق حقوق الإنسان العالمية في وقت لم تبرز فيه أهمية حقوق الإنسان الروحية والخلقية والثقافية مما يوجب أن تراجع لتكملة ذلك النقص.*
***ثامناً:*** *مسيرة الإنسانية أوقعت ظلما على بعض الشرائح الإنسانية: اضطهادا لونيا، ونوعيا.. وشرائح إنسانية مستضعفة لصغر سنها، أو لكبر سنها، أو لأنها معاقة. إن الضمير الديني والخلقي يتبنى إنصاف هذه الشرائح الإنسانية. كذلك يتعرض العالم لكوارث طبيعية أو من صنع الإنسان.. إن على المنظمات الدينية أن تستعد دائما لاحتواء الكوارث والنكبات.*
***تاسعاً:*** *الأديان العالمية تدرك أهمية البيئة الطبيعية وضرورة رعايتها. والأديان الأفريقية تركز على التواصل بين أجيال الإنسان في حاضرها، وماضيها، ومستقبلها، كما تركز على التواصل الوثيق بين الإنسان والبيئة الطبيعية. ينبغي إعطاء الاهتمام بالبيئة الطبيعية بعدا روحيا وخلقيا لتقديس المحافظة على كوكب الأرض وإعطاء البيئة الطبيعية عافية مستدامة.*
***عاشراً:*** *لقد تعولمت أنشطة الإنسان المختلفة مواكبة لمقتضيات العولمة الحميدة. إن الحاجة ملحة لمؤسسة عالمية تكون منبرا للدراسات المشتركة والأبحاث في الأديان المقارنة، والإحصاء، والتوثيق، مما يثري أدب الأديان المقارنة لا من زاوية أكاديمية ولكن من زاوية إيمانية مشغولة ببناء البعد الروحي والخلقي للعولمة وساعية لعمارة الكون بصورة موزونة.)*

## خلاصة نداء حوار الحضارات[16]

(ظاهرة التشدد الإسلامي في مجتمعاتنا وظاهرة الهيمنة الحضارية في الغرب تياران يبرران ويغذيان بعضهما الآخر ويدفعان بالإنسانية نحو الخصام والصدام. وظاهرة الاستنارة

[16] كان تلخيص النداء في الخطبة مختصرا جدا، هذا تلخيص من كتاب نداءات العصر، 2001م

الإسلامية ولدى أهل الحضارات المختلفة، وظاهرة الاعتدال الغربي تشكلان تيارين يغذيان ويبرران بعضهما الآخر. فإن تغلبا فإنهما يفتحان أبواب التواصل والحوار البناء ويمهدان لتنوير عالمي يبشر بمستقبل إنساني أفضل. شروط ذلك التواصل هو:

**أولاً:** أن يعترف الغرب بأن الحضارة الغربية الحديثة مركبة ساهمت فيها كل حضارات الإنسان السابقة لا سيما الحضارة الإسلامية.

**ثانياً:** الاعتراف بأن الحضارات الإنسانية الأخرى لها دورها في بناء حاضر ومستقبل الإنسانية، ولا يجوز التعامل معها ككائنات منقرضة أو في طريقها للانقراض.

**ثالثاً:** التسليم بحرية الشعوب في استصحاب منجزات الحضارة الغربية الحديثة الصالحة للاستصحاب، برؤية ذاتية لا بالإكراه، تشتمل على أقلمة ثقافية واجتماعية تحددها باختيارها.

**رابعاً:** إدراك أن الظلم الاجتماعي على صعيد الدولة الواحدة كالظلم الاجتماعي على الصعيد العالمي يقوضان السلام. وضرورة إزالة الغبن التنموي عن عالم الجنوب لحفظ السلام العالمي.

**خامساً:** إقامة علاقات حوار إيجابية بالحضارات الأخرى على أساس التعلم المتبادل.

**سادساً:** الاتفاق عبر حوار متكافئ على غايات إنسانية وايكولوجية مشتركة.

**سابعاً:** اعتراف الغرب بدوره في تكوين عدد من بؤر النزاع الساخنة، والقيام بدور تكفيري في علاجها من أجل إقامة علاقات دولية سليمة وسوية. (فلسطين، كشمير، وجنوب السودان).

ذلك النهج الغربي المطلوب يشكل لنا بيئة خارجية صالحة. ولكن الأهم منها أن نقف نحن المسلمين، ويقف جميع أهل الحضارات، وقفة صدق مع الذات نحاسب أنفسنا ونحسب خطانا لأن تجديد دورنا الفاعل في الحياة يبدأ بصحوة ذاتية)[17].

وقال:

*(إننا نخاطب أهلنا في السودان والناس كافة بنداء المهتدين، ونداء الإيمانيين وحوار الحضارات بمفاهيم تعمد الإسلام في دوره الأكمل دينًا للإنسانية. هذه هي ذخيرتنا لطرد الانكفاء ونفي ما علق بالإسلام من تشويهات الإرهاب والديكتاتورية. من هذا المنطلق أزف التهاني لإخواننا المسيحيين في كل مكان بميلاد السيد المسيح عليه السلام وبالعام الميلادي الجديد.. قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن معشر الرسل أولاد علات وإن اختلفت الشرائع)*[18].

## نداء السلام

وجه السيد الصادق نداء للسلام من ستة بنود للعقيد جون قرنق والحركة الشعبية وللسادة والسيدة: بونا ملوال، أبيل ألير، البابا سرور، جورج كنقور، جون لوك، رياك مشار، يوهانس أكول، دافيد كوينجوك، فرانسيس دينق، كلمنت أمبورو، أندرو ويو، عابدون أقاو، باسفيكو لادو لوليك، كريستينا وليم دينق، وكافة القوى السياسية وزعماء العشائر ومنظمات المجتمع المدني الجنوبية في الداخل والخارج. خاطبهم قائلاً *(دعونا مما اختلفنا حوله فلنتفق على هذه الأسس ونقفل باب الفتنة ونحقن الدماء ونبرم تعاهد الوطن على أساس جديد بمراقبة ومتابعة إقليمية ودولية لتأكيد الالتزام من كافة الأطراف).*

---

17 تلخيص للنداء من كتاب نداءات العصر.

18 من خطبة عيد الفطر

**خلاصة النداء**

**أولاً:** المواطنة هي أساس الحقوق الدستورية في البلاد ولا يجوز لأية جماعة دينية الحصول على امتياز بموجب ملتها. ولا يجوز تنظيم حزب سياسي يحرم أي مواطن من عضويته لأسباب دينية أو عرقية أو نوعية.

**ثانياً:** السودان وطن متعدد الأديان والثقافات، تتعايش ضمن ميثاق ثقافي يكفل حقوقها، وينظم الاعتراف المتبادل بينها، وينظم التنافس السلمي، ويحقق التعاون الاختياري بينها.

**ثالثاً:** تكفل للبلاد عامة وللمناطق المتضررة خاصة سلطات لا مركزية فدرالية حقيقية.

**رابعاً:** إعادة هيكلة مؤسسات الدولة السودانية تمشياً مع الإصلاحات الجديدة.

**خامساً:** الوحدة الطوعية عبر استفتاء حر لتقرير المصير.

**سادساً:** التفاوض من أجل تحقيق هذه الأهداف عبر منبر جامع أو ملتقى جامع أو مائدة مستديرة تراقبه دول الجوار والأسرة الدولية وتتابع تنفيذه.

## النداء الديمقراطي

بهذا النداء خاطب القادة السياسيين: السيد محمد عثمان الميرغني، الدكتور حسن عبد الله الترابي، السيد محمد إبراهيم نقد، الفريق عبد الرحمن سعيد، العميد عبد العزيز خالد، السيد فاروق أبو عيسى، والسيد غازي سليمان، وكافة القوى السياسية، والنقابية، والمدنية السودانية.. أن تعالوا للالتزام بهذه المبادئ لنحققها بالتفاوض الجاد وبالضغط الشعبي والدبلوماسي الذي يدعمها:

*(**أولاً:** إزالة كافة القيود الدستورية والقانونية على الحريات العامة بحيث لا يبقى إلا النص عليها وعلى تنظيم ممارستها.*

***ثانياً:** الالتزام بحقوق الإنسان كما وردت في المواثيق الدولية.*

***ثالثاً:** الالتزام بقومية مؤسسات الدولة الحديثة المدنية، والنظامية، وإزالة كافة مظاهر الامتياز لأي حزب أو جماعة.*

***رابعاً:** الالتزام بقومية مؤسسات وأنشطة الاقتصاد الوطني وبسط العدالة بين الناس وإزالة أية امتيازات لفرد أو حزب أو جماعة.*

***خامساً:** التراضي الوطني على مساءلة تحقق الآتي:*

- *( ) التراضي على التجاوز عن تقويض الدستور مقابل استرداد الشرعية الدستورية.*
- *( ) إقامة آلية لكشف الحقيقة حول المظالم والجنايات.*
- *( ) تنظيم التقاضي الجنائي أمام المحاكم.*
- *( ) تعويض المتضررين ورفع المظالم.*

***سادساً:** التفاوض الجاد من أجل هذه الأهداف عبر ملتقى جامع أو مائدة مستديرة بمراقبة ومتابعة دول الجوار والأسرة الدولية.)*

ثم قال: *(مضى شهر منذ تفلحون فما هو حصاده؟ أقول: العودة نفسها أبرزت كثافة شعبية وحماسة شعبية منقطعة النظير. كثافة فيها درس لرأي داخل النظام اعتبرنا قد تآكلنا فوجد "المأكولين" قد زادوا! فصعب عليهم إبراز هذه الحقيقة فهمشوها. ولكن كيف تهمش شمس الضحى؟*

*ودرس للمعارضة الجالسة على الرصيف تلاسن، بأن ابراز الرأي الآخر ممكن ومطلوب والقعود عنه عجز.*
*وأجريت الانتخابات العامة تحت نظر العالم دون محاولة لإخفاء الحقائق وكان فيها درسان: درس للنظام أن السباحة ضد التيار الشعبي عازلة، وأن ترتيب أية أمور على نتائج هذه الانتخابات إمعان في عدم الجدوى. نعم هنالك دلائل على وجود دوائر داخل النظام تضيق بالرأي الآخر، مثلا:*
*ضاقوا بالرأي الآخر المتوالي وعاكسوا رحلة وفد المؤتمر الوطني الشعبي للفاشر، دون جدوى.*
*وضاقوا بالرأي الآخر المحاور فمنعوا صلاتنا لعيد الفطر في مسجد خليفة المهدي.*
*وضاقوا بالرأي الآخر المعادي واعتقلوا سكرتارية تجمع مصروع، فلا أطلقوها ولا قدموها لمحاكمة عادلة وعاجلة وعلنية. لقد طالبنا بإطلاق سراحهم وخاطبنا مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان لتوجيه نداء مماثل. واعتقل محاميان بعد ذلك اعتقال مخالف لقانون المحاماة.*
*هذه الإجراءات عادت لأصحابها بنتائج عكسية لوجود مساحة للرأي الآخر، ولوجود شفافية دولية لا سيما وقد وقع وزير العدل السوداني اتفاقا مع مفوضية الأمم المتحدة الخاصة بحقوق الإنسان لفتح مكتب خاص بها في الخرطوم.. هذا معناه أن أية مخالفة لحقوق الإنسان سوف تلقى رد فعل مباشر وعاجل.*
*إننا نرفض هذه التجاوزات كما نرفض التعديل الذي ألحق بقانون الأمن ومد فترة الاعتقال التحفظي من شهر إلى ثلاثة أشهر.*
*هذه الإجراءات تمثل نكسات في طريق الحل السياسي الشامل نبرزها ونعارضها ونحشد الرأي الوطني لمعارضتها والتخلص منها.*
*إن خلاص الوطن متعلق بالتزامنا والتزام النظام التزاماً إستراتيجيا بالحل السياسي الشامل وبالأجندة الوطنية وسوف نسعى لتوحيد الشعب كله مع الأجندة الوطنية، وبنفس القدر نسعى لتوحيد الشعب كله ضد الأجندات الشمولية، والحربية، والتدويلية).*

## التفاوض مع النظام

تابعنا في الجزء الرابع من هذه السيرة والمسيرة توقيع نداء الوطن في 26 نوفمبر 1999م بين حزب الأمة والمؤتمر الوطني. وكيف أقدم حزب الأمة على التحول إلى شكل تنظيمي جديد، فأقر لجنة لدراسة موضوع التنظيم للانتقال من الحالة الاستثنائية آنذاك، كونها من أعضاء الأجهزة الدستورية بالقاهرة والزائرين، ومن الداخل.
قدمت اللجنة تقريرها في 13 يناير 2000م فكان بداية لمشاورات انتهت في أغسطس 2000 بتكوين التنظيم المرحلي للحزب. واستكملت المشاورات لبنانه، فتم انتخاب عضوية المكتب السياسي وتصعيدها من الكليات المعنية بحسب التوسع المتفق عليه، حتى بلغ أعضاؤه 107.
كما سُمي رؤساء القطاعات التي صممها التنظيم الانتقالي، وتقلد السيد مبارك الفاضل رئاسة القطاع السياسي، وكان ملف التفاوض مع النظام ضمن مهام ذلك القطاع.
وسوف نرصد هنا مآل الآمال الطامحة لحل سياسي شامل يحقق السلام العادل والتحول الديمقراطي. فقد مارس نظام الإنقاذ هوايتيه: (فرق تسد)، و(كشكش تسد) وفق تعبير السيد

الصادق، وقام باختراق حزب الأمة، محاولاً ابتلاعه في جب المساومات الثنائية، بعيداً عن أحلامه بالحل القومي والشامل.
قال الحبيب الإمام الصادق المهدي وهو يصف حالة التآمر والتلذذ بالاختراق لدى الإنقاذيين حين تعاملهم مع الخصوم أو حتى المعاهدين، وضرورة الحذر عند التعامل معهم: إذا صافحت هؤلاء القوم فعد بعدها أصابعك.
ويقول الأستاذ عبد الماجد عليش حول إدمانهم ذلك السلوك: هناك فرح صبياني بنجاح عمليات اختراق المعارضة، وكذلك استخدام الحروف والأرقام والعلامات وذلك للإيحاء بخطورة ما تم ضبطه،..، ولتقوية الحس الأمني لديهم فهم أصلاً جيشٌ عقائدي[19].
الشاهد، لقد بدأ الحوار مع النظام لتطوير نداء الوطن منذ العودة الأولى، في 6 أبريل 2000م، واستمر بعد عودة الصادق، وانتقل من خانة السرية إلى الانفتاح والتشاور بين القيادات.
في المرحلة الجديدة بعد عودة الصادق تم تداول العديد من الأوراق بين الحزب وبين النظام، وسيكون عرض كل المكاتبات الدائرة بل وتحليلها من شأن دراسة توثيقية وتحليلية لمسألة التفاوض مع النظام، ولكن هنا نشير لبعض عتبات التفاهم، ثم مداولات الحزب حول نتائج التفاوض وقراري المكتب القيادي والمكتب السياسي. وللمستزيد أن يرجع لكتاب أدبيات الحل السياسي الشامل خاصة الوثائق المرقومة (78) أ، وب[20].
كتب السيد الصادق كرئيس لحزب الأمة ورقة للاتفاق بتاريخ 13 يناير، قدمت الورقة لاجتماع المكتب القيادي للحزب في 18 يناير 2000م، وجرى عليها تعديلٌ ثم سلمت للحكومة في 21 يناير 2001م[21]، جاءت فيها النقاط التالية:

- التطلع لإعادة كتابة الدستور وفق اتفاق سياسي شامل بحيث يصبح دستوراً ديمقراطياً، مدنياً، رناسياً، فيدرالياً، يكفل الحقوق الدينية لكافة المجموعات الوطنية السودانية، وحقوقها الثقافية، ويحافظ على التوازن المطلوب بين حرية الدين، والمساواة في المواطنة. ويعتبر دستور اللجنة القومية برئاسة السيد خلف الله الرشيد هو النص المرجعي، على أن يراجع ليحقق: **اعتبار المواطنة أساس الحقوق والواجبات الدستورية** وهذا مبدأ يتناقض مع عبارة الحاكمية لله فـ(الربوبية لله قضية إيمانية مسلم بها. ولكننا بصدد تأكيد مبدأ سياسي هو أن السيادة للشعب، والشعب المختار هو الذي يلتزم بعقائده وقيمه وفق الضوابط التي يقررها. كما أن عبارة حاكمية المستمدة من فكر الشيخ أبو الأعلى المودودي عبارة مشحونة بمفاهيم ثيوقراطية غريبة على الإسلام وعلى الديمقراطية معاً)؛ **والفصل بين السلطات** وهناك مواد تتجاوزه؛ **ومبدأ سيادة حكم القانون** بينما هناك بنود تمنح حصانات تتناقض معه؛ **ومراجعة مواد تتعلق بالاعتقال التحفظي وحقوق المقبوض عليهم وجمع البينات بطريقة غير قانونية؛ ومبدأ استقلال القضاء والجامعات ولجنة الانتخابات؛ وضمان حرية الاقتصاد الوطني وموضوعية إدارته** والحيلولة دون الاحتكارات لمصالح خاصة أو حزبية؛ **وإنشاء محكمة دستورية** مستقلة مع ضوابط تكفل

---

19 عبد الماجد عليش، أولاد الترابي، ص 24
20 كتاب أدبيات الحل السياسي، حزب الأمة، 2002م
21 نفسه، الوثيقة رقم 78 أ

استقلال القضاء؛ **والنص على هيمنة القوات المسلحة وقوات الشرطة على كل القوات الموازية؛ وضبط جهاز الأمن ليصير جهاز رصد وتحليل وتوصية؛ وتعديل مصادر التشريع** لتكون (الشريعة، الأديان السماوية، الثقافات الوطنية. والمواثيق الدولية).

- مراجعة كافة القوانين لإزالة التناقض بينها والمبادئ الدستورية المذكورة.
- إعادة دولة الوطن فقد حدث تطهير حزبي في مؤسسات الدولة، كما حدثت تعيينات حزبية. المطلوب رد اعتبار ورفع المظالم التي لحقت بالمفصولين ومراجعة التعيينات.
- الاتفاق على انتخابات عامة تديرها هيئة أعضاؤها مختارون بالتراضي.

تكون هذه النقاط أساس مشروع قومي سوداني يحقق الاتفاق على وثائق تطور العمل السياسي السوداني، وتكفل الوحدة الوطنية ضمن التنوع المشروع والوثائق هي: ميثاق وطني تلتزم به كل القوى السياسية يحسم القضايا المصيرية المختلف حولها مثل (التأصيل والتحديث، الدين والدولة، التنمية والعدالة، العلاقات الإقليمية، حقوق المرأة، العلاقات الخارجية)، وميثاق ثقافي، وميثاق اجتماعي وميثاق صحافي، ووثيقة تحدد آلية ضمان متابعة وتنفيذ ما يتفق عليه.

كما شملت الوثيقة رؤى حول اتفاقية السلام وأن الحل ينبغي أن يقوم على تجاوز فجوة الثقة مع الجنوبيين بالاعتراف بأخطاء الماضي، والنص على آلية مقبولة لمتابعة ومراقبة وضمان التنفيذ. مع مقترحات لحسم موضوع الدين والدولة بحيث لا يسمح بنصوص تنال من مبدأ المواطنة، والاعتراف بالتنوع الديني والثقافي بصورة ميثاقية محددة، وإقرار مبدأ النظام الفيدرالي مع مراجعة التطبيق الحالي، ومراجعة هيكلة الدولة لتحقيق الإصلاحات المطلوبة، وتوضيح السياسات الإصلاحية بشأن المناطق المهمشة، وتحديد أسس التوزيع العادل للثروة، وتوضيح السياسات الخارجية الجديدة والاهتمام الأكبر بالبعد الأفريقي، وتحديد كيفية تحقيق الوحدة الطوعية عبر الاستفتاء[22].

وفي 31 يناير 2001م سلمت الحكومة السيد مبارك ورقة معنونة (النسخة الثانية) أكدت على بعض المبادئ الواردة في ورقة حزب الأمة بشكل انتقائي واختتمت بضرورة مشاركة حزب الأمة في السلطة لتحقيق ما يتفق عليه.

سلم الحزب للحكومة في 1 فبراير ورقة ثانية. فيها تسع نقاط تؤكد على أطروحاته فيما يتعلق بالدين والدولة، والسلام العادل، وقضايا الدستور ونظام الحكم، ورفع المظالم، وأن تكون المبادئ المذكورة أساساً لمواثيق وطنية يتفق عليها، مع اتخاذ آليات مناسبة لمواصلة التشاور حول الاتفاق وضمان المتابعة والتنفيذ، وأن يتم إشراك أوسع حول أية تعديلات دستورية أو قانونية تدخل فيها مساهمات القوى السياسية والخبراء والأفراد، وإجراء انتخابات عامة حرة يتفق عليها إما عبر المحادثات الثنائية أو في الملتقى الجامع، ولحين ذلك يتم التشاور والتعاون في القضايا الوطنية العليا، وكفالة الحريات العامة، والاستعداد لخوض أية انتخابات نقابية بعد الاتفاق على سلامة قوانينها ونزاهتها.

---

[22] نفسه، الوارد هنا تلخيص للوثيقة

وحول المشاركة جاء: (إقرار مبدأ المشاركة في السلطة على أن يأتي ذلك بعد تكملة التفاوض بشأن النقاط المعلقة بما فيها الاتفاق على موعد لانتخابات حرة سواء تم ذلك عن طريق المحادثات الثنائية أو الملتقى الجامع)[23].

في هذا الشهر، فبراير 2001م اكتملت المداولات حيث سلم النظام ورقة أخيرة، واعتبر رئيس القطاع السياسي بالحزب أن التفاوض قد اكتمل بشأن النقاط المعلقة، وتبقت المشاركة في السلطة لتنفيذ ما اتفق عليه.

وحضر لرئيس الحزب في المنزل وسلمه نسخة مما اتفق عليه، أذكر أن زياراته في تلك الأيام كانت كثيرة للسيد الصادق فقد كان يسلمه نسخاً من الأوراق التي تم التوصل إليها وأحياناً يستشيره حول نقاط حدث فيها تعثر، وكان السيد الصادق يتفاهم معه حول تلك القضايا بمفهوم أن كل ما يتم التشاور حوله سوف يكون في النهاية عرضة لقرار مؤسسات الحزب، فلن يتم اتخاذ أي قرار مصيري بدون المشاركة والقرار الديمقراطي.

وكان السيد مبارك كثيراً ما يزورنا في المكتب الخاص للإمام الصادق المهدي إما لنقوم بطباعة ورقة بعد إجراء بعض التعديلات، أو مرات لطلب بعض الأدبيات التي كان يرغب في تسليمها لمفاوضيه من قادة المؤتمر الوطني. كان سعيداً بما تم التوصل إليه ويعتبر أن الاتفاق حول المشاركة مع الوطني ستحل كل قضايا حزب الأمة وقضايا البلاد المتعثرة، وكان انطباعه الذي عبر عنه لاحقاً أن السيد الصادق موافق على تلك النصوص ومؤيد للمشاركة في الحكم.

وهذا ربما أهم خلل في الفهم أدى لاحقاً لمشاكل التفاهم التي لم تنته، فالسيد الصادق كان ينتظر نهاية التفاوض حتى تُعرض النتيجة للأجهزة ويتم تقليب الخيارات ومن ثم اتخاذ القرار المناسب. لكن هناك حقيقة راسخة في ضمير السيد الصادق وملتصقة بخطابه، وهو عدم المشاركة في حكم شمولي، وقد كانت تجربة المصالحة مع نميري درساً بليغاً في ألا يُعطى الديكتاتوريون أية شرعية عبر أي شكل من أشكال المشاركة[24]، ومهما كان معسول الكلام والاتفاقيات، هذه الحقيقة يبدو كانت غائبة تماماً عن مبارك وعن قراءته لطريقة تفكير رئيسه في الحزب.

---

[23] أدبيات الحل، مرجع سابق الوثيقة رقم 78 ب

[24] بعد المصالحة 1977م ركز النظام المايوي على ضرورة المشاركة أولا، بينما أصر حزب الأمة على استكمال التحول الديمقراطي أولا، ولكن حدث أمران: سُمح حزبياً لبعض القادة بتقلد مناصب، وحينما أعلن الحزب في أكتوبر 1978م فشل المصالحة وطالب منسوبيه بالاستقالة استجابت الغالبية ولكن البعض مثل المرحوم عبد الحميد صالح الذي عين رقيبا لمجلس الشعب والدكتور شريف التهامي الذي عين وزيرا للطاقة، تمسكوا بالمشاركة. الأمر الثاني، رفض السيد الصادق في مارس 1978م التعيين في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي أو أي منصب تنفيذي أو تشريعي آخر، ولكن النميري استدرجه في أغسطس 1978م لقبول منصب تشريعي وهو عضوية المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي حينما كان مسافرا لليبيا بغرض إجراء مباحثات مع القيادة الليبية تتطرق للعلاقة بين البلدين، والحجة كانت أنه ينبغي أن تكون له صفة رسمية. وبرغم الاشتراطات التي وضعها بإتاحة الديمقراطية وعدم الانفراد بالقرار، إلا أنه اتضح له بعد شهرين فقط خطأ الالتحاق فاستقال في 21 أكتوبر 1978م من ذاك المنصب وصام ثلاثة أيام للتبرؤ من القسم. لتفاصيل ما حدث رجاء الرجوع للجزء الثاني، (ظلام أب عاج). الشاهد، يظن الشموليون أن ردفهم لأصحاب الشرعية الانتخابية يرمم شرعيتهم المثقوبة، فيبذلون الوعود الكاذبة لقاء موافقة مشاركتهم إياهم سرج الجريمة. هذا درس لن يفوت على ديمقراطي كالسيد الصادق، أبداً.

بل إن هناك ما يدل على أن السيد مبارك واجه هذا الرفض إذ سعى لإكمال ترتيبات المشاركة الثنائية مع النظام بدعم ليبي في وقت باكر. ففي أجندة الحبيب السيد الصادق لعام 2000 نجده يدون بتاريخ الثلاثاء 26 سبتمبر التالي: *(توجهت اليوم لطرابلس، مبيت هناك، وتوجه لسرت الأربعاء. التقيت سليمان الشحومي ومبارك. يبدو أن الأخير اتفق على عقد اتفاق ثنائي بيننا وبين النظام يكون العقيد شاهده. هكذا بلا تمهيد في الحزب، ولا مراعاة لمصر، ولا مشروع تطوير قومي. لم تتضح لي صورة ما يريد إلا لدى النقاش مع الشحومي الذي لام مبارك على انه أعطاه معلومات غير صحيحة. مبارك يجير أفكاره على أنها أفكار ليبيا، وأحيانا على أنها أفكار النظام وفي كل حالة يحاول توريط الآخرين في أمر واقع هو غير مقبول).*
ودون الصادق في مفكرته خيارين ممكنين في التفاهم مع المؤتمر الوطني: ( *الأول: اتفاق على اتفاقية السلام، الدستور، الحكومة القومية على أساس كلمة شرف بيننا، والثاني الاتفاق على الحريات ومعارضة مسئولة).*
ثم كتب في المدونات ذاتها معلقاً ومشيراً لعدم حضور جماعة المؤتمر الوطني للقاء في ليبيا كما كان متوقعا: *(مبارك اتخذ خطأ من شأنه أن يقود لاتفاق ثنائي مع النظام برعاية الجماهيرية دون تحضير كاف في الحزب، ودون استيعاب لدور مصر، اندفاع في اتجاه خاطئ تماماً. أوضحت له خطأ ذلك والتوجه البديل. المدهش انه حضر فئة في الحزب كما تفاهم مع الشحومي وغازي عتباني! مرة أخرى خطأ مبارك انه يمضي متحمسا في اتجاه دون أية حسابات للصورة العامة.. صححت الموقف، والحمد لله. ظروف الأخوة في السودان حالت دون حضورهم كالمتوقع، حاول أن يفسر ذلك بأنهم غير راضين للتصحيح. الحقيقة التي قالوها انهم دعوا ألف شخص في حزبهم وظنوا أن مشاكل اجتماعهم يمكن أن تنتهي في 9/30، ولكنهم أدركوا أن ذلك غير ممكن إذ واجهوا مشاكل حزبية جسيمة.)*
الشاهد، كان مبارك مصمماً، وجاهزاً، بدعم ليبي، وحينما حضر بآخر نسخة للاتفاق استلمها السيد الصادق ودعا لاجتماع عاجل للمجلس القيادي الذي قوامه مؤسسة الرئاسة (الرئيس ونائبيه) ورؤساء القطاعات التنفيذية، فاجتمع المجلس القيادي جلستين في يومي الثلاثاء 13 والأربعاء 14 فبراير، وخلص إلي توصية لم تذع حينها واعتبرت سرية حتى تتم مناقشة الموضوع في المكتب السياسي صاحب السلطة التشريعية ومن ثم يكون القرار المؤسسي.
بعد ذلك انعقد المكتب السياسي أيضاً لثلاث جلسات استمرت حتى 18 فبراير 2001 حين خرج رأي حزب الأمة الشهير بـ(قرارحول المشاركة). كان أعضاء المكتب السياسي الحاضرون 72 عضواً، حرص السيد الصادق على أن يدلي كل منهم برأيه[25]، وطالب برفع اللوائح حتى يمكن للجلسات أن تستمر أطول من فترتها المرقومة حتى يشارك الجميع. وفي حين أنه لم يدل برأي أبداً، فقد حرص على تدوين كل ما يقوله الأعضاء وحججهم المختلفة مع المشاركة أو ضدها. وفي النهاية صاغ مقترح قرار مأخوذ من حجج المؤيدين والمعارضين، وبعد تعديل الأعضاء في مقترحه خرج القرار.
لقد كان ذلك القرار بمثابة مولد ثان للحزب حسم الجدال الكبير وسط كوادره وفي الشارع السياسي حول مشاركته في السلطة بصورة أجمع عليها كلا الجانبين المؤيد والمعارض

---

25 إفادة الحبيب الفاضل حمد دياب

للمشاركة في السلطة. ويروى حينها أنه حال انفضاض الاجتماع اتصل أحد الأحباب بمولانا عبد المحمود أبو، وسأله: بت ولا ولد! طبعا بمنطق ذكوري مقته المولى وندد به في قرآنه، يود أن يكون القرار ذكرا.. فقال له: توأم، بنت وولد! فمن كان يريد المشاركة يجد أنه تم إقرار مبدأها فيفرح، ومن لا يريدها يجد الشروط أمامها مستحيلة فيستريح.
وحري بالذكر أن المولد الجديد للحزب كان في يوم ميلاده الأول، ففي 18 فبراير من عام 1945م تم تسجيل حزب الأمة كناد إبان الحكم الاستعماري كأول حزب سياسي مسجل مفتوح للجماهير، فالجماعات التي تكونت في أكتوبر 1944م[26]، كانت قاصرة على أعضاء المؤتمر لم تفتح عضويتها للسودانيين عامة، ولم تسجل نفسها.

**كان نص قرار 18 فبراير الشهير هو[27]:**
(لقد تداول المكتب القيادي لحزب الأمة وثائق التفاوض مع النظام عبر جلستين تحدث فيها كل الأعضاء بوضوح وموضوعية، وناقش كافة الآراء بصراحة وجدية ثم تقدم الرئيس باقتراح أجازه المجلس بالإجماع في 14 فبراير الجاري. ثم تداول نفس الأمر المكتب السياسي عبر ثلاث جلسات، وبعد تداول المكتب السياسي الأمر عدل الرئيس بعض ما جاء في قرار المجلس القيادي لأخذ مساهمات المكتب السياسي في الحسبان، وقدم الاقتراح الآتي:
المكتب السياسي تداول الرأي حول مشروع الاتفاق المتفاهم عليه من الطرفين وقدر مجهود فريقنا المفاوض وطالب بالآتي:
**أولاً:** ضرورة إضافة التوضيحات الآتية عبر مزيد من التفاوض:
أ- المبادئ المذكورة واردة بصورة معممة ينبغي توضيحها بما ورد في الملاحق لإزالة الغموض.
ب- يوضح موضوع الدستور بأننا سوف نعيد كتابته بعد اتفاقية السلام وأن التعديلات المذكورة للمرحلة.
ج- نظام رئاسي على النمط الفرنسي.
د- الاقتصاد يذكر: القومية، الحياد، رفع المعاناة، الخدمات، الرعاية الاجتماعية.
ه- القوانين المقيدة للحريات والمراجعات تذكر.
و- استقلال الجامعات وليس الأكاديمي.
ز- موضوع المظالم لم ينص عليه كما في نداء الوطن.
هذا النص وتعديلاته يدعى **البرنامج الوطني** ويوقع عليه.
**ثانياً:** هنالك قضايا وطنية تعلو على المصالح الذاتية والحزبية وتوجب التضامن من أجلها هي:
أ- نبذ العنف واعتبار ذلك أساسا لحماية الحريات.

---

[26] نشأت بالمؤتمر جماعات عديدة مثل الأشقاء، والقوميين الأحرار، ووحدة وادي النيل، وغيرها، لتفاصيل ذلك انظر/ي: فيصل عبد الرحمن علي طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري البريطاني على السودان، في الفترة 1936-1953م، دار الأمين، القاهرة، 1999م
[27] كتاب أدبيات الحل، سابق الوثيقة رقم 78 (د)

ب- تكوين آلية قومية (أحزاب ومستقلون) للتعاون والتشاور بشأن القضايا الدستورية وقضايا الحريات.. الخ، والعمل لاستقطاب الرأي الوطني حول ذلك.

ج- تكوين آلية قومية لتحقيق السلام العادل، وتفعيل كافة وسائل تحقيقه.

عهد التضامن الوطني هذا يعلن ويوثق.

**ثالثاً:** إقرار مبدأ المشاركة بعد استكمال الاتفاق على البرنامج الوطني والاتفاق على توقيتات وآليات التنفيذ.

أن تكون المشاركة على أحد أساسين:

**الأول:** في إطار انتخابات حرة في المستويات المختلفة بعد الاتفاق على قوانينها ونزاهتها. وفيما عدا الأجهزة الانتخابية تكون المشاركة في إطار دولة الوطن.

**الثاني:** في إطار قومي مجمع عليه.

بعد أن قرأ الرئيس اقتراحه خاطب رئيس المكتب السياسي الدكتور آدم موسى مادبو الحاضرين، فقام الأخ الزهاوي إبراهيم مالك بتثنية الاقتراح، وأيده الحاضرون بالإجماع).أ. هـ.

قال الأستاذ الفاضل حمد دياب: "أذكر هنا تماماً أن السيد مبارك قد عدّل في صياغة إحدى النقطتين، بينما عدل المرحوم الزهاوي في صياغة الثانية". ومعلوم أن المرحوم الزهاوي كان من أركان دعاة المشاركة، ومبارك رأسهم.

## ما بعد قرار المشاركة

لنستحضر الآن ما كان يحدث داخل حزب الأمة.

كان من المتوقع للحزب أن يعقد مؤتمره العام بتاريخ 26 يناير 2001م وفقما ورد في توصيات أغسطس كتاريخ مبدئي. وكان من المتوقع للحزب أن يعود بسياراته وممتلكاته من إرتريا ولكن الحكومة الإرترية التي لم تكن راضية عن العودة حجزت سيارات الحزب بما قيمته 2.5 مليون دولار.

وكان من المتوقع للحزب بعد توقيع نداء الوطن أن تعيد له الحكومة ممتلكاته المصادرة بما قيمته 4.5 مليون دولار. ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. فقد أعادت الحكومة جزءاً أقل من ربع قيمة المصادرات، وظلت في كل فترة تعطيه عطية منها، وتشيع أنها اشترت قيادة حزب الأمة ثمناً لـ"صمتها"، فلم يمكن بالتالي أن يتم الوفاء بتاريخ انعقاد المؤتمر العام.

وكان من المتوقع أن يطور اتفاق (نداء الوطن) بشكل يسمح لأعضاء جيش الأمة الذوبان في الجيش السوداني.

قال أمير جيش الأمة، الأمير عبد الرحمن الصادق: (لقد تحدث البعض عن أن قضايا الجيش كانت غائبة في طاولة المفاوضات، وفي الحقيقة فإن هذا غير صحيح، لأن إعلان المبادئ المذكور [يشير هنا لنداء الوطن الموقع في نوفمبر 1999م] وقع بدون توقع أو تحضير أو مفاوضات ممتدة كما هو حال المفاوضات الأخرى، ذلك لأن رئيس النظام كان مستعداً للاتفاق على ما يراه حزب الأمة حسب مفاده ووقع على اتفاقية إعلان المبادئ التي قدمناها كما هي، بعد ذلك عقد الحزب اجتماعين أساسيين في القاهرة شاركت فيه قيادات الحزب بالداخل

والخارج وذلك في فبراير 2000، وفي أغسطس 2000م، وتقرر أن يصفي الحزب الوجود الخارجي على دفعتين: الأولى بعودة عدد من القيادات برئاسة الدكتور عمر نور الدائم في 6 أبريل 2000م تيمناً بتاريخ الانتفاضة، والثانية في أواخر العام. كانت قوات الجيش لا تزال بالخارج بالطبع، وحينما قرر الحزب تصفية وجوده بالخارج، تم التفاوض حول أوضاع الجيش واتفق على ما يمكن أن نسميه اتفاق حول الترتيبات الأمنية.. قبل الوصول لهذا الاتفاق، أكد لنا الحبيب الإمام في خطاب موجه لضباط وصف وجنود جيش الأمة للتحرير أنه تحدث مع الجهات الإرترية والحكومة السودانية حول الجيش، قال: "وقد اجتمعت بالرئيس أسياسي أفوركي في يوم الثلاثاء 2000/8/15م وطلبت منه الاستمرار في حسن معاملتكم هنا إلى حين العودة فأكد ذلك وأكد احترامه لقرار حزب الأمة بالعودة متى اتخذناه وأن جيش الأمة للتحرير سوف يكون محل الاحترام والتقدير حتى العودة. والتقيت د. مصطفى عثمان وزير الشؤون الخارجية السوداني وطلبت منه ما ينبغي عمله في السودان عندما يعود جيش الأمة للتحرير فوافق وطلب أن نقدم له تصورنا المحدد لنتجاوب معه الحكومة. هذا كله ـ يمهد للخطوة العملية والتاريخ المحدد للعودة وسيتخذ القرار بعد الاطمئنان على كل الترتيبات على أن تسبق عودتكم عودتي للسودان.").. و(تم التوقيع على اتفاق مقتضب عقب اجتماع تم في طرابلس (بليبيا) في 4 أكتوبر 2000م، وقعتُ على محضر ا لاجتماع كممثل لجيش الأمة، ووقع كممثل للحكومة اللواء عبد الكريم عبد الله. تم الاتفاق على عودة الجيش واستقباله، وأن يقوم الطرف الحكومي بتجهيز معسكر مناسب يستوعب القوة العائدة البالغ عددها 1000 فرد لفترة تكفي إنجاز المهام الآتية: تصنيف القوة وعمل الترتيبات اللازمة لاستيعابها في مؤسسات الدولة والمجتمع حسب المؤهلات والمهن عبر لجنة مشتركة، وأن يعالج الطرف الحكومي موضوع العربات والأسلحة التابعة للقوة بما يكفل حقها في إطار القوانين. كان هذا الاتفاق يحمل السمات الأولى لأية متطلبات ضرورية لإعادة تسريح أية قوة مسلحة معارضة كجيش الأمة. فلا بد لمن يضع السلاح أن يجد له بديلاً معيشياً، أو توفق حالته بالانضمام للأجهزة النظامية بالبلاد)[28].

لكن كل هذا لم يتحقق، بل استخدمت الحكومة مجندي جيش الأمة ككرت ضغط متكرر بتحريكهم عبر جهاز الأمن بعد إشاعة أكاذيب وسطهم حول أموال استلمها الحزب تخصهم وما إلى ذلك من خطط لئيمة وخبيثة.

من جانب آخر كان رئيس القطاع السياسي وهو رئيس اللجنة المفاوضة للمؤتمر الوطني من حزب الأمة مقتنعاً تماماً بأن الخيار الوحيد المجدي للحزب هو الاتفاق مع المؤتمر الوطني (أو الجبهة كما ذكر في ورقة خياراته الإستراتيجية)[29] والعمل معها على بناء (السودان الجديد). وكانت قراءته مبنية على أننا كحزب أنهكنا طول الصمود ولم نعد نقدر على المواجهة

---

[28] عبد الرحمن الصادق، تجربة العمل العسكري في حزب الأمة، ورقة مقدمة للرباط الإستراتيجي، حزب الأمة، 2008

[29] ورقة السيد مبارك الإستراتيجية قدمها في أبريل 1999م أي قبل لقاء جنيف وجيبوتي ورأى أن خيارات الحزب هي: (الخروج من التجمع الوطني الديمقراطي والعمل على دفنه وتشتيت قوى السودان القديم التي احتمت به)، أو (التحالف مع قوى السودان الجديد لإطاحة نظام الجبهة، وإقامة السودان البديل أو الوصول الى حل سلمي مع الجبهة لإقامة السودان الجديد).

ودخولنا مع الجبهة سوف يجعلنا نستطيع خدمة كوادرنا وقواعدنا والتقوي بما يتيح لنا فرصة أكبر للتأثير.
وقد أفادت مصادر أنه أوعز للحكومة بأن الحزب ضعيف لا داعي لتقويته بإعادة أمواله، كوسيلة للضغط عليه حتى يرضى بالمشاركة التي يرفضها بعض قيادييه تعنتاً وعدم واقعية حسب رأيه.
وبعد اتخاذ قرار 18 فبراير 2001م حول التفاوض مع النظام والمشاركة في السلطة، قرر رئيس القطاع السياسي أن يخوض معركة داخل الحزب مسنوداً بالنظام تنتهي إلى سحب البساط من تحت أرجل قيادات الحزب وقبرهم أحياء، أو دفنهم وتشتيتهم وفقما انتوى لقوى السودان القديم في ورقته الإستراتيجية المذكورة، ثم الاستيلاء على دفة الحزب ليساق إلى أحضان النظام.
وسوف نتابع فيما يلي محطات تلك الجماعة إبان السقوط المدوي الذي انتهى بهم إلى التشظي والضياع. فبدأ السيد مبارك مخلب قط للإنقاذ للنيل من حزب الأمة، ثم تحول إلى المعارضة بشراسة مزايداً على حزب الأمة، ثم عاد مخلب قط للإنقاذ من جديد، وفي كل ضاعت مجهوداته هباء.

## ردود الفعل على القرار حول المشاركة

تابعنا كيف صدر قرار حزب الأمة بشأن المشاركة في السلطة في 18 فبراير 2001م. ومع أن القرار كان بالإجماع، وثناه أحد أهم المنادين بالمشاركة مع السيد مبارك إلا أنه لم يكن راضياً عنه. وكان يقول لمفاوضيه في النظام إن قرار الحزب سوف يكون إيجابياً للمشاركة لأن المعترضين عليها قلة لا وزن لها. وبعد القرار الذي أكد مبدأ المشاركة ووضع ضوابط لم تكن في حسبانه، حاول في البداية ادعاء انتصاره في القرار والتقليل من شأن المؤسسة، وفي لقاء تلفزيوني معه في برنامج "في الواجهة" استخف بما أشيع أن بالحزب مؤسسة ناجزة وذكر أن القطاع السياسي صاغ القرار وأعطاه للرئيس الذي مرره على الآخرين فقبلوه بالإجماع! كان هذا رد فعله الأولي على القرار.
ولكن بالطبع هذه لم تكن الحقيقة وثمرتها أن الحزب لن يشارك كما طالبت الحكومة. فصار يفسر المفارقة لمفاوضيه في النظام بأن رئيس الحزب هو الذي أثر على الأعضاء.[30]
الحقيقة أن السيد الصادق لم يبد رأياً داخل اجتماع المجلس القيادي ولا المكتب السياسي بشهادة الجميع، وكان أقرب الناس له آراؤهم متباينة جداً. فقد كانت السيدة سارا رحمها الله من أشد الناس موقفاً ضد المشاركة وكذلك مريم وعبد الرحمن الغالي، بينما كان من أقوى مؤيديها عبد الرحمن الصادق.
وكان هذا في حد ذاته باباً لغضب عرمرم من مبارك لأنه لا يثق أن للناس أسباباً موضوعية وآراءً مستقلة، ويعتبر أن وقوف الرئيس مع خطه كان كفيلاً بتغيير القرار لصالحه، ولم يأت القرار هكذا إلا لأنه (تقاعس) عن دعم المشاركة.

---

[30] رباح الصادق، الاختراق والانسلاخ في حزب الأمة 2002م

الشاهد، مثلما قبل السيد مبارك التنظيم المرحلي ظاهرا وتحرك ضده باطنا، قبل القرار حول المشاركة في 2001/2/18م ظاهراً وتحرك ضده باطناً، وانتهى به الأمر لهندسة المذكرة المقدمة للرئيس في مايو 2001م.

## المذكرة الأربعينية |مايو 2001م|

كانت اجتماعات الأجهزة القيادية لحزب الأمة مستمرة، وكان الحزب يعيش انتعاشا بين جماهيره إثر توضيح الموقف حول المشاركة في السلطة. كما كانت صورته في الصحف الوطنية زاهية للغاية، وصار الكتاب والصحافيون يبشرون بنهجه الديمقراطي. ولكن ذلك لم يرض المشاركيون، ففكروا في وسيلة للضغط من خارج المؤسسات والأجهزة -تقليدا لخط مذكرة العشرة من داخل المؤتمر الوطني- فكانت المذكرة الأربعينية، وأهم نقاطها اثنتان:

**الأولى:** تتحدث عن أزمة تنظيمية بالحزب، وتضجر ممن أسمتهم "الشيوخ"، وتدعو لمراجعة هياكل الحزب مع التبرم من كثرة المراجعات "لا بد من الثبات في العمل المؤسسي فليس كل مشكلة تطرأ تغير لها هياكل الحزب"[31]. وتدعو لاختيار كلية ذات شرعية ثورية تضم إلى جانب الرئيس المنتخب والأمين العام المكلف الذين حافظا على هذه الشرعية، كل الذين حملوا راية النضال منذ عام 1989م إلى عام 1999م في المركز والأقاليم وخارج السودان[32]، يناط بها إعادة هيكلة الحزب وانتخاب أجهزته إلى حين انعقاد المؤتمر العام.

**والثانية:** تصف ملامح أزمة سياسية لأن قرارات الحزب جاءت متسقة مع رؤية القطاع السياسي في المشاركة، ولكن نتائج التفاوض الأخيرة التي وصل لها القطاع السياسي لم تعرض على الأجهزة القيادية (باعتبار أن تلك النتائج فتوحات كانت الأجهزة ستقبلها)، و"تقاعست" القيادة فقررت إرجاء المشاركة. وتحدثت المذكرة عمن أسمتهم قيادات مخذلة، وضغط على القيادة أدى لعدم قبول المشاركة. كما تحدثت عن ضعف الحركة السياسية، واستحالة تخطي القوات المسلحة و"الحركة الإسلامية"[33]- إشارة للمؤتمر الوطني. ومراعاة أثر البترول والظروف المعيشية الضاغطة لجماهير الحزب، وضرورة توحيد الحزب وتجاوز الشروخ.

رفض السيد الصادق هذا الأسلوب لأن مقدمي المذكرة أعضاء في أجهزة الحزب المتفق عليها، وهي قابلة لبحث أية مسألة بحرية داخلها، فإن لجأ الحزب لأسلوب المذكرات فإنه يكون قد فتح باب تجاوز أجهزته كما قال، وأن كل صاحب رأي سوف يلجأ للتعبير عن موقفه بمذكرة مما يفرغ المؤسسات من معناها.

ورأى السيد الصادق أن المذكرات التي ترفع لمجرد إبداء الرأي لأشخاص لا يصل صوتهم للمؤسسة إما لأنهم غير ممثلين فيها، أو لأنهم لا ينتمون للحزب ولكن قرروا مخاطبته -كما

---

[31] المذكرة الأربعينية- مايو 2001م

[32] نفسه

[33] المعلوم أن حزب الأمة يدين احتكار جماعة المؤتمر الوطني وأسلافه (الجبهة- الأخوان- جبهة الميثاق) يدين احتكارهم للإسلام وتسمية أنفسهم بالحركة الإسلامية فهم مجرد جزء منها. ولكن المذكرة الأربعينية- وكل أدبيات سوبا تتخذ لغة فصيل آخر وتنسى لغة حزب الأمة.

فعلت جماعة الخطاب الوطني المستقل مثلاً[34]- فهذه ممكن التعامل معها، أما أن يقوم أعضاء متنفذون في المؤسسة وممثلون فيها برفع مذكرة -تقدم أو تناقش خارج تلك الأجهزة- فهذا بمثابة سحب لاعترافهم بها.
علاوة على ذلك، فقد كان الدافع الحقيقي للمذكرة أنها كانت مشروع انقلاب على الأجهزة الحزبية، فهي رؤية تثمن قيادات الحزب بمزاج خاص إقصائي تمدح بعضهم وتقدح في الآخرين، وقد دعت لما سمته "الشرعية الثورية" التي لا تعترف من بين قيادات الحزب إلا بالرئيس والأمين العام المكلف، وتدعو للتخلص من الجميع لصالح مقدميها. وهذا هو السبب الرئيسي لرفعها من خارج الأجهزة تفادياً لمواجهة الأطراف المراد إقصاؤها.. لذلك كان موقف السيد الصادق أن هذه المذكرة أسلوب هدام وأمام مقدمي المذكرة خياران: سحبها وبحث ما يشاءون داخل الأجهزة أو الإصرار عليها والتخلي تلقائياً عن عضوية تلك الأجهزة.
بعد ذلك التقت جماعة المذكرة بالسيد الصادق في منزله في مايو 2001م وأقروا اعتبار المذكرة لاغية. ولكنهم بعد سحبها داخل اجتماع القطية المذكور صاروا ينكرون ذلك، حيث أصدروا في عام 2002م بياناً وقعته "سكرتارية المذكرة الأربعينية" تؤكد أنها لم تسحبها، بينما أكد بعض الموقعين –ممن لم يسيروا معهم في خط الانسلاخ حتى آخره- أنهم سحبوها بكامل رضاهم. من أولئك السيد طه أحمد سعد رئيس الحزب بولاية نهر النيل، والذي أرسل خطاباً للصحف بهذا المعنى.[35]
الشاهد، أنهم بعد أن سحبوا المذكرة الخاطئة إجرائياً الخاطلة تنظيمياً ومؤسسياً لم يوقفوا الزحف نحو المشاركة بدون قيد أو شرط، أو نحو إقصاء من يكرهون داخل الحزب، وواصلوا حملة من الهمز واللمز تشكك في شرعية أجهزة الحزب القيادية.
ذيلت المذكرة بأسماء أربعين شخصاً يحتلون مناصب سياسية وتنفيذية بأجهزة الحزب. أحدهم "حسن أحمد الحسن" أنكر أن يكون قد وقع عليها واعتبر إيراد اسمه فيها تزويراً عليه. ومنهم من عبر عن أنه وقع عليها بعد إطلاعه على أنها بالتنسيق مع الرئيس ليقدم على ما فيها بصورة مبررة[36]، وقليل منهم انسحب عن الخط الانخراطي في النظام بعد أن اتضحت تفاصيله في خطوته الأخيرة "مؤتمر سويا" مثلاً: طه أحمد سعد، تبيرة إدريس هياني، ومكي يوسف النصيبة. ولكن غالبية الموقعين فيها استمروا في خط المشاركة الانخراطية حتى آخره.

---

[34] هذه الجماعة كتبت خطابا عام 2000 بعد مفارقة حزب الأمة للتجمع، بينت فيه رأيها بضرورة وحدة الصف وضرورة إجراء تحول ديمقراطي وأرسلت الخطاب لرئيس التجمع ولرئيس حزب الأمة. وقد رد رئيس حزب الأمة على الخطاب مرحبا بذلك التحرك والانشغال من الوطنيين بالهم العام، وشرح لهم ملابسات العمل الجماعي في التجمع ومشاكله، كما اقترح عليهم اقتراحات لتفعيل هذا الدور الهام الذي يقومون به للدفع نحو الديمقراطية. انظر مثلاً عمود الدكتور عبد اللطيف البوني "حاطب ليل" حول الأمر بعنوان "بين ود المهدي وود تكتوك".

[35] رباح الصادق، الاختراق مرجع سابق

[36] أصل هذا الوهم أن السيد مبارك ومجموعته كانوا لا يفتأون يوحون بأنهم الأقرب لرئيس الحزب، وأنه سائر في ركاب المشاركة معهم، ولكنه ينتظر السانحة للتخلص من "المعوقين". وكانوا يوحون للناس أن الاختلاف الظاهر بين الرئيس وبين السيد مبارك هو مجرد توزيع أدوار، وقد انطلت تلك الأكاذيب على الكثيرين وإن فضحتها الأيام.

وعلى حد تعبير الدكتور صالح عبد القادر، فلقد "غلب على المذكرة الأربعينية طابع لغوي استعلائي واستئصالي في آن واحد"[37].
المذكرة ملأى بالمغالطات التي تسهل محاصرتها والرد عليها: فقد انتقدت كثرة التعديلات في الهياكل، وهي تدعو لهيكل جديد. وتحدثت عن وقوف الأجهزة مع المشاركة وأن القيادة هي التي تقاعست، مما يوحي أن المشكلة في رئيس الحزب وليس في المؤسسة، ولكنها للغرابة تدعو لحل المؤسسة مع الإبقاء على ذلك الرئيس "المتقاعس". وهي لا تعترف بأجهزة الحزب بينما شرعية مقدميها مستمدة من تلك الأجهزة نفسها. وهي تدعو الرئيس لقيادة انقلاب داخل الحزب يبقي فيه على نفسه ونائبه الأول، وتقدح في الأجهزة المرحلية، ولكن تصورها البديل لم يتحدث عن آليات انتخابية ولا أخرى بتراض جديد، تصورها الجديد جراحي، ويقوم على تقديرات ذاتية لأصحابها. فهي إقصائية حين حديثها عن مخالفيها في الحزب، تريد التخلص منهم بمشرط "الشرعية الثورية".
كما أنها استئصالية حين التحدث عن الآخرين في الساحة السياسية السودانية "فالمذكرة في هذا الجانب قد تعاملت مع القوى الوطنية ومع مشاكل ومستقبل السودان بسطحية متناهية. لأنهم اتجهوا للفكر الإقصائي والاستئصالي، وهي في هذا الجانب ترسل إشارات مبكرة للسلطة بالعودة للمربع الأول".[38]
والمذكرة تلتف حول قضية الديمقراطية في السودان لتبرر المشاركة بطريقة تصبح معها المشاركة نفسها "متأرجحة ومعلقة على مجهول بمعنى أن جني فوائدها يحتمل التحقق أو عدم التحقق واقعيا". مما يدل على أن واضعيها "يسيرون في اتجاه التلاشي في الإنقاذ وثوابتها الحزبية التي ربما أصبحت ثوابت وطنية بالنسبة لأهل المذكرة القطاعية"[39]..
والمذكرة تدعو لتجاوز الشروخ وتوحيد الحزب، بينما هي مشروع لتفجير الحزب وتمزيقه شذر مذر "فالشرخ الذي أحدثته المذكرة وما صاحبها من جرأة بعقد مؤتمر استثنائي دون موافقة القيادة الشرعية للحزب والسير في اتجاه تأسيس حزب قائم بذاته هي التي تغري المغامرين وتشجعهم لضرب مكاسب الشعب"[40].
والمذكرة تتحدث عن الظروف الضاغطة كأن المشاركة ستحل هذه القضية، مع أن هذه فكرة مكيافيللية في فلسفتها، وواهمة في تقديرها.
ببساطة، تلك المذكرة تجمع تناقضات وأفكار سطحية منبتة عن جذرها ومقاصدها.. ولقد كان في متناول الرئيس الرد على تلك المذكرة وتبيان خطلها بل خلطها المريع وركاكة صياغتها التنظيمية والتي تنبي عن تصورات سياسية فطيرة لا تقدر العواقب، ولكنه اعتبرها -كما ذكرنا- مخالفة لنظام الحزب .. ومرة أخرى: السيد مبارك الذي شارك في اجتماع سحبها، مضى يدير القطاع الذي يرأسه بأسلوب شبيه بتكوين حزب داخل الحزب.
إن ما ناله السيد مبارك من دعم لا محدود من السيد الصادق بتعيينه أثناء الديمقراطية الثالثة، ثم بتفويضه بعد الانقلاب هو الذي جعله يظن أنه الأولى بالقيادة مهما كانت رؤى زملائه

---

[37] صالح عبد القادر صالح قراءة في المذكرة الأربعينية الرأي العام في 2002/7/23م
[38]صالح عبد القادر، المرجع السابق
[39]نفسه
[40]نفسه

ومهما كانت أصوات قواعد الحزب، إنه يظن القيادة في الحزب وجماهيره (موروثة)[41]، وأنه الأحق بهذا الإرث، وهذا ما كشفته تصرفاته هذه وما تلاها بشكل مريع!

## الحملة الصحفية

واصل المشاركيون التشكيك في شرعية تنظيم حزب الأمة المرحلي، والطعن في قرارات الحزب السياسية، وإيهام قيادات النظام أن أغلبية حزب الأمة تؤيد المشاركة كما يرونها، وأن هناك فئة قليلة معارضة لمبدأ الحوار مع النظام من أساسه، وأن بينهما فئة ثالثة مترددة.. وأشاعوا أن الحزب لا خيار له سوى الانخراط لأن ظروفه المالية والتنظيمية سوف تجبره على ذلك. هذه الصورة المشوهة لحزب الأمة لعبت دوراً في استخفاف النظام بالحزب واستمر أصحابها يرددونها همساً ومن وراء الكواليس إلى أن أقدم قائدهم- السيد مبارك- على التصريح بها علناً في صحيفة أخبار العرب بتاريخ 26 ديسمبر 2001م، وهو لقاء نشر بعناوين مختلفة في جريدة الرأي العام السودانية بتاريخ 30 ديسمبر 2001م.

هذا الإعلان تابعته هيئة الرقابة الحزبية، برئاسة المرحوم الحبيب صلاح عبد السلام، وهي هيئة تراضت على قيامها قيادات الحزب بالإجماع حماية للحزب من التجاوزات والتفلت[42]- واعتبرته يستحق التحقق، فدرست التصريحات بمبادرة منها، وقررت إنزال عقوبة التجميد لعام على صاحبها بتاريخ 5 يناير 2002م. لائحة الهيئة تجعل عقوبتها نافذة ما لم يعدلها الرئيس نتيجة لاستئناف الشخص المعاقب. ههنا جرت وساطات من شخصيات عديدة ونتيجة لها وقع السيد مبارك على التزام بمؤسسات الحزب وبقراراته فاعتبر الرئيس ذلك الإجراء بمثابة استئناف وقرر إلغاء العقوبة.

أصدر السيد الصادق بصفته رئيساً لحزب الأمة بياناً عاماً في 20 يناير 2002م نصه:

*(إن المشكلة التي نشأت بعد التصريحات الأخيرة أثارت اهتمام مواطنينا من أعضاء حزب الأمة والأنصار والمواطنين عامة، لا سيما أسرة هباني[43] الذين اهتموا بالأمر، والقوى السياسية، والأحزاب الأخرى، والمؤتمر الوطني، ورجالات الطرق الصوفية وخاصة خليفة الشيخ الكباشي وأعوانه، وغيرهم من الحادبين والمشفقين كما أثارت اهتمام أشقائنا خاصة في*

---

[41] كتب مبارك الفاضل مؤخراً حول (الجماهير **الموروسة**)! هكذا كتبها ونقلتها.

[42] اقترح الحزب لمؤتمر القضايا المصيرية في يونيو 1995 ضرورة تسجيل الأحزاب وضوابط أخرى. لاحقا أصدر المؤتمر الرابع للحزب بالخارج (عقد حزب الأمة حتى حينها خمسة مؤتمرات عامة وأربعة مؤتمرات في الخارج) أصدر المؤتمر الرابع في الخارج في يناير/فبراير 1998 توصية بإنشاء آلية محاسبة عادلة للتصدي للانحراف والمخالفة داخل الحزب. وتكررت التوصية في ورشة الحزب التخصصية للتنظيم في يوليو 2000 بالقاهرة. وقد رفعت تلك التوصيات لاجتماعات قمة الداخل والخارج في يوليو/أغسطس 2000م، ونتيجة لذلك كونت لجنة الضبط ورقابة الأداء الحزبي باجماع القمة، والتي شارك فيها مبارك المهدي وثلاثة آخرين من المنسلخين. في ذلك الوقت كانت الجماعة المنسلخة تقدر أن منافسيها في الحزب يخرجون على خط الحزب العام بالتصريحات للرأي العام، وكانوا أكثر الناس حماسا لمثل هذه الآلية. للرجوع للقرار أنظر وثائق المؤتمر الرابع – منشورات الأمة- 1998م- والبيان الختامي لورشة التنظيم- 10 يوليو 2000م، في أدبيات الحل السياسي الشامل، مرجع سابق

[43] يجمع السيد مبارك مع الأحباب آل هباني الرحم فهم أخوة السيد عبد الله الفاضل لأمه، والصهر فهو متزوج منهم.

ومهما كانت أصوات قواعد الحزب، إنه يظن القيادة في الحزب وجماهيره (موروثة)[41]، وأنه الأحق بهذا الإرث، وهذا ما كشفته تصرفاته هذه وما تلاها بشكل مريع!

## الحملة الصحفية

واصل المشاركيون التشكيك في شرعية تنظيم حزب الأمة المرحلي، والطعن في قرارات الحزب السياسية، وإيهام قيادات النظام أن أغلبية حزب الأمة تؤيد المشاركة كما يرونها، وأن هناك فئة قليلة معارضة لمبدأ الحوار مع النظام من أساسه، وأن بينهما فئة ثالثة مترددة.. وأشاعوا أن الحزب لا خيار له سوى الانخراط لأن ظروفه المالية والتنظيمية سوف تجبره على ذلك. هذه الصورة المشوهة لحزب الأمة لعبت دوراً في استخفاف النظام بالحزب واستمر أصحابها يرددونها همساً ومن وراء الكواليس إلى أن أقدم قائدهم- السيد مبارك- على التصريح بها علناً في صحيفة أخبار العرب بتاريخ 26 ديسمبر 2001م، وهو لقاء نشر بعناوين مختلفة في جريدة الرأي العام السودانية بتاريخ 30 ديسمبر 2001م.

هذا الإعلان تابعته هيئة الرقابة الحزبية، برئاسة المرحوم الحبيب صلاح عبد السلام، وهي هيئة تراضت على قيامها قيادات الحزب بالإجماع حماية للحزب من التجاوزات والتفلت[42]- واعتبرته يستحق التحقق، فدرست التصريحات بمبادرة منها، وقررت إنزال عقوبة التجميد لعام على صاحبها بتاريخ 5 يناير 2002م. لائحة الهيئة تجعل عقوبتها نافذة ما لم يعدلها الرئيس نتيجة لاستئناف الشخص المعاقب. ههنا جرت وساطات من شخصيات عديدة ونتيجة لها وقع السيد مبارك على التزام بمؤسسات الحزب وبقراراته فاعتبر الرئيس ذلك الإجراء بمثابة استئناف وقرر إلغاء العقوبة.

أصدر السيد الصادق بصفته رئيساً لحزب الأمة بياناً عاماً في 20 يناير 2002م نصه:

*(إن المشكلة التي نشأت بعد التصريحات الأخيرة أثارت اهتمام مواطنينا من أعضاء حزب الأمة والأنصار والمواطنين عامة، لا سيما أسرة هباني[43] الذين اهتموا بالأمر، والقوى السياسية، والأحزاب الأخرى، والمؤتمر الوطني، ورجالات الطرق الصوفية وخاصة خليفة الشيخ الكباشي وأعوانه، وغيرهم من الحادبين والمشفقين كما أثارت اهتمام أشقائنا خاصة في*

---

[41] كتب مبارك الفاضل مؤخراً حول (الجماهير **الموروسة**)! هكذا كتبها ونقلتها.

[42] اقترح الحزب لمؤتمر القضايا المصيرية في يونيو 1995 ضرورة تسجيل الأحزاب وضوابط أخرى. لاحقا أصدر المؤتمر الرابع للحزب بالخارج (عقد حزب الأمة حتى حينها خمسة مؤتمرات عامة وأربعة مؤتمرات في الخارج) أصدر المؤتمر الرابع في الخارج في يناير/فبراير 1998 توصية بإنشاء آلية محاسبة عادلة للتصدي للانحراف والمخالفة داخل الحزب. وتكررت التوصية في ورشة الحزب التخصصية للتنظيم في يوليو 2000 بالقاهرة. وقد رفعت تلك التوصيات لاجتماعات قمة الداخل والخارج في يوليو/أغسطس 2000م، ونتيجة لذلك كونت لجنة الضبط ورقابة الأداء الحزبي بإجماع القمة، والتي شارك فيها مبارك المهدي وثلاثة آخرين من المنسلخين. في ذلك الوقت كانت الجماعة المنسلخة تقدر أن منافسيها في الحزب يخرجون على خط الحزب العام بالتصريحات للرأي العام، وكانوا أكثر الناس حماسا لمثل هذه الآلية. للرجوع للقرار أنظر وثائق المؤتمر الرابع – منشورات الأمة- 1998م- والبيان الختامي لورشة التنظيم- 10 يوليو 2000م، في أدبيات الحل السياسي الشامل، مرجع سابق

[43] يجمع السيد مبارك مع الأحباب آل هباني الرحم فهم أخوة السيد عبد الله الفاضل لأمه، والصهر فهو متزوج منهم.

*الجماهيرية الليبية ومصر. ويطيب لي أن أؤكد التزام السيد مبارك الفاضل المهدي بالأسس والمبادئ الآتية:*

1. *الالتزام بمؤسسات الحزب المرحلية وقراراتها لحين انعقاد المؤتمر العام.*
2. *مؤسسات الحزب هي مكان تداول الرأي والرأي الآخر.*
3. *هيئة شؤون الأنصار هي المسئولة عن إدارة شؤون الأنصار مع ضرورة توسيع الشورى في القضايا الجوهرية.*

*وعليه وبما لدي من صلاحيات لائحية قررت إلغاء قرار تجميد عضوية السيد مبارك الفاضل المهدي رئيس القطاع السياسي.*

*وأوجه هيئة الضبط ومراقبة الأداء الحزبي مواصلة مهامها المؤسسية، وأتطلع أن يعمل الجميع بجد واجتهاد عبر مؤسسات الحزب الحالية إلى حين عقد مؤتمر الحزب العام المنوط به قيادة البلاد في المرحلة القادمة عبر آلية الانتخابات العامة الحرة. وسوف يسرع الحزب الخطى لعقد المؤتمر العام لإعلان برنامج الحزب وتنظيمه للمرحلة القادمة) أ. هـ.*

الشاهد، لقد لخصنا أحاديث السيد مبارك حينها وناقشناها تفصيلاً في كتاب (الاختراق والانسلاخ في حزب الأمة) والذي كان ينشر بالتزامن في صحف "الأيام"، و"الصحافة"، و"أخبار اليوم" آنذاك، 2002م، وصدر ككتاب في نفس العام، وكان مبارك زعم أن الكتاب ألفه السيد الصادق وأعطاه (لابنته) لتنشره باسمها مستدلاً على أن بعض الوقائع فيه وقعت بينهم فقط! فهو لا يؤمن بفضيلتي الكتابة والاطلاع، والسيد الصادق يدوّن الكثير من الوقائع التي تمر به إن لم يكن كلها، بينما أطلع على معظمها بحكم عملي معه.. الشاهد إننا لا نود أن نزحم متابع السيرة بنقاش تلك المزاعم الفطيرة التي كذبتها الأيام، ولكننا سنواصل رصد الأفعال. كما أن في ملاحق الكتاب خطاب تنويري لأعضاء الأجهزة القيادية حررته لجنة تبيان الحقائق في 2004م إثر حملة أخرى للسيد مبارك، وفيه رد على بعض أطروحاته.

## استمرار الحملة

لم تقف حملة السيد مبارك وأتباعه على التصريحات المشار إليها. فقد تلت ذلك مادة إعلامية غطت بعض الصحف بأسماء وهمية أو بأحرف، مقالات عديدة تصب كلها في الهجوم على مؤسسة الحزب، وهيئة شؤون الأنصار، والسيد الصادق، وتمتدح السيد مبارك باعتباره قيادة مؤهلة يجب أن تحل محل قيادة الحزب الحالية، وتتبنى ذات رؤيته لقيادة الأنصار المنادية بإمامة السيد أحمد المهدي. وصاحبت ذلك حملة منظمة تشيع الشائعات وتصب في ذات الهدف. ومن أشهر المكاتبات الصحفية كان الخطاب المفتوح الموجه للسيد الصادق المهدي الممهور بالأحرف ح. م. أ. والذي ادعى كاتبه أنه عضو بالمكتب السياسي لحزب الأمة ومجلس الحل والعقد لهيئة شؤون الأنصار، والذي أرسل لكافة الصحف بالفاكس، ولم تنشره إلا جريدة الصحافي الدولي. خطابٌ كان مليئاً بالإساءات والمغالطات والأكاذيب، ومصحوباً بصورة من بيان للسيد عبد الله الفاضل المهدي- وقد أرسله مكتب السيد مبارك –والذي استطعنا تتبعه رغم تخفيه وراء عنوان مجهول- بل نعرف من قام تحديدا بطلب كلمة السر لدخول (شبكة أخبار الأمة) وإرسال الخطاب لها وللبريد الإلكتروني لمكتب السيد الصادق المهدي، إذ حاول

اختراق شبكة أخبار الأمة الإلكترونية بذلك العنوان المجهول، برغم أن مكتب السيد مبارك وعدداً من منسوبيه كانوا أعضاءً بالشبكة.
واستلف السيد مبارك من حلفائه في المؤتمر الوطني أسلوباً أسفنا له كثيراً، فقد كان ولا يزال يثير أقوالاً تقع في إطار القذف الصريح في جلساته وزعها على نطاق واسع، بل قام بطبعها في كتاب نعف حتى عن ذكر عنوانه، طبع ووزع كنسخ ورقية وأرسل لمواقع التواصل الاجتماعي. وبالطبع فإن أسلوب اغتيال الشخصية عبر القذف شاع لدى هذا النظام بأكثر من محاولات نظام مايو المشهودة في تعقب المعارضين وتلفيق التهم التي تمس أعراضهم. مثلاً حينما سئل مسئول أمني كبير عن اتهامات أحد ضحايا جهازه بأنهم اغتصبوه رد فوراً بالقول إنه شاذ جنسياً. وكان من المؤسف حقاً أن يسير من ينتسب للأمة والأنصار المعروفين بعفة اللسان في تلك الخطى، فيصدر بذلك كتاب يخرج كمنشورات (شباب وكوادر الأنصار وحزب الأمة).[44]
التساؤلات حول ما فعله السيد مبارك كحزب أمة وأنصاري بل كسوداني وإنسان مؤلمة بحق، ناهيك عن كونه قريب وزميل تقاسم مع السيد الصادق الملح والملاح والأحلام والآمال وكرسي الحكم وقطعة السلاح. وقد وصف تلك القربى مؤخراً بقوله: أنا والصادق المهدي روح واحدة في جسدين! والعهدة على صحيفة (المجهر السياسي)[45]!
نفس الصحيفة سألت الإمام الصادق عن تعليقه على تلك المقولة فقال:
*لكل شخص أن يدعي ما يشاء. ولكن حتى عندما كنا متفقين سياسياً ثم فيما بعد فإن صاحب هذا الادعاء وشخصي مختلفان في سبعة مجالات:*

- *إنني مشغول بمثل روحية وفكرية عليا. ولكنه بعيد عن هذا الجانب تماما مشغول بالمسائل العملية وأهمها الانحياز للسلطة وجمع المال بصرف النظر عن أية ضوابط.*
- *وإنني مشغول بالهم الثقافي في كل المجالات بحثاً، وتأليفاً، ودراسة وهو يعتبر هذه الأنشطة مضيعة للوقت.*
- *كذلك فإنني صاحب موقف فكري وسياسي مبدئي من الشأن العام في السودان، ولكنه يتقلب حربائياً 180 درجة. وآخر هذه التقلبات من توقيع على ميثاق الفجر الجديد الذي يدعو لإسقاط النظام الحالي بالقوة ولتقرير المصير لمناطق معينة في السودان إلى متسول أول في مائدة المؤتمر الوطني.*
- *لستُ مشغولاً بعيوب الناس وأتناول الحديث عن الكافة بمن فيهم الخصوم بموضوعية. أما هو فهو مشغول بعيوب الناس ما جعله رائداً لثقافة النميمة.*
- *في التعامل مع الآخرين التزم نهجاً ديمقراطياً واحترم الآخر ولكنه أوتوقراطي بالطبع لا يقيم للرأي الآخر وزناً، وعلى استعداد أن يهدر رأي الجماعة، يشترك في قرار جماعي كما حدث في فبراير 2001م ثم يذهب فوراً لتفويضه وتكوين حزب ضرار. ثم يجمع من*

[44] لاحقاً وبعد التشظي الذي حدث في حزبه حضر الكادر الذي أملى عليه الكتاب معتذراً للسيد الصادق وقال وهو يقسم على المصحف إن مبارك أملاني فكتبتُ كلمة كلمة ما في الكتاب. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
[45] مبارك الفاضل: أنا والصادق المهدي روح واحدة في جسدين، المجهر السياسي 6 نوفمبر 2016م

*سماهم مؤتمراً لتكوين حزب إصلاح وتجديد ثم يقرر حل ذلك الحزب دون مشاركة من كونوا الحزب الضرار، وهكذا.*

- *إنني لم اقبل أي موقع إلا منتخباً وهو لم ينل أي موقع انتخابي بل حتى النيابة في البرلمان كانت كما يعلم هو قبل غيره أن لجنة الحزب في دائرة تندلتي بعد أن عجزت عن الاتفاق على مرشح طلبت مني تزكية شخص فزكيته لهم.*
- *لم أنل رئاسة حزب الأمة بالوراثة ففي اجتماع التأسيس الثاني لحزب الأمة بعد ثورة أكتوبر كان رأي أعمدة أسرة المهدي اختيار السيد محمد أحمد محجوب رئيساً لحزب الأمة ولكن الجمعية العمومية للتكوين الثاني للحزب رفضت ذلك وقال قائلوها ننتخب لرئاسة الحزب الشخص الذي أبلى فكراً ونضالاً في معارضة الدكتاتورية وفي ثورة أكتوبر 1964م لنضاله لا لحسبه. السيد مبارك كان موظفاً في شركة صهره المرحوم د. خليل عثمان وقد اخترناه ليمثل أسرة السيد عبد الله رحمه الله. صحيح أنه بعد ذلك قدم مجهوداً مقدراً ولكنه صعد عبر سلم التوريث.*

*قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ"[46]. هذا القانون يفسر ما بيننا الآن من افتراق لم أصنعه أنا ولكن هو الذي صنعه استجابة للطباع السبعة المذكورة.[47]*

## ولنعد إلى قصتنا..

استمرت الحملة المذكورة حتى آخر الشوط بصحافي واحد أو اثنان يعلنان عن اسميهما، والبقية تأتي في شكل مقالات بأسماء وهمية، وتتخذ التجريح الشخصي، والكذب، وخلط المفاهيم، كوسيلة للنيل من حزب الأمة ومن الصادق.

وكونت غرفة عمليات مقرها منزل السيد مبارك الفاضل في شارع البلدية بالخرطوم. العاملون في تلك الغرفة كانوا كوادر حزبية انخرطوا في مؤتمر سوبا لاحقاً. فيهم قادة القطاع السياسي وأمانة الإعلام التي تتبع له[48]. لقد كانت تلك الأمانة شبه مجمدة صحفياً، فلم تخط سطراً للرد على مهاجم أو تقوم بمتابعة نشاط صحفي يذكر، ولكن أفراد الأمانة الذين أهملوا عملهم الحزبي -كما كان يفعل معظم المشاركيون حينها- انتفضوا في تلك المرحلة -مرحلة الهجمة الصحافية- وأغلقوا مكتب أمانة الإعلام بالمركز العام للحزب، وتحولوا للبلدية لقيادة هجمة شرسة على الحزب وقادته من هناك بأسماء مستعارة على صفحات الوفاق التي فتحت لهم ذراعيها، أو صحف أخرى. طبعاً صاحب الوفاق حينها المرحوم محمد طه محمد أحمد كان يسن حرابه على الصادق ليل نهار، ولكنه لاحقاً جاء معتذراً متأسفاً طالباً العفو، ثم صارت صحيفته قبل مقتله البشع، رحمه الله، منبراً لتحية السيد الصادق بحرارة، مثلما حدث لدى الاحتفال ببلوغه السبعين.

---

46 صحيح بخاري

47 رئيس حزب الأمة القومي السيد "الصادق المهدي" لـ(المجهر) (1/2)، المجهر السياسي، 11 نوفمبر 2016م

48 كانت أمانة الإعلام بقيادة المرحوم الزهاوي ابراهيم مالك ومعه حسن إسماعيل سيد أحمد، قريب الله عبد الله، عمر محمد علي الحلاوي، ابراهيم آدم، وأميرة أبوطويلة.

# مذكرة مبارك الفاضل مارس 2002م

في يوم الاثنين 13 مارس 2002م وزع مبارك كرنيس للقطاع السياسي للجهاز التنفيذي للحزب مذكرة تحمل رؤية القطاع السياسي، كانت تشمل قراءة معينة للموقف السياسي والمستجدات مفادها ضرورة مراجعة اشتراطات المشاركة، والتشكيك في صحة "الطريق الثالث" الذي نادى به حزب الأمة، فمبارك منذ تصريحات "صوت العرب" ذكر أن الحزب أخطأ في أنه لم يشارك في الحكومة أو يصطف مع المعارضة، وأنه صار أكاديمي الطبيعة عديم الفاعلية. وكان يسخر من القرار المتخذ بألا تكون المشاركة إلا في إطار حكومة قومية قائلاً: يقولوا ليك نقسم على اثنين تقول نقسم على عشرة؟!

كان التسلسل الصحيح لتناول رؤاه السياسية هو تقديم التقييم المقترح للمجلس القيادي، وقد اتفق على عقد جلسة لذلك. ثم يناقش الموضوع في المكتب السياسي، الجهاز التشريعي للحزب، وما يقرر يحال للجهاز التنفيذي لتنفيذه لا لرسم السياسات، قال السيد الصادق: "هذه المسائل معلومة ما فيها من غموض وإن وجد فاجلاؤه لانحيا"[49]. ولكن بصرف النظر عن الخطأ الإجرائي فقد رأى أن ما ورد في تلك المذكرة رؤية يجب أن تناقش بجدية وموضوعية. وقد كان ذلك أيضاً بمثابة تشجيع لمبارك ومن معه لمناقشة أقاويلهم وقراءاتهم السياسية من داخل الأجهزة.. فقد درجوا على تداول القراءات "المغلقة" ثم الضغط من خارج المؤسسات كما في المذكرة الأربعينية، أو التبشيع بالحزب في الإعلام.

خلاصة مذكرة مارس التي قدمها مبارك كانت: أن موقفنا الإستراتيجي صحيح. وقراءته المبكرة للأحداث صائبة. لكن الحزب لم يستطع تثمير ذلك في اتخاذ الأهداف المرجوة. أي أن الحزب من الناحية العملية أخفق وإن كان من الناحية الاستراتيجية مصيب. والآن فإن علينا أن نراجع الأمر بما يمكننا من تفعيل حزبنا[50].

رأى الصادق المذكرة فرصة ذهبية لمناقشة القضايا المختلف حولها داخل المؤسسات خاصة بعد كل الغبار المثار حولها في الإعلام، أو عبر مذكرات الضغط وتصعيد الخلاف بين القيادات، فناقشها عبر مذكرة سماها (قراءة في دفتر العام المنصرم). وهذا جزء من تأكيد الجدية، كما أنه سمة أصيلة للصادق فهو كائن كتابي بالدرجة الأولى، ولا يمر يوم لا يكتب فيه مناقشاً فكرة أو متواصلاً حول أية قضية أو موضوع. هذا أمر مذهل، ولا أزال بعد كل هذه السنين تدهشني هذه الهمة على الكتابة واستنطاق الورق، ما شاء الله.

في رد السيد الصادق المكتوب جاء:

***أبدأ بملاحظتين على هذه القراءة:***

***الملاحظة الأولى:*** *أن البرامج والسياسات العملية والإجراءات التكتيكية تمثل تنفيذا مرنا للإستراتيجية وليس بديلا عنها، وإلا كما قال العز بن عبد السلام: "كل اجراء يناقض مقاصده باطل". إن موقفنا الذي سميناه الطريق الثالث هو موقف ملتزم بالتحول الديمقراطي الحقيقي*

---

[49] الصادق المهدي قراءة في دفتر العام المنصرم

[50] نفسه

*والسلام العادل، ويعني ذلك تمييز موقفنا من شمولية النظام وحربية الجيش الشعبي بل والتدويل الخبيث. نحن إستراتيجيتنا ضد هذه الرايات الثلاث.*

***الملاحظة الثانية:*** *إن في هذا التقييم ظلما على أداء حزب الأمة.*

ثم فصل السيد الصادق الجوانب التي حقق فيها الحزب تحولات في الساحة السياسية والساحة الدبلوماسية، ثم قال: .. (*هذه إنجازات ولا يجوز أن نهدر قيمتها في تقييم الأحوال*)[51].

وفي الجلسة المقررة لمناقشة مذكرة رئيس القطاع السياسي وتعليق الرئيس عليها، وذلك في اجتماع مشترك بين المكتب السياسي والمجلس القيادي، بتاريخ 1 أبريل 2002م قرر المشاركيون افتعال مشكلة داخل المجلس والانسحاب من الاجتماع.

الرواية التي ساقها مبارك في برنامج "في الواجهة" التلفزيوني بتاريخ 29 يوليو 2002م هي أن الرئيس استدعى الزهاوي وطلب منه عدم التصعيد على أن يسحب كلاهما مذكرته. وأنهم لما جاءوا للاجتماع فوجئوا بأن عبد الرحمن الصادق ضرب أعضاء المكتب السياسي، وأنه لما اعترض على ذلك كان سيتهجم عليه (لكن جذبته والدته) وبذلك انسحبوا من الاجتماع.

غرابة هذه الرواية أنها لم تكن بين شخصين أو ثلاثة حتى يجوز فيها التلفيق. والحقيقة هي: أن الصادق لم يستدع المرحوم الزهاوي ولا لاقاه في ذلك اليوم. وكان الزهاوي رحمه الله قد زاره قبلها بصحبة السر الكريل ليقول له إنهم لا يشككون في قيادته ولكن عندهم ملاحظات، ورد له الصادق بأن يكتب تلك الملاحظات، فوعد وأخلف[52].

والحقائق فيما يتعلق بالأعضاء الذين يمثلون جيش الأمة (سابقا) أن اجتماعات أغسطس الشهيرة والتي خولت للجيش أن يمثل في المكتب السياسي قد وافقت له ألا يكون تمثيله شخصيا، بل تترك له مقاعد ثلاثة يملأها بمن يرى في الوقت الذي يرى، وذلك مراعاة لخصوصيته. وكان الأعضاء الذين اختارهم الجيش بدءً لتمثيله وقعوا على مذكرة مضادة لقيادة الحزب والجيش لم تسلم داخل جهازهم المعني (المكتب الإستراتيجي) بل نشرت على صفحات الوفاق. وكان ذلك ضمن تحركات السلطة المضادة والاختراقية للحزب، وقد تقرر حزبيا أن كل من وقع على تلك المذكرة فقد عضويته بالأجهزة. فهم حتى بالمقاسات الحزبية العادية فقدوا عضويتهم للأجهزة، أما بمقاسات تمثيل الجيش (سابقا) المشار لها أعلاه، فقد قام الجيش بملء مقاعده بممثليه كما هو متفق (لاحقاً وبعد المشاكل التي أثارها المشاركيون كونت لجنة قررت أن يبتعد الجيش عن الأجهزة الحزبية أصلا).

مرت جلسات عديدة للمكتب السياسي امتثل فيها الأعضاء المذكورون للقرارات ولم يعبروا عن رفضهم للجهات المسئولة في المكتب الإستراتيجي لجيش الأمة المنحل والذي تحول اسمه إلى (سيوف النصر)، ولا استأنفوا لإدارة المكتب السياسي بشأن القرارات الحزبية المتخذة ضدهم.

والحقيقة أنه تسربت أخبار عن اجتماع عقدته جماعة سويا ظهر ذلك اليوم سراً قررت فيه الانسحاب عن اجتماع المناقشة حتى لا تُهزم مذكرتهم من داخل الأجهزة. ومهما يكن من وثوقية المصدر الذي سرب الخبر، فقد صدقته الأحداث التالية.

---

[51] مذكرة السيد رئيس الحزب بتاريخ 23 مارس 2002م، منشورة في أدبيات، مرجع سابق

[52] رباح الصادق، مرجع سابق

ففي سياق افتعال مشكلة جاء المشاركيون لذلك الاجتماع مصطحبين الأفراد المذكورين أعلاه – بعد غياب طويل وإذعان لقرار المؤسسة- ليحضروا اجتماع المكتب السياسي. فقامت الجهات المسئولة عن الأمن في الدار (زملاؤهم في المكتب الاستراتيجي- الجيش سابقاً) بمنعهم عن الدخول بالقوة، إذ تم احتجازهم وليس ضربهم. أما عبد الرحمن نفسه فلم يشتبك مع أي منهم.
قبل بدء الاجتماع دخل مبارك هائجاً وهو ينتقد بصوتٍ عالٍ مجموعة المكتب الاستراتيجي ومليشيات "عبد الرحمن الصادق" على حد تعبير الوفاق وبقية جماعته. تصدى السيد رئيس المكتب السياسي (الدكتور مادبو) للسيد مبارك راجياً إياه الهدوء ومناقشة ذلك داخل الاجتماع، فالمناقشة لا يمكن أن تتم قبل بدء الاجتماع، ومع أن الموضوع ليس في الأجندة ولكن للضرورة التي يتحدث عنها مبارك اعتبار بإعطاء مسألة الأفراد المذكورين أولوية (الجند الأول للاجتماع كان مناقشة مذكرة مبارك ورد الرئيس عليها).
بدأ الاجتماع فأعطي السيد مبارك وبعض جماعته فرصة وكانوا فائرين وينتقدون مسألة "الجيش"، وقالوا إنهم متابعون لتصرفات عبد الرحمن الصادق ففي يوم كذا فعل كذا ..الخ.
بعد ذلك أعطى رئيس الجلسة (د. مادبو) فرصة لعبد الرحمن الصادق (المتهم الأول) ليرد على الاتهامات الموجهة إليه. وقف عبد الرحمن ليرد على الاتهامات (وكان كل من مبارك وعبد الرحمن في مكان بعيد عن الآخر)، وبدأ يوضح موقفه. هنا تحول مبارك من مكانه واتجه ناحية عبد الرحمن وهو يُصمته ويقول له "اسكت، اقعد..الخ". ولكن لم يصمت أو يجلس بل رد له بهدوء: إنني أعطيت فرصة من المنصة وهي التي تستطيع إسكاتي.. وحينما وصل مبارك لمكان وقوف عبد الرحمن رفع يديه وقال بصوت عال ليسمعه الجميع: (اضربني إذا داير)! حينها صمت عبد الرحمن فعلاً وقال له أنت تعرف أنني لا أفعل ذلك.
عبد الرحمن الصادق معروف بهواية المصارعة، فهو لا يجتمع بفتية حتى يبدأون دورة مصارعة تخرج بالفائز، ولكنه معروف عنه أيضاً انه لم يعتد على شخص بالضرب أو يتشاجر بالأيدي أبداً، وحتى إذا وجد بعض إخوانه أو أقاربه في شجار بالأيدي يتدخل لوقف ذلك، وفي حفل تخريج أخويه الأصغرين "محمد أحمد من الكلية العسكرية الفنية المصرية وبشرى من الكلية الحربية المصرية" خاطبهم ناصحاً إياهم بضرورة المحافظة على اللياقة البدنية، وعكس صورة مشرفة عن العسكرية ولا تستخدم القوة في ضيم الآخرين، واستشهد بقول الشاعر:

**إذا لم يَزِدْ علمُ الفتى قلبَه هـدىً     وسيرته عدلاً وأخلاقه حُسْنَا**
**فبشـره أن الله أولاه فتـنـــة     تغشيه حرماناً وتوسعه حزنا**

فكيف يقوم بمحاولة الاعتداء على عمه وداخل اجتماع حزبي رسمي؟
لكن الأدهى وأمر حول (كذبة أبريل) تلك أنها كانت محضورة للعشرات ولا مجال فيها لتلفيق. الحركة الأخيرة (الهجوم على عبد الرحمن ثم إسكاته والوصول لمحله) كانت لاستفزازه، ولكن عندما لم يُستفز كان لا بد من مواصلة مشوار حجة الانسحاب، بادعاء أنه تعرض فعلاً لاعتداء برفع الأيدي والتعليق الجهور. ومع دهشتنا من التمثيلية حينما تتبعنا الحقيقة من مختلف الشهود أنذاك، إلا أننا بتنا الآن لا نرفع حاجباً بالدهشة لما يبدر عن مبارك.
بعد ذلك المشهد الدرامي سيء الإخراج قال مبارك: إننا ننسحب.

فرد عليه رئيس الجلسة، الدكتور آدم مادبو: تنسحب أنت أم نحن؟ لأن كل شخص من عضوية المكتب السياسي يمثل نفسه.
لم يرد مبارك بل أشر بيده فتبعه 16 فردا. خرجوا واحداً تلو الآخر.
والعجيب أن الصادق بكل كاريزميته وما أشاعه عنه الانسلاخيون لم ولن يسوق مؤيديه بالإشارة احتراماً للأجهزة التي تعمل بالرأي والرأي الآخر، وللمؤيدين أنفسهم تعضيداً لاحترامهم لذاتهم، ولاحترام الآخرين لهم. فقد فتحت مسألة الإشارة للتابعين الستة عشر باباً من السخرية عريض. وبعض الناس سموهم بأرقامهم حسب خروجهم من القاعة (فهذا رقم واحد، وذلك رقم عشرة.. وهكذا).
إن جماعة المشاركة قد انزعجت جداً من فكرة مناقشة مذكرتها ورد الرئيس في المكتب السياسي (الجهاز التشريعي للحزب) وهي تعلم سلفاً أن ذلك الجهاز لن يمرر خطها السياسي فقد ذكر مبارك جملة الرئيس (الحشاش يملا شبكته) مستنكراً إياها، في برنامج في الواجهة، ومعلوم أن السيد الصادق "يحش" أكثر.
وأغرب ما في أمرهم أنهم كانوا يتحدثون عن غياب الديمقراطية مستنكرين على الصادق أن يدلي بدلوه باعتبار ذلك مناقضاً للديمقراطية. فحين مناقشة مذكرة مبارك ورد الرئيس عليها في المكتب القيادي استنكر أحمد بابكر نهار أن يرد الرئيس أصلاً باعتبار هذه ديكتاتورية. لأنه سيلون آراء أعضاء المكتب القيادي. إن ديمقراطيتهم تفترض أن يصمت الرئيس.
بعد انسحاب السبعة عشر عضواً بمن فيهم رأسهم، ناقش الاجتماع مسألة الانسحاب المذكور، وأجل أجندته الأخرى، ثم خرج عن الناطقة الرسمية للحزب حينها الأستاذة سارة نقد الله في 2 أبريل 2002م البيان التالي:
(عقد اجتماع مشترك بين المكتب السياسي والمكتب القيادي لحزب الأمة مساء أمس الاثنين الموافق 1 أبريل 2002م وذلك لمناقشة المستجدات السياسية المتمثلة في مذكرة قدمها رئيس القطاع السياسي للحزب، والتعليقات عليها في المكتب القيادي. وقبل البدء في الأجندة المذكورة وقع خلاف حول جزئية تتعلق بعضوية المكتب السياسي. ونود توضيح الآتي: أعضاء المكتب السياسي يمثلون كليات.. الخلاف الذي أثير كان حول كلية سيوف النصر وهي كلية تابعة لمجموعة جيش الأمة للتحرير سابقا، وقد خصوا بتلك الكلية لما لهم من تاريخ نضالي، وذلك حتى يكون لهم تمثيل في المكتب السياسي.
أثار السيد رئيس القطاع السياسي خلافاً حول ممثلي الكلية في المكتب السياسي، فبدأ المكتب في بحث هذا الخلاف ليجد له حلاً عادلاً وفق اللوائح، وشرع في مناقشة الأمر بالرغم من أنه لم يكن من الأجندة الموضوعة للاجتماع. وفي تطور غير مبرر للخلاف رأى السيد رئيس القطاع السياسي الانسحاب مع 16 من الأعضاء، ومجموع الحاضرين للاجتماع تسعة وثمانين عضواً. بقية الحضور كانت تمثل نصاباً قانونياً كاملاً، وكان يمكن للمجلس أن ينعقد بصورة قانونية ويقرر في الأمر المثار، وفي الأجندة الموضوعة، ولكن الاجتماع رأي رفع الجلسة لمدة 48 ساعة، ومناقشة الأجندة المقررة في حينها.
أما بشأن القضية العارضة المثارة أمام الاجتماع –المتعلقة بكلية سيوف النصر- فقد كوّن الاجتماع المشترك للمكتبين السياسي والقيادي للحزب لجنة برئاسة د. عمر نور الدائم النائب الأول لرئيس الحزب ورئيس الجهاز التنفيذي، وعضوية كل من: الأستاذ/ بكري أحمد عديل

النائب الثاني لرئيس الحزب- السيد/ صلاح عبد السلام رئيس لجنة الرقابة وضبط الأداء- السيد/ عبد الرسول النور رئيس قطاع الجنوب- الأستاذ/ عبد المحمود الحاج صالح مساعد الرئيس للشؤون القانونية- السيد/ السر الكريل عضو المكتب السياسي، وذلك للنظر في تلك الملابسات. وفوض الاجتماع اللجنة ليكون قرارها حولها نهائياً.
قرر الاجتماع أن هذا النوع من السلوك غير ديمقراطي وغير مقبول، ولكن يجب أن يمنح الخارجون فرصة أخرى، بعد أن تقرر اللجنة بشأن المسألة الخلافية. ناشد الاجتماع الجميع ضبط النفس والاحتكام للوائح والقرارات المؤسسية.)أ. هـ
كانت التقارير التي ترد للحزب وقيادته، والتي تتسرب للصحف اليومية تؤكد على عزم المشاركين على المشاركة بأي ثمن في السلطة، وبدون موافقة أجهزة الحزب على ذلك، بل لقد أقسموا في أحد اجتماعاتهم السرية "قسم المشاركة" وأن يصمدوا على الخط حتى آخر المشوار.
كان من ضمن تلك التقارير التي تسربت للرأي العام ما ورد في تقرير بصحيفة الحرية أن مباركاً انتوى المشاركة في النظام وعرض عليه أن يشترك جزئياً بدون باقي الحزب، وأن النظام طلب منه أن يتوالى، فلما وافق على ذلك وقدم للتوالي تردد النظام في الأمر.. لقد نفى مبارك وقتها أن تكون تلك التقارير صحيحة، بل وسعى لاحقاً لمقاضاة المدير العام للصحيفة الحاج وراق باعتبار أنه أساء سمعته وشهّر به. وكان الحاج وراق في عموده "مسارب الضي" انتقد مبارك وقال إنه فعلا "بلدوزر" (وهذا لقب يحبه مناصروه ويذكرونه بفخر، لكن وراقاً حمّله معانٍ سالبة). وقال وراق إن مبارك لا تحده حدودٌ لا وطنية لا دينية لا أخلاقية. أراد مبارك بتلك الدعوى أن "يؤدب" الحاج وراق وصحيفة الحرية، خاصة وقد جرت جلساتها أثناء تقلده لمنصب مساعد رئيس الجمهورية، ولكن المحكمة فتحت عليه أبواب جحيم من شهادات الشهود الذين أتى بهم الحاج وراق، منهم الأمير عبد الرحمن نقد الله شفاه الله، والسيد سيد أحمد الحسين رحمه الله، والأمير عبد الرحمن الصادق، وإسحق أحمد فضل الله، وغيرهم، وقد أثبتوا عليه، خاصة نقد الله وسيد أحمد الحسين شهاداتٍ قوية إذ قال نقد الله إن مبارك عميل، وإنه دخل السياسة شاباً صغيراً فكان عميلاً لأي جهة أجنبية تعامل معها، مدللاً بعلاقته بالليبيين التي وصفها بالعمالة، وهو ما أفاض فيه سيد أحمد الحسين إذ قال إنه فعلاً لا حدود وطنية له وإن تعامله مع المخابرات الليبية كان وراء ظهر الحكومة السودانية إبان تقلد الحسين لوزارة الداخلية في الديمقراطية الثالثة، وأيد الحسين عدم التزام مبارك بحدود وطنية، بينما غلّب عبد الرحمن الصادق الرباط العائلي وكانت إجاباته متحفظة في الغالب، بحسب أستاذ الحاج وراق. وفي النهاية برأت المحكمة الحاج وراق من تهمة إشانة السمعة باعتبار أن الشهادات التي استمعت إليها تؤكد أن ما كتبه وراق ليس تشهيرا بل له أساس من الصحة[53].
ويرى وراقٌ أن حياد المحكمة التي جرت جلساتها أثناء تقلد مبارك لمنصب المساعد سببه أن الإنقاذيين كانوا مختلفين حوله وبعضهم كان يناصبه العداء وقد سعى للتنسيق مع طرف في

[53] الخبر عن تقرير صحيفة الحرية ومحاكمة وراق وارد في رباح الصادق، الإختراق والانسلاخ في حزب الأمة، 2002م، ولكن تفاصيل الشهادات مأخوذة من مكالمة هاتفية مع أستاذ الحاج وراق في مقره بالقاهرة يوم الثلاثاء 27 مارس 2018م

صراعاتهم، واستغرب من أن مبارك لم يستأنف ذلك الحكم[54]، والرأي أنه ربما خشي أن يفتح عليه الاستئناف جحيماً آخر.
الشاهد، برغم نفيهم للتقارير حول نيتهم مفارقة الجماعة، إلا أن الشكوك بدأت تزداد حولها. وكان ذلك المناخ بداية ما تم الاتفاق حوله ورسم السيناريو له في مؤتمر سوبا في يوليو 2002م.
وكان آخر عرض لهم داخل الحزب هو الاشتراك في لجنة تقييم الأداء الحزبي.

## لجنة تقييم الأداء الحزبي

كثر الحديث داخل حزب الأمة عن تضارب بين القطاعات، وعن تجاوز القطاع السياسي لصلاحياته التنفيذية، ورأت أجهزة الحزب القيادية ضرورة مراجعة الأداء الحزبي على ضوء التجربة منذ الاتفاق على التكوين المرحلي الجديد في فبراير من عام 2000م، لذلك قرر المكتب السياسي بتاريخ 14 يناير 2002م القرار رقم (112) بتشكيل لجنة تقييم الأداء في مؤسسات الحزب، وتشخيص ظاهرة عدم الانضباط، وتقديم توصيات بالمقترحات المطلوبة.
كونت اللجنة من 16 شخصاً برئاسة الحبيب الأمير عبد الرحمن عبد الله نقد الله، شفاه الله، وكان تكوينها بطريقة موزونة بحيث اشترك فيها أصحاب وجهات النظر المختلفة، وارتضاها الجميع بالإجماع. وفي أبريل 2002م، أي بعد ثلاثة أشهر من التدارس والبحث، قدمت اللجنة بإجماع أعضائها تقريرها.
دعا السيد الصادق لاجتماع مشترك للمجلس القيادي والمكتب السياسي، وعبر ست جلسات درس الاجتماع المشترك التقرير. وبعد النقاش العام وتهوية الآراء قدم رئيس الحزب للاجتماع المشترك قراءة تقييمية للتقرير في 8 مايو 2002م. خلاصتها: هنالك توصيات مقبولة برأيه ينبغي تحويلها لقرارات، هنالك توصيات يرى أنها غير مقبولة لأسباب ذكرها، هنالك جوانب أغفلها التقرير يرى ضرورة إلحاقها به، وضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لعقد مؤتمر الحزب العام الرابع في 26 يناير 2003م. وتتالت قراءات أخرى من قيادات الحزب. وتم تداول التقرير والقراءات حوله بحرية تامة، ونتيجة لتداول الرأي اتخذ الاجتماع قراراته بشأن التقرير في 3 يونيو 2002م مما أثمر إدخال إصلاحات محددة في بنية الحزب التنظيمية، وتقرر أن يستمر التنظيم المرحلي بشكله المعدل حتى قيام المؤتمر العام في 26 يناير 2003م.
لكن اتضح أثناء النقاش أن بعض المشاركين غير راضين عن توصيات اللجنة التي اشتركوا فيها[55]. وبعد ذلك انتقدوا أي تعديل في التقرير، واعتبروا مرة أخرى أن إدلاء رئيس الحزب برأيه ديكتاتورية!

## مراجعة القرار حول المشاركة

---

[54] مكالمة مع أستاذ الحاج وراق، نفسه
[55] المنشور التنظيمي يوليو 2002م

وفي أوائل أبريل 2002 قالت عصبة المشاركة إن هنالك مستجدات توجب على الحزب مراجعة قراره التاريخي بشأن شروط الاتفاق مع النظام في 18 فبراير 2001م، فإجراءات الوساطة لا سيما الأمريكية لا تعترف إلا بجهتين هما: الحكومة والجيش الشعبي، ولكي يدخل حزبنا في دائرة الفاعلية السياسية فإن عليه الإسراع باتخاذ قرار بالمشاركة في النظام الحاكم.
وبعد تداول الأمر ملياً قرر الاجتماع تأييد جوهر قراره السابق، وفي يوم 2002/4/8م اتخذ القرار رقم **(122)**[56] **ونصه:** (يؤكد الاجتماع جدوى قراره التاريخي بتاريخ 18 فبراير 2001م وسعة أفق القرار، مع تأكيد ضبط المشاركة في أحد الإطارين المذكورين: حكومة انتقالية قومية- انتخابات حرة نزيهة.
تداول الاجتماع الظروف المحدقة بالبلاد كافة وفرص الحل السياسي الشامل، وقرر: مواصلة الحوار مع النظام بهدف الاتفاق على إصلاح دستوري وقانوني وسياسي بما يحقق التحول الديمقراطي وأسس السلام العادل بما يشكل أساساً للحل السياسي الشامل، ويتطلع الحزب لإبرام هذا الاتفاق على ضوء ما يعرض عليه من تفاصيل نتيجة التفاوض.
يدعم الحزب عمله التعبوي الشعبي ويواصل مفاوضاته مع القوى السياسية السودانية للتعاون في سبيل السلام العادل والتحول الديمقراطي.
يلتزم المفاوضون في المجالات كافة مع النظام ومع القوى السياسية بالضوابط الآتية: بأهدافنا العليا وهي مبادئ الحل السياسي الشامل المعلنة. وشفافية تامة تجعل أجهزة الحزب تتابع التطورات في كل مراحلها. والانضباط التنظيمي بحيث لا يصدر في أجهزة الإعلام تعبير عن موقف الحزب إلا ما يمثل موقف الحزب الحقيقي. ومراجعة تكوين فرق التفاوض مع النظام والقوى السياسية على ضوء توصيات لجنة تقييم الأداء في مؤسسات الحزب لتأكيد توازنها وتناسقها.
يسعى حزب الأمة لتكوين تحالف عريض حول الأجندة الوطنية، وهو تحالف لا يحده إلا عدم وحدة الهدف.
بالإشارة إلى ما ورد في قرار الحزب في 18/ 2001/2 حول التعاون في القضايا القومية يؤكد الحزب استعداده للتعاون على أن يكون النشاط قومياً روحاً ونصاً.
مؤسساتنا وقراراتنا قابلة للمراجعة وفق المستجدات بصورة منهجية ومؤسسية وإلى حين ذلك يجب أن يراعى احترام المؤسسات وقراراتها في اختصاصاتها.
ينظر الاجتماع في الاقتراحات المتعلقة بتفعيل الخطى نحو عقد المؤتمر العام مباشرة بعد مناقشة توصيات لجنة تقييم الأداء ويعطى هذا الموضوع الأولوية المستحقة.
تأسيساً على روح الموضوعية التي عمت الاجتماعات يواصل السيد رئيس الحزب مجهودات علاقات حميمة واجتماعية لدعم روح المودة والزمالة بين الأعضاء). أ. هـ.
هكذا حسم حزب الأمة أمره بوضوح تام، وقرر مواصلة العمل التنظيمي والتعبوي وعقد المؤتمر العام الرابع للحزب في 2003/1/26م.

[56] القرار رقم 122 الذي اتخذه الحزب في الاجتماع المشترك بين المكتب القيادي والمكتب السياسي بتاريخ 8 أبريل 2002م والذي أكد فيه جدوى قراره التاريخي بتاريخ 18 فبراير 2001م

ولكن المشاركين لم يرضوا عن كل ذلك. لقد حزموا أمرهم فلم يعودوا يطيقون الجلوس إلى زملائهم (الشيوخ/ المعوقين/ المخذلين/ المتقاعسين/ الحالمين/ التقليديين.. إلى آخر المسميات) والذين يتعالون عليهم، ولم يعودوا يطيقون بعداً عن أحبابهم في النظام (الذين ثبتوا أقدامهم وصاروا مع ثوابتهم من ثوابت البلاد، وأتاهم البترول وجددوا شبابهم).. إلى آخر ما أوقع جماعة سوبا في الغرام، بل وجعلهم يتوقون لمربع الإنقاذ الأول[57]!

كانت النتيجة المنطقية لذلك العوار الفكري والخط التآمري عقدهم لمؤتمرهم في يوليو 2002م. ذلك المؤتمر الذي تابعناه وتابعنا أحداثه (من طقطق لسلام عليكم)، فقد كانت جماعة (سيوف النصر) اخترقت عصبة المشاركة بإدخال عناصر منها وسطها وقد سهل لهم ذلك أن معظم أفراد جيش الأمة سابقاً كانوا يؤيدون المشاركة بل وكانوا اتخذوا قراراً جماعياً عشية العودة بالمشاركة مع النظام[58]. وكان أميرهم من أقوى مؤيدي خط المشاركة لدى نقاش القضية داخل الأجهزة كما ذكرنا، ولكنه وبقية سيوف النصر التزموا بخط المؤسسة كارهين حينها[59]، وسربوا بعض عضويتهم داخل جماعة المشاركة حتى يكونوا مطلعين على مخططاتهم وما يدور بين أروقتهم. عبر ذلك الكادر المسرب حاز سيوف النصر على أشرطة فيديو المؤتمر التي سجلت جميع جلساته وهرجه ومرجه، وقد جلست لساعات طويلة وعلى مدى بضعة أيام، وأنا أشاهد وأدون كل صغيرة وكبيرة دارت، وخرجت بعدها برواية كاملة لمسرحية سوبا في كتابي المذكور، وسوف نسوق هنا بعض المشاهد التي نراها ترسم تفاصيل ما حدث.

## مؤتمر سوبا يوليو 2002

لقد برمت جماعة المشاركة بالحزب وأجهزته وقررت الانخراط في النظام، ولذلك فقد أقدمت على التخطيط سراً – وإن كانت المعلومات قد تسربت لعدد من قادة الحزب وللسيد الصادق– لما أسمته مؤتمراً استثنائياً، عقد في أرض المعسكرات بسوبا في الفترة ما بين 10 إلى 12 يوليو.

حضر هذا التجمع حسب التقديرات 1200، ولكن حصر تلك العضوية وعلاقتها بحزب الأمة لم ترصد بدقة بعد، وهناك بعض التقارير تشير إلى أن جزء من عضويته كانت من المؤتمر الوطني ومن العاملين بجهاز أمن الدولة. ومهما يكن، فإن جزء كبير من العضوية تابعة لحزب الأمة، ولكن وجدت أخطاء إجرائية وتنظيمية تخرجه من كونه آلية تنظيمية لتجديد الأجهزة ورسم السياسات، إلى كونه محفلاً اختراقياً لصالح نظام الإنقاذ يبدي زوراً تأييد حزب الأمة له. تم فيه استعراض خطب التأييد لقيادة معلومة ولخط سياسي معد سلفاً، يسفر عن ولادة تنظيم سياسي جديد، وإن كان قادته ينتمون إلى حزب قائم تاريخياً ومعلوم الأجهزة والشرعية

[57]أنظر في ذلك مقال دكتور عبد القادر صالح- سابق- ومقال الأستاذ محمد عبد السيد الذي نشر في الأيام- الصفحة الأخيرة – 21 أغسطس 2002م.

[58] عبد الرحمن الصادق، مرجع سابق

[59] لاحقا استقال الأمير عبد الرحمن من مناصبه بالحزب والتحق بالجيش عائدا لصفوفه، ومن هناك شارك النظام منفردا تحقيقا لرؤيته القديمة المقتنعة بالمشاركة

واللغة الفكرية، مع إضافة أن التنظيم الجديد المكون من أقلية في ذلك الحزب، يود تجريد الأكثرية من كينونتها ويحل محلها.

### أهم الملاحظات على المؤتمر

من الناحية التنظيمية فإن المؤتمر الاستثنائي اسم يطلق على المؤتمر الذي يعقد في غير وقته لضرورة أو أمر طارئ. وفي دستور حزب الأمة تتم الدعوة لانعقاده من رئيس الحزب أو ثلثي الأعضاء أو ثلثي أعضاء اللجنة المركزية[60]. ومعلوم أنه في أية مؤسسة فإن الدعوة لاجتماع (الجمعية العمومية) أو أي جهاز يكون عن طريق القيادة الشرعية للمؤسسة، وعبر الأجهزة التنظيمية (قطاع التنظيم) كما يشرف على تمويله الجهاز المالي (قطاع الإدارة والمال). ولكن الدعوة للمؤتمر أتت من جماعة ليس لها أية شرعية تنظيمية ولا يحق لها الدعوة للمؤتمر الاستثنائي للحزب دون الأخرين.

كذلك لم يجر التحضير لذلك المؤتمر بانتخابات قاعدية. بل لقد أعلن السيد مبارك الفاضل وأذيع في أجهزة الإعلام أن الحضور للمؤتمر كان أكبر من الدعوة إليه. أي أنه مؤتمر بالتنادي وليس بالعضوية المصعدة المنضبطة. وحتى ذلك التنادي فإن الدعوة له للقيادات الحزبية لم تجر بصورة مفتوحة بل كانت بصورة انتقائية محضة روعي فيها السرية.

ملاحظة مهمة في هذا الصدد أيضا أن الدعوة للمؤتمر انطوت على خداع بعض المشاركين، والدليل على ذلك أن وفوداً زارت السيد الصادق المهدي من حلفا الجديدة، ومن المحيريبة، والحلاوين، والجبلين عبروا عن أنهم خدعوا، وتمت دعوتهم على أن المؤتمر سيشارك فيه السيد رئيس الحزب والدكتور عمر نور الدائم.

كذلك أرسلت قيادات الحزب بكسلا مذكرة للحبيب السيد الصادق المهدي تؤكد أن المؤتمر كان فيه خداع. وقد وقع في تلك المذكرة ثلاثة من المشاركين في وفد المؤتمر من كسلا وهم: علي البشير وقيع الله، نقد الله مصطفى قسم الباري، ومحمد أبشر.

وأرسل السيد نصر الدين الأمين عبد الرسول مذكرة لرئيس الحزب يؤكد فيها أن اسمه قد ذكر ضمن المشاركين في المؤتمر وهو ما لم يحدث.

وإذا تحدثنا عن الشرعية، فإن جميع المنظمين للمؤتمر –بمن فيهم مبارك- لا يملكون أية شرعية انتخابية في آخر مؤتمر عام للحزب عام 1986 وهم جميعهم ممن أتت بهم آلية التراضي التي ينتقدونها. أما المشاركون فقد جاءوا بصورة سرية، وحتى الذين يتقلدون مناصب في التنظيمات الولائية لم يحضروا كممثلين لتلك التنظيمات، فتتالت بيانات فصلهم من داخل أجهزتهم بعد مشاركتهم في المؤتمر. وغالبيتهم مجرد أعضاء بالحزب لا يملكون أية صفة تصعيدية من محلياتهم.

ليس للمؤتمر أية شرعية تذكر بل حتى الشرعية "الثورية" التي تحدثت عنها المذكرة الأربعينية لم تستند على من نادت بهم: الرئيس المنتخب والأمين العام، والذين تصدوا للعمل المعارض. بل كان كثير من الأعضاء المشتركين فيها هم من الأعضاء الذين وقفوا بعيداً –بل منهم من انخرط في لحظة سابقة في النظام المايوي ثم في الإنقاذ. من هؤلاء نذكر: البشير

---

[60] دستور ولوائح حزب الأمة 1986م

النعمة (الذي قدم كلمة الإقليم الأوسط)، جلال خالد شيخ الدين، الناظر عمر إدريس هباني، والهادي بيتو الذي كان ذا علاقة جيدة بقيادات المؤتمر الوطني في فترة الصدام معهم حيث نزل رئيس المؤتمر الوطني ببيته حين زيارته لدارفور في تلك الفترة. ليس ذلك فحسب بل لقد خرج تجمع سوبا في توصياته بتكوين لجنة لمصالحة كل من فصله الحزب في فترة الثلاثين عاما الماضية[61]، ومعلوم أن هؤلاء لم يتم فصلهم إلا لأنهم خرجوا على قرارات الحزب في التصدي للدكتاتورية أو انخرطوا فيها. فالمؤتمر لم يبتعد عنه غالبية المناضلين فحسب، بل كون قاعدة عريضة تبني بنيانهم ممن ضاق بالتصدي للتسلط الإنقاذي.

**من الناحية اللوجستية:** عقد المؤتمر بإمكانيات تفوق إمكانيات الحزب بكامله ناهيك عن جماعة فيه. أرسلت طائرات لجلب المؤتمرين من دارفور، ومن كردفان. كما تم توفير تذاكر السفر لوفود المدن المختلفة. وقد كان انطباع الحضور أن الإعداد تم بأموال ضخمة صرفت على ملفات المؤتمر والأطعمة والأشربة وغيرها.

دعمت الحكومة المؤتمر مادياً ومعنوياً بصورة ظاهرة.

صودرت جريدة الحرية ليوم 13 يوليو 2002م بدون إبداء سبب والمسئولون يرجحون أن يكون السبب مهاجمة مؤتمر سوبا. جاء في صحيفة البيان الإماراتية الآتي: "عطلت أجهزة الرقابة أمس صحيفة «الحرية» السودانية المستقلة عن الصدور. وأرجع الحاج وراق، الأمين العام لحركة القوى الجديدة الديمقراطية «حق» الذي يشغل منصب المدير العام للصحيفة السبب في التعطيل الذي تم بطريقة جديدة إلى الهجوم الشرس الذي شنته الصحيفة ضد مبارك الفاضل المهدي حليف الحكومة الجديد. وقال وراق لـ«البيان» إن عدداً من منسوبي جهاز الأمن وصلوا إلى المطبعة في تمام الساعة الثانية من فجر أمس وصادروا الصفحات الأولى بحجة قراءتها ولم يعيدوها إلا في السابعة والنصف صباحاً، الأمر الذي تعذر معه صدور الصحيفة. وشدد وراق على أن الصحيفة لن تتراجع عن موقفها ضد تشتيت القوى السياسية وتقسيمها رغم الخسائر التي تعرضت لها أمس من جراء عدم الصدور وتلف كميات كبيرة من الأعداد التي تمت طباعتها من العدد خاصة الصفحات الداخلية".. "من جانبها أكدت الصحافية آمال عباس مستشار مجلس إدارة الصحيفة أن الخسائر التي تعرضت لها الصحيفة من جراء المصادرة لا تقل عن 15 مليون دينار سوداني".[62]

وبتاريخ 14 يوليو صدرت توجيهات من جهات الأمن لبعض الصحف بعدم التعرض بسوء للسيد مبارك المهدي وجماعته.

تعرضت السلطات الأمنية لوفد الجزيرة المروية المكون من سبع حافلات يوم الثلاثاء 23 يوليو عند حدود العاصمة، وكان الوفد يزمع الحضور للتنديد سلمياً بتجمع سوبا ويساند الشرعية في الحزب.

وبينما تمت تغطية المؤتمر تغطية إعلامية كاملة من الإذاعة والتلفزيون، فإنه لم يتم إجراء مماثل لصلاة الجمعة التي أمها السيد الصادق المهدي بتاريخ 12 يوليو مع أنها كانت حدثاً

---

[61] نشر هذا في جريدة أخبار اليوم في 13 يوليو 2002م

[62] البيان الإماراتية بتاريخ 14 يوليو 2002م

مهما في سياق الأحداث في سوبا وقد قامت بتغطيتها أجهزة الإعلام العربية الأخرى. هذا يؤكد الانحياز الرسمي لسوبا.

في تلك الخطبة قال الحبيب السيد الصادق:

*(دعا بعض زملائنا إلى اجتماع سموه مؤتمرا استثنائيا لحزب الأمة. أقول:*

1. *المؤتمر الاستثنائي -حسب نظام حزب الأمة- إذا لزم تدعو له قيادة الحزب وليس فئة داخل الحزب. إن رئاسة الحزب لا تعلم شيئاً عن هذا المؤتمر لذلك تسميته مؤتمر استثنائي لحزب الأمة باطلة.*
2. *الفئة التي دعت للاجتماع اعتبرت نفسها شرعية واعتبرت أجهزة الحزب الأخرى غير شرعية مع أنهم جميعا قد عينتهم أجهزة الحزب المعنية واستمدوا شرعيتهم من شرعيتها. إنهم يستمدون شرعيتهم من تلك الأجهزة ويعتبرونها باطلة، فإن كانت هي باطلة فتعيينهم أيضاً باطل.*
3. *إنهم يستخفون بحزب الأمة لأنهم دعوا من دعوا دون أن يتم انتخاب المدعوين من القواعد كما ينبغي أن يحدث. لقد كان إجراءً "مكلفتا: دفن الليل أب كراعا برة!" وذلك لتحليل المشاركة في السلطة، وهذا هو الهدف الحقيقي لهذا الاجتماع لا الإصلاح، لقد أتى بجماعة في سياحة "خمسة نجوم" للخرطوم للاشتراك في هذا الاجتماع غير الشرعي، والذي خرج عن الطريق الصحيح مما يدل على أنهم لا يقصدون الإصلاح. والذين قاموا بالدعوة لهذا الاجتماع يدلون على أنهم يجهلون السودان جهلاً تاماً، فتوقيته يدل على ذلك الجهل، لا يمكن أن تدعى جماعة من الريف في الفترة من 20 يونيو إلى 10 يوليو وهي فترة الموسم الزراعي، حالة طوارئ للإنتاج في الريف للزراعة، ولا يمكن أن يدعى فيها قيادات في الريف للحضور للعاصمة.*
4. *زعموا أن حزب الأمة قد وقع اتفاقا مع النظام. الاتفاق الوحيد مع النظام الذي وقعه حزب الأمة هو نداء الوطن. وصحيح أن الفريق المفاوض قدم تقريرا لأجهزة الحزب عما دار بينه وبين النظام، ولكن أجهزة الحزب لم تقبل ما توصلوا له، واستخفت بمجلس الشيوخ الذي اقترحوه لأنه مجلس "حبال بلا بقر" لأنه بلا صلاحيات وبالتعيين لذلك لا قيمة له. ونتيجة لتداول أجهزة الحزب في الأمر قررت القرار رقم 55 بتاريخ 18 فبراير 2001م وهو القرار الذي أوضح موقف حزب الأمة من الاتفاق مع النظام. ويبدو أن الفريق المفاوض اعتبر موافقته على ما دار مع النظام هي موافقة حزب الأمة وهذا ليس صحيحاً.*

*إن اجتماع سوبا مؤتمر زائف، وهو مؤتمر تزوير لإرادة الأمة، لذلك فإن كل من اشترك فيه فقد استقال من منصبه في حزب الأمة. وسيتم اتصال بكل الذين حضروا الاجتماع لأن أكثرهم كان مضللاً لتحديد موقفه فإن تبرأ من قرارات الزور أمكن أن يشارك في مؤتمر الحزب العام في 26 يناير 2003م وإلا فلا.*

*أما نظام الإنقاذ فواضح أنه يساند مؤتمر الزور مادياً ومعنوياً.*

*ولتوضيح الموقف نقول لنظام الإنقاذ: نحن ملتزمون بنبذ العنف كخط استراتيجي وكذلك بعدم التحالف مع أية جهة تحمل السلاح. ولكنا نمثل معارضة مدنية للشمولية ونرفض أساليب الاختراق التي درجتم عليها وشوهتم بها صورتكم، فما من جهة حاورتكم إلا اخترقتموها. هذا ما حدث مع الحركة الشعبية ومع حزب رياك مشار، ومع الاتحادي الديمقراطي وغيرها.*

*هذا النهج يزيد من عدم الثقة في أساليبكم، وهذا هو سبب حرص الجميع على حضور دولي لأية مفاوضات معكم. إن محاولة اختراق حزب الأمة لن تضيره شيئاً لأن ما خسره من الاختراق سوف يكسب أضعاف أضعافه من الصمود الوطني والتمسك بالمبادئ. ولكن تجربتكم مع حزب الأمة سوف تعزز من الحرص على مزيد من الحضور الدولي والضمانات الدولية.*

*إن حرصكم على محاولة استقطاب الآخرين في إطار هياكل وسياسات النظام يمكن أن يزيد من عدد المستوزرين إلي جانبكم ولكنه حتماً لن يخاطب التأزم السياسي والاقتصادي والأمني الذي حشرتم السودان فيه. هذا التأزم المركب لا حل له إلا ضمن التحول لخانة جديدة فيها تحول ديمقراطي دستوري وقانوني وسلام عادل.*

*مبدأ الحوار معكم سنظل نقبله ولكن ضمن ضوابط تركز على البحث عن حلول جذرية لا فتح مجالات استقطاب ضمن خانة لا يختلف اثنان أنها فشلت اللهم إلا الذين يمكن أن تستميلهم المنافع الذاتية.*

*رحم الله الإمام الشافعي الذي قال في موقف مماثل:*

| | |
|---|---|
| ***إذا المـــرء لا يلقاك إلا تكلفـــــا*** | ***فدعه ولا تكثر عليه التأسفــــا*** |
| ***ففي الناس إبدال وفي الترك راحة*** | ***وفي القلب صبر للحبيب إذا جفا*** |
| ***وما كل من تهواه يهـــواك قلبـــه*** | ***وما كل من صافيته لك قد صفـا*** |

*سنواصل عملنا في بناء الذات وعقد مؤتمرنا العام في موعده، ونواصل عملنا من أجل الأجندة الوطنية للسلام العادل والتحول الديمقراطي.* **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي[63])** *وما ضاع حق قام عنه مطالب، ونحن أفضل ما يكون عطاؤنا في مواجهة التحديات وهي أصلاً طريق الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل. لتقف الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ولتتساقط الأوراق اليابسة. إنك لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله)* أ. هـ.

## حول المؤتمر

كان في ذلك المؤتمر العديد من كلمات الوفود الولائية، لكن الملف الذي وزع للحضور كان يحتوي على الأدبيات الرسمية للاجتماع وهي عبارة عن كلمة اللجنة المنظمة وسبع أوراق[64]. كانت المنصة تغرق في ركاكة غريبة وفقما فصلنا في كتابنا (الاختراق والانسلاخ في حزب الأمة) ولن ننشغل هنا بذلك اللجج. ولكننا سنتعرض لبعض الأدبيات التي ناقشت المؤتمر من خارج أسوار الحزب، كما سوف نتعرض لجانب وجدناه طريفاً في المؤتمر وهو شعره.

وقد اعتبرنا يومها أن حادثة سوبا خير كلها وفاروق بين الحق والباطل، وراحة من عناء "الحجامة" كما قال شاعرنا محمد المكي إبراهيم: "أحياناً يبدو على السودانيين أنهم يطلبون المستحيلات وليس المستحيل وحده من أحزابهم السياسية. فمنذ أواخر عام 1958م وإلى اليوم ظلت الأحزاب السياسية مصنفة في خانة الممنوعات مع الحشيش والأفيون بل إن

---

63 سورة يوسف الآية رقم (108)

64 لتفاصيل أدبيات مؤتمر سوبا انظر/ي رباح الصادق الاختراق والانسلاخ في حزب الأمة، مرجع سابق

الحرب على الحزبية كانت أضرى وأشد من الحرب على المخدرات. فقد صودرت أملاكها وحظر نشاطها وتشرد قادتها في المنافي وبلدان اللجوء ورغم ذلك لا يفتأ السودانيون وخاصة المتعلمين من أولاد المدارس يطالبونها بالديمقراطية والشفافية، وكلما التقطوا في الدنيا من مفردات. ومن عجب أن الانقسام الحالي في حزب المهدي رفع نفس القمصان العثمانية متحدثاً عن غياب الديمقراطية والميل إلى التنظير كأن المهدي هو الحاكم الفعلي للبلاد أو كأنهم أرادوا الوثوب على السلطة وانتزاعها من خلفاء الترابي فمنعهم المهدي من ذلك استبداداً منه بالرأي وانفراداً بالقرار[65].. "ولذلك يقول البعض إن ما جري حقيقة هو أن دماً فاسداً أراد الخروج فتركه المهدي يخرج موفراً على نفسه أجرة الحجامة. وعلى ما في هذا التعبير من القسوة فإنه قريب للواقع. ووجه القسوة فيه أن الرجال القائمين على الانشقاق لم يأتوا من بيوتهم وإنما عادوا من المنافي. وبعضهم جاء من جبهات القتال وليس بينهم من لم يضح بماله أو بعياله أو بمستقبله في سبيل الديمقراطية، وخروجهم على المهدي لا يجردهم من تواريخهم كمناضلين ورجال ذوي شمم وإباء وفرسان مهدويين على بندقية الديمقراطية. ولكنه ظلم السياسة الشنيع أن لا تعبأ بسالف ولا سابقة ولا يهمها إلا الحاضر وتلك شيمة فيها أصيلة. وإذا أراد المرء أن يسلم من أذاها فإن أمامه طريقة وحيدة هي الاعتزال. فلو أن هذا النفر من الأماثل اعتزل العمل السياسي بهدوء ومضى يحتطب ليكسب قوته وقوت عياله لما كان عليهم من تثريب، ولكنهم غيروا جلودهم السياسية وهاجموا القلعة التي كانوا ضمن المدافعين عنها، فصار عليهم أن يتوقعوا الأذى السياسي من الملايين التي لا زالت تؤمن بالصادق المهدي كزعيم تاريخي مؤهل تأهيلاً رفيعاً لقيادة السودان نحو القرن الحادي والعشرين."[66]

وقال الأستاذ تاج السر محمد شبو تعليقا على مهزلة سوبا: "إن المؤسسية والتآمر لا يلتقيان"[67]. وقد ارتاح الحزب كثيرا فعلاً لأن جماعة المشاركة كانت قد سممت الجو الحزبي لأكثر من عام، وهو ما شبه بخروج دم فاسد بدون عناء الحجامة، وما قال عنه دكتور صالح المتحدث من خارج مظلة حزب الأمة أن الاتجاهات الفكرية للسيد الصادق المهدي: "تجعله وبالفم المليان يقول لدعاة المشاركة، ودعناكم الله وفي أمان الله أيضا.[68]"

لقد تناول الأستاذ تاج السر شبو في مقال رصين سبقت إشارتنا له الشعارات التي رفعتها جماعة سوبا و"أفصح" من دعا لها كان مبارك وورقته المذكورة. قال شبو: "شعارات التيار الحكومي المخترق كلها كانت على النحو التالي: إصلاح وتحديث الحزب، الانتقال من وضع لا معارضة ولا مشاركة، البناء السياسي القديم غير قادر على حل الأزمة السودانية لأنه شمولي رغم رفعه لشعارات ديمقراطية، هدم الكيانات القديمة القائمة على القبلية والكاريزمية، على الكبار أن يتيحوا المجال لأجيال جديدة، الصراع على السلطة والصراع القديم جربناه 46 عاماً ولم نصل فيه لشيء فالواجب التعامل مع الأمر بواقعية.. هذا كل ما ملكت أيمانهم من

---

[65] محمد المكي إبراهيم، فقه الذبائح في الخرطوم، يوليو 2002م

[66] إبراهيم- مرجع سابق

[67] نفسه

[68] صالح- مرجع سابق

أفكار واجتهادات وطروحات فكرية فلسفية لمحاولتهم الاستيلاء على حزب الأمة القومي..نهارا جهارا"!.

ثم رد شبو على تلك الأطروحات الفجة رديئة السبك واحدا واحداً، واختتم بتناول شعار الخدمات، فقال: "الأستاذ البوني [يقصد د. عبد اللطيف البوني صاحب عمود "حاطب ليل" بجريدة الرأي العام آنذاك] أبدى حيرته لغرابة هذا الشعار وسخر منه وداخله مداخلة هزلية في نهاية عموده. وإن التيار الحكومي في حزب الأمة يدخل الحكومة بهدف تقويضها من الداخل.. وما إلى ذلك من الكلامات لا أرغب في مداخلة الشعار البانس اليانس و"فلفلته" ولكنها أول مرة في السودان تعلن جماعة سياسية تدعي "الحداثة والتجديد والإصلاح" أنها تدخل السلطة لحل مشاكل أهليها ومناطقها".. وهي نفس الجماعة الناعتة للكيانات القديمة والقبلية في حزبها مطالبة بهدمها! إننا موعودون بإنتاج فكري سياسي عامر وغزير من "جماعة الأمة الحكومية" تقلب فيها الوضع السياسي رأسا على عقب! إنها أول مرة في تاريخ العمل السياسي على وجه الأرض تكون فيه حلول مشاكل الجماهير الحياتية اليومية من مسئولية المعارضة، وهي بالفعل فلتات فكرية لا تدانيها فلتات!"[69]

ومن الطرائف التي حدثت داخل المؤتمر أنه وقبل تقديم ورقة الهيكل التنظيمي في آخر جلسة بسويا، تقدم الدكتور أحمد بابكر نهار صاحب الورقة إلى المنصة وبسمل وحمدل وصلى على النبي وقال بالحرف: "الأخوة المؤتمرون، في هذا المنعطف التاريخي بالنسبة لحزب الأمة وبالنسبة للسودان أهنئكم على هذه القرارات الشجاعة، فقد تم حل كل أجهزة حزب الأمة، وباتخاذكم هذه القرارات لا توجد شرعية الآن في حزب الأمة إلا شرعيتكم أنتم. الآن في حزب الأمة لا في مكتب سياسي لا رئيس لا ولا ولا. الآن هذه الوجوه الموجودة هي المسئولة من حزب الأمة. وكي لا يحدث فراغ داخل حزب الأمة لا بد من الإسراع – **عشان ما يحصل انقلاب تاني**- لا بد من الإسراع في تكوين أجهزة حزب الأمة. أصبح حزب الأمة الآن محلولاً، فلا بد من الإسراع في تكوين أجهزة. وقبل أيام تحدث أخ من المجموعة التانية وقال: ضل مبارك المسار، ونحنا بالشفناه اليوم بنقول: أجاد مبارك المسار!" وتلعثم الدكتور نهار بعد ذلك فقد حدث هرج ومرج في القاعة وكثرت عليه المداخلات وصار يقول "والله في رأي علي إنو يُستثنى رئيس حزب الأمة، يا جماعة انتو رأيكم شنو؟" وطال تلعثمه.. ولم يرد في المنصة صرف ولا عدل حول القضية، فلم تحسم حالة الرئيس ولم يُعلم هل حُل أم لا زال رئيسا؟!

لقد كانوا يدركون أنه انقلاب، برغم محاولة إخراجه في شكل مؤسسي وتسميته بالمؤتمر الاستثنائي المنصوص عليه دستوراً. أما البيان الختامي فلم يستطع كذلك حسم مسألة القيادة وإذ نص على (حل كل الأجهزة، ما يسمى بالمكتب الرئاسي، المكتب القيادي، والمكتب التنفيذي). وشكل هيكلاً تنظيمياً جديداً: (المؤتمر العام، الهيئة الفيدرالية العليا، أمانة الهيئة الفيدرالية العليا، المجلس القيادي الفيدرالي، الجهاز التنفيذي (أمين عام ونائب ومساعدين)، الهيئة البرلمانية، مجلس الرأي وتجويد القرار، المجلس التخصصي، منظمة شباب الأمة للسلام والتنمية، هيئات متخصصة (مجلس للبيئة وهيئة لتنمية المرأة)). إلا أنه فوض "المجلس القيادي الفيدرالي بوضع المعالجة المناسبة واللائقة بالقيادة التاريخية".

---

[69] تاج السر شبو- مرجع سابق

القيادة التاريخية كان يعنى بها في خطاب عصبة المشاركة الصادق المهدي رئيس الحزب وعمر نور الدائم الأمين العام المكلف رحمه الله. ومجلسهم الذي كونوه سوف يقرر بشأن "المعالجة المناسبة" لوضعهما.

تتسرب دائماً ابتسامة حرون إليّ وأنا أراجع تصورات جماعة المشاركة إذ يقفز إلى مخيلتي فوراً كاريكاتير للفنان هاشم كاروري حول تلك الأحداث، وهو يصوّر جملاً سائراً في طريقه يمسك بقواده السيد الصادق المهدي، والسيد مبارك يمسك بذيله ويحاول السير في الطريق المعاكس، تصويراً لمثل معروف.

## الانخراط في النظام

في الأسبوع التالي لتجمع سوبا تم إعلان اتفاق بينهم وبين المؤتمر الوطني، جاء في الاتفاق أن "حزب الأمة" أجاز البرنامج الوطني "بالإجماع"، وأن المؤتمر الوطني سيعرضه على المكتب القيادي. البيان الصحفي الذي صدر عقب الاتفاق على البرنامج كان بعنوان "بيان صحفي مشترك بين حزب الأمة وحزب المؤتمر الوطني".

### خلاصة البيان

بعد نداء الوطن كون كل من حزب الأمة والمؤتمر الوطني فريقهما التفاوضي. امتدت المفاوضات على مرحلتين: الأولى من مايو 2000-فبراير 2001م، والثانية من مارس 2001-يوليو 2002م. المفاوضات كانت شاقة وتطلبت التوقف للعودة للمؤسسات والتشاور مع القواعد. ساعد المفاوضات تاريخ التعاون المشترك، الروابط الفكرية والسياسية والروحية، تقدير المخاطر في عالم مضطرب وأطماع متصارعة ونظام دولي تنقصه العدالة والتعايش والسلام. محاور الاتفاق سبعة هي: المرتكزات الفكرية والثقافية، القضايا الدستورية، نظام الحكم والحكم الاتحادي، التأصيل، العلاقات الخارجية، أسس السلام العادل، آليات تنفيذ الاتفاق.

توصل الطرفان إلى اتفاق شامل على "برنامج وطني" فحواه:

1- المرتكزات الفكرية والثقافية: دولة ديمقراطية، مواطنة، الاعتراف بتعدد الأعراق والثقافات، احترام كافة الأديان والمعتقدات، الاحتكام للشريعة واجب على المجتمع المسلم، القسمة العادلة للسلطة والثروة.

2- القضايا الدستورية: تعديل الدستور لإحداث مزيد من التأمين على الحقوق والحريات، تفعيل الأوجه المسكوت عنها (حرية الصحافة- حرية تسيير المواكب..الخ)، تعديل القوانين وفقا للتعديلات الدستورية، التعديلات الدستورية تقدم للمجلس الوطني لاعتمادها، إعادة النظر في الدستور وفق متطلبات اتفاقية السلام العادل.

3- قضايا نظام الحكم والحكم الاتحادي: نظام ديمقراطي تعددي فيدرالي رئاسي، قومية مؤسسات الدولة مبنية على الكفاءة، تقسيم إداري على معايير وطنية. فكرة إعادة تقسيم الولايات تظل قيد النظر، إلغاء المحافظات ودمج المحليات في وحدات إدارية كبيرة تجري وفقها انتخابات المجالس المحلية، إنشاء مجلس تشريعي أعلى بمقاعد متساوية للولايات.

4- التأصيل: يهتدي بمرجعية الشريعة الإسلامية وأعراف وإجماع أهل السودان ويستصحب المواثيق الدولية في مجال حقوق الإنسان التي قبل بها أهل السودان، مراعاة التعدد الثقافي والديني والعرقي، خصوصية الجنوب، يراعي الاتفاق الانطلاق من الشريعة الإسلامية والموروث الثقافي والعرقي واعتبارات الواقع ويتميز بروح الاجتهاد والتجديد والمعاصرة.

5- العلاقات الخارجية: تسعى السياسة الخارجية لتحقيق المصالح والقيم المثلى والالتزام بالمبادئ السامية الواردة في المواثيق الدولية والإقليمية، عدم التدخل في شؤون الآخرين الداخلية، المساهمة في إصلاح المنظومة الدولية.

6- أسس السلام العادل.

7- آلية التنفيذ: تشكيل حكومة برنامج وطني من الطرفين، مع إمكانية مشاركة أي فصائل أخرى تنضم للاتفاق، مشاركة في كافة أجهزة ومؤسسات الدولة من القاعدة للقمة. يشكل الاتفاق نقطة انطلاق لتحقيق الوفاق الذي تشارك فيه كافة الأطراف.

نحن لن نناقش هذا الاتفاق والثقوب الواضحة فيه التي لن تجعله يؤدي إلا إلى التحاق جماعة المشاركة مردوفين في سرج النظام بالخلف، وللمستزيد أن يرجع لكتابنا (الاختراق والانسلاخ في حزب الأمة) ففيه عرض للبرنامج الوطني على مرجعيات حزب الأمة وتبيان تضحيته بها.

بناء على هذا الاتفاق تمت مشاركة الجماعة في السلطة بعدد من المناصب الدستورية، حيث نال مبارك منصب مساعد رئيس الجمهورية، والمرحوم الزهاوي إبراهيم مالك وزيراً للإعلام والاتصالات، ويوسف سليمان تكنة وزيراً للتعاون الدولي، وعبد الجليل الباشا وزيراً للسياحة والتراث القومي، وعابدة يحي المهدي وزيرة دولة بوزارة المالية والاقتصاد الوطني، ونجيب الخير عبد الوهاب وزير دولة بوزارة الخارجية، والفاتح محمد سعيد وزير دولة بوزارة الزراعة، وعبد الله علي مسار والياً لولاية نهر النيل، وبابكر أحمد دقنة نائباً لوالي كسلا، والصادق الهادي المهدي وزيراً للصحة بولاية الخرطوم، وعبد الله عبد الرحمن بركات وزيراً للزراعة بولاية النيل الأبيض، وإبراهيم محمد عبد القادر هباني وزيراً للصحة بولاية النيل الأبيض، وعبد الرحمن أبكر ساجو وزيراً للشؤون الاجتماعية والثقافية بالولاية الشمالية، والفاضل آدم إبراهيم وزيراً للتخطيط العمراني والشؤون الهندسية بولاية سنار، والأمين حسين آدم وزيراً للصحة بولاية النيل الأزرق، وإبراهيم آدم إبراهيم وزيراً للصحة بولاية شمال كردفان، وصلاح بريمة نمر وزيراً للتربية بولاية جنوب كردفان، والتجاني عبد الرحمن بشارة وزيراً للتربية بولاية جنوب دارفور، والصادق المليك وزيراً للصحة بولاية البحر الأحمر، وحامد علي حماد وزيراً للزراعة بولاية غرب كردفان، وصديق محمد توم معتمداً لمحلية الفاو بولاية القضارف، والطيب الوسيلة أبو ذرة معتمداً للقطينة بولاية النيل الأبيض، والهادي حامد بيتو معتمداً بالرئاسة بولاية جنوب دارفور، وأميرة يوسف أبو طويلة مساعدة الأمين العام لمجلس الصداقة الشعبية.

أما بالنسبة للحزب الجديد فقد سمي السيد مبارك رئيساً له وللمكتب القيادي الفيدرالي، والمرحوم الزهاوي إبراهيم مالك نائباً للرئيس، والدكتور أحمد بابكر نهار الأمين العام.

دخل مبارك ومن معه بأفكار عظيمة عن مقدرته على التحالف مع العسكريين وإزاحة رؤوس الجبهة الكريهة. ولا زلت أذكر في لقاء اجتماعي جمعنا كيف كان يتحدث عن إمكانية التنسيق

والتحالف مع البشير والعسكر وإزاحتهم، وتحدث عن علي عثمان محمد طه باعتباره شخص لا رأي له وإذا طرح أمر لا يتحدث. لم يكن يعلم أنه (تسالي) بالنسبة للحوار الذي دحر شيخه. وسنرى كيف أن تلك الآمال العراض راحت "شمار في مرقة".

في أغسطس 2002م، تم تفاهم بين جماعة سوبا والنظام ليجري تعديل في قانون الأحزاب يسمح لهم بممارسة سياسية باسم حزب الأمة، إذ نص على أنه يسمح للأحزاب التي كانت ممثلة في الجمعية التأسيسية الديمقراطية عام 1986م بممارسة عملها بعد إيداع وثائقها المرجعية.

كانت "الأحزاب التي تمارس نشاطها بالإخطار فقط أكثر من تلك التي قبلت بالتسجيل وفق القانون في حين تبلغ الأحزاب التي كان لها تمثيل نيابي قبل يونيو 89 عشرة فقط هي التي أعطاها التعديل الأخير الفرصة لممارسة النشاط السياسي والانتخابي من غير تسجيل أو إخطار ولكن مع شروط أخرى يراها بعض السياسيين أكثر تقييداً من الإخطار والتسجيل معاً.[70]" وقد كان ذلك التعديل مباشرة بعد الانسلاخ المذكور، ورأى الحزب أن التعديل إنما عمل ليشرعن عمل المنسلخين وقد سارعوا بذلك، كما تسربت للحزب مطالبات عصبة المشاركة بأن يتم الاعتراف بهم رسمياً باعتبارهم حزب الأمة وبالتالي يسلموا دار الحزب وكل ممتلكاته، وأن يعتبر حزب الأمة الذي خرجوا عليه حزباً محلولا غير شرعي.

كلف السيد الصادق حينها قطاع الدراسات والبحوث بالحزب بإعداد وثيقة الشرعية التي توثق لحزب الأمة: وثائقه الأساسية، أجهزته، مؤتمراته،وقياداته وغيرها، (توضيحا للرأي العام السوداني ودحضا للادعاءات المغرضة)[71]. وقد تعاونا في مكتب الإمام الخاص للحبيب الإمام الصادق المهدي مع قطاع الدراسات لإعداد الملف الذي حوى الوثائق المطلوبة للإيداع لدى المسجل، وكانت تشمل أيضاً نواب الحزب في البرلمان في 1986م، وقوائم بهيكله القيادي وشاغليه، وقد أطلق على الملف عنوان (صحيفة الشرعية) تم فيه تبيان تمثيل حزب الأمة للكيان الحزبي التاريخي الذي فاز بمقاعد الجمعية التأسيسية في 1986م، بمسمى حزب الأمة القومي، مع وجود مسميات أخرى فشلت على الدوام في مقياس الجماهيرية. فصار الحزب في مضابط مسجل الأحزاب باسم حزب الأمة القومي، بينما اتخذت العصبة مسمى (حزب الأمة)، وخاب مسعاهم في استخدام السلطة لوراثة الأمة القومي.

كتب السيد الصادق للمشير عمر البشير في أغسطس 2002م خطابا جاء فيه:

*(إن للحوار أعراف وتقاليد مرعية أهمها:*

- *الاحترام المتبادل لطرفي أو أطراف التفاوض.*
- *عدم التدخل في الشئون الداخلية لبعضها بعض .*
- *إخضاع ما يعقد من اتفاق للضوابط المعهودة.*

*إن لحزبكم والنظام حقه في إبرام ما شاء من اتفاقيات مع من شاء من أطراف على ألا يكون في ذلك مساس بحقوق الآخرين.*

---

[70] البيان الإماراتية – العدد 11 سبتمبر 2002م

[71] من خطاب لرئيس قطاع الدراسات والبحوث د عبد الرحمن الغالي الى رئيس المكتب السياسي د آدم مادبو يطالب بقائمة أعضاء المكتب السياسي بعد خروج المنسلخين، أغسطس 2002م

*لقد اتخذ حزب الأمة قراره رقم 122 في جلسة المكتب السياسي رقم 55 بتاريخ 2002/4/4م، الذي أمن فيه على قرار الحزب في 18 فبراير 2001م، وطالب فيه بأسس معينة لإبرام الاتفاق. إن إبرام أية اتفاقيات مع طرف كلفه حزب الأمة بالتفاوض بالوكالة على أنه اتفاق مع حزب الأمة يمثل تعدياً غير مقبول على حقوق حزب الأمة. لقد أصدرتم أمراً جمهورياً مؤقتاً بتعديل قانون الأحزاب السياسية. كنا ولا زلنا نطالب بأن تسبق هذه الإجراءات مشاورات جادة مع الأطراف المعنية ليؤخذ رأيها في الحسبان. ومع ذلك فإن الجزء الخاص بالاعتراف بالقوى السياسية التي كانت ممثلة في الجمعية التأسيسية يرد لها بعض حقوقها السياسية وهو إجراء صائب، كنا قد اقترحناه مراراً ونقدر استجابتكم له. ولهذا الإجراء تبعاته لأن لهذه التكوينات السياسية نظماً. إن لحزب الأمة أجهزة انتخبها مؤتمره العام في 1986م، وله هيئة برلمانية انتخبت في عام 1986، وتأسست على تلك التكوينات نظم وسياسات غطت العمل السياسي حتى يومنا هذا. إن الاعتراف بالقوى السياسية التي كانت ممثلة في الجمعية التأسيسية المكونة عام 1986 يوجب الاعتراف بنظمها وسياساتها المقررة بوسائل شرعية لكي تجري الممارسة وفق ما اقتضاه القانون. إننا نتطلع أن تراعي الممارسات والمعاملات حقوق الآخرين كما بينها العرف السياسي وأيدها القانون)* [72].

المهم، لم يفلح المؤتمر في إثبات شرعيته، ولا في قبر حزب الأمة ووراثته.

## الشعارات والشعر

ولنأت لجانب نسوقه لطرافته برأينا وهو شعارات المؤتمر وشعره والحقيقة برغم ما كان من غبن سببته أفعال تلك الجماعة العدوانية، فنحن لا نخفي أننا ضحكنا كثيراً ونحن نتابع هذا الجانب في المسرحية[73].

عقد المؤتمر تحت شعار: "حزب الأمة من أجل الإصلاح والتجديد والتحديث في حزب الأمة"، كان ذلك هو الشعار خلف المنصة في قاعة سوبا، أما الشعار خلف المنصة في قاعة الصداقة فكان "من أجل النماء والوحدة والبناء".. وهذه أول مرة نرى فيها محفلاً يغير شعاره هكذا من مكان إلى مكان، ولعله إتباع أعمى لمقولة "لكل وقت ومقام حال". تعليق إضافي أن الشعار الأخير يشبه كثيراً شعار مؤتمر الحزب الرابع بأسمرا الذي كان "معاً من أجل التحرير والوحدة والبناء"[74] مع تغيير التحرير إلى النماء وأحسب أن ذلك باعتبار أن التحرير قد تم إنجازه أو باخ طعمه.

الشعارات المكتوبة على جدران قاعة المؤتمر منها: لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال، الرأي قبل شجاعة الشجعان.. هو الأول وهي المحك الثاني[75]، الهجرة إلى المستقبل بالإصلاح والتجديد، من أجل الديمقراطية والتنمية والسلام. أما الهتافات داخل المؤتمر فقد

---

72 تطرقنا للتعديل في قانون الأحزاب ضمن المؤامرة على حزب الأمة في الباب السابق

73 كانت جماعة جيش الأمة اخترقت المشاركين ببعض أفراد الجيش الذين كانوا في مواقع تنظيمية للمؤتمر، وقد سلموا الأمير عبد الرحمن الصادق نسخاً من فيديوهات المؤتمر كلها وقد حولها لي، فعكفت عليها وفرغت كلماتها وأشعارها، وكانت بحق دراما عبث وأحياناً تلامس الكوميديا.

74 أنظر في ذلك حزب الأمة- وثائق المؤتمر الرابع – أسمرا 30 يناير 1998 – منشورات الأمة مرجع سابق

75 البيت هو: الرأي قبل شجاعة الشجعان     هو أول وهي المحل الثاني

ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران مما يناقض شعار (التطوير ولا التنظير).

كان منها: شارك ..شارك يا مبارك، للتجديد مبارك.. للإصلاح مبارك.. للحرية مبارك.. ديمقراطية مبارك.. مية المية مبارك، نحن انصارك يا مبارك، قيادة جديدة يجب تأييدها، مناضل مناضل يا ابن الفاضل، قائد قائد يا مبارك، لا قداسة مع السياسة، سير سير يا مسار، حزب الصادق غير صادق، التطوير ولا التنظير، لا تبعية ولا تقليد حزب الأمة للتجديد، التكبير والحمد..الخ

أما شعر سوبا 2002م فقد كان محاولة لاستحضار جانب أصيل في كل محافل الأمة، إذ لم تخل تلك المحافل أبداً من قصائد مصاحبة وشعراء وفنانين وأحياناً حتى معارض فيها من الفن والتاريخ وغير ذلك. فالحزب كجزء من هذا الوطن بالغ الشعرية غني جداً من هذه الناحية، بل في بعض بقاعه (مثلاً العكد في ولاية نهر النيل، وتنوب في الجزيرة المروية) يكون الجميع تقريباً رجالاً ونساءً وأطفالا من رواة الشعر أو حفاظه أو مؤلفيه.

ومع أن الأشعار في مؤتمرات الأمة تتخلل الجلسات الاحتفالية :الافتتاحية والختامية فقط، فقد تخللت الأشعار في سوبا تقديم بعض الأوراق. والملاحظة الأولى أنه لم يحضر أياً من شعراء ومادحي الحزب والكيان المعروفين، وكان الشعراء مجهولين على الأقل على مستوى المركز، والشعر نفسه كان ركيكاً في غالبه، نذكر من تلك الأشعار.

**شاعر أول:**

**السلام عليكم جملة هــذه الأحــرار**
**وعلى رأسكم السيد مبارك والدكتور نهار ومسار**
**نحن الأنصار جميع وما فينا كبار وصغار**
**لكن يجب أن ناخد حقنا كامل طالما عندنا الأفكار**
**ما كان لينا فيه نصيب أبدا**

**دايرين تجديد دايرين إصلاح**
**دايرين تعويض للزمن الراح**

**شاعر آخر:**

**حزب الأمة مــن ما قام**
**حزبا يدعو للوحدة ويوقدها تمام**
**مبارك الفاضل كفؤ لقيادة الحزب وأمين**
**حفيد المهدي اللي كان لي وطنا أمين**
**نحن وراه لا بنخضع ولا بنلين**

**شاعر ثالث:**

**ديل الانتظار معاهم ما بنفع**
**الجد في مكان الجد**
**شهر واحد حقوقنا نمسكها في اليد**
**يا كل زول يشوف ليه جحر وينسد**

كل تلك الأشعار كانت في الجلسة الأولى، ويتضح أن القيادة محسومة ومسألة المشاركة أيضا محسومة، وقد اتضحت هذه النتائج المفترض أن تكون نهائية منذ الجلسة الأولى أيضاً في كلمات الوفود المشاركة من الولايات.

وفي الجلسة الثانية، حين تقديم ورقة مبارك المهدي (العلمية) هلل الناس فأتى شاعر بمداخلة شعرية:

**ود خليفة المهدي.. البي هداك للعالمين تهدي!**

إلى أن قال:

**لي صالح الوطن كل الصغير ما لامنا**
**أيدناك يا عمر البيه تم مرادنا**

ومع أن الجلسة (علمية) فلم يسأل أحد الشاعر من هو ود خليفة المهدي؟ ثم من هو "عمر" أهو "البشير" أم ابن الخطاب؟

ما علينا.. أهو شعر والسلام، شعراء من النوع الذي لا تستحي أن تصفعه.

القصيدة الوحيدة التي يمكن تصنيف شاعرها مع الخائضين وسط المعمعة، هي قصيدة الشاعر بشير أبو شورة وهي طويلة، منها:

**اطلعنا على الأوراق في الوضع الراهن قديم وجديد**
**ننحاز لي الوطن ولي عـــــزة حزبنا نعيـــد**
**السودان عـــموم شرق وغرب شمال وصعيـد**
**بهنيك يا مبارك والتجديـــد بخيت وسعيـــد**

**أنقذت الحزب خليتو صـــف مرصـــوص**
**يا ابن العلي كفـــو الكهانـــة تبـوس**
**حزب الأمة بي عيـــن الإلـــه محـروس**
**ما يضيع بي وراك ما دام انتـــو ليه رؤوس**

**إحنا غير السلام والوحدة شن دايريـــــــن**
**والإصلاح والأمن والتنمية في السودان شمال ويمين**
**كيف نبعد بعيد نتجمد نقـول حايريــــــن**
**وأنصار الله في كـل البـــلد نايريـــن**

**نهج الشورى ليه ناباه ليـــــه نتعمـــــد؟**
**من التنمية والإصلاح للوطن ليه يصبح حزبنا مجمد؟**
**تجديد المسار سنة نبيـــــــنا محمـــد**
**وعلى هذا النهج نصبح كالجبـــال نتصمـــد**

**في السودان عموم في البـــر والحضر والريف**
**نفخـر بي سلام بي تنميـــة وتشريـــــف**

ما بهددنـــا تيار الرهـــــــد والزيـف

مبارك البحر الطمـــح في قيوفو ماشي بهدَر
الري الدفـر عم وخريــف ومبـــــدَر
لي الســـودان عموم يعمل حســاب ويــقدر
والبوطاها كان جاهــا المطـــر ما تخــدر!

عندو الجود مـــوفر والكـــرم والقيمـــة
مبارك عزة لي حزب الأمـــة قوية وقيمة
غابة تلبد الخايف عملـــو جريمـــــة!
تعتـــز بيه فاطمة وتفتـــخر بي حليمـــة

قيادة الحزب راجيـــاك من قديم ورياسة
فيك عزة رجال هيبـــة وجـوه وفراســة
أنصارك عموم ياك عزها ونصرها وياك راسها
طير ما بجيها إت ياك فارساها وحراسهـا

بعيدة مسافتو إن قسنا الجـدود بي جـدو
وراه رجال ياهم دول لي كل البلد بتحـدو
كريم بي دارو باسط للمساكين يـــدو
باب لي الغيرو بي طبلة وشمع بنســدو!

حزب الأمة من ما قام ما لقى الفجريـــة
راجيانا الفراسة من زمن الجدود فطريـة
نشارك بل نشارك دون جهجهة وسخرية
وإن جات لي الوطن نحن أخوان سعاد ورقية

لا شك أن هذا الشاعر يعلم موجهات سوبا الظاهرة: المشاركة، والتجديد. والخفية: قيادة الحزب لمبارك وتكريس انفراده بها: باب لي غيرو بي طبلة وشمع بنسدو.

ومع أنه أجود الشعر في سوبا، فقد أضاف بعض المعاني الوحشية التي تستحق المراجعة! ولكن للأسف لم تكن نبوءاته صحيحة، إذ قال: نشارك دون جهجهة وسخرية، وسوف نرى.

وقد زارنا آنذاك، في أغسطس 2002م، العم السر قدور في مكتب الحبيب الإمام الخاص مستنكراً إصداري لكتاب "الاختراق والانسلاخ" وقال إن هؤلاء لا يستحقون كل هذا الاهتمام، فقلت له تختلف الآراء وأنا من الذين يظنون أن تبيان الحقائق مفيد توثيقاً للأجيال، ثم سألته فقط أن يطلع على الفقرة المختصة بالشعر حتى يعلق لي ويضيف ما جهلته وقد أضفت فقرة تعريفية بشعر الأنصار وحزب الأمة، وقد فعل مشكوراً ببعض التعليقات.. لكنه في الفقرة المتعلقة بشعر سوبا لم يصمت عن ضحكته المتقطعة المميزة أبداً.. ولدى البيت: عايزين تجديد

عايزين إصلاح عايزين تعويض للزمن الراح، قال لي أضيفي هنا: دايرين كسرة ومعاها ملاح! وهي موزونة كما ترون مع القافية ومع معناها.

## الرد الشعري على سوبا

في المقابل استمطرت حادثة سوبا والغدر المستبطن فيها أشعاراً كثيرة من شعراء الكيان، ولعل أبرزها قصيدة الشاعر خضر عرمان وفيها:

**قالوا الخلاف قالوا الشقاق قلنالا لا يهدا الطريق**
**محفــوف مخاطـــــر أغلبو ولسة قدامك غريق**
**ما تشتهي السلطة أم زوال ما يغرك المال والبريق**
**يكفيك صادق كلو عز مجدو التليد واصلو العريق**

**ما دهاك ودر نهاك كونتي للفرقــة الفريـــق**
**بتطاولي قائدنا البطل القام وصام ما فك ريــق؟**
**حقيقة ما بسمع نواح الصايحين ميت غريــق**
**نوع الجزا نفس العمل خوفي عليك من الحريق**

**الصادق الصديق برز بي كل عظيم أجدر خليق**
**ما كاجرو ما زاجرو إلا المشاتــر والشليــق**
**البينو بين الدنيا حال ما بين مطلق والطليــق**
**والله غيرو ما بندور من كونو غيرو ما بيليق**

**أرجع مكانك يا فتى راجع حسابك كون رفيــق**
**دفقت مويتك لي السراب مسكت في الخيط الرقيق**
**سوي التقى زاد السفر ما تهنا بي أكل الدقيق**
**ما تفوتك العبرة الزمان هابيل سفك دم الشقيق**

**يا الكنا قايلنك ركن أصحى انتبه جيد وفيــق**
**ركّز لبابك إن سها ثبت جنانـــك من خفيــق**
**شن لينا والسيد حريص والناس مراعيها وشفيق**
**بنسير ورا ونوم قفا لينا الدليل نعم الرفيــق**

**قال ليك خضر يا من وعا كل البشيق لــي ما بشيـــق**
**صرف الدهر كل يوم في شان والكان ظعن لا بد يشيغ**
**أكرب حزامك لي الجهاد خليك مدرب زول رشيــق**
**عد الوطن معشوق هواك ما خان صحيح ريدو العشيق**

وقال بشير عثمان في قصيدته "مساك الدروب":

**يا الزعماء اللكان زعماء وباعوا الغالي**

**وأصبحوا لا فكر لا رأي وراسهم خــالي**
**زي موية الرهاب الما بتتطلع عـــالي**
**مساك الدروب فضل يكون متـــوالي**

ورداً على دعاية العصبة من أن القيادة عاجزة ومفلسة لا تستطيع تمويل عمل الحزب قال:

**ما هماك كتير كان تعدم التعريفـــة**
**يا نسل الكرام نفسك عزيزة شريفــة**

وقال:

**قسما كان نساوم ونقبل الدولار**
**السما بتتكي ويلينن الحجـــار**

المكي مصطفى بعد مؤتمر سوبا قال قصيدته (أنا أنصاري) حيث تعرض لنفس المعنى ومعانٍ أخرى:

**أنا ما يسوي غراق الحجـرة ... وما يثنينـــي الزمن الطوّل**
**زادي الراتب اصبح أمســـي ... من المولى النجـدة بتوصل**
**وبكرة تزول الظلمة الحالكـة ... وفجر العز في الكون يتهلل**
**صابر صبر أيـوب القـــدوة ... ما بتبـــاع في السوق اتدلل**
**الأرزاق من الله الـواهـــب ... والمقسومة من الله بتحصل**

وقال أحد شعراء العكد الشباب استهزاء بعصبة سوبا باعتبارها (بغاث الطير) وقد زعموا إزالة الصادق:

**عاهدنـاك لأنك محب للخير**
**وفي شدة ضلام الليل تكون قنديل**
**ومن حر الشمس غيمك تفردو ضليل**
**عاهدناك نحن انصار ولاية النيل**
**نحميك من صقور الجو**
**خليك من بغاث الطير**

وقال الحبيب محمد صالح سليمان من الحديبة:

**يــا قاصد الخراب شوفلك غرابا جزّو**
**والجبل الأصم شفتو الهبوب بتــهزو؟**

والحقيقة إنه كان شعرا غزيرا وجزء كبير منه جيد، بيد أني بعيدة من إرشيفي أثناء هذه الكتابة، وسوف أوثق لتلك الأشعار بإذن الله في جزء قادم. ونحن نرى أن بعضاً مما حذر منه أولئك الشعراء ذوو البصيرة قد حدث، مثال ذلك ما قاله خضر عرمان: نوع الجزا نفس العمل.. خوفي عليك من الحريق. فقد كان جزاء مبارك من جنس عمله، إذ عصته جماعته وحلت تنظيمه وكونت تنظيمات ظلت فيها مشاركة في النظام بعد رفته من منصبه كمساعد لرئيس الجمهورية كما سوف نرى. كما أنه تلاشى كقيادة قدمت مجاهدات سابقة في طريق الحريق.

## الأثر على الجماهير

تتالت الوفود المنددة بالاختراق من كافة بقاع السودان. بدءاً بوفد منطقة الدالي والمزموم والذي زار السيد الصادق في اليوم السابق للمؤتمر، وأكد أن جماعة من الانسلاخيين زارت منطقتهم

ودعتهم للمؤتمر، ولكنهم أحسوا برغم التأكيد على حضور رئيس الحزب أن المؤتمر خارج الشرعية والمؤسسية، فرفضوا تلبية الدعوة وأتوا لتأكيد وقوفهم خلف الشرعية.
ثم وفد الجبلين الذي حضر للمؤتمر ورفض الدخول بعد معرفة تفاصيله ثم زار السيد الصادق لرفع تأييده. ومن ذلك الوفود التي أتت من شندي والمناقل، والزيادية، وسنار، والحصاحيصا وكل قرى الجزيرة[76] ورفاعة (البطانة)، والمعاليا، والمسيرية، والجزيرة أبا والقرى المجاورة، وتندلتي، وكنانة وربك وكوستي. لقد حدث استنفار كبير بين عضوية الحزب أشبه بالانتفاضة، رفضاً للأسلوب الانقلابي وتأييداً للمؤسسية. كما تتالت المذكرات من داخل وخارج السودان من أجهزة الحزب المختلفة: من جدة، والطائف، والهفوف والرياض بالسعودية، المملكة المتحدة الأمانة العامة للحزب، الحزب ببريطانيا، مذكرة حزب الأمة بالخليج، حزب الأمة بشرق إفريقيا، وسلطنة عمان، والإمارات، ومصر، الولايات المتحدة وكندا، وولاية كارولينا بأمريكا، والطلاب في باكستان.
ثم تبرأت منه الجماعة التي كانت تقود العمل المعارض بالخارج في عقد الإنقاذ الأول من قيادات الحزب في مذكرة مقدمة للسيد الصادق المهدي مبتدرة بالآية : **(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ)**[77]. وقد كانت المذكرة الأربعينية تعول على أن تكون قيادات العمل المعارض بالداخل والخارج (مع الرئيس والأمين العام وقياديي الداخل) الشرعية الثورية للتغيير.
أما قيادات الداخل التي تصدت للعمل المعارض في عقد الإنقاذ الأول فقد عزلت في غالبيتها الساحقة المؤتمر واعتبرته دعما للأجندة الشمولية.
وقد تتالت المذكرات والبيانات من مختلف مؤسسات الحزب وأجهزته في الولايات: في القضارف، والحصاحيصا، وعمال عطبرة، وحزب الأمة نهر عطبرة، والحزب والكيان بولاية نهر النيل، والضعين، وبارا، وكسلا، والدلنج، والنهود، والأبيض، الجزيرة أبا، وبابنوسة، وحلفا الجديدة، ومليط، والعالياب، والعبيدية، وشمال كردفان، وود الحداد، والبطانة، وجنوب كردفان (أبوجبيهة والرشاد وتلودي)، والطلاب حزب الأمة في جامعات كردفان، القرآن الكريم، الدلنج، غرب كردفان، وجامعة السودان بالأبيض، وطلبة دارفور (جامعات زالنجي والفاشر ونيالا)، وغيرها كثير لم يرصد.
وكان أبلغ أثر هو إعلان بعض الولايات أنها ستتكفل بترحيل وإعاشة عضويتها المصعدة للمؤتمر العام حين عقده. ثم إعلان فرعية الحزب بالرياض أنها جمعت في اجتماع واحد مبلغ 78 ألف ريال سعودي من عضويتها لتمويل مؤتمر الحزب العام وهي تسعى لإكمال الرقم حتى مائة ألف ريال سعودي، في إطار الرد على مؤتمر الزور.
وأعلن الكثيرون أفراداً وتنظيمات عن تبرعات غطت تكاليف المؤتمر العام لعام 2003. أليس وعد الله حق ؛ **(وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)**[78]؟
كذلك الأحزاب السياسية السودانية وقفت إلى جانب الحزب مؤازرة شرعيته ومستنكرة انقلاب سوبا. زار السيد الصادق وفد من الحزب الاتحادي الديمقراطي، ومن القوى المعارضة: السيد

---

[76] منعت سلطات الأمن هذا الوفد من دخول الخرطوم فخاطبه على الحدود الدكتور عمر نور الدائم والسيد بكري عديل.
[77] سورة الفتح الآية رقم **(10)**
[78] سورة فاطر الآية رقم **(43)**

غازي سليمان عن حركة جاد والسيد الحاج وراق عن حركة حق والسيد عبد العزيز دفع الله عن قوات التحالف، عبروا عن مؤازرتهم لحزب الأمة في وجه مؤامرة السلطة ضده.
الصحافة السودانية وقفت بوعي وكشفت هدف المؤتمر وهو تبرير المشاركة بدون ضوابط وطنية. وكان الغالبية العظمى لكتاب الأعمدة يقفون لصالح المؤسسية والشرعية في الحزب. بل لقد صدر أدب رصين شارك فيه صحافيونا الوطنيون. ومرة أخرى لم تجد هذه الجماعة دعماً إلا من الصحف حكومية الطابع والنفس.
استمطر مؤتمر سوبا وما تلاه من أعمال وأقوال جماعة المشاركة كتابات فضحت زورها وركاكتها، بل وهزئت منها كما لم يُهزأ بمناسبة سياسية في الماضي القريب.. وعلى المغالط مثلاً أن ينظر "كاريكاتيرات" كاروري وعز الدين، أو يقرأ تعليقات الحاج وراق، عبد الحميد عوض، تاج السر شبو، د.صالح عبد القادر صالح، د.عبد اللطيف البوني، صلاح الدين عووضة، خالد فضل، حيدر المكاشفي، محمد المكي إبراهيم، محمد عبد السيد، نور الدين مدني، الطيب زين العابدين، عبد الله رزق، عبد الله آدم خاطر، محمد لطيف، لبنى أحمد حسين.. والقائمة لا تنتهي.
أما المقالات والأقلام التي كتبت لصالح ما حدث في سوبا على قلتها كانت تستبطن الوقوف لصالح الانخراط في الإنقاذ وإن أظهرت غير ذلك. وقد ضاعت تلك الظلمات بين أنوار الكتابات الكاشفة.
ولكن ظل مبارك الفاضل منذها وحتى الآن محلقاً حول حزب الأمة يريد أن يطفئ ناره راضياً أن يكون مخلب قط لأعداء الأمة والأنصار، ناسياً وعد الإمام المهدي الحق: ناري هذه أوقدها ربي، وأعدائي حولها كالفراش، كلما اقتربوا منها أحرقوا بها وصار أمري فاش.

## اختراق المخترقين

بدأ المؤتمر الوطني ممارسة أساليب الاختراق داخل المُخترقين! دخلوا من عيوب تلك الجماعة التي سمحت لنفسها أن تكون مخلب قط للعدو على حزبها الأصيل، وكما قال نزار قباني: **لم يدخل الأعداء من حدودنا.. لكنهم تسربوا كالنمل من عيوبنا.**
والنتيجة أن حزيبهم الذي خرجوا به تحول خلال بضع سنوات إلى سبعة أحزاب، وسوف نرى.
فبعد فترة قصيرة من تكوين الحزب الجديد بدأت الخلافات تدب بين مبارك وزملائه فيه، واختار أن يكون الحل بالمقص إحلالاً وإبدالاً. وسنرى كيف أن زملاءه استنسخوا في ذمه كل ما كشحه، في وجه السيد الصادق وزادوا صنوفاً أخرى.
أول مشهد كان مع أمينه العام الأول. أحمد بابكر نهار.
رواية مبارك أنه خيره ما بين منصبه كأمين عام للحزب أو منصبه الوزاري، مع أن التنصيب الوزاري كان بعد اختياره أميناً عاماً. فدعا لاجتماع بتاريخ 17 أغسطس 2003م للمجلس القيادي الفيدرالي تم فيه عزل نهار وتنصيب أحمد عقيل بدلاً عنه. وفي مؤتمر صحفي تلا الاجتماع بقاعة الصداقة أعلنت تلك القرارات.[79]

---

[79] انظر/ي صحيفة الراي العام في 18 أغسطس 2003م

رفض نهار القرار، وصرح بأن قرار المجلس الفدرالي يدل على تكريس رأي الفرد وغياب الديمقراطية والشورى وفهم السيادة والتبعية العمياء. وأكد وجود خلافات أساسية وجوهرية مع مبارك الفاضل وقال: كان يريدني أن أكون تابعاً له ولكني رفضت ذلك[80]، وقال إنه تحدث أكثر من مرة مع الفاضل حول تصرفاته الفردية ودعاه إلى أن يتخلى عنها. وقال إن اجتماع عزله كان مرتباً من وراء ظهره كأمين عام للحزب، فلم يكن يعلم بالاجتماع رغم أنه المسئول عن الدعوة، ووصف ذلك بأنه عملية احتيال وتصرف فردي، وأكد أن حزبه سيواصل ثورة التجديد والإصلاح، وأنه سيستمر في إقالة كل عثرة تواجه الحزب.[81]

وفي مؤتمر صحفي عقده نهار يوم 18 أغسطس بدار الحزب بأم درمان غطته العديد من الصحف متحدثة عن خلافات امتدت لأشهر داخل الإصلاح والتجديد وابتكار قادة الحزب نوعاً جديداً من الحرب بالتعيينات المتبادلة، حيث حشد كل من رئيس الحزب وأمينه العام مناصريهما داخل القاعة وفقاً لتعيينات رسمية، مع رصد الهجوم الذي شنه نهار في المؤتمر مؤكداً تمسكه بمنصبه، وحشد مناصريه الذين نفذوا اعتصاماً بمقر الحزب وهم يرددون «لن تنهار يا نهار» و«خائن خائن يا مبارك» و«الويل الويل يا عقيل» و«قرارك باطل يا ابن الفاضل».[82]. وقد أكد نهار بأنه لن يعترف بالاجتماعات التي تعقدها مجموعات مبارك تحت حراسة الأمن والشرطة، متهماً مبارك الفاضل بارتكاب "جملة من الأخطاء التي أعاقت نشاط الحزب خلال الفترة الماضية والعمل لصالح أجندة غير معروفة بحكم ارتباطاته الخارجية".. وقال "إن الثورة التي بدأت الآن لن تنطفئ نارها قبل أن تقتلع جذور الأسر التقليدية والبيوتات"، مشيراً إلى أن مبارك "بدأ يتخطى أجهزة الحزب ويتخذ قرارات لا يوافقه عليها أحد حيث رفض فكرة دخول الحزب في الانتخابات، وخلق أزمة مع حزب المؤتمر الوطني، فضلاً عن تزوير البيانات باسم الحزب وترشيح أقربائه للمناصب الوزارية، والاتصال بقرنق سراً، فضلاً عن انفراده بالمال لإرضاء ضعاف النفوس بالترهيب والترغيب". وقال "إننا ارتكبنا ذنباً بتعيينه رئيساً للحزب".

ووصف نهار مبارك بالديكتاتور المتآمر، وحمله مسؤولية ما وصل إليه الحزب، وهدد باتخاذ قرارات في مواجهته، وأعلن في الوقت نفسه تكوين لجنة لإدارة دار الحزب والشروع في تكوين أمانات جديدة بعد مشاورات يجريها مع ممثلي الولايات. وقال إن الفاضل أخذ كل السلطات السياسية والمالية والإعلامية بالحزب في يده، بجانب انفراده باتخاذ القرارات وتعيين الوزراء والمعتمدين والولاة التابعين للحزب في الجهاز التنفيذي دون التشاور مع أجهزة الحزب، إضافة إلى استمالته لبعض أعضاء الحزب من خلال رفدهم بالمال أو المناصب أو تهديدهم حتى يساعدوه في إنفاذ مخططاته. وقال إنه وافق في لقاء جمعه بمبارك على التنازل عن الأمانة العامة، شريطة اختيار أمين عام يتفق عليه الاثنان مع منحه كافة الصلاحيات خاصة ما يلي النواحي المالية. وقال وسط هتافات من مناصريه تطالب بعزل مبارك الفاضل،

---

[80] السابق

[81] نهار وصف القرار بالعشوائية والديكتاتورية، صحيفة الصحافة، تقرير إسماعيل حسابو، 18 أغسطس 2003م

[82] أمين الحزب يرفض قرار اقالته ويعتصم بالمقر: تفاقم أزمة الانشقاق بمجموعة مبارك الفاضل، الثلاثاء 19 اغسطس 2003

«سنحدد مسيرة الحزب ومن يقوده»، و«بعد تنظيم القواعد سنعقد مؤتمراً للمرة الثانية» . ونفى أي اتجاه لتقديمه استقالته من منصبه كوزير للتربية والتعليم، وأشار إلى أن فصل مبارك الفاضل من الحزب أمر متروك لقرار يأتي من قواعد الحزب.

وكشف نهار عن تلقى الحزب دعماً من جهات عديدة، لكنه لم يسمها. وتعهد أمام مناصريه بالتضحية من أجل الحزب «لقلع جذور الاستبداد ودك البيوت التي تدعى القدسية والألوهية» . [83]

اتهمت مجموعة مبارك الحكومة بالتدخل في الانشقاق ولوحت "باحتمال انسحابها من الحكومة واتجاهها لمقاعد المعارضة إذا ثبت لها ضلوع الحزب الحاكم". وقال قيادي مقرب لمبارك إن حزبه لديه معلومات مؤكدة عن مساندة مجموعة داخل الحكومة والحزب الحاكم لمجموعة نهار، "ولكننا الآن في طور التقصي إذا ما كانت هذه المجموعة تمثل الخط العام للحزب الحاكم أم أنهم مجرد أشخاص يمثلون أنفسهم فقط"، وهجمت المجموعة على تكتل شمولي داخل الحكومة يعمل على إعاقة عملية السلام والتحول الديمقراطي تخوفاً من فقدان مناصبهم ونفوذهم إلا أنه أمتدح الرئيس البشير، باعتباره الأكثر جدية في مساعي السلام والوفاق مع محاولة بعض كبار مساعديه إجهاض هذه المساعي. [84]

المؤتمر الوطني من جهته أتقن اللعبة للغاية، فقد تدخل للوساطة! وكشف عن قيادة أمينه العام بروفيسور إبراهيم أحمد عمر جهوداً لتقريب الشقة بين مبارك ونهار وأنه اجتمع مع كل منهما على حدة. هذه كانت أولى إرهاصات "فرقزة التسالي" لعلي عثمان محمد طه، تلكم الداهية الذي استخف به مبارك في غفلته.

من جهته انتقد مسار مبارك الفاضل واتهمه بالقيام بالعديد من التجاوزات. وأوضح أنهم يرفضون تحويل الحزب لشركة خاصة يديرها "سيد" نافياً أن تكون مجموعته قد وجدت أية مساندة من الحكومة. [85]

وكان من أوائل المعلقين كباشي الصافي النور إذ كتب متسائلاً: هل كان دكتور أحمد بابكر يتوقع خيراً من مبارك وهو الذي عضّ يد السيد الصادق، اليد التي رفعته من اللا شئ إلى أعلى المراتب؟ ما هو الغريب أن يقدم مبارك أهله للوزارة والاستوزار طالما تجري في عروقهم الدماء الزرقاء؟ ثم قال ناصحاً لنهار: ارجع لقواعدك سالماً والرجوع للحق فضيلة فمؤهلاتك وجهادك وفضل والدك عليه رحمة الله، بعد فضل الله، سيجد من السيد الإمام الصادق كل التقدير [86].

الشاهد، لم يسفر توسط إبراهيم أحمد عمر المشار إليه أعلاه عن شيء، فهو من دارج أفعال المؤتمر الوطني (يقتلون القتيل ويمشون في جنازته). وذهب نهار ومن معه بحزبه (حزب الأمة الفيدرالي).

---

[83] نهار يشن هجوما على مبارك، الخرطوم- التجاني السيد، أغسطس 2003

[84] مجموعة الفاضل تتهم مسئولين حكوميين بمساندة المنشقين، صحيفة البيان الإماراتية، أغسطس 2003م

[85] صحيفة البيان الإماراتية، أغسطس 2003م، السابق

[86] كباشي الصافي النور، ألمي حار ولا لعب قعونج، سودانيز أون لاين

**وسجل نهار الحزب في منتصف 2003 لدى مسجل الأحزاب السودانية[87]، وظل مبارك والبقية: نوع الجزا، نفس العمل.. خوفي عليك من الحريق! قل واحد!**

في هذه الفترة لم يترك مبارك حزب الأمة القومي في حاله حتى بعد أن جلس في كرسي القصر، ولن يتركه أبدا، ظل يكيل الاتهامات خاصة للسيد الصادق في اللقاءات الصحفية، وكل ما سأله صحفي أو صحفية عن نقد لأدائه كان يجتهد لأن يعيد السهام إلى صدر السيد الصادق.
مثال على ذلك لقاؤه مع الصحفية صباح أحمد في صحيفة الصحافة عام 2003م حيث حاول استلاف ملفات مايو التشويهية أثناء انتفاضة 1976م وقد تطرقنا لها تفصيلاً في الجزء الثاني من هذه السيرة، وأتى بروايات كذوبة أخرى وهو يضحك بحسب الصحفية.
ثم ولسبب غير معروف رأى في مايو 2004م أن يشن حملة أخرى فوزع على كل الصحف وثائق قال إنها تؤكد علم السيد الصادق بانقلاب يونيو 89، بينما كانت عبارة عن تقرير سلمه لرئيس الوزراء كوزير داخلية كان قمة في الركاكة، وخطاب بخط السيد الصادق يعلق له فيه على التقرير حينها بقوله: متى ترتقي أجهزتنا الأمنية إلى المستوى المطلوب! [88]
كان الحزب حينها مهموما بتسويق مبادرته للتعاهد الوطني التي سوف نأتي على ذكرها، وضرورة أن تحقق أية اتفاقية السلام العادل الشامل والتحول الديمقراطي الكامل معاً، فرأى ألا يشغل الرأي العام بالرد على مغالطاته وتهمه المختلقة، ولكنه كون لجنة برئاسة المرحوم صلاح عبد السلام الخليفة قامت بتفنيد أقواله الممضوغة هنا وهناك، وحررت بياناً تنويرياً تم توزيعه على أعضاء الأجهزة القيادية، موجود في ملاحق هذا الكتاب.

## إعفاء المساعد يوم العبور

أعلن السيد مبارك نيته السفر إلى أمريكا للتحدث إليها بأن الضغط لا يفيد في قضية دارفور وينبغي أن يجري التفاهم مع الحكومة السودانية بدلاً عنه. طالبه المؤتمر الوطني بإلغاء الزيارة فهذا ليس عمله والحكومة لديها قنواتها المؤسسية عبر وزارة الخارجية التي تجري تلك الاتصالات، أصر مبارك على سفره كرئيس لحزب الأمة لا مساعد للرئيس، وكشف لاحقاً أن الرئيس عمر البشير رفض مقابلته لتوضيح رؤيته حول العلاقة مع أمريكا[89].
بالأربعاء غير الرائعة الموافقة السادس من أكتوبر عام 2004م، يوم العبور المصري الشهير، أصدر السيد عمر البشير مرسوما جمهورياً قضى بإعفاء مساعده السيد مبارك الفاضل من منصبه. في التاريخ الذي عبر فيه الجيش المصري إلى سيناء، عبر السيد مبارك وحزبه إلى الحريق الأول (فقد عاد للسلطة بعد لأي في آخر عمر الإنقاذ، وبعد أن جرّب 12 عاماً من التيه). لقد كان حزباً قوامه التكالب على السلطة ولا قوام له بغيرها. وروى بعضهم أنهم في إحدى اجتماعاتهم خاطبهم مبارك أن يتساموا على المكاسب الفردية ويلتزموا بالمبادىء فقال

---

87 الشرق الأوسط، 11 ديسمبر 2004م
88 وقد تطرقنا لذلك التقرير وفندنا ادعاءات مبارك في الجزء الرابع من هذه السلسلة: الثقب الأسود.
89 صحيفة الخليج في 7 أكتوبر 2004م

له أحدهم: لا تحدثنا عن المباديء فقد تركناها هناك في شارع الموردة، أي دار حزب الأمة القومي.
وقالت سونا نقلاً عن رئاسة الجمهورية إن إعفاء السيد مبارك عبد الله الفاضل من منصب مساعد رئيس الجمهورية كان لأنه بدأ تعاملاً من خارج المؤسسات، وإن القرار جاء يحض علي احترام المؤسسات واتباع القنوات، مبيناً أن العمل المؤسسي هو صمام الأمان لحكومة البرنامج الواحد، وأن الاعفاء لا يمثل فضاً للشراكة في حكومة البرنامج الوطني الواحد باعتبار أن الحكومة ليست ائتلافية وإنما حكومة برنامج اتفقت علي آليات ومؤسسات العمل الوطني.
وقد شكر البشير مبارك الفاضل علي تعاونه في حكومة الوفاق الوطني.
كان أفضل تعليق على نص قرار الإعفاء اطلعنا عليه هو ما ذكره الصحفي الأستاذ عبد الحميد عوض في مقالة بعنوان مموسق مع الأغنية الشهيرة للمغنية نانسي عجرم (مبارك الفاضل: ازعل نص..نص)، فهناك إعفاء، وتأكيد على عدم فض الشراكة، وشكر.
أول بيان للسيد مبارك كان متناغماً مع طلب "نصنصة" الزعل، فقد رحب بالقرار. أي والله!
قال السيد مبارك في بيانه: (لقد عقد حزب الأمة اتفاقاً مع المؤتمر الوطني في يوليو 2002م حول تحقيق السلام والتحول الديمقراطي وشارك علي أساسه في الحكومة الحالية.. وبناءً علي قرار الحزب قبلتُ التكليف بقيادة فريق الحزب في الحكومة كمساعد لرئيس الجمهورية إلى جانب مسؤولياتي كرئيس لحزب الأمة. وبما أن بلادنا تمر بظروف تحول من حكم الحزب الواحد إلى رحاب التعددية فقد بدأ التباين في وجهات النظر مع حلفائنا بين حرية الحركة التي يفرضها موقعي كرئيس لحزب الأمة لديه مسؤوليات وعلاقات داخلية وخارجية وبين موقعي الرسمي، وقد انفجر هذا الموقف مؤخراً بسبب زيارتي المزمعة للولايات المتحدة بصفتي الحزبية، مما أدى إلى قرار رئيس الجمهورية بالإعفاء من المنصب الرسمي نتيجة لإصراري علي التمسك بحرية القرار والحركة السياسية كرئيس لحزب سياسي له ثقله الشعبي ودوره التاريخي. إننا نرحب بهذا القرار الذي يؤكد استقلالية قرارنا السياسي، وسوف نواصل جهودنا من أجل تحقيق التحول الديمقراطي والسلام في بلادنا بالتعاون مع كل القوي السياسية في الحكم والمعارضة). رحب السيد مبارك إذن بقرار الإعفاء الذي يؤكد استقلالية قرارهم السياسي، هذا أول رد فعل.
الأفعال وردودها التالية سوف تسفر في بحر عام عن خمس تشظيات أخر، لتصير مجموعة المشاركة سبع شظايا، وكما وصفها الحبيب السيد الصادق مثل "درابة طين" قذفت نحو حائط بقوة فتفتت إلى فتافيت صغيرة، فقط واصلوا العد.
عقد قادة حزب مبارك اجتماعاً مطولاً مساء ذات يوم الأربعاء غير الرائعة بمنزله أبلغ المجتمعين خلاله (أن من لا يبادر بتقديم استقالته سيفاجأ باقالته في وقت قريب أو بعد شهرين على أكثر تقدير في أعقاب توقيع اتفاق السلام الشامل والذي سيحتم حل الحكومة الحالية وتشكيل حكومة جديدة، وأضاف في لهجة تحذيرية أن من لا ظهير له لن يجد مكاناً في المشهد

السياسي القادم. أي أنه حذر الذين سيستمرون في الحكومة ولا يتضامنون معه بإعلان استقالاتهم بأنهم سيفقدون مواقعهم داخل الحزب)[90].

وفي 8 أكتوبر 2004م وزع الحزب بياناً أعلن فيه استمرار الشراكة السياسية مع المؤتمر الوطني وإعادة التفاوض حول الشراكة التنفيذية، وتقديم استقالات شاغلي المناصب الدستورية ووضعها لدى الرئيس مع تجميد الدستوريين نشاطهم حتى يتم البت في أمر الشراكة التنفيذية. وسوف يضرب أولئك التنفيذيين عن العمل لمدة شهرين، يكونون فيها في منزلة بين المنزلتين!

**جاء في البيان:**

أولاً: إن المشاركة في الحكم قد تمت علي أساس اتفاق سياسي مع حزب المؤتمر الوطني حول السلام والتحول الديمقراطي وتحقيق الوفاق الوطني.

ثانياً: إن القرار السياسي بإعفاء رئيس الحزب قد فض الشراكة التنفيذية في الحكم وفيه إساءة لحزب الأمة وتعريض بمسيرة الوفاق الوطني في وقت البلاد فيه أحوج ما تكون للتكاتف والتآزر والوفاق لمواجهة الأزمة في غرب البلاد والتوتر في شرقها والخطر الذي يتهدد مسيرة السلام في نيفاشا وقرارات مجلس الأمن التي تنذر بتدخل ومحاكمات دولية.

ثالثاً: تلقى الحزب أثناء اجتماعه يوم الخميس بياناً من حزب المؤتمر الوطني يؤكد استمرارية الشراكة السياسية وتمسكه بالشراكة التنفيذية، كما تلقى في اجتماعه يوم الجمعة مبادرة من المؤتمر الوطني لرأب الصدع وإعادة التفاوض علي الشراكة التنفيذية، وقد سبق ذلك استقبال رئيس الحزب للأمين السياسي للمؤتمر الوطني صباح الجمعة موفداً من قيادة الحزب مناشداً قبول مبادرتهم تقديراً للوضع الحرج الذي تمر به البلاد.

وعليه تدارس المجلس القيادي كل هذه المعطيات وتقديراً للظروف السياسية الحرجة والمخاطر التي تحيق بالبلاد ووفاءً لمبدأ التجديد والإصلاح بالسعي للوفاق الوطني والحوار ومحاصرة الصراع السياسي قبل الحزب مبادرة حزب المؤتمر الوطني بإعادة التفاوض علي الشراكة التنفيذية بعد الصدع الذي أصاب العلاقة بين الحزبين بسبب القرار السياسي والخلاف القائم حول السياسات وآلية اتخاذ القرار السياسي، وقرر الآتي:

أولاً: قبول فض الشراكة التنفيذية والإبقاء علي الشراكة السياسية استجابة لحرص حزب المؤتمر الوطني ودواعي المصلحة الوطنية.

ثانياً: قبول مبادرة حزب المؤتمر الوطني لرأب الصدع وإعادة التفاوض علي الشراكة التنفيذية.

ثالثاً: تقديم الدستوريين في الحزب لاستقالاتهم ووضعها لدي رئيس الحزب وتجميد نشاطهم التنفيذي.

رابعاً: تشكيل لجنة عليا برئاسة الأستاذ الزهاوي إبراهيم مالك للحوار مع المؤتمر الوطني.

خامساً: تقديم تقرير للمجلس القيادي في ظرف 72 ساعة حول نتائج الحوار وجديته.

سادساً: مواجهة أي تفلت من قرارات الحزب بالحسم الكامل لتيار المشاركة).

---

[90] استقالة ابنة أخته من الوزارة وتوقع انسحاب الباشا والخير: حزب الفاضل يتهم نائب البشير بتدبير إعفائه، 8 أكتوبر 2004م، البيان الإماراتية.

إستراتيجية المؤتمر الوطني في التعامل مع الحلفاء المستلبين في أي تعاون ثنائي لهم مع حزب سياسي آخر صارت معروفة، وهي العمل على هضمهم وإفقادهم القدرة على الحركة. فهم يشجعون الأطراف المختلفة على التمرد وبيدهم كل ما طلبته تلك الأطراف من مال ومناصب وراحة بال، وملفات الضغط التي يستخدمونها تحتوي على تهديد بكشف الحال واستخدام لكل نقاط الضعف الموجودة هنا وهناك. والذي يترك حزبه ورايته ويأتي معهم مسلماً بتفوقهم وأفضليتهم مثلما فعلت جماعة المشاركة عليه أن يحفظ ذلك البروتوكول جيداً. ومصيبة مبارك الفاضل أنه اعتبر نفسه أدهى من أولئك الدهاة وفكر كما قال أحد المعلقين أن يلعب بالبيضة والحجر، فكرر حديثه هو ومجموعته عن الفرق بين العسكر وقادة الجبهة، وصار يهاجم هؤلاء كقوله إن علي عثمان لا رأي له ولا يقدم شيئاً، وإن نافع مجرد طبيب بيطري اعتاد التعامل مع "الحمير"، في حين يدبج المديح للبشير والعسكريين، كلهم سواء، وكلهم جبهة، وكلهم أقدر على المكر منه بسنوات ضوئية، فهو يلعبه (بكرة الشراب)، وهم تمرسوا في ميادين برشلونة.

لقد جعلوه وحزبه يبتلع بادي الرأي ما وُصف في بيانه بأنه إساءة، وما سيصفونه لاحقاً بالنيل من الكرامة وعدم الاعتبار، ويصفه آخرون بالإذلال والتهميش، فيكون رده الأولي أنه (يرحب) بقرار الإعفاء لأنه يدل على استقلاليته. لقد صار الاحتفاظ بالاستقلالية نفسه مكسباً عليّا يجعل الإنسان يرد على الإساءة بالترحيب!

ثم واصل المؤتمر الوطني فجعل جماعة المشاركة برغم تلك الإساءة يطمعون في العودة إلى الكرسي عبر مفاوضة أو مساومة مع البشير، ويضعون أملهم على اللجنة المشتركة التي لم تسفر عن شيء حتى اكتشفوا أن المؤتمر الوطني كان يجري تفاوضاً آخر مع بعض جماعتهم المتمسكين بالمشاركة انتهى إلى إعلان اتفاق وشراكة جديدة. هنا وهنا فقط انتبهوا إلى أن المؤتمر الوطني كان يخدرهم وكان (**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا** )، وأن عزل المساعد كان صفعة في خدهم، وأن عليهم إبداء غضب مناسب لتلك الإساءة، فكانت الغضبة بعد شهرين من الصفعة، مثلما سوف نرى.

صحيح أن المؤتمر الوطني لا إل ولا ذمة له، وقد أوقع بقيوده وتنكيله ومحاولات إذلاله على الشعب السوداني كله، ولكن سوءه الأقصى يكون مع التابعيه والظانين فيه خيراً.

أجرى عدد من قيادات المؤتمر الوطني اتصالات مع مبارك مؤكدين على ضرورة أن (تتواصل مسيرة التحول الديمقراطي وألا يكون ما حدث عقبة في ذلك)، وفي ذات أمسية الإعفاء ابتعث المؤتمر الوطني كل من الدكتور محمد محي الدين الجميعابي والأستاذ عبد القادر محمد زين معتمد أم درمان لاحتواء الموقف، وتراضى الحزبان بعقد اجتماعات متصلة ومكثفة سبقها لقاء استمر لساعات بين المرحوم مجذوب الخليفة ومبارك الفاضل ثم أعقبتها اجتماعات بدأت يوم السبت 10 أكتوبر 2004م بين وفدين من حزب الإصلاح والتجديد برئاسة نائب الرئيس المرحوم الزهاوي إبراهيم مالك، والمؤتمر الوطني برئاسة المسئول السياسي في الحزب، المرحوم مجذوب الخليفة لاحتواء الخلاف.

ضم وفد حزب الأمة المباركي فيصل خضر مكي رئيس اللجنة السياسية في المكتب القيادي وعبد الجليل الباشا مساعد رئيس الحزب وعبد الله بركات.

وقال حزب الإصلاح على لسان مسئوله الإعلامي، عمر حلاوي، إن استقالات التنفيذيين بيد رئيس الحزب، وإن الحزب سوف يعقد اجتماعاً يوم الأربعاء 13 أكتوبر لتحديد موقعه من الشراكة التنفيذية على ضوء نتائج اجتماعات لجنته مع المؤتمر الوطني.
وسنرى أن مسألة الشراكة التنفيذية ذهبت وراء الوعود والتمنية فلم تحسم إلا بعد أن أسفر المؤتمر الوطني عن وجه (البيع) الحقيقي في ديسمبر 2004م، أي بعد شهرين.

## بيان التسعة

مباشرة بعد هذا الإعلان أصدر تسعة من الدستوريين، المُعلن أنهم استقالوا من مناصبهم، بياناً يرفضون بيان الثامن من أكتوبر ويؤكدون فيه استمرار شراكتهم مع المؤتمر الوطني، جاء في بيان التسعة:
(قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**)[91]. إلى جماهير الشعب السوداني الكريم. لقد ظللتم تتابعون بترقب تداعيات الأوضاع التنظيمية والسياسية داخل حزب الأمة الإصلاح والتجديد والتي أفرزها قرار رئيس الجمهورية بإقالة السيد مبارك الفاضل رئيس المجلس القيادي الفدرالي من منصبه الدستوري. وإثر ذلك اجتمع المجلس القيادي للحزب يومي الخميس والجمعة الموافق السابع والثامن من أكتوبر الجاري 2004م بداره بأم درمان. وقد ناقش الاجتماع هذا الموضوع كجند واحد ورئيسي للاجتماع.
وبعد مداولات ساخنة شارك فيها كل الأعضاء جاءت وجهات النظر متباينة تلخصت في خيارين أساسيين:
الأول: ضرورة الرد بصورة سريعة وعاجلة برفض القرار من خلال فض الشراكة مع المؤتمر الوطني والانسحاب الفوري من كافة المواقع الدستورية والتنفيذية بالدولة.
الثاني: تم التأمين على أن القرار لم يخضع للمشورة التامة بين الحزبين وأوصي بالاحتفاظ بالشراكة القائمة مع المؤتمر الوطني وتبني الحوار لمعالجة تداعيات القرار في ضوء المبادرة المطروحة من قبل المؤتمر الوطني نظراً لتقديرات الموقف السياسي والوطني الذي تمر به البلاد.
وما بين الاجتماع الأول والثاني تلاقت مجموعات تمثل وجهتي النظر وخلصت إلى ضرورة الخروج برؤية توفيقية تؤمن وحدة الحزب وتماسكه وتطرح الرأي بأن القرار لم يخضع للمشورة التامة بين الحزبين مع ضرورة مواصلة الحوار مع المؤتمر الوطني، والإبقاء على الشراكة القائمة، وفي سياق ذلك فإن مجموعة مقدرة من الذين يحملون وجهة النظر الثانية لم تنتظر حتى لحظة استصدار قرار المجلس النهائي بحسبان أن الأمر متفق عليه، ولكن بقراءة البيان الصحفي الصادر بتاريخ 8 أكتوبر 2004 م والذي وزعه مكتب رئيس المجلس، فإننا نرجو أن نؤكد الآتي:

1. لم يكن هنالك اجتماع حول ما زعم من فض الشراكة سواء كانت تنفيذية أو سياسية.
2. لم يتقدم كل الدستوريين المنسوبين للحزب باستقالاتهم كما جاء في البيان.
3. لم يتم الاتفاق على عضوية اللجنة المشار إليها برئاسة الزهاوي إبراهيم مالك.
4. لم يتم تحديد قاطع بتفاصيل الحوار مع المؤتمر الوطني بالصورة التي ذهب إليها البيان.

---

[91] سورة المائدة الآية رقم (1)

ونجدد التأكيد أن هذا البيان اهتم بالإحاطة بكل ما يلبي ويرضي طموحات وأشواق رئيس المجلس القيادي الفيدرالي، بصرف النظر عن احترام الرأي والرأي الآخر، وبعيداً عن استيعاب مصالح الجماهير، ومتجاهلاً الظرف الاستثنائي الذي يكتنف مسيرة البلاد السياسية، وعليه فإن أقل ما نصف به هذا البيان إنه جاء مناهضاً لحيثيات النقاش واتجاهاته المتباينة، واعتمد التزوير لآرائنا فيما يخص موضوع الاستقالة وتجميد النشاط التنفيذي، وبالتالي فهو بيان غير متفق عليه ونجد أنفسنا في حل عنه روحاً ونصاً.

وفي الختام نعلن موقفنا المبدئي من مسألة الشراكة مستمداً من مرجعيات مؤتمر سوبا الاستثنائي، دعماً لقافلة السلام والوحدة الوطنية والتحول الديمقراطي بعيداً عن المزايدة السياسية والجنوح إلى مزالق الصراع السياسي العقيم. والله أكبر ولله الحمد).

التسعة الموقعون على البيان هم: عبد الله علي مسار، يوسف سليمان تكنة، بابكر أحمد دقنة، د. الصادق الهادي المهدي، د. الفاتح محمد سعيد، التجاني عبد الرحمن بشارة، الصادق المليك، الهادي حامد بيتو، وأميرة يوسف أبو طويلة.

وعقد هؤلاء القادة الرافضون للانسحاب من الشراكة في حزب الإصلاح والتجديد مؤتمراً صحفياً في يوم 13 أكتوبر شنوا فيه هجوماً على مبارك ورفضوا الاستجابة لمطالبته إياهم بتقديم الاستقالة، وكانت في جعبتهم قضايا أخرى.

إذ أنه بعد إقصاء الأمين العام الأول نهار في أغسطس 2003م وتنصيب أحمد عقيل بدلاً عنه، سعى مبارك لعزل عقيل أيضاً وتنصيب قريبه وصهره معاوية هباني بدلاً عنه مما أوغر عقيلاً الذي كان متحدثاً رئيسياً في مؤتمر صحفي النيران. وعلاوة على التهم المعتادة أمثال الديكتاتورية والاستبداد بالرأي، جاءت تهم أخرى، وتهكم.

قال عقيل إن قرار فض الشراكة يتخذه المؤتمر العام فقط ولا توجد هيئة حزبية أخرى تخول لها صلاحيات قرار آخر. وشن هجوماً عنيفاً على مبارك الفاضل المهدي واتهمه بالسعي لفرض رؤاه وتصوراته على الحزب[92]. وأوضح عقيل أنه لم يستقل من أمانة حزبه وأن مبارك (حرف مذكرة تقدم بها قبل نحو ستة أشهر بشأن أوضاع الحزب التنظيمية وأعلن أنها استقالة مؤكداً أنه باق في الإصلاح والتجديد وأن الحزب لن يرهن قراره لمبارك الفاضل أو غيره). ووصف مبارك بأنه (يستخدم التآمر في إدارة خصوماته ويسعى باستمرار لمواجهة الآخرين بطرق تفتقر إلى الموضوعية والمؤسسية وتنافي الذوق العام)[93]، في حين شن عبد الله علي مسار هجوماً ضارياً على مبارك وقال (إن حفيد المهدي يسعى لإلباس الجميع طاقيته وإن خلافه مع رئيس الجمهورية الذي أدى لإعفائه خلاف بين رئيس ومرؤوس ولا علاقة للحزب به، ومضى مسار متهكماً من رئيس حزبه بالقول بأن مبارك إذا أراد أن يتحدث عن الماركات التجارية فإن حزب الأمة سيكون للصادق المهدي وليس لمبارك المهدي)[94]!

ذهب عبد الرحمن الصادق وحضر ذلك المؤتمر الصحفي، فاستدعته لجنة الضبط ورقابة الأداء واستفسرته عن ذهابه لذلك المحفل الذي نظمه المنشقون، وفي النهاية اتخذت اللجنة

---

[92] احمد عقيل : مبارك الفاضل يتخذ فى صراعاته طرق تفتقر للموضوعية والمؤسسية والذوق العام، سودانيز أون لاين، 13 أكتوبر

[93] نفسه

[94] نفسه

قراراً بتجميد عضويته. وأذكر أني سألتُ الحبيب السيد الصادق هل برأيه كانت تلكم العقوبة مستحقة؟ وقد كان حاضراً لا منظماً ولا متحدثاً في محفل عام، تابعته كل عضوية حزب الأمة بيقينية الوعد الحق **(وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ)**[95]. قال الحبيب إنه يفهم أن لجنة الرقابة كانت مجروحة من كثرة ما قال عنها المنسلخون إنها أداة بيد الرئيس يوجهها حيث يشاء، فكانت تسعى لأن تؤكد العكس، ورأت في ذهاب عبد الرحمن لذلك المؤتمر فرصة مناسبة. الشاهد، في النهاية استأنف الأمير لرئيس الحزب بحسب اللائحة، وكعادته رفع العقوبة في خطاب للهيئة بتاريخ 20 نوفمبر 2004م جاء فيه: (بالإشارة لقراركم المتعلق بحضور الأمير عبد الرحمن الصادق لمؤتمر إحدى شرائح العناصر المنسلخة الصحافي، وبالإشارة لنص اللائحة، وبعد الاستماع لإفادة الأمير عبد الرحمن في الأمر، قررتُ رفع القرار من تاريخ اليوم ليستأنف نشاطه المعتاد.)

**أما ما تمخضت عنه تلكم النيران فهو خروج مسار ومن معه وتكوينهم لاحقاً لـ(حزب الأمة الوطني): نوع الجزا، نفس العمل.. خوفي عليك من الحريق.. قَل اتْنين!**

من التصريحات الصادرة عن جماعة الإصلاح والتجديد الموالية لمبارك اتهام علي عثمان محمد طه، النائب الأول لرئيس الجمهورية (آنذاك) بالالتفاف على اتفاق الشراكة مع حزبهم وإصدار قرار الإعفاء[96]. وقال بعض هؤلاء إن غالب أعضاء مجلس الوزراء والمكتب القيادي في المؤتمر الوطني علموا بالقرار عبر الإذاعة والتلفزيون وعددٌ منهم زاروا مبارك الفاضل في منزله ليلة الإعفاء وأكدوا أن القرار لو عرض للنقاش لواجه معارضة ورُفِض[97]. وإن القرار أعده طه وأقنع به الرئيس البشير[98].

وجاء كذلك أن عابدة يحيى المهدي وزير الدولة بالمالية عن الحزب وابنة أخت مبارك قدمت استقالتها من منصبها وبعثت بها عبر الفاكس من خارج السودان حيث كانت في مهمة رسمية. وقالت في استقالتها إنها متمسكة بها حتى لو قرر المكتب السياسي الاستمرار في الحكومة. وتقدم آخرون باستقالتهم في اجتماع المكتب السياسي الذي استمر لوقت متأخر من ليلة الإعفاء[99].

بعد ذلك بدأ بحث مآل الشراكة التي أعلن المؤتمر الوطني تمسكه بها مثلما ذكرنا.

نشرت SMC وهي وكالة لا نعول على مصداقيتها كثيراً، ولكن لم نجد تكذيباً لما ساقته هنا، نشرت محضر اجتماع للجنة المشتركة بين المؤتمر الوطني وحزب (الإصلاح والتجديد)، إثر مبادرة المؤتمر الوطني للمعالجة، ذكر في المحضر أن اللجنة المشتركة عقدت اجتماعين بتاريخ 9 و11 أكتوبر 2004م بالمركز العام للمؤتمر الوطني، حيث ترأس المرحوم مجذوب وفد المؤتمر الوطني ومعه د. كمال عبيد، عبد القادر محمد زين، محمد مندور المهدي، ومحمد

---

[95] سورة فاطر الآية 43

[96] استقالة ابنة أخته من الوزارة وتوقع انسحاب الباشا والخير: حزب الفاضل يتهم نائب البشير بتدبير اعفائه، البيان، 8 أكتوبر 2004م

[97] نفسه

[98] نفسه

[99] نفسه

حسب الرسول، فيما ترأس المرحوم الزهاوي وفد الإصلاح ومعه نجيب الخير، عبد الله بركات، عبد الجليل الباشا، فيصل خضر مكي وصديق محمد توم. وناقشت اللجنة في اجتماعيهما الأجندة التالية: (1) التفاهم المشترك حول تجاوز الآثار التي نجمت عن قرار الإعفاء. (2) الأسس والآليات التي تحكم الشراكة والرؤى والمرجعيات التي تضمن قوتها وفعاليتها واستمرارها. (3) تفعيل اللجنة المشتركة بين الحزبين لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه حول الشراكة. (4) الشراكة السياسية والتنفيذية. (5) أخرى.[100]
وتوصلت اللجنة المشتركة خلال الاجتماعين للآتي:

1. حيث أن المؤتمر الوطني قد أوضح أن قرار السيد/ رئيس الجمهورية جاء في إطار ممارسة سيادته لصلاحيته التي كفلها له الدستور وأن هذا القرار ذا طبيعة إدارية محضة ولم يقصد به بأي شكل من الأشكال النيل من الحزب الشريك أو رمزية قيادته فلقد اتفق الطرفان على الآتي:
أ) أن تتم المعالجة لآثار وتداعيات القرار في إطار يحفظ لرئاسة الجمهورية هيبة قرارها ولحزب الأمة ورئيسه اعتباره وكرامته.
ب) أن يعقد الأخوين رئيسي الوفدين اجتماعاً مع السيد رئيس الجمهورية للتشاور مع سيادته حول ترتيبات المعالجة المناسبة.
2. اتفق الطرفان على وضع أسس وآليات للشراكة القائمة بينهما في بعديها السياسي والتنفيذي بما يكفل استمراريتها وفعاليتها.
3. تفعيل عمل اللجنة المشتركة بين الحزبين لمزيد من العمل الوطني المشترك وللتشاور حول كافة قضايا الساحة السياسية وتقديم مقترحات حلول وطنية بشأنها.
4. تأكيد الحق الأصيل لحزب الأمة في اختيار واستبدال ممثليه من الدستوريين التنفيذيين في إطار التشاور المبني على أسس الشراكة السياسية القائمة بين الحزبين مع اتباع النظم والاختصاصات السيادية.
5. في حالة فصل حزب الأمة لأحد أعضاءه الدستوريين وفقاً لنظمه أو ترك العضو الحزب ، لا يعد هذا العضو محسوباً على الحزب من الناحية السياسية ويحق للحزب استبداله أو المطالبة بوضع دستوري بديل إذا لم يتم إعفاء العضو من هذا الموقع وذلك بالتشاور بين الحزبين.
6. يتشاور الحزبان حول أية انشقاقات تحدث ويعملان على معالجة الحدث بما يحفظ للحركة السياسية تماسكها وقوتها وللشراكة فعاليتها.
7. يعامل شاغلي الوظائف العامة (دستورية أو تنفيذية) في طار المحاسبة وفق مقتضيات الوظيفة والقوانين التي تحكم ذلك[101].

ولكن محاولات المعالجة المذكورة أعلاه لم تصل إلى شيء.

---

[100] محضر اجتماعات اللجنة المشتركة، إس إم سي، 11 أكتوبر 2004م
[101] المرجع السابق

مع التطويل في ميقات الحسم، أصدر حزب الإصلاح والتجديد بياناً حدد فيه منتصف شهر ديسمير موعداً نهائياً لتحديد مصير وجوده في الحكومة.[102]
ولكن، قبل الوصول إلى ذلك التاريخ كان المؤتمر الوطني قد أكمل شغله المعتاد، بالعمل على تفكيك جماعة مبارك مزيداً. ففي نهاية الأسبوع الأول من ديسمبر 2004م، أمضى المؤتمر الوطني مع تيار في حزب الأمة الإصلاح والتجديد اتفاقاً (أمن على الشراكة بين الطرفين واعتبر إقصاء البشير لمبارك الفاضل مسألة بين الرئيس والمرؤوس في الأداء الحكومي لا يؤثر في الشراكة بين الحزبين)[103]. أي رأى المؤتمر الوطني أنه يمكن الاحتفاظ بالشراكة بتأكيد هيبة قرار رئيس الجمهورية وإهراق اعتبار وكرامة رئيس حزب الإصلاح، فلا داعي للبند [(1)- أ] من قرارات اللجنة المشتركة، ولا يحزنون.
مباشرة بعد ذلك أعلن المجلس الفيدرالي لحزب مبارك فصل ثلاثة من قياديي الحزب وذكر أنه قبل بتوصية فصلهم الصادرة عن لجنة المحاسبة والمساءلة المشكلة للنظر في المخالفات المنسوبة لكل من الصادق الهادي المهدي، والفاتح محمد سعيد، وبابكر أحمد دقنة. وذكر أن الثلاثة المفصولين نشطوا في اجتماعات تهدف لإقامة مؤتمرات خارج الأطر الحزبية مما يجعل نشاطهم هداماً وبالتالي قرر المكتب الفدرالي فصلهم من عضوية الحزب[104].
**بعد ذلك خرج الصادق الهادي ومن معه وكونوا [حزب الأمة القيادية الجماعية]: نوع الجزا، نفس العمل.. خوفي عليك من الحريق.. قل ثلاثة!**

الشاهد، ذكر حزب مبارك أنه سيجتمع في منتصف ديسمبر (برئاسة رئيسه مبارك الفاضل المهدي، المتوقع عودته من القاهرة الموجود فيها الآن، للفصل في مصير شراكته مع المؤتمر الوطني)[105].
وقبل منتصف ديسمبر، وتحديداً في 11 ديسمبر 2004م أعلن الإصلاح والتجديد قراره بفض الشراكة، إذ عقد المرحوم الزهاوي إبراهيم مالك مؤتمراً صحفياً في منزل السيد مبارك الفاضل في ذلك اليوم أعلن فيه قرار المجلس القيادي الفيدرالي لحزب الأمة فض الشراكة التنفيذية والسياسية مع حزب المؤتمر الوطني (وإعلان الانطلاقة الحزبية الكبرى نحو الجماهير من أجل الإعداد لمواجهة التحول المتوقع).
وأعلن الزهاوي رحمه الله يومها استقالة ثلاثة عشر دستورياً من مناصبهم بالحكومة بمن فيهم شخصه. المستقيلون المعلن عن أسمائهم كانوا إحدى عشر فإضافة للزهاوي: عبد الجليل الباشا، وعابدة يحي، وعبد الله بركات، وإبراهيم هباني، وعبد الرحمن ساجو، والفاضل آدم، وإبراهيم آدم، وصلاح بريمة، وحامد علي، وصديق محمد توم، ونجيب الخير الذي كان خارج البلاد ويحتفظ الحزب باستقالة سابقة له. وذلك بسبب (أن الحزب الحاكم لم يحترم اتفاق

[102] حزب الأمة الإصلاح والتجديد يقيل ثلاثة من أعضائه يشغلون مناصب وزارية في الائتلاف الحكومي، الشرق الأوسط، 11 ديسمبر 2004
[103] نفسه
[104] نفسه
[105] نفسه

الشراكة وامتناعه عن تنفيذ ما توصلت إليه لجنة التفاوض المشتركة من اتفاق وممارسته لاستقطاب سياسي مضاد لحزب الأمة).
ومصداقاً لتصريح مبارك مؤخراً، في 2016م: (علي عثمان حفر لي) قال الزهاوي يومها: (إن حزبنا وجد تعاوناً من غالبية أعضاء المؤتمر الوطني والحركة الإسلامية وعلي رأسهم الأخ رئيس الجمهورية إلا أن الأقلية النافذة والفاعلة والرافضة للانفتاح السياسي داخل المؤتمر الوطني استمرت في تجاوزاتها ونقضها للعهود حتى جاء قرار إعفاء السيد رئيس حزب الأمة)،.. واستنكر (تعامل المؤتمر الوطني مع مجموعة من القيادات بالحزب قال إنهم خرجوا عن المؤسسية موضحاً أن حزب المؤتمر الوطني قد فتح لهذه المجموعة قنوات الإعلام الأمر الذي يتنافي والالتزام الأخلاقي).
من جانبه اعتبر الأستاذ عبد الجليل الباشا عضو المجلس القيادي الفدرالي تجربة الشراكة مع المؤتمر الوطني (مفيدة ودفعت جهود عملية السلام والحل السياسي لقضايا السودان إلا أنه قال "إن هناك فئة قليلة داخل المؤتمر الوطني لا تقبل بالمشاركة في السلطة إلا في إطار ديكوري")[106].
أثارت أحاديث المرحوم الزهاوي سخرية عارمة بين المعلقين وكيف أنه اكتشف العجلة من جديد! وحول قوله إن الحزب الحاكم يفتقد لأخلاقيات التعامل المؤسسي، كتب أحد بورداب سودانيز أون لاين البارزين: (هل تتكر أو علم بذلك فجاة؟ ألم يمارس هذا الحزب هذه الممارسة الممقوتة مع مجموعته عندما كانت تتفاوض باسم الحزب الكبير فاستخدم هذه الممارسة في ضم المجموعة المتفاوضة وإغرائها بالبرنامج الوهمي المسمى بالبرنامج الوطني؟ وأين كان عقلك في ذلك الحين يا زهاوي وكل الناس نصحوكم وكل الكتاب والمحللين كتبوا وراهنوا على فشل هذه العلاقة والشراكة المسروقة من مواقف حزب كبير وباسمها مول لكم هذا الحزب الذي يفتقد للأخلاق مؤتمركم الوهمي وأتى لكم بجماهيره لزوم المكايدة والإعلام التضليلي).
و(مبارك المهدي حاول اللعب بالبيضة مع الحجر عندما قال إنه اتفق مع الجناح العسكري أي البشير وعبد الرحيم وبكري، وتصريحه هذا نبه المجموعة الأخرى لنواياه وهى المجموعة النافذة والقوية الحاكمة فعلاً فجلسوا له بالمرصاد منتظرين أي سانحة لمرمطته سياسياً، وقد كان).[107]
وتحت عنوان (شر البلية ما يضحك) قال عثمان ميرغني: (إن حزب الأمة يشكو من أمر ليس فيه جديد. منذ أن دخل في الشراكة واستمر فيها عامين ونصف العام كان يعلم ذلك. فما الجديد الذي قاد إلى قرار فض الشراكة سوى قضية إقالة السيد مبارك الفاضل المهدي من منصبه التنفيذي في رئاسة الجمهورية؟ وربما لو لم يصدر قرار الإقالة لظل وزراء الحزب ودستوريوه في مناصبهم دون أنين أو توجع من ضيق ذات القرار الرسمي والتهميش والإذلال وما إلى ذلك من العبارات التي صارت الآن حيثيات فض الشراكة).[108]
نعم الآن فقط فهموا.. مثل زين العابدين تونس، مؤخراً جدا، فتوجعوا!

---

[106] فض الشراكة بين الامة الفيدرالي والحكومة..وقائع المؤتمر الصحفي للزهاوي، 12-12-2004
[107] الزهاوى يكتشف العجلة .... تفتت مجموعة مبارك.. الكيك، سودانيز أون لاين، 13 ديسمبر 2004
[108] عثمان ميرغني، شر البلية ما يضحك، 13 ديسمبر 2004م

وقالت مصادر أخرى لصيقة بحزب مبارك إن اجتماعات متصلة تمت لترتيب عودة مجموعة الإصلاح والتجديد بقيادة مبارك الفاضل إلى حزب الأمة بزعامة الصادق المهدي، ووصفوا حزب المهدي بأنه التيار الرئيسي[109]، وعلى صعيد حزب الأمة المعارض، نفى مسئول كبير في الحزب علمه بأية «اتصالات تمت أو تتم» وقال: «هؤلاء الناس نحن لا علاقة لنا بهم وحزب الأمة يمضي في سبيله»[110].

قال حزب الأمة حينها إن أية عودة تستوجب الاعتذار عن "الجنحة الأخلاقية" التي شكلها مؤتمر سوبا، والتعهد ألا يعودوا لمثلها.

ولنواصل الآن سيرة التشظي في الكيان المباركي.

## ويستمر التجريف

لم يقف تشظي عصبة المشاركة فيما ذكرنا. في العام التالي للإعفاء المهين خرج ركن ركين هو المرحوم الزهاوي ابراهيم مالك ومعه مدير مكتب مبارك شخصياً صديق مساعد ومجموعة أخرى، ما وصفته صحيفة (الرأي العام) بقولها: مبارك يفقد أسنانه![111]

المؤتمر الوطني لم يكتف بأولئك التسعة، بل زحف حتى عظم ظهر مبارك، ظل يجتمع بهم حتى صارت غالبية أعضاء المجلس القيادي الذين آزروه أيام محنته ووقفوا منافحين عنه وعن كرامته، هؤلاء نفسهم مالوا لإعادة الشراكة التنفيذية مع المؤتمر الوطني.

وفي 2005/9/14م صدر بيان بتوقيع المجلس القيادي الفدرالي لحزب الأمة الإصلاح والتجديد، جاء فيه: (في اجتماع المجلس القيادي الفدرالي المنعقد بتاريخ 2005/1/29م شكل المجلس لجاناً للتفاوض مع كل القوى السياسية ومن ضمن هذه اللجان لجنة للتفاوض مع حزب المؤتمر الوطني برئاسة الأستاذ الزهاوي إبراهيم مالك وقد باشرت اللجنة أعمالها وبعد حوار طويل توصلت مع حزب المؤتمر الوطني إلى مذكرة تفاهم بتاريخ 2005/6/26م توصي على المشاركة في حكومة الوحدة الوطنية. وبعد حوار متصل تقدمت اللجنة بالعرض المقدم لها. انعقد المجلس القيادي لمناقشة العرض وبعد المداولات أجاز المجلس بالإجماع العرض المقدم مع بعض الملاحظات وفي اليوم الثاني لمواصلة الاجتماع أظهر رئيس المجلس القيادي الأستاذ مبارك الفاضل[112] اختلافه مع أعضاء المجلس بعدم تحمله الإجراءات الديمقراطية، ورفض ممارسة حق المجلس بالتصويت على بند تكليف اللجنة المفاوضة مع اللجنة المشتركة من أجل المواصلة لتكملة عملية الشراكة، ووضع نفسه كرئيس فوق المجلس القيادي الذي يعتبر صاحب السلطة والقرار. وبعد إصرار المجلس على حقه في ممارسة الديمقراطية ضاق الرئيس ذرعاً وخرج من الاجتماع واستمر اجتماع المجلس لوقت متأخر من الليل وخرج بالقرار الآتي: تفويض المجلس القيادي الفدرالي اللجنة في مواصلة وتكملة ما تبقى من متطلبات الشراكة).

---

109 الشرق الأوسط، 11 ديسمبر، سابق

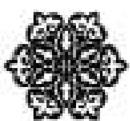
110 الشرق الأوسط، 11 ديسمبر، مرجع سابق

111 الرأي العام، في 2005/9/19م

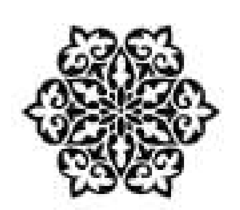
112 تحول رئيس الإصلاح والتجديد لدى أعتى أنصاره من السيد مبارك المهدي إلى الأستاذ مبارك الفاضل.

صحيفة الرأي العام في تقريرها بعنوان: أخيراً.. نائبه ومدير مكتبه: مبارك الفاضل .. يفقد أسنانه! أعادت انتقادات مبارك الفاضل التي وجهها للصادق المهدي بأنه متردد وأنه أضاع الفرصة على الأنصار في المشاركة مع ضرورة الحرص على مقاعد السلطة لفائدة جماهير الحزب وأنه سعى لتكوين أجهزة هلامية ليكرس الهيمنة لنفسه وأسرته، وكيف دارت (الأيام دورتها ويخرج مبارك الفاضل من السلطة وتهتف قواعده: الكرسي يطير يا وزير توبيخاً للمنشقين عن الإصلاح والتجديد الذين رفضوا مغادرة المقاعد). ووصفت الصحيفة كيف فقد أسنانه بخروج نائبه الزهاوي ومعه صديق مساعد الذي عمل مديراً لمكتب مبارك لفترة طويلة.
قال صديق: نحن حتى الآن لا نملك لائحة تنظم عمل الحزب: حزب رئاسي أم حزب يعمل وفق نسق الأمين العام مما يؤدي للانشقاقات والصراع بأشكاله المختلفة[113].
**الخلاصة: وصل نائبه ومدير مكتبه وآخرون لاتفاق شراكة مع المؤتمر الوطني، وعزلوا مبارك من رئاسة حزب الإصلاح والتجديد، وقام بدوره بعزلهم: نوع الجزا، نفس العمل.. خوفي عليك من الحريق... قل أربعة!**
شهد الحزب أيضاً خروج مجموعات من الشباب والطلاب الذين غادروا الإصلاح والتجديد بالانضمام للمؤتمر الوطني! رافعين مذكرة لحزبهم بأن الحزب لم يرع مصالحهم. أعقبهم انضمام مخير الطاهر وزير التربية في ولاية سنار. وكذلك الطيب الوسيلة أبو ذرة معتمد القطينة اللذين انضما للمؤتمر الوطني.. أعقب ذلك انضمام السر الكريل مسئول الشؤون الاقتصادية والمالية في الحزب للحزب الحاكم كذلك[114].
**المجموعة التي انضمت للمؤتمر الوطني تشكل كذلك تشظياً آخر: نوع الجزا، نفس العمل.. خوفي عليك من الحريق.. قل خمسة!!**
**وهناك مجموعة من الشباب عادوا بعد زمن قصير إلى حزب الأمة القومي، وتبعتهم بعد ذلك أهم القيادات مثلما سوف نرصد لاحقاً.**
**نوع الجزا، نفس العمل.. خوفي عليك من الحريق .. قل ستة!!**

وفي النهاية ظلت الشظية السابعة التي يمثلها مبارك ومن معه والبقية المتضائلة كل يوم محلقة في سديم العدم، كلما اقتربت من نار حزب الأمة لتطفئها، احترقت أجنحتها.
ونحن نرى أن مسيرة المشاركة قد كذبت شاعر سوبا الفطحل بشير أبو شورة وهو يقول: نشارك بل نشارك بل نشارك.. دون جهجهة وسخرية. فقد حدثت المشاركة، ومن ثم الجهجهة، والسخرية.
كما أنها صدقت مقولة الشاعر المحدث خضر عرمان وهو يحذر مبارك بقوله: **نوع الجزا، نفس العمل.. خوفي عليك من الحريق!**

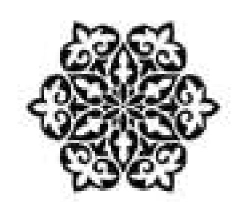


---
113 أخيراً.. نائبه ومدير مكتبه: مبارك يفقد أسنانه- صحيفة الرأي العام 19 سبتمبر 2005م
114 نفسه



## الفصل الثاني

# تتواصل المسيرة



# الفصل الثاني
# تتواصل المسيرة

**خرقنا** التسلسل التاريخي نوعاً ما في الفصل السابق حتى نكمل مشاهد الاختراق، واختراق الاختراق، حتى تشظى إلى سبع شظيات، ثم نعود لمسيرة السيد الصادق منذ قرار المشاركة، وهي مسيرة لم تقف أبدا، ولم تلتفت لتعويق المؤتمر الوطني ومخلب قطه الذي اتخذه من بين صفوف حزب الأمة. ولنعد للتاريخ الذي غادرناه ونحن نبحر في مركب المشاركيين الغارق، وهو فبراير 2001م.

الذي يطالع كتاب (أدبيات الحل السياسي) يجد الدليل على مجهودات السيد الصادق وحزب الأمة الضخمة في عدد من التحركات والاتفاقات والمذكرات التي صدرت منذ اتخاذ قرار المشاركة في فبراير 2001م وما بعده. وسوف نحاول هنا التطرق لأهم الأحداث في حياة السيد الصادق وحزب الأمة منذ قرار المشاركة، بعد أن ذكرنا تفصيلاً ما دار من مناوشات من عصبة المشاركة انتهت بانخراطهم في النظام، ثم تلاشيهم في ثنياته الماكرة.

مثلا، في يوم الثلاثاء الموافق 27 فبراير 2001 م وقع حزب الأمة مع الحزب الاتحادي الديمقراطي (نداء السودان) وقعه كل من السيد الصادق المهدي عن حزب الأمة والسيد محمد عثمان الميرغني عن الحزب الاتحادي الديمقراطي بالقاهرة، منادياً بتحقيق حل سياسي شامل للمشكل السوداني[115].

وفي مارس 2001م زار البلاد السيد هربرت فاوم كمبعوث للأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان في السودان، فقابله الحزب وسلمه مذكرة ذكر فيها أن النظام قبل بالتعددية السياسية والحرية الدينية والحاجة لاحترام حقوق الإنسان نظرياً، وتخلى عن أيديولوجيته الإسلاموية وصار يتحدث لغة أيديولوجية مختلفة، ولكن في الواقع هناك عدة تراجعات، فصلها الحزب في تمديد حالة الطوارئ، وإجراء انتخابات (هي ليست انتخابات ولا قيمة ديمقراطية لها وهي تعني ببساطة أن النظام قد أعاد انتخاب نفسه)، إضافة لأوجه انتهاك حرية الصحافة، وفصل 500 طالب بلا سبب وجيه، والاعتقالات السياسية، وقصف الأهداف المدنية في الحرب، والقوانين المقيدة للحريات[116].

وتواصلت ورش الحزب التحضيرية للمؤتمر العام منذ مارس 2001م حينما انعقدت ورشة قطاع تنمية المرأة في الفترة 19-22 مارس للخروج بإستراتيجية الحزب لتنمية المرأة.

---

115 كتاب أدبيات الحل، مرجع سابق، الوثيقة رقم 84

116 نفسه، الوثيقة رقم 85

## الإستراتيجية الأمريكية الجديدة

صدر في فبراير 2001م تقرير أمريكي كان مهماً للغاية في تغيير السياسة الأمريكية تجاه السودان، وما تلا ذلك من تدخل برافع قوي لتحقيق السلام انتهى إلى اتفاقية نيفاشا في 2005م.
اهتم الإمام الصادق المهدي ومن ورائه حزب الأمة جدا بذلك التطور، فكون لجنة لدراسة التقرير الأمريكي الذي أصدرته مجموعة العمل حول سياسة الولايات المتحدة تجاه السودان التابعة لمركز الدراسات الإستراتيجية والدولية في فبراير 2001م بعنوان (سياسة الولايات المتحدة لإنهاء الحرب في السودان)، التقرير الذي شارك فيه أكثر من 50 شخصاً يمثلون مختلف المؤسسات المهتمة بالشأن السوداني. وقد حوى النتائج والتوصيات التي خلصت إليها المجموعة عقب انتهائها من مهمتها التي ابتدأت في يوليو 2000 م وانتهت في فبراير 2001م وقدمتها للإدارة الأمريكية الجديدة، ومعلوم أنه كان من ضمن تلك الشخصيات الخمسين الدكتور فرانسيس دينق السياسي والدبلوماسي والكاتب السوداني الجنوبي الشهير.
أسفرت دراسة حزب الأمة للتقرير عن مذكرة في 1 أبريل 2001م،[117] حددت إيجابيات التقرير، مع الإشارة لوجود نقاط مهمة يمكن أن تمنع وصول الجهد الموصى به للسلام في السودان إلى نتائجه المرجوة، وأهمها: (أن التقرير أوصى بفصل السلام عن الديمقراطية وهذا خطأ أساسي لأن السلام نفسه لن يتحقق بهذا الفصل. فاتفاقية السلام العادل يجب أن تضمن في الدستور لضمان تنفيذها ولا بد أن يكون ذلك الدستور ديمقراطياً لأن الدساتير التي تضعها الأنظمة الشمولية تكون عرضة لأهوائها، وما تجربة اتفاقية أديس أبابا 1972 ببعيدة عن الأذهان، فقد نقض النظام المايوي الاتفاق كما خرق دستوره. والديمقراطية ضرورية للوصول للسلام لأن طبيعة أسباب النزاع لا يمكن معالجتها إلا في جو من الحرية: فالمشاركة السياسية العادلة في الحكومة المركزية، وتفويض الصلاحيات في الحكم اللامركزي، والتقسيم العادل للثروة .. الخ كل هذه المسائل تحتاج لجو ديمقراطي لمعالجتها فالديمقراطية في مجتمعنا المتعدد المتنوع ليست ترفاً ولكنها قضية جوهرية محورية).
إضافة لعيوب أخرى رأتها مذكرة الحزب مثل قصر التعامل مع الحركة الشعبية، وعدم الاعتراف بالتطورات الإيجابية في السودان، والتوصية بأن يكون إعلان مبادئ الإيقاد هو الأساس، واقتراح سودان واحد بنظامين..الخ[118].
وسوف نرى أن تلك الأسس التي جاءت في التقرير هي التي بنيت عليها فعلاً اتفاقية سلام نيفاشا بدءاً ببروتوكول مشاكوس الإطاري في يوليو 2002م وحتى مصفوفة التنفيذ في يناير 2005م.

## لقاء الترابي قرنق

التقى المرحوم الدكتور حسن الترابي الذي كان جرح تلاميذه لا يزال يدمي بالدكتور جون قرنق المعارض بالسلاح حينها في جنيف في الفترة 17-19 فبراير 2001م وكلٌ منهما على

---

[117] كتاب ادبيات الحل، مرجع سابق، الوثيقة رقم 89
[118] للمستزيد ان يرجع للوثيقة المذكورة، السابق.

رئاسة وفد حزبي. خرجت عن ذلك اللقاء مذكرة تفاهم وقعها باقان أموم وياسر عرمان عن "الحركة الشعبية" وعمر إبراهيم الترابي والمحبوب عبد السلام عن "المؤتمر الوطني الشعبي".

احتوت المذكرة على لغة تعبوية معارضة للنظام ونهجه الشمولي السلطوي (والذي استفحل بقرارات 12 ديسمبر 1999م، وتماديه في عدم الاعتراف بالأزمة الوطنية والبحث عن حلول سلمية لها)، وطالبت بالوصول لاتفاق سلام عادل وديمقراطية حقيقية تصون الحريات والحقوق (خصوصاً في وجه العدوان على الحقوق الأساسية الذي ينتهجه النظام)، ونصت على (تصعيد وسائل المقاومة الشعبية السلمية حتى يتخلى النظام عن نهجه الشمولي ويتيح الفرصة للبديل الوطني الذي يقره الشعب السوداني وقواه السياسية كافة)، وطالبت بحق تقرير المصير وأدانت محاولات النظام الأخيرة للتنصل عنه بعدما التزمه في اتفاقات سابقة. كما ذكرت أن (النهج الانقلابي فاقم الأزمة الوطنية ولم يفلح في الوصول بالسودان إلى الحل الوطني الشامل الدائم وأن مبدأ المحاسبة على الفساد والجرائم التي ارتكبت أمر مشروع وضروري لمستقبل الحياة العامة ولا بد منه). كما نصت على اللا مركزية، وطالبت (بإلغاء القوانين المقيدة للحريات وعدم سن أخرى جديدة ورفع حالة الطوارئ وإتاحة الحرية للنشاط السياسي وحرية الصحافة والتعبير وإطلاق جميع المعتقلين السياسيين)، وعضدت وقوف القوى السياسية في مواجهة القمع وانتهاكات حقوق الإنسان. وذكرت أن الطرفين اتفقا على برنامج مشترك لتحقيق الأهداف الواردة في مذكرة التفاهم وفق آلية للتنفيذ والمتابعة[119].

وفي 20 فبراير عقد الترابي رحمه الله مؤتمراً صحفياً بالخرطوم وحمل فيه بشدة على حلفائه السابقين في الحكم ووصفهم بأنهم صاروا حكم "طاغوت" وقوة. وانتقد استمرار فرض حال الطوارئ في وجود برلمان، معتبراً ذلـــك مخالفة للمادة 134 من الدستور التي تنص على انتهاء تدابير حال الطوارئ بعد انقضاء ثلاثين يوماً من صدور إعلانها إذا لم يوافق المجلس الوطني بقرار على مد اجله، ساخراً من عدم انتباه رئيس البرلمان لهذه المسألة. وقال: "الحكم صار طاغوتاً وقوة ولا يأبه بالدستور والقانون[120]."

أقلقت هذه المذكرة السلطات في الخرطوم فأخرجت أصواتها المكفّرة هذه المرة ضد مرشدها، وإن كان عُرف عن الثورة الفرنسية مقولة: الثورة تأكل بنيها، فقد وصف الدكتور عبد الله قسم السيد ما حدث بين الترابي رحمه الله وتلامذته في كتاب بعنوان (الإنقاذ تأكل أباها).

## الأضحى بالجزيرة أبا

كانت أول رحلة داخلية للسيد الصادق إلى الجزيرة أبا لأداء صلاة عيد الأضحى لعام 1421هـ.

كانت السنّة التي استنها الإمام عبد الرحمن هي تمضية عيد الفطر فيها فيؤم الجزيرة حشد ضخم من جميع جهات وأصقاع السودان، وصار هذا تقليداً يحضره أهل الأدب والشعر والفقهاء وأهل البلاغة وأهل الفن، فكان الناس يأتون من دنقلا وبلاد الشايقية ودارفور وكردفان وكسلا والقضارف وبعض جهات الشرق والجنوب، وكان الخريجون المتعاونون معه من

---

[119] صحيفة الحياة بتاريخ 21 فبراير 2001م، العدد 13857، حيث يوجد النص الكامل للمذكرة

[120] نفسه

أمثال محمد علي شوقي والشنقيطي ويحي الفضلي[121] يفدون في هذا الموسم، ومن ذلك أن بعض المعارضين قال ليحي الفضلي طبعاً ذاهبون للحج، فلما كان المهرجان ألقى يحي قصيدة رائعة استهلها بقوله: جئنا نحج، أجل!. وكان الشعراء والشوادي على رأس الذين يشاركون في هذا الاحتفال أمثال: ود حاج العاقب. صالح عبد السيد "أبو صلاح". سيد عبد العزيز. عبد الرحمن الريح، عمر البنا، عبد الرازق حكومة، الطيب الأنصاري، عبد الله الجعلي. محمد سوق نينا، أحمد ود يوسف، وعبد الكريم الشيخ.[122]

في ذلك العام ذهب السيد الصادق في الأضحى للصلاة في الجزيرة أبا وكانت الحشود لا توصف.

في الخطبة الأولى تطرق الحبيب لفقه الأضحية والعيد كالعادة، وفي الخطبة الثانية تحدث عن عدد من القضايا الوطنية والعالمية.

ننتخب مما قال حول بعض القضايا الوطنية:

*(إن نهجنا الذي سرنا فيه يسير مع موجة التاريخ بينما الذين يوجهون المواجهات يسبحون عكس موجة التاريخ. الحقائق الآتية تؤكد ما ذهبنا إليه:*

*أولا: تراجع التعصب الأيدلوجي وأدرك أصحاب الأجندات الأيديولوجية المتعصبة في اليمين واليسار أن بضاعتهم بارت.*

*إن مذكرة التفاهم الأخيرة بين الدكتورين الترابي وقرنق دليل على هذا التخلي عن التعصب الأيديولوجي وهو دليل إيجابي لكنهما افسدا هذا المعنى بنص يفتح جبهة مواجهة جديدة في ظروف ضاق أهل السودان، والإقليم، والعالم بجبهات المواجهة في السودان وشقي أهل السودان بآثار هذه المواجهات.*

*ثانيا: إن ضيق أهل الشمال بالمواجهات والاقتتال ظاهر لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولكن جاء دليل قاطع جديد بان أهل الجنوب كذلك ضاقوا بالحرب.*

*إن مبشري كمبوني يمثلون جماعة مسيحية عاملة بنشاط في المناطق التي يديرها الجيش الشعبي في الجنوب. هؤلاء المبشرون يعيشون وسط المواطنين ويلمون بمشاعرهم ومواقفهم. هؤلاء المبشرون أصدروا بيانا بالإجماع. في يوم 2001/1/19م جاء فيه[123]: إن هذه الحرب لم تعد حرب تحرير أو دفاع عن حقوق الإنسان. بل صارت صراعا من أجل السلطة والأطماع المادية. وصارت فرصة لكثير من الطامعين للثراء على حساب الفقراء. لقد أهدرت القيم الروحية والإنسانية والثقافية وعم الفساد والتعصب القبلي والكراهية كل مكان. عبارة تحرير لم يعد لها معنى. ومصلحة الدين المسيحي صارت تستغل لتحقيق منافع ذاتية. في المناطق المحيطة بنا ما هو التحرير أو التحسن الذي نشاهده؟ الجميع يهربون من أجل حياتهم. والنزاع*

---

[121] كانت جماعة الأشقاء وعلى رأسها السيدان إسماعيل الأزهري ويحي الفضلي من جماعات الخريجين المقربة للإمام عبد الرحمن المهدي والمداومين على زيارته في منشأ مؤتمر الخريجي عام 1938م وذلك عبر صديقهم السيد عبد الله الفاضل المهدي، لكن حدث الشقاق بينه وبينهم في أواخر 1944م لأسباب عديدة فصلها د. فيصل عبد الرحمن علي طه في: الحركة السياسية، مرجع سابق.

[122] الطيب محمد الطيب الشعر والمدائح بين يدي الإمام عبد الرحمن ص 341

[123] نص مذكرة مبشري كمبوني منشورة في أدبيات الحل السياسي، مرجع سابق، الوثيقة رقم 77

*اختلاط للحابل بالنابل. شماليون ضد جنوبيين. وشماليون ضد شماليين. وجنوبيون ضد جنوبيين. ونوير ودينكا ضد العرب. والنوير والعرب ضد الدينكا. والدينكا ضد الدينكا. والنوير ضد النوير، والدينكا ضد الدينكا. وهلم جرا. إنها حرب ليس فيها منتصر الكل فيها مهزوم. إننا ننادي قادة الأطراف المقتتلة باسم الله بأن اسكتوا البنادق. وننادي دعاة الخير في كل مكان أن اجهروا بأصواتكم ومزقوا هذا الصمت وضاعفوا مجهودات التوسط لإنهاء هذه الحرب وتحقيق السلام").*

*و(إن نداء السودان الذي أصدره الحزبان الأمة والاتحادي الديمقراطي في القاهرة في أول مارس 2001م يعزز خطوات الحل السياسي الشامل ويعزز الاعتدال ويتكامل مع نداء الوطن في دعم الحل السياسي الشامل. منذ فبراير الماضي دعت الجماهيرية الليبية لاجتماع في طرابلس حضرته أهم أحزاب المعارضة. وهناك عرض المسئولون برنامجا لتفعيل المبادرة المشتركة، واستمعوا لتعليقات تلك الأحزاب. كانت التعليقات إيجابية واتفق أن المسئولين الليبيين سوف يكملون التشاور مع المسئولين المصريين، ويخاطبون أطراف النزاع السودانية بخطاب مشترك لتفعيل المبادرة المشتركة في يوم 2001/3/1م. والتزمنا بأن نرد على هذا الخطاب في ظرف شهر. وعلى ضوء ذلك سوف تتخذ المبادرة المشتركة خطوات عملية محددة لعقد الملتقى الجامع منبر مباحثات الأطراف السودانية من أجل الحل السياسي الشامل).*

*(حزب الأمة قدم لأصحاب المبادرة المشتركة مذكرة محددة بتاريخ 2001/2/4م بعنوان: برنامج الحل السياسي في السودان. اقترحنا في ذلك البرنامج أن تكون المبادرة المشتركة آليات لتحركها واقترحنا صيغة لإشراك جيراننا في القرن الأفريقي ودول شركاء الإيقاد، واقترحنا تسع فصائل توجه لها الدعوة كما اقترحنا أن تكون أجندة الملتقى الأول الاتفاق على إعلان مبادئ الحل السياسي الشامل المكون من قسمين قسم خاص بالسلام العادل وقسم خاص بنظام الحكم.. هذه الحقائق كلها تؤكد أن الموجة الصاعدة داخل السودان، وفي إقليمه المحيط، وفي الوسط الدولي هي موجة الاعتدال والاستجابة للحل السياسي الشامل).*

ثم خاطب جماهير الأنصار وحزب الأمة ناصحاً ومناشداً.. *(هنالك شعارات يطلقها بعضنا لا تتناسب مع هذا الدور الرحماني العلاجي: وجع وجع..الصادق رجع: أن يقال أمان أمان، الصادق في السودان. لا نصادق إلا الصادق: لا نصادق إلا صادق.. لنفتح الباب لمصادقة كل الصادقين. الشعار الثالث: البلد بلدنا ونحن أسيادها. البلد بلدنا.. الكل أسيادها.. الخ.)*

كانت صغيرتي أمان بعمر سنتين ونصف وقد حضرنا مع الحبيب في (تفلحون) في ذات الطائرة، وحينما سمعته في الخطبة يقول لا يناسب أن يقال وجع وجع الصادق رجع بل أمان أمان، الصادق في السودان.. لفتتني قائلة: أمي، أبوي الصادق قال أمان في السودان!

## زيارات نيجريا

في هذا العام زار الحبيب نيجيريا ثلاث مرات في أبريل ومايو ويونيو، وذلك ضمن وساطة الرئيس النيجيري أوباسانجو في سلام السودان، ثم ما كان من تطبيق بعض الولايات النيجرية للشريعة الإسلامية برؤية سببت صداماً واختلافاً حاداً، مما حدا بالرئيس أوباسانجو أن يطالب السيد الصادق بأن يلقي بمحاضرات تنصح أصحاب تلك التجارب من وجهة نظر إسلامية بضرورة مراعاة الوحدة الوطنية والاستفادة من تجارب التطبيق الفاشلة، وسوف نتطرق لاحقا لزيارة يونيو التي ألقى فيها تلك المحاضرات.

**قال السيد الصادق المهدي حول زيارة أبريل[124]:**

*(لقد زرت جمهورية نيجريا الفدرالية هذا الشهر بدعوة من رئيسها المنتخب انتخابا حرا في ظل نظام ديمقراطي تعددي. إن لنيجريا بالسودان تشابها في معالم أساسية: نيجريا أكثر الدول الأفريقية سكانا والسودان أكبرها حجما. وفي البلدين مسألة شمال/ جنوب وإشكالية التعامل مع التنوع في إطار الوحدة. وفي البلدين مسألة الحوض المشترك لنهر عظيم عابر للحدود، وفي السودان وجود كبير لمواطنين من أصل نيجيري، كما أن في نيجريا مشاعر دافئة نحو السودان، والدعوة المهدية ذات الوزن المعروف في السودان قام قائد الجهاد الأعظم في نيجريا الشيخ عثمان بن فوديو بدور هام في التبشير بها قبل عشرات السنين من انطلاقها.*

*الرئيس النيجيري الحالي ذو صلات قوية بالقوى السياسية السودانية، لا سيما الجنوبية. وحاول منذ الثمانينات أن يقوم بدور وساطة، والآن قد جدد العزم للقيام بهذا الدور، ودعاني للاستئناس بالرأي حول ما يمكن عمله. في لقائنا تداولنا ثلاث نقاط هي:*

- *أن الظروف الآن مناسبة أكثر من أي وقت مضى ليقوم بدوره في تسهيل لقاء أطراف النزاع في السودان وأنه بعد أن وجد استعدادا من كافة الأطراف سوف يسعى لتحقيق ذلك، والتزمت أن أتعاون معه في هذا المجال تسهيلا للحل السياسي الشامل، وسنكون على اتصال مستمر لهذا الغرض. إنه هو صاحب المجهود في هذا الصدد ونحن ملتزمون بمساعدته لمساعدتنا في تحقيق مصالح بلادنا العليا، وهو مجهود يعود لبلاده بعائد ايجابي كما يعود للقارة الأفريقية كلها، وله شخصيا بايجابيات مشروعة ومقدرة.*
- *إن الديمقراطية الوليدة في إفريقيا تعاني مشاكل عديدة ينبغي أن تدرس وأن يتعاون روادها للتعرف على مشكلات الديمقراطية وحلها. اتفقنا أن يتم تعاون على نطاق غير حكومي بل حزبي لإقامة منبر ديمقراطي افريقي.*
- *أوضحت له أن لفيف من علماء ومفكري المسلمين يعملون على بث فكر إسلامي صحوي يخاطب قضايا الإسلام والحياة المعاصرة، والإسلام والعلاقات بين الأديان، والعلاقات الدولية المعاصرة وترجو أن يجد هذا المنبر الإسلامي مجالا في نيجريا. رحب الرئيس بأية أنشطة إسلامية من شانها أن تبث الوعي الإسلامي والتعايش السلمي بين الأديان.)*

## لقاء الصادق قرنق

لقد تعرضنا في الباب السابق لبعض ما حدث في اجتماعات التجمع الوطني الديمقراطي في أخر عام 1999م بعد توقيع نداء الوطن، والخطابات المتبادلة بين المهدي وقرنق، وكيف سمم خطاب الراحل قرنق المرير العلاقة بين حزب الأمة والحركة الشعبية. وكيف أن رد السيد الصادق عليه أكد أنهم لن يقلعوا عن مخاطبة القضايا الموضوعية التي تجمعهم.

كان أول لقاء بين السيد الصادق والمرحوم دكتور قرنق بعدها في رحاب الرئيس النيجيري أوباسانجو.

---

[124] أدبيات الحل، مرجع سابق، كلمة رئيس الحزب في المؤتمر الصحفي الثالث بعد العلنية في 17 أبريل 2001م الوثيقة رقم 91

وقد نشر حزب الأمة بياناً حول **حقيقة لقاء أبوجا بين الصادق وقرنق في نيجيريا مايو 2001م**[125]. يقول البيان:
(دعا الرئيس أوباسانجو السيد الصادق المهدي لمقابلته في داره واستهل حديثه بعد الترحيب بسؤاله هل من جديد في أمر السودان يصلح لأن يكون أساساً لحل يحقق السلام والاستقرار في السودان؟ فرد السيد الصادق المهدي عليه بالإيجاب وأنه نتيجة للحوار مع كل الأطراف لا سيما الحكومة يعتقد أن الجميع ضائق بالحرب وأن العصبيات الأيديولوجية انحسرت وأنهم الآن ينادون بثلاث نقاط أساسية نعتقد أنها سوف تجد القبول من كل الأطراف بقوة حجتنا وبموقف الشعب السوداني والرأي العام العالمي إلى جانبها، وأن آلية الاتفاق عليها يمكن أن تكون الملتقى الجامع الذي دعت إليه المبادرة المصرية الليبية المشتركة ويحضره جيراننا في الشمال الأفريقي والقرن الأفريقي وآخرون. وقال له، إنهم كفيلون بالعمل على قبول كل الأطراف السودانية لها ولكنه يتوقع لأسباب يقدرها ترددا من (صديقك جون قرنق)، فإن هو، أي الرئيس النيجيري، وجدها معقولة وأقنع بها قرنق سنواصل نحن في حزب الأمة عملنا لقبول الأطراف الأخرى كلها لها بما في ذلك الحكومة ونتطلع لقبول سوداني شامل لها.
قال الرئيس أوباسانجو: "أنا أعتقد أنها نقاط معقولة وتصلح أساسا لاتفاق شامل، وسوف أحاول مع قرنق".
شكره السيد الصادق المهدي على موقفه وقال له إنه منتظر منه إفادة وسيواصل عمله من أجل قبول كل الأطراف لها.
وفي يوم الثلاثاء أول مايو 2001م جاءه خبر دعوة لمقابلة الرئيس النيجيري في يوم 4 مايو القادم، اعتذر السيد الصادق المهدي بأنه سيتوجه لدولة قطر في يوم 6 مايو ولن يستطيع تلبية هذه الدعوة إلا بعد العودة من قطر. السفير النيجيري اتصل بأبوجا وجاء يلح عليه لقبول الموعد مهما كلفه الأمر فقبل ورتب نفسه أن يسافر من هناك لدولة قطر في الموعد المتفق عليه لزيارتها[126].
في يوم الاثنين 30 أبريل دعا السيد الصادق المهدي لاجتماع عاجل للمجلس القيادي لبحث قضايا عاجلة ومنها قضية سفره لأبوجا، وكان قد وضع النقاط التي يراها أساساً لحل شامل في شكل مشروع إعلان مبادئ للحل السياسي الشامل، والنقاط في جوهرها تمثل الأجندة الوطنية التي نعمل من أجلها ونطالب بها النظام وقد قبل بعضها ولم يقبل بعضها الآخر بعد، والنقاط الثلاث التي ذكرها السيد الصادق المهدي للرئيس أوباسانجو تمثل خلاصة لها. المجلس بحثها وأجازها وقرر أنها تمثل موقفنا بدقة.
في يوم الثلاثاء أول مايو التقى السيد الصادق المهدي بالرئيس عمر البشير وبحث معه العلاقات بينهم وبين حزبنا ومسألة المسيحيين على ضوء الإشكالات التي طرأت بعد منع (قداس الساحة الخضراء) وتطورات الحل السياسي الشامل واتفقا أن تنظم اللقاءات بينهما

---

125 تقرير حول اللقاء نشره رئيس قطاع الجنوب، في كتاب أدبيات الحل، سابق الوثيقة رقم 92
126 كانت هناك رحلة مبرمجة لقطر، كما كان الحبيب مرتبطا بعقد قران أحد الأحباب، في رسالة بتاريخ أول مايو 2001م للحبيب الدكتور الطيب حاج مكي يعتذر له عن حضور عقد قران الابن (حاتم)، ويذكر أنه اضطر للسفر عاجلاً لنيجريا في يوم الأربعاء 2 مايو ويتمنى للعروسين حياة سعيدة.

لمواصلة الحوار، وأبلغه بزيارته لنيجيريا ودولة قطر للعلم وقال له بالنسبة لدعوة الرئيس أوباسانجو أنها تدل على أنه يواصل مجهوداته .

وصل السيد الصادق المهدي أبوجا يوم 2 مايو ودعاه الرئيس أوباسانجو لمقابلته في يوم الخميس 5/3 وهناك فوجئ بدعوة د. قرنق لنفس اللقاء. استهل الرئيس اللقاء بالترحيب بهم وقال إنه سمع من السيد الصادق المهدي نقاطاً يعتقد أنها في نظره شخصياً صالحة لحل عادل في السودان ويريد أن يسمع رأي د. قرنق فيها. ثم تناول السيد الصادق المهدي الحديث وذكر أن المأساة الإنسانية في السودان بلغت أقصاها مما يوجب إيجاد حل، وقال إن النقاط الآتية في نظر حزب الأمة تصلح للحل وأننا في حزب الأمة سنعمل ليقبلها الجميع وخلاصتها ثلاث نقاط:

- الأولى: اتفاقية سلام مؤسسة على القرارات التي وقعت عليها قوى المعارضة في يونيو 1995م.
- الثانية: تحول ديمقراطي يكفل الحريات العامة وحقوق الإنسان وفق المواثيق الدولية.
- الثالثة: آلية لضمان تنفيذ ما يُتفق عليه.

د. جون قرنق فوجئ مثل السيد الصادق المهدي باللقاء المشترك وانصب كل همه في أن للسيد الصادق المهدي ولحزب الأمة أجندة كسب سياسي عليه أن يحول دونها، وأن الآراء المطروحة سوف تورطه في اتفاق مع الحكومة السودانية لم يستعد بعد لقبولها فهو لا يمانع من اتفاقات تعزز المواجهة مع الحكومة حتى مع أعدى أعدائه ولكن أية اتفاقات يمكن أن تؤدى لاتفاق شامل يرفضها. ولما كانت النقاط في حد ذاتها واضحة وعادلة فإنه تجنب الحديث عنها وفتح ملفات غير مطروحة (ملفات الخلاف حول نداء الوطن ورأيه فيه، والخلاف حول التجمع الوطني الديمقراطي، وغيرها)، ولكن فات عليه تماماً أنه بالموقف البارد من النقاط الثلاث المطروحة إنما يكشف موقفه أمام:

- الرأي العام السوداني الذي يؤيد هذه النقاط بشدة.
- الرأي العام العالمي الذي يرى معقوليتها.
- الرئيس أوباسانجو الذي اعتبرها في نظره عادلة.

والحقيقة أنه تجنب الرد على جوهر النقاط وناور لتعطيلها بفتح ملفات بائدة وهذا نفسه زاد من كشف موقفه وإحراجه.

إن حزب الأمة سوف يواصل محاصرته لكل الأجندات الضارة بالوطن وهي الأجندة الحربية، والشمولية، والتدويلية، وسوف يواصل محاصرتها بالحجة القوية وبالشعب السوداني وبالرأي العام الأفريقي والعربي والدولي وسوف يجد أصحاب تلك الأجندات أنفسهم أمام التخلي عنها أو العزلة الشاملة.

الجيش الشعبي وقائده العقيد جون قرنق أمامه خياران: قبول النقاط الثلاث أو الخندقة في الأجندة الحربية بصورة مكشوفة للرأي العام السوداني لا سيما الجنوبي، والرأي العام الأفريقي لاسيما جنوب الصحراء، والرأي العام الدولي لا سيما المسيحي. فهؤلاء جميعاً الآن يلحون على تحقيق السلام العادل والتحول الديمقراطي وإيجاد آليات لتحقيقها. ومع هذا التقدير للموقف سوف نستمر في نضالنا داخلياً وخارجياً). أ. هـ.

وبعد عودته للبلاد أرسل السيد الصادق خطاب شكر للرئيس أوباسانجو يثمن مجهوداته باتجاه الحل السلمي السوداني، ويتطلع للتعاون المستقبلي معه.

## نصح مسلمي نيجريا

تقلب النظام السياسي النيجيري بين الديمقراطية والدكتاتورية العسكرية، كما عانت نيجريا من الحرب الأهلية التي استمرت منذ مايو 67 وحتى ديسمبر 69 إثر إعلان الولايات الشرقية استقلالها تحت جمهورية بيافرا، وانتهت بتوحيد البلاد تحت حدود نيجريا المعاصرة.

وفي قمة هذه التجارب المريرة، والأحداث المتشابكة حدثت وفاة آخر طاغية نيجري وهو الجنرال ساني أباشا في يونيو من عام 1998م، فقام خلفه الجنرال عبد السلام أبو بكر بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وأجرى انتخابات عامة برقابة دولية في أوائل عام 1999م، وأسفرت الانتخابات الرئاسية عن فوز الجنرال المتقاعد أوليسون أوباسانجو.. أول رئيس مسيحي منتخب على نيجريا.

في أواخر نفس العام، أي في أكتوبر 1999م، أعلن الحاج أحمد ساني حاكم ولاية زمفارا الشمالية تطبيق الشريعة الإسلامية في ولايته. وتتالت ولايات الشمال تطبق ذات البرنامج مما أثار جدلاً محموماً. رأى بعض معارضي التجربة أن سبب تطبيق الشريعة هو إحراج الرئيس أوباسانجو بصفته أول رئيس مسيحي منتخب. إذ طالما كان الحكم بأيدي الشماليين فلماذا لم يطبقوها وكانت بأيديهم الآلة العسكرية القاهرة؟ آخرون رأوا أن السبب الرئيسي هو الحصول على شعبية مفقودة ومداراة رائحة الفساد التي أزكمت الأنوف ببخور الشريعة العابق. بينما رأى المتعاطفون أنها اتجاه طبيعي للجماهير المسلمة بعد أن نالت حريتها، وأن الجريمة المنتشرة في نيجيريا لا يمكن كبح جماحها إلا عبر العقوبات الإسلامية الرادعة، إضافة لمظالم المسلمين التاريخية بالتهميش التنموي والتي انفجرت بانتخاب رئيس مسيحي على غالبية مسلمة.

وقد اشترك في نقاش التجربة بعض القمم الفكرية النيجرية مثل سنوسي لاميدو سنوسي (أمير كانو منذ 2014م) الذي انتقد استنساخ أحكام فقهية بدون مراعاة تغير الزمان والمكان خاصة في الزكاة مع الاختلاف الكبير بين بيئتي نيجريا والجزيرة العربية، كما شاركت قمم فكرية عالمية مثل الدكتور علي مزروعي رحمه الله الذي كان متعاطفاً مع التجربة، وفي تحليله أن الاتحاد النيجيري ينحو أكثر إلى اللامركزية التي تحمل في أحشائها تقرير المصير الثقافي، وهو يتخذ في الشمال شكل حكم الشريعة. واعتبر الدعوة للشريعة نفسها نتاج العولمة التي أثارت الذعر الثقافي والخوف من فقدان الهوية. ففي نيجيريا الجنوب أكثر غربنة ولذلك فهو أكثر استجابة للعولمة، لذلك حينما تقلد كرسي السلطة بعد الانتخابات جنوبي مسيحي، دقت أجراس الخطر في الشمال. الشريعة بهذا المفهوم نوع من أنواع مقاومة الشمال للعولمة. فإن كانت العولمة تهمش عموم عالم الجنوب، ففي نيجيريا الشمال

أكثر تهميشاً، والشريعة تمثل ثورته ضد التهميش داخل الهامش، ولكن مزروعي رأى ضرورة مراعاة التطبيقات لمقتضيات التنوع والوحدة الوطنية[127].

## محاضرتا المهدي في نيجريا

وسط هذا الجدل الكبير الدائر كانت محاضرتا المهدي في نيجريا بطلب من الرئيس أوباسانجو. ونحن نعلم من الأجزاء السابقة في هذه السلسلة أن للمهدي علاقات وطيدة بنيجريا وقد زارها كثيراً كما ألقى محاضرات في جامعات نيجيرية في 1980م، هذا علاوة على العلاقة المتأصلة بأسرة الشيخ سعيدو حياتو في مدينة كانو، تحديداً أسرة ابنه أبوبكر (قربا) وذريته: أسماء وزينب والمهندس فاروق، والوجود الأنصاري الذي يبلغ الملايين في نيجريا.

المحاضرة الأولى كانت عن الدين والوحدة الوطنية ألقاها المهدي في المعهد النيجيري للشؤون الدولية بلاغوس العاصمة في يوم الثلاثاء 28 يونيو ورأس جلسة محاضرة لاغوس الرئيس النيجيري الأسبق الجنرال المتقاعد يعقوب قاوون. والثانية كانت بعنوان (الدروس المستفادة من التجارب المعاصرة لتطبيق الشريعة الإسلامية) بكادونا يوم السبت 30 يونيو 2001م تحت رعاية جمعية المسلمين في نيجيريا[128].

ألقى المهدي محاضرتيه رغم نصح البعض له بعدم تناول هذه القضية الحساسة والتي يجري حولها جدل حامي الوطيس، فهو لا بد سيفقد طرفاً من أطراف النزاع بمقولته أياً كانت.

لكنه رأى أن القضية المثارة لا تحتمل التجاهل، وأن من واجبه مخاطبتها بما يملي عليه الاجتهاد والضمير فمن لم يهتم لأمر المسلمين ليس منهم. وسنرى أنه حصل بالفعل نقل خاطئ لآرائه، فالناس معتادون في قضية تطبيق الشريعة على مواقف تبسيطية مخلة بالتعقيد الذي يحيط بالقضية.

ولدى عودة السيد الصادق للسودان، صلى الجمعة بمسجد الهجرة بودنوباوي، في 6 يوليو 2001، وتحدث عن زيارته لنيجريا والمحاضرتين بقوله:

*(نحن أهل السودان عموما أهملنا أفريقيا وأهل أفريقيا فعاد لنا هذا الإهمال بالجفوة، وعاد لنا باستغلاله ضدنا وهذا تقصير كبير ينبغي تجاوزه. نيجيريا وطن عظيم ويكن أهله للسودان وللسودانيين وداً واحتراما كبيرين. للأسف، ود واحترام من جانب واحد، نحن عموما لا نتجاوب معه بالمستوى المطلوب، بل في أحيان كثيرة نستخف به. مع أن كثيرا من دعوات العلم والدين جاءتنا من هناك. الشيخ عثمان دان فوديو هو الذي مهد بفكره وجهاده للمهدية في السودان. وكثير من علماء السودان وبيوت الدين فيه أصولها من هناك.*

*نيجيريا فيها حماسة دينية كبيرة، وهذه الحماسة الدينية لا زالت حتى اليوم متقدة ولكن المدهش أن الصلة الثقافية بيننا وبينهم، وبينهم وبين مراكز الثقافة الإسلامية في المشرق مقطوعة، ولذلك تيارات الفكر الإسلامي الحديث لم تقم هناك بالدرجة المطلوبة.*

*العالم كله اليوم يشهد صحوة دينية -في الإسلام وفي غير الإسلام- كل الديانات الأخرى اليوم تشهد حماسات دينية. وفي نيجيريا هناك عوامل أخرى مثل:*

---

[127] Ali Mazrui, Shariacracy and Federal Models in the Era of Globalization: Nigeria in Comparative Perspective, 2001.

[128] قد ألقيت المحاضرتان باللغة الإنجليزية وترجمهما الحبيب عبد الرحمن الغالي.

- عوامل سياسية فيها يشعر الناس بأنهم عموماً لم يشاركوا بالقدر المطلوب في شؤون الحياة لفساد الحكم وللتجارب الدكتاتورية.
- كذلك إحساس بالغبن الاقتصادي. بأن الثروة النفطية التي شملت البلاد لم تعم وإنما وزعت بطريقة غير عادلة.
- هناك فوارق اجتماعية كبيرة، وهنالك أيضاً هيمنة الثقافة الغربية مما أشعر المسلمين باستلاب وبغزو فكري وثقافي خارجي.

هذه العوامل كلها غذت التطلعات الإسلامية اليوم في نيجيريا. تطلعات بعضها لإثبات الذات الديني الإسلامي وبعضها للاحتجاج ضد هذه الظواهر. ولذلك نشأت في نيجيريا الآن تطلعات قوية لمشروعات إسلامية وتطلعات لتطبيق الشريعة عمت تسع من ولايات نيجيريا وعددها الكلي 36 ولاية.

لقد دعيت لنيجيريا لتقديم محاضرتين: الأولى عن الدين والوحدة الوطنية في لاجوس العاصمة القديمة، والثانية عن دروس التجارب الإسلامية المعاصرة في كادونا وهي في الشمال حيث الزخم والقوة السكانية الإسلامية.

هؤلاء الذين دعوني ما دعوني لكي أتحدث لصالح رأيهم أو رأي غيرهم، وإنما أحسنوا الظن بفكر الصحوة على أساس أنه يطرح طرحاً أصيلاً، وأنه يتحلى بوعي بالآخر الحضاري والآخر الديني، وأنه يلتزم بالأسلوب الديمقراطي، لهذه الأسباب وجهوا هذه الدعوة. لبينا الدعوة ونحمد الله على ما كان ونسأله أن تكون فتوحات نيجيرية لفهم معنوي وثقافي.

**المحاضرة الأولى: الدين والوحدة الوطنية**

وهذه من خمس نقاط فيها مقدمة عن أهمية الدين في الحياة، واستحالة طرد الدين من الحياة. وأن هناك نظرتان في الدين، نظرة منكفئة ونظرة صحوية، النظرة المنكفئة يمكن أن تمزق الوحدة الوطنية، والنظرة الصحوية يمكن أن تدعم الوحدة الوطنية. النقاط الخمس تقول:

النقطة الأولى: إن الحضارة الحديثة وما كان فيها من تعنت الكنيسة جعل ردود فعل ضدها، أدت في النهاية إلى انتصار الفكر العلماني والفكر المادي. ولكن مهما كان من ذلك فجملة الحقائق في الحياة تؤكد أنه مهما كان من هذا التطرف فإن الدين له دوره، بل حتى الثقافات الموروثة كلها لها دورها الأكيد في الحياة والذي لا يمكن صرف النظر عنه.

النقطة الثانية: الانكفاء الذي حدث في البلدان الإسلامية أدى للركود والاستبداد، وهذان مع بعضهما بعضاً أديا إلى حالة الاستعداد للاستعمار مما أدى إلى الاستعمار، هذه الحقيقة بحثتها وفصلت كيف أننا يجب أن نخرج من هذا الفهم المنكفئ.

النقطة الثالثة: أكدت أن موقف الكنيسة في الغرب، وذلك الموقف الذي انتصر للفكر العلماني وللفكر المادي، كان له أثر استلابي سلبي في بلداننا، لأن الانكفاء جعل كثيراً من مفكرينا ومثقفينا يتجهون اتجاهاً استلابياً في تبعية الغرب. لذلك قال زيا غوك الب التركي: "إن الغرب هو المستقبل وعلينا أن نتجه إليه وإن ثقافتنا لا تسوى شيئاً" كذلك قال سلامة موسى المصري "أنا مؤمن بالغرب كافر بالشرق".

النقطة الرابعة: هناك خمسة مجالات ينبغي أن نجتهد فيها لنخرج من هذا الوضع المنكفئ: فهم الإسلام: ينبغي أن يكون فهماً واسعاً. فهم المرأة في الإسلام. والجهاد في الإسلام. والدولة في الإسلام. والاقتصاد في الإسلام.. هذه النقاط كلها قدمت اجتهاداً حولها.

النقطة الخامسة والأخيرة: مكونات الحضارة الغربية: إن بالحضارة الغربية ثلاثة مكونات، المكون الذي يعنينا هو المكون الإنساني وهذا المكون الإنساني ينبغي أن ندركه وأن نستصحبه في سبعة مجالات: الحداثة، حقوق الإنسان العالمية، التعايش الديني، التعايش الحضاري، النظام الدولي والتعاون السلامي بين الدول- في هذا الصدد نحن قدمنا اجتهادا كبيرا: أن نتفق-ونحن نعيش في بلدان فيها أديان متعددة- على أن تكون المواطنة هي أساس الحقوق الدستورية، وألا يكون لأية مجموعة دينية امتياز على الآخرين، وألا ينتقص في نظام الدولة والدستور من حقوق الإنسان العالمية، هذا الاتفاق هو الذي فتح الطريق لما حدث بعد ذلك من اتفاقات حلت مشكلة الدين والدولة والدين والسياسة. وما اتفقنا عليه ووقعناه في أسمرا عام 1995م هو الملزم وأي كلام عن تعابير مختلفة وصياغات مختلفة هو مماحكة وتلاعب. إن الذي اتفقنا عليه سيحقق كفالة الحرية الدينية بما لا يعطي امتيازا سياسيا لملة من الملل، ولا يخضع ملة لأخرى، هذا هو الفهم المقبول إسلامياً، وقد دافعنا عن هذا الفهم بصورة واضحة في المحاضرة، وذلك لأننا نعتقد أن المسلم ملزم بهامش عريض في تطبيق دينه، هذا الهامش العريض يتوقف اختياره فيه على مصلحة الإسلام ومصلحة المسلمين لذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة يتبع نهج (كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)[129]، وفي المدينة يتبع نهج (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا)[130]، وهكذا.. الإسلام لا يقف عند تحري نصوص الوحي فقط بل نصوص الوحي نفسها تلزمنا أن نراعي اعتبارات أخرى: الحكمة، والميزان، والقسط.. كلها ينبغي أن نأخذها في الحسبان. على هذا الأساس، ينبغي أن يكون فهمنا لتطبيق الشريعة فهما واعيا ومحيطا لكل هذه الاعتبارات- ومن الأشياء التي ينبغي أن نستصحبها من الثقافة المعاصرة الاهتمام بالبيئة الطبيعية بالمحافظة عليها، والعولمة دون هيمنة أجنبية ودون استلاب.

ختام هذه المحاضرة الأولى هو أن الدين ضرورة حياتية ونفسانية واجتماعية وثقافية وإنسانية، وأن التطور الفكري والاجتماعي للإنسان كذلك ضرورة فكرية وإنسانية واجتماعية وأن النظرة الدينية المنكفئة هي التي تؤدي للتضاد بين مصلحة الأصل والعصر. ولكن النظرة الصحوية الإيمانية الاجتهادية تزيل أي أثر لهذا التناقض بل تبنى أساسا فيه استصحاب لكل المعاني النافعة والخيرة من مؤسسات العصر. وأننا في هذا الصدد لو اتبعنا النهج الصحوي لدعمنا الوحدة الوطنية وكل المستصحبات النافعة الأخرى وبذلك نستطيع أن نطور ونبني أوطاننا وأن نرضي ربنا إن شاء الله.

**المحاضرة الثانية : التجارب الإسلامية المعاصرة:**

هذه المحاضرة هي دروس وعبر من تطبيقات الشريعة المعاصرة. التطلع للشريعة وتطبيق الشريعة أمر مشروع. ولكن على المؤمن أن يستفيد من التجارب التي عاشها غيره في هذا الصدد. تحدثت عن ستة تجارب: ثلاث سودانيات، وثلاث غير سودانية في باكستان، أفغانستان، وإيران.

---

[129] سورة النساء الآية رقم (77)

[130] سورة الحج الآية رقم (39)

أما التجارب السودانية، فالأولى هي تجربة مايو: كانت تجربة معيبة لأن النظام المايوي لجأ للشريعة لا لحد ذاتها ولا لأجلها ولكنه لجأ إليها وهو محاصر بالإضرابات وباستقالات جماعية من القضاة فأعلن في وجه هذه الموجة المعادية ما سماه الثورة التشريعية. وبدأها بالعقوبات وهذا خطأ، العقوبات تأتي في آخر الطريق وليست في أوله. قال الشيخ حسن البنا في كتابه "دستورنا" لا تقطع اليد إلا بعد استيفاء حق المواطن- حق المسلم- في المأكل والمشرب والملبس والصحة وحتى إن كان مدينا أن يدفع دينه. هذه كلها تعني أن الإسلام يبدأ بالوقاية، يزيل أسباب الجريمة، ثم يعالج بعد ذلك من وقع في الجريمة، وهكذا.. في المحاضرة تفصيل لعيوب التجربة المايوية، والتي انتهت بأننا أوفدنا للسودان علماء من كل العالم في عام 1987م وشهدوا جميعاً بعيوب هذه التجربة وما فيها من أخطاء وأولويات خاطئة.

التجربة الثانية: كانت أثناء الديمقراطية الثالثة، وكنا وضعنا لها ضوابط: أن يكون التطبيق ديمقراطيا. وأن يكون اجتهاديا، وأن يراعي العلاقات الدولية القائمة على التعاون الدولي. وأن يراعي فهما تعاقديا في علاقاتنا مع غير المسلمين حتى نطمئنهم على حقوقهم الدينية وحقوق المواطنة. ولكن هذه التجربة للأسف لم يسمح لها أن تستمر بل أجهضت بانقلاب يونيو 89.

التجربة الثالثة: هي التجربة الإنقاذية: وهذه أيضا لها عيوبها الموضحة في المحاضرة. تلك العيوب حول البيعة، والزكاة، والمصارف، والجهاد، والقانون الجنائي، وكل هذه الممارسات وما انتقدناه فيها في المجالات المختلفة.

**التجربة الباكستانية:** أما التجربة الباكستانية فقد قامت أولا على الطغيان السياسي إذ تبنى ضياء الحق التعبير عن التطلع الإسلامي، وربط بين ذلك وبين حكمه، وجعل التصويت للتطبيقات الشرعية عام 1985م عبر استفتاء هو عبارة عن تصويت لاستمرار حكمه. وقال هناك تناقض بين الديمقراطية والإسلام، وهكذا، أقام وضعا في باكستان جعل الحكم في باكستان وأجهزة الحكم في باكستان مستحكمة.

**التجربة الأفغانية:** أما التجربة الأفغانية فقد كانت تجربة قامت على خلط بين التطلع الإسلامي وضرورات الحرب الباردة. ولذلك عندما انتهى الأمر بانسحاب القوات السوفيتية، أدى غياب وجود برنامج واضح إسلامي وسياسي إلى الفوضى. هذه الفوضى أدت بعد ذلك إلى قيام حركة طالبان، وهي أن كل الطلبة الأفغان في المعاهد الدينية الباكستانية جندوا على أساس أن الجهاد واجب. والغريب في هذا الأمر أن هذا الجهاد الذي تحدثوا عنه هو بعد انسحاب القوات السوفيتية، جهاد ضد مسلمين آخرين وهذا يعني أنه في حد ذاته تطلع للسلطة أكثر منه (صادقا) توجه إسلامي. بعد ذلك قاموا بمزايدة كبيرة: منعوا التعليم المدني، فغلوا المرأة من كل عمل يمكن أن تعمله، أحرقوا الكتب حتى كتب كثير من العلماء المجتهدين المعاصرين: كتاب سيد قطب (في ظلال القرآن) أحرق، كتاب أبو الأعلى المودودي (تفهيم القرآن) أحرق، وأخيرا توجوا هذه الحماسات غير المرشدة بأن أفتوا بأن عليهم أن يستفيدوا ويدعموا ميزانية الدولة بزراعة الأفيون، وأن هذا الأفيون ما دام سيستهلكه الكفار فإن زراعته مباحة. هذه كلها أمور شوهت الإسلام وأدت إلى إيجاد ذخائر قوية ضده لدى أعدائه.

***التجربة الإيرانية:*** *كانت أكثر أصالة وأكثر إنجازا وأكثر شعبية وأكثر موضوعية ولكن يؤخذ عليها القيد المذهبي: لأنها تتحدث عن التزام مذهبي وآن الأوان أن يكون موقفها من الدين اجتهاديا مفتوحا. لا يقيد نفسه إلا لقطعيات الوحي. والآن التجربة تقف في مفرق طرق بين أمرين: ولاية الفقيه، وولاية الجمهور. هذا ينبغي أن يحسم لصالح ولاية الجمهور لكي لا يؤدي لانغلاق التجربة.*

*هناك ستة دروس مستفادة من هذه التجارب، هي:*

***أولا:*** *الشريعة للمسلم أمر ملزم. هذه حقيقة ينبغي ألا تغيب على أحد.*

***ثانيا:*** *في النطاق الخاص بممارسة المسلم لعباداته وبأحواله الشخصية هناك سهولة في تطبيق أحكام الشريعة ولا يوجد إشكال، ولكن في نطاق القانون العام والحياة العامة توجد مشاكل لا بد أن تعالج وإن لم تعالج فستؤدي إلى مشاكل تالية وحرجة.*

***ثالثا:*** *إن هامش التطبيق للشريعة في المجال العام عريض ولا بد أن نعي أن الإسلام فيه هذا الهامش العريض: بين أن يطلب منا أن نتقي الله ما استطعنا وبين أن يطلب منا أن نتقي الله حق تقاته، وهكذا. ينبغي أن نستخدم كل وسائل الحكمة، والميزان والقسط لنحدد ما هي المصلحة التي ينبغي أن نلتزم بها في تطبيقاتنا هذه.*

***رابعا:*** *الأمر المتعلق بتطبيق الشريعة أمر هام، ولأهميته يجب ألا يترك للصدفة، بل يبرمج وتناقش الأولويات، وتحدد الأطر الدستورية وتعطى الضمانات للآخرين، لأن الآخرين إن خافوا أو فزعوا أو جزعوا أو أحسوا بأن هذا التطبيق سيكون على حسابهم كمواطنين أو سيقوم على حسابهم كأتباع أديان أخرى، فإنهم سوف يقاومون ويستنجدون بإخوانهم في الخارج. هذا كله يجب أن نقفل بابه بسياسات واضحة ونصوص دستورية واضحة، ونصوص قانونية واضحة، وبرامج تحدد الأولويات، وتقدم الضمانات.*

***خامسا:*** *إن الإعلان للشريعة وتطبيقاتها من أجل السلطة كما فعل نميري وفعل ضياء الحق وآخرون جريمة ينبغي أن تسمى هكذا.*

***سادسا:*** *لا يحق لأحد أن يتحكم وصاية في الآخرين باسم الدين، بل المطلوب أن يكون أمر الناس شورى بينهم، وأن يكون ما يتخذونه في هذا الصدد برضائهم ومسئوليتهم ومشاركتهم. وفي هذا الصدد اقترحت أن يعقد مؤتمر داخلي وطني لمناقشة هذه القضايا واستخلاص الدروس المستفادة منها. ونحن نسعى الآن لترتيب مؤتمر أممي بين كل المفكرين والمثقفين الإسلاميين، لكي يطرقوا هذا الموضوع ويقدموا تحليلا صحيحا وأولويات صحيحة لكي يستفيد منها المسلمون في كل مكان). أ. هـ.*

وكما قلنا فإنه حدث نقل خاطئ لكثير من تلك الآراء في نيجيريا وفي السودان. ففي يوم 28 يونيو 2001م –أي مباشرة بعد إلقاء المحاضرة الأولى بعنوان الدين والوحدة الوطنية- أصدرت الوكالة الفرنسية AFP عرضاً للمحاضرة أوردت فيه أنه المهدي قال "يجب أن يطرد الدين خارج حلبة الحياة السياسية والعامة". ويبدو أن مراسل أحد الصحف السودانية في نيجيريا نقل عن ذلك العرض حيث ورد تلخيص للمحاضرة في تلك الجريدة في اليوم التالي يحمل نفس عبارات الوكالة المذكورة. ذلك التحرير إساءة فهم فادحة للمحاضرة تقدح في مستوى إدراك الصحفي الذي قدمه فالكاتب ظل يردد بلا كلل وقال في المحاضرة بوضوح: "لا يمكن طرد الدين عن الحياة العامة".

لقد شهدنا في مكتب السيد الصادق المهدي سوء الفهم الفظيع ولكننا رأينا أن نشر نص المحاضرتين في الصحف سيزيل اللبس، خاصة بعد أن تمت ترجمتهما للغة العربية وتوزيعهما على كل الصحف. ولكن سوء الفهم استمر حتى بعد نشرنا للمحاضرتين مترجمتين إذ ظل البعض سعيداً بهذا "التحول" والبعض عليه غاضب!

## رحلات قطر، مصر، وأمريكا

بعد عودته من الزيارة الثانية لنيجيريا التي وصلها في 2 مايو 2001م، توجه الحبيب السيد الصادق إلى قطر.

في يوم 8 مايو قابل السيد الصادق المهدي أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، حضر المقابلة التي تناولت عدداً من القضايا السيد سيف مقدم البوعينين مدير إدارة الشؤون العربية بوزارة الخارجية القطرية. وقد بحث اللقاء عقد مؤتمر لعلماء ومفكرين إسلاميين في الدوحة تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامي التي كان أمير قطر يترأسها في تلك الدورة.

شارك السيد الصادق كذلك في الأسبوع الثقافي لجامعة قطر بمحاضرة عنوانها (أبعاد التجربة السودانية إسلامياً، عربياً، أفريقيا) في 8 مايو، انتهى بالدروس المستفادة من التجربة السودانية شارحاً كيف أضر برنامج النظام الأحادي في مجتمع متعدد. وفي 10 مايو لاقى المكتب التنفيذي لحزب الأمة.

ثم توجه لمصر وبعدها لأمريكا، أما في مصر فقد شارك في المؤتمر الثالث عشر لوزارة الأوقاف المصرية والذي يقام سنويا بمناسبة المولد النبوي الشريف الذي درج على المشاركة فيه، وقدم ورقة مهمة تحت عنوان جدلية الأصل والعصر، طبعت لاحقاً في كتاب بنفس العنوان، وكان خطوة مهمة في بلورة فكره الإسلامي الداعي لحل تلك الجدلية عبر وصفة تحديث مؤصل أو تأصيل محدث. وسوف يتطور لاحقاً وبشكل مؤسسي في كتاب (نحو مرجعية إسلامية متجددة) مثلما سوف نرى.

وقد تحدث السيد الصادق عن زيارتي أمريكا ومصر في مؤتمر صحفي عقد بدار الأمة شكر فيه بداية (الإدارة الأمريكية الرسمية ومنابر الرأي والدراسة والنواب والشيوخ والمنبر العربي والتجمع الإسلامي والجماعات الأمريكية من أصل أفريقي والمنابر المسيحية والإنسانية التي استقبلتنا واستمعت بجدية وتجاوبت). كما أشاد (بجهد تنظيم حزب الأمة وكوادره في واشنطن ونيويورك على تنظيم كافة الاتصالات والقيام بترتيبات الرحلة بكفاءة عالية.)

ثم تحدث عن رؤيته للسياسة الأمريكية التي وجدها بسبب التعبئة الكبيرة ضد سياسات النظام تمهد لخطري التدويل بمعنى فرض حل معين فوق رؤوس السودانيين والتدخل لصالح أحد أطراف النزاع لتمكينه من فرض أجندته على السودان. ولكنه رأى الموقف ليس ميئوساً منه فهناك تيار رسمي معتدل يسنده أن التدويل ودعم الفصيل الواحد لن يجدي، وربما أتى بنتائج عكسية، وأن النظام السوداني ربما صار مستعدا لتحول إيجابي، وأن هناك حججاً أخرى داعمة، وهي: أن النزاع ليس مجرد شمال/ جنوب وقد أوضحت دراسات أن ضحايا الاقتتال الجنوبي/ الجنوبي بين عامي 1983 و1999م أكبر من ضحايا الاقتتال بين الشمال والجنوب،

وأن التعدي على حقوق الإنسان عام بين كافة أطراف القتال، وأن التدخل الأمريكي يحدث استقطاباً وطنياً ودعما خارجيا مضاداً.
ثم تطرق لزيارة مصر: (أما المحطة المصرية فكانت هامة لتأكيد أن التحرك للحل السياسي الشامل مطلوب عاجلا قفلاً لأبواب التدويل. كما أن مصر مركز إعلامي ودبلوماسي عالمي استطعنا تفعيله لقضيتنا.)[131]
ونرى قراءة السيد الصادق هنا أن النظام السوداني ربما صار مستعداً لتحول إيجابي. وسرعانما سوف يتكشف له أنها كانت مناورات وكسباً للزمن!
إن الإنقاذيين لا تتغير إستراتيجياتهم ولو غيروا التكتيك وأحكموا الطلاء!
وبالطبع حينما عاد من أمريكا شد رحاله من جديد نحو نيجيريا لإلقاء المحاضرتين اللتين ذكرناهما آنفاً في كل من لاجوس وكادونا.

## استئناف ندوة الأربعاء

في يوم الأربعاء 1 أغسطس 2001م تم استئناف ندوة الأربعاء وهو التقليد الذي استنه السيد الصادق منذ تقلده رئاسة الحزب في ستينات القرن العشرين. قال السيد الصادق يومها:
*(تستأنف اليوم في حزب الأمة ندوات الأربعاء ذلك التقليد العريق الذي درجنا عليه وجعلناه حلقة من حلقات التواصل بين القيادة والقاعدة، وبين الحزب والرأي العام السوداني. إن حزبنا هو الأكثر حرصا على هذا التواصل والندوات التي تحقق بعضه. كما أن حزبنا هو الأحرص على تنظيم ورش العمل لدراسة وتقديم توصيات بشأن القضايا الهامة. وهو الأحرص على عقد المؤتمرات لتناول القضايا الهامة وتكوين رأي عام حولها. وحزبنا هو الأحرص على تنظيم حملات التعبئة الشعبية وهو الأحرص على المشاركة في كل أنشطة منظمات المجتمع المدني الفكرية والثقافية والفنية. وهو أكثر حرصا على إخضاع كل قراراته لنقاش جاد يحترم الرأي والرأي الآخر بشفافية ووضوح.*
*بعض الناس يرمون حزبنا بالتقليدية والطائفية وغيرها من نعوت غايتها تصنيفه جماعة قائمة على العصبية والطاعة. إذا صح هذا فلماذا الندوات، وورش العمل، وحلقات النقاش، والحرص على المؤسسية والنقاش المكثف والقرار الديمقراطي؟ هذه هي أساليب المنظمات الحديثة والديمقراطية أما التكوينات التي تقوم على العصبية فإنها تقوم على الأمر والنهي والطاعة. إن بعض المثقفين لا يريدون الاعتراف بالحقائق ويحرصون على تصنيف كل القوى ذات الوزن الشعبي بالجمود والطائفية والعصبية لأنهم يريدون احتكار التحديث لأنفسهم، ولأنهم يريدون دمغ القوى ذات الوزن الشعبي بعدم الصلاحية لقيادة وحكم البلاد فيخلو لهم هم الجو لاختصار الطريق إلى السلطة عبر الانقلابات المدنية والعسكرية. سوف يستمر هؤلاء في وضع كل القوى ذات الفاعلية الشعبية في سلة واحدة ويكتبون عليها القوى التقليدية أو الطائفية لتبرير إزاحتها من طريقهم بأية وسيلة، وقد حاولوا هذه الخطة مرارا فما حصدوا إلا الهشيم لأن النظم التي أقاموها عن طريق الانقلاب العسكري ورفعت شعاراتهم ما لبثت أن استغنت عنهم بعد أن استقرت السلطة في يدها).*
**مذكرة المبادرة المشتركة**

[131] أدبيات الحل، مرجع سابق، الوثيقة رقم 93

قال الحبيب الإمام في الندوة: (*غداً سوف يسلم حزب الأمة مذكرة لدولتي المبادرة المشتركة يصحبها خطاب مني للوزيرين. مذكرتنا ستنشر في الوقت المناسب ولكن أهم ما فيها هو أنها تقترح ورقة عمل لتنفيذ المبادئ المنصوص عليها في مذكرة الدولتين*[132]*. مذكرتنا تبدأ بضرورة نقل المناخ السياسي العام من حيث الانتقال من مفردات الاستئصال والاستئصال المضاد وما صحبها من توتر إلى لغة الحوار والاتصال وما يصحبها من اعتدال. هذا النهج يساهم فيه التزام الجميع بحزمة. الحزمة المعتدلة ومكوناتها نبذ العنف وكفالة الحريات العامة وتجاوز الاتهامات والمحاكمات باعتبارها من رواسب مرحلة مضت ينبغي تخطيها.*
*ثم تتناول المذكرة التطلع لقيام دولتي المبادرة بكافة الإجراءات اللوجستية المتعلقة بالملتقى الأول ملتقى الحوار الوطني تحديداً لزمان ومكان انعقاده وتحديدا للمدعوين لحضوره وكيفية إدارته.*
*واقترحنا في المذكرة أجندة هذا الملتقى وأهم بنودها : الاتفاق على برنامج سياسي. تكوين حكومة قومية انتقالية . والاتفاق على وقف إطلاق النار والبرنامج المصاحب له.*
*واقترحت المذكرة تفاصيل دور دولتي المبادرة، واقترحت أن يضم إليهما دول لجنة الإيقاد الأربع لتتكون من الست دول سكرتارية موحدة لكي يكون لأهم جيران السودان دور معلوم في مساعدته لتجاوز أزماته.*
*واقترحت المذكرة أن تكون مهام الحكومة الانتقالية هي: تنفيذ البرنامج السياسي المتفق عليه، الدعوة للمؤتمر القومي الدستوري للاتفاق بشأن الدستور والقضايا المصيرية الأخرى، وإجراء الاستفتاء والانتخابات العامة الحرة النزيهة.*
*بناء على هذه المذكرة التي نرجو أن تدرسها الدولتان وتقرر ما تريانه بشأنها فإننا نتجه للمضي في تعبئة سياسية، شعبية، إعلامية ، ودبلوماسية، لمحاصرة الأجندات الشريرة وهي: الأجندة الشمولية، والأجندة الحربية، والأجندة التدويلية. وسوف نوجه كل الجهد لدعم الأجندة الوطنية وإزالة كافة المعوقات من طريقها)*[133].
ثم تحدث عن الفرق بين التدويل الخبيث والحميد، وعن (نغمة الثوابت)، وقال:

---

[132] للمستزيد حول أدبيات الحزب بشأن المبادرة الليبية المصرية المشتركة يمكن الرجوع الى أدبيات الحل، مرجع سابق، الوثيقة التي يشير إليها السيد الصادق هنا واردة بعنوان ورقة عمل مشروع مقدم لتنفيذ المبادئ المقترحة من دولتي المبادرة، الوثيقة رقم 95 بتاريخ 6 أغسطس 2001م، وهناك الوثيقة رقم 97 في 23 أكتوبر 2001م تمثل رد حزب الأمة على مذكرة الاستطلاع الخاصة بالجوانب الإجرائية بشأن مؤتمر الحوار الوطني من دولتي المبادرة.

[133] هذه المذكرة التي كانت سرية حينها نشرت في صحيفة (الوطن) مما أزعج السيد الصادق، فخاطب المرحوم سيد أحمد خليفة في 8 أغسطس قائلاً: (لعله لا يخفى عليكم دور الصحافة المرتجى في دفع مسيرة البلاد المتعثرة، وما يشكله الالتزام الصحفي المخلص –والذي يعف عن المكاسب الآنية في سبيل ذلك- من أساس صارم للعب ذلك الدور) وأن نشر (الوطن) لورقة العمل بتاريخ 6 أغسطس 2001م برغم حملها لصفة (سري للغاية) ومناقشتها أموراً غاية في الحساسية (ومؤكد الضرر الواقع جراء نشرها قبل الاتفاق عليها وتداولها بين أصحاب الشأن، سبب خرقاً لميثاق شرف غير مكتوب بيننا كجهة فعل سياسي وبينكم كصحيفة ينبغي أن يكون همها الأول كما هو همنا المصلحة الوطنية.) وأهاب به الاعتذار عن نشر الورقة رغم طابعها السري والحساس بدون إذن من الجهة صاحبة الحق، وطالب بمده بمصدر التسريب حتى يتسنى محاسبته إن كان من بين دوائر الحزب أو مخاطبته إن كان خارجه.

*(هنالك ثوابت وطنية ملزمة للجميع هي: السيادة الوطنية، كرامة الإنسان السوداني، حقوق الإنسان، حرياته الأساسية، التنمية العادلة، شرعية الحكم الديمقراطي، الحرية الدينية، قومية مؤسسات الدولة، حسن الجوار، الشرعية الدولية. هذه ثوابت وطنية. وهنالك ثوابت دينية هي: الحرية الدينية، لا إكراه في الدين ، الالتزام بقطعيات الوحي للمسلم، التزام الأديان الأخرى بقطعياتها كما تحددها، التعايش والتسامح الديني.*
*هذه الثوابت الوطنية والدينية مطلوب تحديدها باتفاق المجموعات الوطنية المعنية ونرى أن ينص عليها في ميثاق وطني يتفق عليه ويلتزم به الجميع. أما ما يسميه " الإنقاذيون" ثوابتهم فبرنامج حزبي لا يلزم أحدا سواهم وينبغي أن يحتكم للشعب في أمره عبر الانتخابات الحرة النزيهة وأن يقبل "الإنقاذيون" قرار الشعب في أمر برنامجهم هذا بعد أن ينقح البرنامج نفسه لإلغاء كل الجوانب فيه التي تتعارض مع الميثاق الوطني المذكور.. إن الحديث عن البرنامج الحزبي ووصفه بأنه ثوابت معناه رفض الاحتكام للشعب، ومعناه الإصرار على الشمولية، إن حديث الثوابت الحزبية غطاء للشمولية غير مقبول في إطار الحريات وحقوق الإنسان والاحتكام للشعب. هذه المسائل ينبغي أن تفهم بوضوح لكيلا يقع التخليط والاضطراب ولكيلا نجرح مبدأ التداول السلمي للسلطة عبر الانتخابات الحرة.)*

# أحداث 11 سبتمبر

في يوم الثلاثاء الموافق 11 سبتمبر 2001م حدثت أحداث هزت العالم الذي لم يعد لما قبلها حتى الآن. فقد تم تنفيذ مجموعة من الهجمات الإرهابية بالولايات المتحدة عبر تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدني تجارية لتصطدم بأهداف محددة، نجحت ثلاث منها في مبتغاها. الأهداف تمثلت في برجي مركز التجارة الدولية بمانهاتن في نيويورك، ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). سقط نتيجة لهذه الأحداث 2973 من الضحايا وفقد 24 شخصاً آخرون، إضافة لآلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق والأبخرة السامة.

بعد ساعات من الأحداث وجهت الولايات المتحدة أصابع الاتهام لتنظيم القاعدة وزعيمها أسامة بن لادن. وادعت القوات الأمريكية أنها عثرت في ما بعد على شريط في بيت مهدم جراء القصف في جلال آباد في نوفمبر 2001م، يظهر فيه أسامة بن لادن وهو يتحدث إلى خالد بن عودة بن محمد الحربي عن التخطيط للعملية. ومع الشكوك إزاء الشريط إلا أن بن لادن أعلن في تسجيل مصور بث قبيل الانتخابات الأمريكية في أكتوبر 2004م مسؤولية تنظيم القاعدة عن هجوم 11 سبتمبر الذي تسبب في موجة كراهية شديدة للإسلام والمسلمين في الغرب، وقد تلته مشاهد إرهابية أخرى في أوربا في فرنسا ولندن وغيرهما.
كان السيد الصادق في كتابه (تحديات التسعينات) الذي سربه من داخل معتقل بيت الرياض في 1990م، ونشر مسلسلاً في صحيفة الحياة، قد ذكر أن المظالم في العالم، والمتمثلة في الهيمنة الغربية والفوارق بين الشمال والجنوب، إذا لم تعالج بشكل جذري فسوف تؤدي إلى انتشار ما أسماه (أسلحة الضرار الشامل) ومنها الإرهاب والهجرة غير القانونية، والمخدرات، والقنبلة الصحية، والقنبلة السكانية، والقنبلة البيئية. كما أنه بلور في بداية عام 2001م ثلاث نداءات نشرت في كتاب كما ذكرنا. أحدها كان نداء حوار الحضارات لتجنب الصدام بينها.

هذه الأحداث صدقت نبوءاته، وقد اهتم جداً بمخاطبة أسبابها ونصح التحالف الذي أعلن ضد الإرهاب بأن الحلول الأمنية وحدها لا تجدي ولا بد من معالجة الأسباب واقتلاع الجذور التي أدت لهذه الظاهرة الشائهة.

وفي يوم الجمعة 21 سبتمبر 2001م صلى الجمعة بمسجد الهجرة وتطرق لهذه الأحداث، وتحدث عن توقعاته السابقة فحوادث الثلاثاء 11 سبتمبر في أمريكا لصيقة الصلة بها.

وتحدث عن العلاقة بين الغرب والمسلمين والهجوم وفاعله، والموقف السوداني المطلوب.

قال: *(إن موقفنا من إدانة هذا الحدث موقف مبدئي أوضحناه، كذلك إن موقفنا من تأييد حق الولايات المتحدة في الدفاع عن النفس واقتضاء العدالة مبدئي. ولكن بعد توضيح الموقف من الأحداث نفسها، ومن حق الولايات المتحدة في العدالة ولا أقول الانتقام، يجوز لنا أن نطرح السؤال: ثم ماذا؟*

*لقد كان وقع الهجوم على المراكز الأمريكية في واشنطن ونيويورك هائلاً وكانت المفاجأة كبيرة وانطلقت مشاعر الغضب والانتقام فبلغت أقصاها وغذت اتجاهاً أمريكياً يفضل التصرف منفرداً ويصنف كل معارضي السياسة الأمريكية في العالم أعداء، ويتجه لتصفية حسابات معهم جميعاً بالعصا الغليظة. هذا هو الخط الذي يفضله دعاة الهيمنة الذين يريدون للولايات المتحدة أن تقوم بدور شرطي العالم.*

*هنالك اتجاه آخر في الولايات المتحدة. تيار أنضج وأعقل يريد لأمريكا أن تدافع عن نفسها وأن تحقق العدالة في التعامل مع الجناة على أساس تحريات مقنعة ويريد أن يدعم العمل الأمريكي بسند دولي عريض).*

وتحدث عن أثر الأحداث على العلاقات الدولية، فقال إن هناك احتمالان الأول أن ينتصر تيار العصا الغليظة، أو تيار العدالة.

ثم عرف الترويع (الإرهاب) بأنه: (الاستخدام الغاشم للعنف أو الاستخدام التعسفي للعنف ويعني: العنف لتحقيق أهداف سياسية ضد سلطة شرعية (السلطة الشرعية هي سلطة دستورية)، والعنف لتحقيق أهداف سياسية ضد المجتمع المدني، وعنف السلطة غير الشرعية لقهر معارضيها، وعنف السلطة الاستعمارية ضد حركات التحرير، والأعمال القتالية التي لا تلتزم بقانون الحرب). ثم نادى بميثاق دولي ضد الترويع.

أما عن موقف السودان فقال إنه ينبغي أن يحمي نفسه من ويلات هذه التطورات بالتالي:

*(**أولاً:** أن يقوم السودان بتوحيد الجبهة الداخلية بوقف المحاكمات السياسية الراهنة: محاكمة سكرتارية التجمع، وقيادة المؤتمر الوطني الشعبي، على أن يلتزم الجميع بنبذ العنف وعزل أصحاب الأجندات الحربية والشمولية والتدويلية.*

***ثانياً:** الإسراع بالحل السياسي الشامل تحت مظلة المبادرة المشتركة وتذليل العقبات التي تقف في سبيلها. فالحل السياسي الشامل هو الذي يشكل خط الدفاع الحقيقي عن السودان.*

***ثالثاً:** تبني مشروع عاقل وعادل وحازم لاحتواء الترويع على صعيد القطر، والأقاليم المجاورة، والعالم.*

***رابعاً:** تبني ما نصت عليه نداءات العصر الثلاثة.*

*هذه الخطوات مطلوبة لتحصين السودان نفسه وقيامه بدور فاعل في إقليمه وعالمه.)*

## دانفورث وربط السلام بالديمقراطية

في 6 سبتمبر 2001م عين الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن السيناتور جون دانفورث كمبعوث له للسلام في السودان[134]. وفي 19 أكتوبر كاتب دانفورث السيد الصادق المهدي قائلا: (لقد ذكر لي صديقنا المشترك، بوب أوكلي، الاحترام الكبير الذي يكنه لك كقائد ديني وسياسي في السودان، وإعجابه بجدك الراحل الذي وصفه بأنه أحد أكثر الناس تعمقاً روحياً بين من قابلهم في حياته. إني أكتب لك طالباً نصحك في مهمة صعبة للغاية اضطلع بها. فقد عينني الرئيس بوش مبعوثه الخاص للسلام في السودان، وقد طلبت من بوب الذي هو أكثر دراية مني مساعدتي في هذا الأمر).

ذكر دانفورث أن أمريكا ليست لها نية تقديم خطة سلام خاصة أو التدخل في عمل الآخرين الجاري، ولكنهم يرون أن دورهم أقرب إلى كونه رافعاً ومقوياً للمجهودات الجارية، ثم قال (من الواضح أن وجهات نظركم حول الخطوات المجدية في هذا الصدد ستكون لها أهمية حاسمة. وكنت قد سألتُ بوب عمن هم القادة الدينيون المسلمون والمسيحيون الذين بإمكانهم توفير قيادة لإحلال السلام في السودان. وفهمي هو أن هناك بعد ديني واضح في النزاع)..

وقال إنه لو كان فهمه صحيحاً فإنه يتساءل إن كان للقادة الدينيين أن يؤدوا دوراً في إحلال السلام، خاصة في سياق ما حدث في 11 سبتمبر، وبالتالي بذل مجهود مشترك مسيحي إسلامي لمساندة السلام في السودان، وقال إنه وبوب سوف يحضران للخرطوم في 13 و14 نوفمبر متطلعاً للقائه لدى حضورهما. وذكر أن بوب سوف يحضر للخرطوم قبله وفي الفترة 26-28 أكتوبر وهو يأمل أن يجد السيد الصادق فرصة لمناقشته إبان هذه الزيارة الابتدائية[135].

في يوم 23 أكتوبر 2001م رد السيد الصادق على السيناتور دانفورث والذي كان قد ذكر في خطابه أنه كذلك رجل دين بالكنيسة الأسقفية. شكر الحبيب دانفورث على خطابه الحميم، ورحب به كمبعوث أمريكي للسلام. مؤكدا أن الدين عامل مهم في السياسة والعلاقات الدولية، وهما، أي السياسة والعلاقات الدولية، يُفقران جداً إذا همشا الجوانب الروحية والأخلاقية. وأن حقيقة أن السيد بوب أوكلي سوف يساعده مشجعة جدا فقد أقام علاقاتٍ شخصية واجتماعية واسعة في السودان مكنته من أن يكون على دراية كبيرة بالسودانيين.

وذكر السيد الصادق لماذا يتصاعد الأمل في عملية السلام والدقرطة في السودان. فقد ملّ الناسُ في الشمال والجنوبِ الحربَ، وهناك الاتجاه الأفريقي المتصاعد نحو السلام والدقرطة، وحقيقة أن أسس السلام والدقرطة في السودان اكتسبت قبولاً عاماً لدى أطراف النزاع المختلفين.

ثم ذكر أسباب الحاجة للتوسط الخارجي برغم ذلك، وتطرق للمبادرات الموجودة: مبادرة الإيقاد، والمبادرة المشتركة الليبية المصرية، والمجهود النيجيري. ثم دلف إلى ما يمكن

---

[134] History of Senator John Danforth as Envoy for Peace in Sudan, Fact Sheet, Released by the Office of the Press Secretary, The White House, Washington, DC, May 14, 2002

[135] أدبيات الحل، مرجع سابق، الوثيقة رقم 95 باللغة الإنجليزية

للولايات المتحدة أن تساعد به في تحقيق السلام والديمقراطية في السودان بقوله: (لا شك أن أمريكا ساعدت أهل السودان بطريقتين: دافعت عن حقوق الإنسان ووقفت ضد كل سياسات النظام السوداني البغيضة، وقدمت مساعدات الإغاثة الإنسانية بسخاء). وأشار لتخلي النظام منذ 1997م عن أجندته الأيديولوجية السابقة داخلياً وإقليمياً ودولياً، ولكن السياسة الأمريكية على عهد الرئيس كلينتون اتخذت نهجاً جامداً التزم جانب زعزعة الاستقرار ومساندة المقاومة المسلحة.

وقال إنهم يرحبون بالسياسة الجديدة لإدارة الرئيس بوش كتعديل مستجيب للحقائق الجديدة في السودان، وإن على السياسة الجديدة أن تلتزم بمبادئ هادية أساسية هي: مخاطبة جميع أطراف النزاع في السودان، وجعل الأولوية للنهاية العادلة للحرب الأهلية، وإدراك أهمية الديمقراطية كهدف مرغوب فيه في حد ذاته، ولأنها أكثر الوسائل فعالية لحماية اتفاق السلام. ومن ثم أردف بالقول: (مع ذلك، ينبغي أن يكون واضحا أن ما تزمعونه هو مساعدة السودانيين ليساعدوا أنفسهم. إن المشاركة الأجنبية هي للمساعدة في تحقيق الأهداف التي تم تحديدها قومياً وهي السلام والديمقراطية).

ومضى السيد الصادق يذكر المطلوب لتطوير مبادرة الإيقاد، والمطلوب من المبادرة المشتركة المصرية الليبية لعملية الحل السياسي في السودان. وما يُنتفع به من المجهود النيجيري، وأن (نهجاً أمريكياً مرناً يمكنه أن يؤدي إلى آلية مُنسقة، تستفيد من الأفكار الجيدة في كل المبادرات الحالية وتتمتع بمساندة قوية محلياً وإقليمياً ودولياً).

ونصحه بأن يقوم داخلياً باتصالات تتسم بالشمول باستشارة الأحزاب السياسية، ومنظمات المجتمع المدني وبعض الشخصيات المهمة. وأنه ينبغي إشراك المنظمات الدينية الإسلامية والمسيحية لتعبر عن رؤاها ولاستخدام نفوذها الكبير لدعم عملية الوفاق السياسي في البلاد. وأنه من الضروري إقليمياً من إشراك دول القرن الأفريقي وجوار السودان في الشمال الأفريقي. وعلى المستوى الدولي ينبغي أن يُعزز تعاون شركاء الإيقاد ويستصحب، إضافة للدور الداعم من الأمم المتحدة وأمينها العام. مما يؤدي إلى تحالف عريض داخلي وإقليمي ودولي يساعد على تحقيق الأجندة الوطنية التي اتفقت حولها أطراف النزاع على المستوى النظري.. تحالف يدعم اتفاقية الحل السياسي في السودان ويعزل أية مجموعة تضع أمامها العراقيل أو تفتقر للجدية في الالتزام بما يتفق عليه. ينظم هذا التحالف في الوقت المناسب مؤتمراً برعاية البنك الدولي ليساعد السودان في برامج إعادة التأهيل وإعادة البناء والتنمية المستقبلية.

وقال في النهاية إن هذا السيناريو مع صعوبته هو الذي يتناسب مع مكانة الولايات المتحدة الدولية ولما تتطلع للقيام به في العلاقات الدولية[136].

وحينما زار دانفورث السودان في نوفمبر، نظم السيد الصادق حفل استقبال حاشد له ووفده المرافق بمنزله بالملازمين. وذلك في يوم الأربعاء 14 نوفمبر 2001م. وألقى كلمة أمامهم

[136] المرجع السابق، الوثيقة رقم 96

ذاكراً المطلوب لتحقيق السلام والديمقراطية، مرحباً بالسيناتور جون دانفورث بكلمات المسيح عليه السلام في الإنجيل: طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون[137].
وقد جرى من ضمن المشاورات بينهما حديث عن ضرورة الربط بين التحول الديمقراطي وعملية السلام، وفي 28 نوفمبر سلم حزب الأمة الجانب الأمريكي مذكرة عن مسائل السلام والديمقراطية وضرورة الربط بينهما[138].
ولعلك لاحظت قارئي الصبور وقارئتي المدققة أن السيد الصادق وحزب الأمة رأوا شجر السلام القادم بلا ديمقراطية منذ دراسة مركز الدراسات الدولية والإستراتيجية، وعلموا أن أمريكا سوف تسير بثقلها في العملية مضحية بالتحول الديمقراطي الذي هو شرط للسلام، فلولا الديكتاتورية البغيضة وأهلها لكان السلام تحقق وكان المؤتمر القومي الدستوري عقد منذ سبتمبر 1989م.
لكن هذه الصيحات ضاعت سدى، وسوف نرى العذاب الهون عاصفة حسوماً، أو كما قال شاعرنا عالم عباس أيام بيعات مايو، 1984م، هوسها وفلاشاها، ونفاياتها، وكل أشكال (البيع):

**يا أيُهَا الوطنُ الذي اغتالوكَ سِراً**
**يا أيها الوطنُ المُبَاعُ المُشْتَرَى وهَلُمّ جَرّاً**
**من أيّ أصقاعِ الجحيم ..**
**تلوحُ صاعقةُ العذابِ الهُونِ عاصفةً حُسُوما؟**

لكنما (البيع) الذي جرى في أيامنا التي نرويها هذه أحق بالوصف العالمي!

## المؤتمر الصحفي يناير 2002م

في 14 يناير 2002م عقد مؤتمر صحفي بدار الأمة ألقى فيه الصادق الكلمة الافتتاحية، وتعرض لقضية الخلافات داخل الحزب، وهو ملف فلفلناه في الفصل السابق فلن نتعرض له هنا، ثم ذكر ما حدث في قمة الإيقاد، وما وجدته الحكومة السودانية من دعم أفريقي، وذكر تحركات اهتم بها كثيراً: منها ندوة العميد يوسف بدري واتجاهها لتبني منبر استماع للأحزاب السياسية السودانية حول ست قضايا أساسية: التأصيل، والسلام، والديمقراطية، والتنمية، والعلاقات الخارجية، والأمن والدفاع، مؤكداً أن فريق حزب الأمة سوف يدلي برأيه يوم الثلاثاء.
قامت ندوة العميد بمبادرة لدعوة القوى السياسية السودانية لتقديم رؤاها وأطروحاتها في المحاور المذكورة.
وافتتح المنبر جلساته بالاستماع لرؤية حزب الأمة في المحاور الستة التي أجملها السيد الصادق المهدي في ورقة قدمها في يناير 2002م ، ثم فصلها كل من: د. إبراهيم الأمين في محور الديمقراطية، والسيد عبد الرسول النور في محور السلام، والشيخ عبد المحمود أبو في محور التأصيل، والسيد الفاضل حمد دياب في محور التنمية، والسيدة سارا الفاضل رحمها

---

[137] نفسه، والوثيقة رقم 99
[138] نفسه، الوثيقة رقم 100

الله في محور العلاقات الخارجية، واللواء (م) فضل الله برمة ناصر في محور الأمن والدفاع الوطني.
ثم واصل المنبر استماعه لبقية القوى السياسية السودانية كل ثلاثاء. فاستمع لرؤية حزب المؤتمر الوطني، وحزب المؤتمر الوطني الشعبي، والحزب الشيوعي السوداني، وحزب البعث العربي، والحركة الشعبية لتحرير السودان الفصيل المتحد، والحزب الناصري، وحزب وحدة وادي النيل، وغيرها. هذا فضلاً عن عدد من الشخصيات المستقلة مثل الدكتور محمد إبراهيم الشوش.[139]
شارك من قادة المؤتمر الوطني فيما أذكر الأستاذ علي عثمان محمد طه والدكتور غازي صلاح الدين. لكن المدهش كان أن الحزب الحاكم الذي جعل ترسانة الدولة تحت تصرفه، مع أرتال من الكادر المفرغ والإمكانيات السائبة، لم يقدم طرحه في أي محور مكتوباً، وجاء قادته للمنبر (طق حنك). وهذا ما فعلته أحزاب أخرى كذلك، بينما قدم حزب الأمة رؤاه مطبوعة في كل المحاور.
تحدث السيد الصادق في المؤتمر الصحفي كذلك عن العلاقة بالحزب الاتحادي قائلاً: (مكتبنا في القاهرة في حوار مع الحزب الوطني الديمقراطي اقترح بروتوكول وادي النيل بين حزب الأمة والحزب الوطني الديمقراطي وهي خطوة هامة لتكريس التفاهم الذي طبع العلاقات بيننا وسوف يناقش اجتماع مشترك لأجهزة الحزب القيادية هذا المشروع قبل إبرامه وسوف نشرك الرأي العام السوداني في نقاشه لأنه لبنة من لبنات ميثاق وادي النيل الذي نأمل أن يبرمه البلدان والشعبان).
وكان آخر ما تطرق له في المؤتمر الصحفي برنامج رحلاته في شهر فبراير 2002، وبنودها:
أ- رحلة أمريكا تلبية لدعوة للإفطار القومي للدعاء وإلقاء محاضرات أمام جمعيات دينية وسياسية ودبلوماسية وفكرية حول الإسلام والغرب على إثر أحداث 11/ 2001/9م .
ب- رحلة لبريطانيا للمشاركة في مؤتمر السلام في السودان تنظمه كلية القديس أنطوني بجامعة اكسفورد.
ج- ثم رحلة لألمانيا.[140]

## رحلة أمريكا

تحرك السيد الصادق من الخرطوم للندن ثم لواشنطن. كان التحرك عبر طائرة الخطوط السودانية صباح يوم 3 فبراير، وقد حدثت ملابسات حول الأمر تطرق لها في خطبة الجمعة بعد أن عاد في مارس 2002م، وقد انتخبتُ ما قاله في تلك الخطبة لأنه رمي بهتاناً من قبل أحد الكتاب الصحفيين بالتحايل لتأخير الطائرة حتى لا تفوته، ففند ذلك الادعاء وذكر ملامح نهجه الأخلاقي الذي يتناقض مع تفسير الكاتب، وجدتُ في تلك الكلمات صدقاً شعّ من الجرح، فهاكم:
*(هناك مسائل خاصة وللأسف فإنني مضطر لأن أتحدث عنها مع أنها أمر يخصني لأن فيها طرفاً عاماً. بعض الناس رماني بأنه كان لي يد في تأخير الطائرة التي كنت سأسافر فيها*

---

[139] كتاب أدبيات الحل السياسي
[140] أدبيات الحل، مرجع سابق، الوثيقة رقم 103 كلمة رئيس الحزب في المؤتمر الصحفي الخامس

*للخارج. الذي حدث هو أن الأخ ابراهيم علي[141] أخذ معلومة خاطئة بأن الطائرة ستسافر الساعة الحادية عشر، وأعلمني بذلك وكنت مستعدا للسفر في الساعة الحادية عشر ولكنه في الساعة السابعة والنصف صباحاً اتصل بي ليقول إن الطائرة ستقلع في الساعة الثامنة صباحاً، ثم علمت أن الطائرة تأخرت كعادة الطائرات السودانية فالتحقت بها. ولكني لست طرفا ولا يمكن أن أكون طرفا في بلاغ كاذب متعلق بتأخير طائرة لمصلحتي الشخصية مهما كان الأمر. ولكن للأسف الشديد بعض الكتاب اعتبرني مشتركا أو مسئولاً عما حدث وحكم بإدانتي. هذا في رأيي ظلم مبين، والحقيقة استنكر وأرفض أي موقف لخدمة خاصة بي وأرفض أية سياسة لا أخلاقية، ولي سجل واضح في هذا الموضوع منذ أن كنت مستجدا في السياسة، أذكر منه التالي:*

***أولاً:** في عام 1965م اقترح على اجراء شهادة ( تسنين) حتى أتمكن من دخول الوزارة. وقد كان سني حينها دون الثلاثين، فرفضت ذلك باعتباره خطأ من حيث المبدأ الأخلاقي مع أن هناك من قاموا بهذا العمل.*

***ثانياً:** عندما تحركنا في 2 يوليو جاءني بعض القادة الليبيين وقالوا اتفقنا نحن مع بعض الأخوة السودانيين على أننا سندعم تحركهم بقوتنا، فقلت لهم لا، هذه معركتنا نموت فيها نحن وليس أي شخص غيرنا، ولذلك عندما قال الرئيس السادات للأخ معمر القذافي إن هؤلاء المعارضون عملاء قال له القذافي إنهم وطنيون ونحن معجبون بوطنيتهم حيث عرضنا عليهم أن نموت معهم فرفضوا.*

***ثالثاً:** أثناء الديمقراطية الثالثة جاء عدد كبير من النواب يريدون الانضمام لنا فرفضنا ذلك واشترطنا لقبولهم أن يرجعوا إلى الدوائر التي انتخبتهم ويعلنوا لها انضمامهم لحزب الأمة فإن وافقت على ذلك عبر مؤتمر عام قبلنا انضمامهم وإن لم يوافقوا تعاد الانتخابات في هذه الدوائر ويخوضها هؤلاء النواب بمبادئ حزب الأمة.*

*هذه المواقف مبدئية في ربط السياسة بالأخلاق، وهناك من يعتقد أن هذا خطأ، ولكن هذه هي طريقتي في السياسة ولن أغيرها وأعتقد أن من لا يربط السياسة بالأخلاق هو صائد سلطة وليس سياسياً.*

*وأما القضية الخاصة فأنا أكره أي خدمة خاصة لي، وقد ربيت أبنائي كلهم على ألا ينتظروا أي موقع اعتماداً على نسبهم ويعتبر كل منهم أن نسبه هو عمله ولذلك دفعتهم للتخلص من سلوك أبناء الذوات، وأبناء المراتب الذين قال فيهم الإمام المهدي ما قال. فهل يعقل أن تكون*

---

[141] إبراهيم علي هو مدير مكتب الصادق المهدي وكان أصلاً قد شرع في حجز آخر للسيد الصادق، جاء في بيان صادر عن مكتب السيد الصادق المهدي في 4 فبراير: كان من المقرر عقد مؤتمر صحافي للسيد الصادق المهدي بالمطار في تمام العاشرة صباح يوم 3 فبراير قبيل سفر السيد الصادق المهدي، وبعد أن علم المكتب بتأجيل السفر، فقد قام سكرتير العلاقات العامة والإعلام بالمكتب بالاتصال بالصحفيين المعنيين لإخبارهم بتأجيل المؤتمر. أبلغه أحد الصحافيين الموجودين بالمطار بأن الطائرة قد تأخرت بسبب بلاغ عن وجود قنبلة بداخلها، فاتصل سكرتير العلاقات العامة والإعلام بمدير المكتب الذي كان موجودا للحجز بمكتب الخطوط القطرية، فقام بإلغاء كل الإجراءات، وأبلغ السيد الصادق المهدي بأنه يستطيع اللحاق بالطائرة نسبة لتلك الملابسات. وبهذا فقد لحق المهدي بالفعل بالطائرة.

*هذه نظرتي للوضعية الشخصية وهذه نظرتي في الربط بين السياسة والأخلاق ثم يأتي أحد من بعيد أو قريب ويتهمني بالإقدام على مثل هذا الفعل؟!*
*إن الكتاب الذي جردوا أقلامهم لمهاجمتي في هذا الموضوع هم أصلاً يتخذون مني موقف الضد ولذلك استغلوا هذه الحادثة، وقد اقترح علي أن أرفع عليهم قضية إشانة سمعة، ولكنني لن أرفع قضية على أحد، بل أشكوهم لله رب العالمين واستنجز الله فيهم وعده (**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**[142]) واستنجزه فيهم وعيده (**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**)[143]).*
الشاهد، ذهب الحبيب السيد الصادق كما ذكرنا إلى أمريكا لحضور فطور الصلاة من أجل الوطن والذي كان محضوراً وأمكنه فيه مقابلة عدد كبير من القيادات الأمريكية والعالمية. المناسبة في حد ذاتها نوع من الابتهال الجماعي من أجل الوطن الأمريكي وصارت تقليداً متصلاً منذ نصف قرن من الزمان[144].
كان فطور الصلاة في الثامنة من صباح 7 فبراير 2002[145].
وقال السيد الصادق:
*(انطباعي عن لقاءات المسئولين الأمريكيين هو أنهم أحسوا بأنهم أنجزوا شيئاً إيجابياً في السودان، وأن الموقف السوداني واعد ومشجع لمزيد من الجهد. وسيواصلون، ولكن اعتقد أنهم سيغيرون رئيس الفريق لأنه أنجز مهمة امتصاص مشاعر اللوبيات المسيحية المبالية، ولأنه قد كلف بمهمة أخرى ضمن تحقيقات "انرون[146]". المتوقع إذن اهتمامٌ أميركي أكبر بمشروع السلام في السودان. أما بالنسبة لموضوع الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل فيبدو أن الاتجاه حماسي وخالٍ من الحذر. لعل السبب هو أن الموضوع ذو قيمة انتخابية للرئيس الأمريكي وأن وراءه لوبيات سيما اللوبي اليهودي الذي يريد التصعيد في مسرح "الإرهاب" أولاً لأنه يعتقد أن الدول المعنية بالإرهاب وبأسلحة الدمار الشامل معادية لإسرائيل وثانياً لأن الانشغال بالمسارح الحربية الأخرى يلفت النظر بعيداً عن المسرح الفلسطيني).*
وفي 8 فبراير قدم السيد الصادق محاضرة بعنوان (الإسلام والغرب على ضوء 11 سبتمبر 2001م) وذلك بدعوة من معهد أبحاث الدفاع ومركز الدين والدبلوماسية كانت جيدة الحضور والنقاش وكان ضمن الحاضرين رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة السيدة بنازير بوتو رحمها الله.
قال السيد الصادق: *(انطباعي أن الحاضرين وهم من أعمدة الفكر الدفاعي الأمريكي استقبلوا الخطاب استقبالاً إيجابياً،.. والواضح لي أمران: الأول: ارتفاع درجة الاهتمام بالإسلام*

---

[142] سورة الحج الآية 38
[143] سورة فاطر الآية 43
[144] خطاب للمرحوم دكتور عمر وأجهزة حزب الأمة بتاريخ 20 فبراير 2002م
[145] موقع البيت الأبيض، كلمة الرئيس https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2002/02/20020207-1.html
[146] انرون Enron كانت إحدى كبريات شركات الطاقة الأمريكية أعلنت إفلاسها في ديسمبر من سنة 2001 عقب إقرارها بممارسات محاسبية مريبة ويعد هذا الافلاس الأكبر في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، طلب من السيناتور جون دانفورث التحقيق في اتهام المحاسب المالي لانرون بإبادة الوثائق إخفاء للتلاعب الذي كان يقوم به مسؤولو انرون لزيادة تقدير الأرباح مما يرفع قيم أسهم الشركة.

*والمسلمين. والثاني: هو أن أوضاع العالم الإسلامي بما فيه من طغيان ومظالم ومشاكل ملتهبة هي مصادر تفريخ الإرهاب ولا يمكن تطويقه إلا بالقضاء عليها. وواضح أن ثمة مفارقة بين الاتجاه قصير النظر الذي تندفع فيه آلة البيت الأبيض والاتجاه الأبعد نظراً الذي تتجلى به وزارة الخارجية ومراكز الدراسات والأبحاث).*

وحول تحركاته في أمريكا أيضاً قال: *(في 2002/2/9 دعيت لإلقاء حديث في المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية CSIS وكان عنوانه: ضوء في نهاية النفق المظلم في السودان.. حضر المناقشة عدد كبير من المعنيين واعتقد أنها كانت مناقشة متجاوبة مع ما طرح عليهم فقد كان همي التركيز على المعاني المطلوبة لدعم تطلعات شعبنا المشروعة).. و(التقيتُ جماعتنا. موقفهم صحي جدا وإن كان للهزة الأخيرة أثر فهو استنفاري ولكن عموما الموقف تضامني ويتطلعون لاهتمام أكبر بسودان المهجر).*

وتطرق السيد الصادق لعدد من الدعوات التي نظمت له والمشاركين فيها: دعوة السيد أسامة نقد الله وقد حضرها السفير السوداني، ودعوة الدكتور إبراهيم البدوي لعشاء "قومي" محضور لخص الأخ حسن أحمد الحسن ما دار فيه، وحضور السيد محمد إبراهيم خليل لعدد من المناسبات وزيارته له حيث جمع للسيد الصادق زملاءه في المنبر الديمقراطي ودار حديث مفصل حول مختلف القضايا. وحضور السيد الصادق أبو نفيسة من نيويورك مساهماً في اجتماعات واشنطن[147].

## زيارة بريطانيا

وصل السيد الصادق المهدي إلى لندن في صباح الأربعاء الموافق 13 فبراير 2002م قادماً من واشنطن الساعة السابعة صباحاً. وفي برنامجه مقابلة مع لورد هيلتون في مجلس اللوردات بخصوص حقوق الإنسان والوضع السياسي في السودان في يوم الخميس 14 فبراير، وفي يوم الجمعة مغادرة لندن والاتجاه لأكسفورد لحضور عشاء عمل مع منظمي المؤتمر بعنوان (مستقبل مباحثات السلام في السودان) بين الخامسة والسابعة مساء، يحضره عدد من أساتذة جامعة أكسفورد.

انعقد المؤتمر يوم السبت 16 فبراير، وفي ظهر الأحد حضر السيد الصادق لقاء مع المجموعة السودانية بأكسفورد في منزل الحبيب إبراهيم نقد الله وزوجته السابقة الحبيبة مقبولة مهدي حسن رحمها الله رحمة واسعة وهي ابنه أخت شقيقته الوالدة الحبيبة سميرة الصديق المهدي. الحبيبة مقبولة صعدت روحها الطاهرة إلى بارئها يوم الاثنين 5 ديسمبر 2016م بينما كنتُ أختم عملي في هذا الكتاب فكانت فاجعة مؤلمة تقبلناها بالصبر والدعاء للعلي القدير أن يحسن نزلها ويتقبلها في الصالحين.

في مساء الأحد 17 فبراير اتجه الحبيب السيد الصادق للقاء أسري بمنزل شقيقه الوالد الحبيب السيد فيصل المهدي. وفي ظهر الاثنين أجرى تسجيلاً مع إذاعة البي بي سي العالمية بالبرنامج العربي والإنجليزي، ومن ثم اتجه للقاء مباشر مع تلفزيون المستقلة[148].

---

[147] خطاب إلى دكتور عمر، سابق

[148] برنامج غير مكتمل من المرحوم المهندس أحمد عبد الله حول فعاليات الأيام الأولى

قال السيد الصادق عن تلك الفعاليات وهو يخاطب نائبه في رئاسة الحزب وصديقه المرحوم دكتور عمر نور الدائم:

*(كان مؤتمر أكسفورد محضورا بصفة موسعة من الجنوبيين والبريطانيين والسفارات الغربية، ولكن الحضور الشمالي كان محدودا. المناقشات مهمة للغاية وطلبت من الأخ أحمد الشاهي تزويدنا بملخص لها لتصلكم. بعد إلقاء مداخلتي همس الأخ بيتر كوك -ممثل الحركة- في أذني أنه يؤيد ما سمع. وعندما جاء دوره لمخاطبة المؤتمر يبدو أنه جانب ورقته المعدة وارتجل حديثا طيبا ركز فيه على أمرين فقط: العدالة وتقرير المصير. ولم يتطرق لموضوع المؤتمر المحدد. لعله اكتفى بتصوراتنا. المهم أنه طلب أن يلتقي بي فدعوته لغرفتي صباح يوم 2002/2/17 فبدأ حديثه بأنه يعتقد أن الجفوة بين الأمة والحركة شيء غير طبيعي والطبيعي هو التحالف للأسباب الآتية: كلانا يمثل اتجاها سياسيا سودانيا محضا. وكلانا ممثل بشريا في مناطق التماس. وكلانا مؤمن بصفة مبدئية بالوحدة الطوعية، بينما الآخرون يناورون. ورغم مركز حزب الأمة الشعبي والانتخابي فإن جماهيره مثلنا نحن مهمشة. وبعد فراغه من حديثه قلت له نحن أيضا محتارون من هذا العداء غير المبرر).*

*و(اجتمع المنبر الديمقراطي الجنوبي وبحثوا ما سمعوا في المؤتمر وأرسلوا لي رسالة عن طريق الأخ بونا جاء فيها: نحن نؤيد اتجاهكم ونبارك لكم وضوح الرؤية ونتفق أن هذا النهج هو الذي سوف يعطي وحدة السودان أكبر فرصة، ونحن مستعدون للتعاون على هذا الأساس).*

*و(اتصل بنا هاتفيا د. علي الحاج ثم وصلنا الأخ المحبوب عبد السلام وسلمنا نص لاتفاق جديد مع الحركة وقال إن الذين بحثوا معهم التفاصيل كانوا: دينق الور، باقان اموم، ياسر عرمان، نيال وليم دينق ومالك عقار)* ورأى السيد الصادق أن الاتفاق الجديد فيه تحسن عن السابق، ويرجو أن تدرسه مؤسسة حزب الأمة.

قال السيد الصادق في تنويره كذلك: *(التقيتُ بعض الرسميين البريطانيين في مجلس النواب واللوردات والسيد آلان قولتي وهم يستعدون لدور أكبر في القضية السودانية وقد شجعتهم على ذلك واعتقد انهم يمكن أن يرشدوا الدور الأمريكي).*

*و(الأخ محمد الحسن أحمد رتب لنا لقاءً جامعا لكل الأقلام الصحافية السودانية وكان اجتماعا مطولا ومتجاوبا جدا مع طرحنا بصورة كبيرة كما كان محضورا).*

ثم قال السيد الصادق في النهاية إنه سوف يقضي العيد في القاهرة لإجراء مقابلات مع المسئولين المصريين ويذهب بعدها لطرابلس للقاء المسئولين الليبيين، طالبا من المرحوم دكتور عمر إخبار الأخ بكري عديل بموعد زيارة الجماهيرية ليأتيها بعد العيد مباشرة[149].

## زيارات وكتابات

كذلك زار السيد الصادق المهدي في فبراير 2002م المملكة العربية السعودية حيث ألقى محاضرة عن السلام في المنطقة وشروط التعامل العادل مع الأسرة الدولية.

وكان الأستاذ محمد قطب، شقيق الشهيد سيد قطب، من بين الحاضرين فعلق على حديثه قائلا: يا أخي دعنا من حديث السلام والوفاق فإن الصليبية الصهيونية تستهدفان الإسلام وتركيع أهله. والمصير بيننا إلى مفاصلة حتمية، إن أفضل ما يفعل الأمريكان وإسرائيل هو أن يحتلوا

[149] خطاب للدكتور عمر، سابق

بلداننا وأن يمارسوا على شعوبنا حماقاتهم. قال المؤرخ ارنولد توينبي إن الأمة الإسلامية عملاق نائم. ونحن يتاسينا أن يرتكب الغرب والصهيونية الحماقات العدوانية لكي تستفز أفعالهم العملاق الإسلامي النائم ليهب من نومه ويهزم المعتدين ويسترد الدور الإسلامي العالمي.. ذكر السيد الصادق هذه الرواية في عدد من المناسبات ليؤكد أن الغلاة والغزاة يعضد بعضهم الآخر، ويقودون العالم حتماً إلى عهد ظلامي أو الطامة.

ومن رحلات النصف الأول من عام 2002م أيضاً ذهاب السيد الصادق إلى ألمانيا لحضور ندوة في الفترة من 11 مارس- 31مارس 2002م بمناسبة مرور 22 عام على إنشاء مؤسسة برتلسمان.

وفي أبريل 2002م قام السيد الصادق بتسليط الضوء على الوضع الفلسطيني المتأزم آنذاك، فقد كانت الانتفاضة الفلسطينية اندلعت منذ عام 2000م، وتفاقم القمع الإسرائيلي وقامت إسرائيل في عام 2002م بتنفيذ الدرع الواقي، وفي أبريل قامت باجتياح عدد من المدن الفلسطينية مما جعل الشارع العربي كله يغلي جراء الفظائع المرتكبة.

في الأول من أبريل خاطب السيد الصادق عدداً من الشخصيات والجهات بخطاب صدره بالنداء (بني وطني السباقين لنصرة المظلوم) قال فيه: *(إننا اليوم على أعتاب حرب من نوع جديد.. حرب تهزم الإرادة والإيمان فيها آلة الحرب الأقوى، ويتحول ضعف المظلوم إلى قوة معنوية هائلة. هذا ما حدث في جنوب إفريقيا وأبطل مفعول آلتها الحربية الضخمة. ولتحقيق ذلك ينبغي أن تحشد الشعوب العربية والإسلامية مواكب مستمرة تنتصر لأهل فلسطين وتطالب بالحق المغصوب. وتنظم الشعوب اعتصامات حول سفارات الأمم المتحدة والدول ذات الوزن العالمي سيما الولايات المتحدة. وأن ترفع الشعوب مذكرات لحكوماتها مطالبة بمواقف محددة).*

ثم حدد ما ينبغي أن تقوم به الدول العربية والإسلامية والدول الملتزمة بالعدل من قطع العلاقات بإسرائيل، ومطالبة مجلس الأمن باتخاذ قرار بتنفيذ إسرائيل القرارات الدولية العالقة كافة في مدة محددة أو تطبق عليها العقوبات الاقتصادية، ودعم الشعب الفلسطيني عبر (دمغة التحرير)، واتخاذ موقف جماعي من أية دولة تعارض قيام مجلس الأمن بالواجب، داعياً لتكوين لجنة قومية للانتصار للشعب الفلسطيني.

وفي يوم 7 أبريل كتب السيد الصادق مقالاً بعنوان (داود وجالوت) نشر بالشرق الأوسط وذكر فيه نفس المعنى بتغلب القوة المعنوية على المادية.

كما خطب في يوم الجمعة 12 أبريل 2002م بمسجد الهجرة بودنوباوي وتعرض كذلك لحال المسلمين مخاطباً الحكومات والحركات الشعبية بمطالب معينة لدعم المقاومة.

وفي 15 أبريل وجه (نداء فلسطين) في شكل خطاب أرسل للعديد من الشخصيات والجهات داخل السودان وخارجه. انتقد فيه مشروعات السلام العربية الإسرائيلية وآخرها اتفاقية أوسلو الفلسطينية الإسرائيلية (13 سبتمبر 1993م) التي كانت حلقة من حلقات التسويات التي فرضها توازن القوى ولكن استقبالها في الأوساط الشعبية كان سلبياً. كما عبر نزار قباني:

**جوعوا أطفالنا خمسين عاماً،**

**ورموا في آخر الصوم إلينا بصلة!!**

وتحدث عن انتفاضة الأقصى بعد زيارة آرييل شارون في سبتمبر 2000م، وكيف انتخب في (2001م) رئيساً للوزراء، ليبسط ساعداً قمعياً قوياً ضد الانتفاضة فمارس دمويته المعهودة، مطالباً بأن يكون الحل مدخل لنظام عربي جديد حدد معالمه مؤكداً أن عملية السلام القديمة عقيمة.
وصف الحبيب شارون بأنه (الصيغة المبالغة للشر).
هذا التناصر السوداني الفلسطيني ليس جديداً على السيد الصادق المهدي الذي لم تنقطع كتاباته حول المسألة الفلسطينية، ولا هو غريب على الشعب السوداني، وقد شوهدت يومها مناشط كثيرة في السودان شارك فيها سياسيون ومثقفون، وقد بادر الأخيرون بتكوين لجنة لدعم الانتفاضة الفلسطينية كانت تجتمع في مركز الدراسات السودانية بقيادة الدكتور حيدر إبراهيم علي، أسفرت عن تنظيم مجموعة الفنانين والمثقفين السودانيين لليلة فنية تضامنية مع الشعب الفلسطيني يوم الأحد الموافق 28 أبريل 2002م بالساحة الشعبية للديوم الشرقية. شاركت فيها نخبة من الشعراء والفنانين منهم شاعر الشعب محجوب شريف رحمه الله، والشاعر نجيب محمد علي، والفنان الجيلاني الواثق، وفرقتا ساورا والآثار الموسيقية، كما خاطب الجمع الدكتور حيدر إبراهيم. وشارك شاعرنا القدال يومها بقصيدتيه الرائعتين الأولى (مسدار أبو السرة لليانكي) وهي قصيدة كتبها إثر اجتياح الشارون ذاته لصبرا وشاتيلا في 1982م وكنا جئنا بجانب منها في الجزء الثالث في معرض نقاشنا لصلف السفير الأمريكي آنذاك نورمان أندرسون، والثانية (القصيدة الماسونية)، يقول فيها:

**الماسون مفوّر دمّي والبنا العظيم هارينا**
**لا البنا العظيم ود عمي لا الصهيون حدق عينينا**
**أريت كل البلاد رام الله أريت الفينا ما كان فينا**
**فيا كل الغلايا حدانا يا الفقر البعد غالينا**
**يا جرحي ودوايا وسمي يا زقّلونا**
**يا طردونا يا دار السلام يا روينا**
**يا بيت الحجر في مكة يا ام الشهيد يا أمي**
**يا دير البلح يا عكا يا مسجد عمر يا سينا**
**يا..... من الخليج لي طنجة**
**يا كـــل المحيط الأمي**
**لا الشارون طناش حاضرنا**
**لا الصهيون غباش ماضينا**
**ما من غيرنا جات خيبتنا**
**كتر خير يهود وادينا!**

والماسونية تعني البناؤون الأحرار!
ولنواصل حول كتابات وتحركات الحبيب يومها.
نشرت للسيد الصادق أدبيات عديدة في صحف عربية في ذلك الوقت، مثلاً، مقال القمة العربية وقمة الأزمات، مارس 2002م، ونحو نظام عربي جديد، 14 أبريل 2002م، وفي يوم السبت 24 أبريل ألقى محاضرة بعنوان (الأقليات الإسلامية في العالم) بدعوة من جامعة أم درمان

الإسلامية. وفي مايو 2002 كتب ورقة مستقبل العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات المعاصرة والتي وزعها لعدد من المنشغلين بالفكر في البلاد ليعلقوا عليها. وقدمها في النهاية في مؤتمر وزارة الأوقاف المصرية الرابع عشر، مايو 2002م بالقاهرة. كما حرر رسالة المولد 1423هـ، مايو 2002م، وعقب على مقال دكتور لام أكول المنشور بصحيفة الأهرام بعنوان "نحو وحدة سودانية حقيقية"، ونشر كذلك مقال (الديمقراطية وعالم الجنوب) في يونيو 2002م.

## اللقاء التفاكري حول دارفور

في ذلك الوقت كانت دارفور تغلي قبل أن تنفجر. استشعر حزب الأمة خطورة ما يدور هناك ودعا في 4 يونيو 2002م للقاء تفاكري قومي ضم عدداً من القيادات السياسية والفكرية والقيادات الشعبية والأهلية والمثقفين الدارفوريين بداره بأمدرمان. حيث دار نقاش ثر حول أوضاع دارفور وما وصلت إليه حينها. وأكد الحاضرون أن مظاهر النهب المسلح والاحتراب القبلي مؤشر واضح للصراع على الموارد والسلطة، ورأوا أن أسباب النزاع في دارفور: اقتصادية تنموية، وبيئية مرتبطة بالجفاف والتصحر، مع أثر إقليمي يتمثل في النزوح مع تدفق السلاح عبر الحدود، وسياسات الدولة وغياب الديمقراطية وتغييب إرادة الجماهير، وإضعاف الإدارة الأهلية، وضعف أجهزة الدولة المسئولة عن حماية المواطن وحفظ الأمن.

كما رأوا الحلول تكمن في: تناول موضوع دارفور في إطار قومي بعيداً عن أية مزايدات سياسية، وعقد ورشة عمل قومية لدراسة الموقف بصورة علمية وتقديم مقترحات بالحلول، وتكوين آلية قومية من الحضور لتلخيص التحليلات والحلول التي وردت واقتراح الخطوات الفورية المطلوبة[150].

كان من ضمن الحاضرين ممثل للمؤتمر الوطني، وكل ما فتح الله به عليه قوله إن ما يجري في دارفور مرصود لديهم ومحدود وهم قادرين على التعامل معه وعلاجه بدون تدخل من الآخرين!

## نبوءة الاختراق في السلام

لقد تابعنا أعلاه كيف كان اهتمام السيد الصادق وحزب الأمة بتقرير مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية الذي أوصى بتغيير السياسة تجاه السودان، وكان كل همهم مخاطبة الحكومة الأمريكية ومبعوث الرئيس دانفورث بالمطلوب لخلق رافع دولي وإقليمي وداخلي قوي باتجاه مطالب الشعب السوداني وهي السلام والديمقراطية وتأكيد أن السلام بدون ديمقراطية لن يجدي.

وبمتابعة المفاوضات التي كانت تجري في نيروبي بين الحكومة والحركة الشعبية لتحرير السودان، ومع إهمال البعض لها باعتبارها ستجتمع وتنفض مثل الجولات التي سبقتها إلا أن السيد الصادق كتب مقالة بعنوان (الضوء في آخر النفق في نيروبي) يؤكد فيها أن هذه المرة مختلفة، كان ذلك في أواخر يونيو 2002م عشية توقيع اتفاق مشاكوس الإطاري.

---

[150] أدبيات الحل، سابق وثيقة رقم 104

**قال:** (عندما بدأ دانفورث اتصالاته في نوفمبر 2001 كان مجال التوسط في السعي للسلام في السودان ساكنا بل يعاني من فراغ. إن تعديل السياسة الأمريكية بصورة جذرية نحو السودان يدل علي حقيقة لا جدال فيها وهي أنه كلما ابتعدت السياسة الأمريكية من الصراع العربي/ الإسرائيلي كلما كانت أكثر عقلانية وأكثر واقعية وأكثر قابلية للمراجعة على أسس صحيحة. السبب المباشر لهذه الحقيقة هو غياب أثر اللوبي اليهودي علي السياسة الأمريكية كلما بعدت من النزاع العربي/ الإسرائيلي. قدم السيد دانفورث أربعة اقتراحات متعلقة بوقف إطلاق النار في منطقة جبال النوبة، وحماية الأهداف المدنية من القصف، والتحقيق في اتهامات الرق، وتأمين ممرات آمنة وأيام لنقل الإغاثات الإنسانية في مناطق العمليات الحربية. إن الاتفاق حول هذه النقاط الأربع، وتنفيذها بصورة مقبولة أشعل شعلة مضيئة في نفق الحرب الأهلية المظلم في السودان.

عندما اجتمع الطرفان في نيروبي -أي الحكومة والحركة الشعبية- في 16 يونيو 2002م، لم تركب الحوار صفة حوار الطرشان المعهودة لأسباب محددة: قام الجنرال سمبويا سكرتير الإيقاد بعمل تحضيري واسع، أطلت علي الاجتماع روح الاتفاق علي النقاط الأربع، حضور دولي معتبر ومتابعة دولية لصيقة للحوار. ولم يعد خافياً علي أحد أن الرأي العام في الجنوب والشمال نفر من الحرب وأدرك أنها لن تحسم شيئاً بل تهدر الأرواح وتدمر المصالح. بالنسبة للشمال كان التجسيد لهذا النفور من الحرب واضحاً في عزوف الشباب عن التجنيد. وبالنسبة للجنوب كان أوضح تعبير عنه بيان مبشري كمبوني في يناير 2001 وهم من ألصق الناس بالقواعد الشعبية الجنوبية. قالوا: هذه الحرب لا تخدم أي هدف واستمرارها كارثة علي الجميع ولا يحرص عليها إلا طلاب المنافع الذاتية. ووقفها فوراً واجب إنساني وديني.

ومثلما برم الرأي العام الشمالي بالحرب برم بالديكتاتورية وصار يربط بينهما كأن الحرب تبرر الاستمرار في الديكتاتورية ولذلك فإن نهايتها يجب أن تقترن بالديمقراطية.

قدم للمتفاوضين في نيروبي أكثر من مشروع للسلام أشهرها مشروع نشر بعنوان: مسودة اتفاقية سلام بين حكومة جمهورية السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان والجيش الشعبي لتحرير السودان. هذا المشروع عموماً مقبول لأنه مستمد من أدب الحوار والاتفاقات التي تمت بين بعض أطراف النزاع في السودان عبر العشر سنوات الماضية.

**وأهم ما فيه:** الاتفاق على وحدة السودان المبنية على حكم ديمقراطي يضمن المحاسبة ويكرس العدالة لكل مواطني السودان. فترة انتقال قصيرة يجري التشاور أثناءها حول دستور جديد للبلاد. تكوين حكومة قومية انتقالية. فترة انتقالية طويلة نسبياً يتم بعدها استفتاء لتقرير المصير. تكون هناك حكومة ديمقراطية مسئولة وشفافة على كل المستويات. توزيع عادل للثروة يضمن في الدستور. التعددية الدينية والثقافية. تضع حكومة الجنوب دستورها بحيث ينسجم مع ما في اتفاقية السلام والدستور القومي. حقوق الإنسان كما في المواثيق الدولية تضمن في الدستور. استقلال القضاء وسيادة حكم القانون وتكوين محكمة دستورية لفض النزاعات الدستورية. الاتفاق علي وقف شامل لإطلاق النار يطبق بعد الاتفاق على أسس السلام. صندوق قومي للتنمية لإعادة البناء والتوطين وإصلاح الخلل التنموي الحالي. اعتماد ضمانات داخلية كالدستور، وآلية للشكاوى. وضمانات دولية بما في ذلك منافع تستحق بالالتزام وعقوبات توجه عند الإخلال بالاتفاق.

*هذه الأسس جلها مقبول ومستمد من أدب الوفاق في السودان، ما عدا فكرة واحدة جديدة وهي أن يكون للبلاد دستورين أحدهما قومي والآخر جنوبي. هذا غير صحيح، المطلوب أن تكون في السودان سيادة واحدة ودستور واحد في الفترة الانتقالية بما يقنع الجميع أن ثمة وحدة عادلة ومرضية لكل المواطنين).*

*(بعض الناس يتحفظ على حجم المشاركة الدولية.. الحقيقة التي يجب ألا ننكرها هي أن الثقة بين أطراف النزاع لا سيما الحكومة والحركة الشعبية مفقودة تماماً ولا سبيل لتفاوض جاد إلا عبر طرف دولي ذي نفوذ. كما أن ضمان تنفيذ ما يتفق عليه يحتاج لدور مماثل. الوساطة الدولية حتى الآن إيجابية في تطلعها لما يناسب تطلعات الشعب السوداني المشروعة وهي: وقف الحرب . إعطاء أولوية للوحدة . الديمقراطية. والتركيز على إعادة التعمير والتنمية بعد الاتفاق.. هذه الحقائق تدل على وجود شعلة في آخر نفق الحرب المظلم في السودان يرجى أن يصلها السودان فيستريح من هذه الحرب اللعينة ومن الدكتاتورية ويتجه لبناء الوطن باتفاق كل أهله).*

هذه هي القراءة التي استند عليها السيد الصادق وبناء عليها كان الترحيب الكبير بحدوث الاختراق، والآمال العالية بتحقيق السلام والديمقراطية معاً. حينما تنبأ السيد الصادق بهذا التحول كانت معظم الساحة في غفلة عنه.

قال دكتور عبد الرحمن الغالي القيادي بحزب الأمة حينها [151] (كنت ضمن مجموعة من القيادات السياسة شاركتُ في ندوة نظمتها صحيفة الخليج الإماراتية شملت كل ألوان الطيف السياسي السوداني، مثل الحكومة فيها د. قطبي المهدي الذي قدم رؤيته وأستأذن في الخروج ود. حسن مكي ومن القيادات الأخرى السيد محمد الأمين خليفة والأستاذ علي السيد المحامي ود. فاروق كدودة ود. لام أكول وشخصي إنابة عن السيد الصادق المهدي رئيس حزب الأمة. كان موضوع الندوة عن مآلات مفاوضات السلام الجارية بضاحية مشاكوس وكان زمان الندوة قبل أقل من أسبوع من توقيع بروتوكول مشاكوس. كان السؤال الختامي لكل منا: ما هي توقعاتكم لهذه المفاوضات؟ أجاب جميع الحاضرين بأن هذه الجولة ستنتهي إلي ما انتهت إليه سابقاتها. كان ردي أن هذه الجولة مختلفة عن سابقاتها وستفضي إلي اتفاق. كان ردي مبنياً علي سلسلة من التحليلات لخصها الحبيب الإمام الصادق المهدي في مقال له قبيل الندوة بعنوان: ضوء في آخر النفق، أبان فيه بأن عوامل كثيرة داخلية وخارجية ستجعل الاتفاق حتمياً) واصفاً كيف رحب حزب الأمة باتفاق مشاكوس حينما عقد وبشّر به.

لكننا في الباب القادم سوف نرى كيف تضاءلت هذه الآمال مع الزهد الواضح لدى الطرفين والوسطاء في تحقيق التحول الديمقراطي، والاتجاه نحو المحاصصة، لعبة المؤتمر الوطني المفضلة.. حتى وجدت الحركة الشعبية نفسها تفقد كل الأهداف التي دخلت بها التفاوض: السلام، والوحدة، والديمقراطية، وكذا كل الشعب معها، فقد كذبوا فجره!

لقد انتبه الناس بعد حين للخدعة في عملية السلام بالقطاعي أو كما جاء في تقرير منظمة أكورد Peace by Piece ، وكان من أوائل من رأى المصيبة القادمة السيد الصادق المهدي، الذي نبه وحزبه في أوقات باكرة، وقادوا مجهودات حثيثة لتعديل المسار في نيروبي، ومشاكوس،

---

[151] عبد الرحمن الغالي، حتى لا تكون فتنة، إعلان القاهرة: نحص الأباطيل

ونيفاشا.. بلا جدوى.. وسوف نرى كيف ذُبح الحلم، وكيف بكينا ولم يجف دمعنا بعد على تمزق الوطن.

صحيح بقول حميد رحمه الله:

**دا زمن قواسى .. زمن ضلالة .. أونطجية**
**زمن حقارة .. زمن مهين**
**لا قين هواكن ضروا .. ضر!**



## الفصل الثالث

# الحكيم



# الفصل الثالث

# الحكيم

**راكز مصمم حر بصير**
**نبهت بالخطر البرز**
**ناصحت بالصوت الجهير**
**والكل عمُوا**
|محمد صالح مجذوب|

**الموضوع** الأبرز في حركة السيد الصادق خلال الأعوام التي نغطيها هنا أي الفترة من يوليو 2002م وحتى 2005م هو عملية السلام، لكننا التزاماً بالتسلسل الكرونولوجي سوف نتطرق لكل الأحداث العامة والخاصة المهمة في حياة السيد الصادق المهدي. ولعل أبرزها انعقاد المؤتمر الأول لهيئة شؤون الأنصار في ديسمبر 2002م، وانعقاد المؤتمر العام السادس لحزب الأمة في أبريل 2003م، والتفاهم مع الراحل جون قرنق والسيد محمد عثمان الميرغني حول مسألة العاصمة وما جرته على السيد الصادق من هجوم غاشم من قبل سلطة الخرطوم وصل حد التكفير من بعض أصواتهم الناهقة دما. ثم الرحيل المفجع لساعد الحبيب الإمام الصادق المهدي الأيمن وحبيبه وصفيه المرحوم دكتور عمر نور الدائم، بصحبة ركن الكيان المبروك، سيدنا عبد الله إسحق في حادث مرور مؤلم، رحمهما الله رحمة واسعة.
لقد كان إذن عهداً من الإنجازات المؤسسية، والنكبات الخاصة والعامة، وهكذا تكر المسبحة.
وأهم ملمح في هذا الفصل هو تجلي حكمة صاحب السيرة، حينما تلمس التغيرات في السياسة الأمريكية وتوقع ضوء السلام في آخر النفق ولكنه توجس من إهمال التحول الديمقراطي فنادى بالربط بين السلام والدقرطة، إنها حكمة فاتت على كثير من أهل الوطن الحادبين، صدق جل وعلا: (**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرا**).

## تجدد عملية سلام الإيقاد

لقد تطرقنا لمسيرة السلام خلال فترة الديمقراطية الثالثة في الجزء الثالث من هذه السيرة، وشرحنا في نهايته كيف خططت الجبهة الإسلامية لانقلابها هذا لتقطع الطريق على تلك العملية التي جُدولت مواقيتها النهائية. وبعد ذلك ابتدأت مفاوضات سلام في منابر مختلفة حتى قرت بمنبر الإيقاد ثم خبت في 1994م بعد أن رفضت الحكومة إعلان مبادئ الإيقاد، لكنها بُعثت في 1997م بعد موافقتها عليه، بيد أنها ظلت ساكنة بدون إحراز تقدم يذكر، وقد لخص الحبيب

الإمام الصادق المهدي جولات المفاوضات الطرشانية تلك في كتاب (ميزان المصير الوطني) وتلخيصه موجود بملاحق الكتاب لمن يريد الاطلاع على خلفية الأحداث حتى استئناف مفاوضات الإيقاد من جديد في 1997م. أما هنا فإننا نورد روايته للعملية التي استؤنفت في 1997م والتي ظلت تراوح مكانها حتى دخل الرافع الأمريكي.

**قال الإمام:**

*(عادت بعد ذلك مفاوضات الإيقاد من جديد حيث انعقدت الجولة الخامسة للمفاوضات في نيروبي (نوفمبر1997م) وقدمت الحكومة خمس نقاط إجرائية لتسهيل إدارة المفاوضات: اعتماد الإعلان، وإيداع نسخة معتمدة للوسطاء، والتوقيع على ما يتفق عليه، وإجازة تقديم أوراق، وكتابة نقاط الخلاف. أما الحركة فقد قدمت طرحاً جديداً بقيام دولتين تحت مظلة الكونفدرالية بحيث تكون حدود دولة الجنوب بخط العرض (13 درجة شمالاً) والتي تضم عدداً من الولايات الشمالية، ولكن هذا الطرح رفضته الحكومة لأنه يتجاوز حدود يناير 1956م.*

*وفي جولة المفاوضات السادسة التي عقدت في نيروبي (مايو 1998م). ظل الخلاف قائماً، حول الترجيح بين الفيدرالية والكونفدرالية، ووضع جنوب النيل الأزرق وجنوب كردفان وأبيي، ومسألة علاقة الدين بالدولة.*

*وفي جولة المفاوضات السابعة التي انعقدت في أديس أبابا (أغسطس 1998م)، لم يتوصل الطرفان لأرضية مشتركة حول قضية الدين والدولة.*

*وتكرر مشهد الخلافات في جولة المفاوضات الثامنة (نيروبي يوليو1999م) حول قضايا الدين والدولة ووقف إطلاق النار وغيرها.*

*وفي جولة المفاوضات التاسعة (نيروبي يناير 2000م) طرحت قضايا: الحل السلمي، حق تقرير المصير، الالتزام بالوحدة، الاعتراف بالتنوع، ضمانات المساواة، العلاقة بين الدين والدولة، اقتسام الثروة، واستقلال القضاء من قبل الحكومة، وطرحت الحركة رأيها حول قضايا الحل السلمي، حق تقرير المصير، والدين والدولة.*

*وفي الجولة العاشرة (نيروبي فبراير2000م) تركز النقاش حول وضع المناطق الثلاث، وفي الجولة الحادية عشر (نيروبي أبريل 2000م) نوقشت كل الموضوعات تقريباً.*

*في ذلك الغضون كان النظام قد أفلح في استخراج البترول منذ العام 1998م، الشيء الذي شكل عاملاً أساسياً في تغيير السياسة الأمريكية، فقد طلبت وزارة الخارجية الأمريكية من مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية (CSIS) دراسة وضع السودان، وقد فعل بتقديم دراسة قدمت للإدارة الأمريكية في فبراير 2001م، وقد أكدت الدراسة (التي شارك في إعدادها د. فرانسيس دينق)، على أن مسيرة إنتاج النفط منذ 1998م تشير إلى أن ميزان القوة العسكرية في الحرب سوف يتحول بشكل جذري لصالح الحكومة السودانية على حساب الحركة الشعبية[152]. وكان النظام في خطابه بمناسبة تصدير أول شحنة للبترول في 30 أغسطس 1998م قد أكد أنه سيوظف إمكانات البترول لقمع الرأي الآخر متباهيا بذلك.*

---

152 - US Policy to End Sudan's War – CSIS, Report of the CSIS Task Force on U.S.-Sudan Policy, Co-chairs: *Francis* M. Deng and J. Stephen Morrison, Feb. 2001

استخراج النفط أدى إلى توسيع فجوة عدم التوازن الإستراتيجي بين نظام الإنقاذ ومعارضيه. مما جعل احتمالات النصر العسكري بواسطة قوى المعارضة ضعيفا. فأوصت الورقة بإنهاء الحرب عن طريق تدخل الإدارة الأمريكية، وإلا فإن الحركة الشعبية سوف تُهزم في ميدان القتال وبالتالي تؤول السيطرة لحكومة الإنقاذ التي تتبنى مشروعا إسلامياً يتعارض مع المصالح الأمريكية، ويثير القلاقل في الإقليم[153]. وتبنت الإدارة الأمريكية توصيات الدراسة، فقامت بتعيين مبعوث خاص للسودان هو السناتور جون دانفورث الذي قضى وقتا في دراسة الملف السوداني ثم زار البلاد لأول مرة في نوفمبر 2001م. وعبر هذا الرافع الدولي الجديد شهدت المفاوضات بين الطرفين عهدا جديدا، أنهى حوارات الطرشان السابقة. استهل دانفورث جهوده بحل الصراع في منطقة جبال النوبة، إذ نجح بعد زيارته الثانية للسودان في حمل المتصارعين على الانخراط في مفاوضات استضافتها مدينة بيركنستوك السويسرية، استمرت سبعة أيام تحت رعاية الحكومة الأميركية التي مثلها العقيد سيسل دينز والحكومة السويسرية التي مثلها السفير جوزيف بوشر. وكان التوقيع على الاتفاقية يوم 19 ديسمبر 2001م. وكانت أهم نقاط الاتفاقية وقف إطلاق النار بمراقبة دولية لمدة ستة أشهر قابلة للتمديد، وحددت منطقة جبال النوبة بأنها كل جنوب كردفان ومحافظة لقاوة بولاية غرب كردفان. وتم تعيين هيئة عسكرية مشتركة ومراقبين دوليين للعمل معاً على ضمان التزام أطراف القتال بوقف إطلاق النار[154].

وفي السادس والعشرين من أبريل 2002م قدم القس جون دانفورث تقريره عن الأزمة في السودان للرئيس الأميركي جورج بوش، وخلص التقرير إلى القول إنه يتعذر على أي طرف أن يكسب الحرب في جنوب السودان وإنه لا مناص من مسعىً دولي لتحقيق تسوية لهذا الصراع. وأوصى بالانطلاق من آليات التفاوض القائمة (الإيقاد والمبادرة الليبية) ولكنه استند فعليا على مبادرة الإيقاد وحدها، وبالفعل بدأت أمريكا بإلقاء ثقلها في الضغط والتحكيم بل وتقديم الحلول لطاولة التفاوض التي ترعاها الإيقاد. وأثناء قمة الإيقاد في الخرطوم (مارس 2002)، حصل الرئيس الكيني دانيال أراب موي على تفويض معزز من رؤساء القمة للشروع في تنفيذ مبادرة السلام في السودان، وعين رئيس أركان الجيش الكيني الجنرال لازروس سمبويو ليكون المبعوث الكيني إلى عملية السلام السودانية.

بدأت مفاوضات السلام السودانية بعد التطورات الجديدة في ضاحية مشاكوس بالقرب من العاصمة الكينية نيروبي في 17 يونيو 2002. ودخل الطرفان في البداية في حلقة مفرغة من المناقشات، مما دفع الإدارة الأميركية بالتعاون مع حكومة النرويج إلى إعداد مشروع اتفاق مكتوب قدم إلى طرفي الصراع في 30 يونيو 2002م. وأرفقت الولايات المتحدة نص الاتفاق بتهديدات للطرفين تحملهما مسؤوليات وتبعات رفضهما التوقيع عليه[155].

---

[153] هاني رسلان استخراج النفط في السودان وآثاره الهيكلية

[154] الأزمة السودانية.. من رفض التدويل إلى الأحضان الأمريكية.. الجزيرة نت

[155] الأزمة السودانية- الجزيرة نت- مرجع سابق

*الحقيقة وفي ذلك الوقت، لم ينتبه كثيرون في السودان أن أمرا جديدا يجري في طاولات التفاوض، وكانت الساحة السياسية اعتادت على موائد الحوار التي تنفض بدون التوصل لشيء. لكن تقديرنا كان مختلفا.*
*كنا نقرأ ما يدور في الساحة الدولية بشكل لصيق ولذلك توقعنا الوصول لتسوية رحبنا بها بشكل كبير باعتبارها ضوءا في آخر النفق المظلم[156]، كنا نرحب بالتدخل الدولي لصالح الوصول لتسوية، ولكن ما لم نكن نظنه يحدث أن يتم تسليم كافة الملفات للأيدي الأجنبية بالشكل الذي دار.*
*الشاهد، وبعد 33 يوماً من التفاوض توصل وفدا الحكومة والحركة الشعبية إلى "بروتوكول مشاكوس" الذي يعتبر اختراقا في عملية السلام السودانية. عقد بروتوكول مشاكوس في 22 يوليو 2002م. وتلت ذلك مفاوضات في مختلف المدن والمنتجعات الكينية في نيروبي وناكورو ونانيوكي ونيفاشا، حتى وقعت الاتفاقية النهائية في 9 يناير 2005م بضاحية نيفاشا الكينية).*

## الرد على تقرير دانفورث

كما أشار السيد الصادق أعلاه، ففي أبريل 2002م سلم السيد دانفورث تقريره حول عملية السلام في السودان للرئيس الأمريكي، وفي 29 مايو 2002م كتب السيد الصادق المهدي للسيناتور جون دانفورث يقول له: *(لقد تسلمنا تقريركم عبر السفارة الأمريكية بالخرطوم. إننا نقدر بصدق الجهد الفكري والمتقصي للحقائق والتحليلي المتجرد الذي بذلته مع زملائك فيه. ولتحقيق جدواه وفعاليته في الوصول للسلام والحكم المستقر المساءل في السودان، فإننا نود أن نسلمكم، تعليقا على تقريركم في تسع عشرة ملحوظة تقع في ثلاثة فصول: أشياء نؤيدها بدون تحفظ (سبع نقاط)، تحفظات (خمسة) وسبع نقاط تدعو لمزيد من التوسعة والتفصيل).*
رحب السيد الصادق بما اعتبره تناول التقرير لموضوع السلام بصورة معتدلة ومتوازنة متقصية للحقائق، وأن التقرير أحصى الموضوعات المهمة الواجب حلها في اتفاقية السلام، وأدرك ضرورة الربط بين السلام العادل وحكم يقوم على دستور يؤيده الشعب ويكفل اللا مركزية، واعترف بالتعددية السياسية في الشمال والجنوب، وما ورد فيه من اهتمام بدور جيران السودان والاتحاد الأوربي ودول أخرى في تحقيق السلام، واستخدامه للضغط الحميد على أطراف النزاع، ولآلية التحكيم وآلية المراقبة الدولية، وتحديده فترة زمانية للمراد تحقيقه، واهتمامه بضرورة آليات المتابعة والمراقبة والتنفيذ.
وتحفظ السيد الصادق على: وصف جبال النوبة بأنها "منطقة نفوذ مسيحي وأفريقي" في حين أنها إثنياً ودينياً عبارة عن خلطة سكانية تعكس طيفاً. والتحفظ على ما جاء في التقرير بأن "وجود مبادرتين للتوسط في السودان أعطى فرصة لأطراف النزاع للمناورة لتمرير مصالحها وتجنب القرارات الصعبة بشأن السلام" فمبادرة الإيقاد تعاملت مع اثنين فقط من أطراف النزاع، وركزت على مسألة السلام دون الحكم الصالح، وانحصرت في جيران

---

[156] كتب السيد الصادق قبل الوصول لاتفاقية مشاكوس وفي يونيو 2002م مقالا بعنوان: الضوء في آخر النفق المظلم في نيروبي

السودان في القرن الأفريقي، ورفضت أن تطور نفسها لسد الثغرات. لذلك نشأ فراغ أوجب قيام المبادرة المشتركة وهي بدورها ظهرت لها عيوب عطلت حركتها. وطالب بتحليل موضوع الدين بالإحاطة بالتاريخ وعمق المشكلة للوصول للحل النهائي متحفظاً على تسمية "الحكم الإسلامي". قال: (إننا نفضل أن نسميه الحكم الإسلاموي لأنه مبني على قراءة أيديولوجية للإسلام لا يشاركه فيها غالبية المسلمين الذين كانوا أيضاً من ضحاياه). ورأى أن تناول قضية تقرير المصير بالطريقة التي وردت في التقرير من شأنه أن يخلق ردود أفعال سالبة واسعة تمنع التناول الموضوعي للتقرير لدى جهات عديدة.

أما بالنسبة لتفصيل المجملات، فقد ذكر أن وصف المساهمة الأمريكية بعبارة كاتاليست (عنصر مساعد) فقط غير دقيق في وصف الحقيقة كما ظهر في الاتفاقيات الأربع، أو كما ظهر على لسان قادة دول الجوار. الوصف الأصح للدور الأمريكي أنه "كاتاليست" ومنسق.

وقال إن هناك قضايا ينبغي التركيز عليها لإنجاح الجهود وهي: تقرير المصير، مشاكل الانفصال، مواقف الشماليين، مسألة الشريعة والعلاقة بين الدين والدولة، خريطة الأطراف السودانية المعنية بالسلام والتحول الديمقراطي (وليس فقط الطرفين)، الدول الإقليمية والدولية، آلية التوسط، وآلية المتابعة.

ثم قال في الختام: *(ينبغي أن يكون واضحا لكل الأحزاب السودانية أن هذه العملية في حقيقتها هي مساعدة للسودانيين ليساعدوا أنفسهم بتحقيق طموحاتهم الوطنية المشروعة في السلام العادل والحكم المستقر المساءل الضامن لحقوق الإنسان. وأن وضع العقبات في وجه هذه العملية سوف يواجه برفض وطني وإقليمي ودولي وسوف يودي بصاحبه إلى عواقب وخيمة. وأن الالتزام المخلص للعملية سيقدر ويحفز. إن أعظم جائزة للوطنيين السودانيين سيكون، علاوة على خلاص بلادهم من هذا المأزق المأساوي، هو عقد مؤتمر دولي تحت رعاية البنك الدولي لتنظيم دعم السودان في ظل السلام والاستقرار الديمقراطي لتحقيق إزالة آثار الحرب، وإعادة البناء، والتنمية. هذه قصة نجاح قابلة للتحقق، ومهندسوها سيحظون بأعظم الحمد والتقدير من الشعب السوداني، وبموافقة أوسع إقليميا ودوليا).*

## بروتوكول مشاكوس وما بعده

في 22 يوليو 2002م تم التوقيع على بروتوكول مشاكوس، وحينها كانت الأصوات كلها جزلى، وعقد حزب الأمة مؤتمراً صحفياً ألقى فيه السيد الصادق الكلمة الافتتاحية فقال[157]:

*(منذ سنوات عجاف من الزمان اقتتل أهل السودان قتالاً مريرا، أتلف الأرواح والأموال وشرد المواطنين داخلياً وخارجياً، وزعزع استقرار البلاد، وأودى بالإخاء الوطني، فصار أهل الوطن قاتلاً أو مقتولا.. وتردت سمعة بلادنا في أركان الأرض الأربعة مقترنة بمآسي الحرب الأهلية والحكم القهري الذي كانت الحرب الأهلية بعض مسبباته. إن حزب الأمة الذي لم يترك باباً إلا طرقه أو وسيلة إلا حاولها سواء كان في الحكم أو في المعارضة وأكثر الاتصالات داخلياً وخارجياً واقترح الأسس القابلة لتحقيق الوفاق الوطني، يرحب ترحيباً حاراً ببروتوكول مشاكوس الذي وقعته الحكومة السودانية والحركة الشعبية وجيشها).*

---

[157] أدبيات الحل، مرجع سابق، الوثيقة رقم 115

ثم قال:
(ونقول المطلوب استكمالاً للأمر:
***أولاً:*** *أن يكون الدستور السوداني المركزي، والدستورين الفرعيين دساتير متجانسة، وخاضعة لسيادة واحدة، ومتفقة مع تطلعات الشعب السوداني في كفالة حقوق الإنسان، والحريات العامة، والتداول السلمي على السلطة عبر انتخابات حرة. على أن يتم الاتفاق حولها عبر آلية قومية.*
***ثانيا:*** *أن تدير الفترة الانتقالية حكومة قومية على نحو ما اتفق عليه في نقاط المبادرة المشتركة التسع في يونيو 2001.*
***ثالثا:*** *أن تحقق ترتيبات الفترة الانتقالية: إزالة أسباب النزاع، وإزالة آثار الحرب، وتحقيق دولة الوطن، وقومية مؤسسات الدولة، وتنفيذ اتفاقية السلام، وتحقيق التحول الديمقراطي بصورة تتجنب ثغرات الماضي.*
***رابعا:*** *إن الواقع يتطلب أن تصحب أية اتفاقية آليات داخلية ودولية لضمان تنفيذ ما يتفق عليه بصورة جادة لكيلا تحدث نكسة تطيح بالمكاسب على نحو ما حدث في اتفاقية 1972م وغيرها.*
***خامسا:*** *إننا سوف نوسع الاتصال بكل القوى السياسية والمدنية السودانية للاتفاق على ميثاق وطني يدعم ما يتفق عليه، ويشمل كافة النقاط الضرورية لاتفاقية سلام عادل وأسس للتحول الديمقراطي المصاحب لها والداعم لها بالإرادة الشعبية.*
***سادسا:*** *إن حزب الأمة وهو يواصل برنامجه الواسع لبناء الذات التنظيمي يواصل القيام بتعبئة شعبية واسعة لدعم اتفاقية السلام العادل. إنها حملة تناشد كافة القوي السياسية والفئوية والمدنية حماسة للسلام وتأكيدا أن اتفاقية السلام وقد قامت عناصر شقيقة وصديقة بتسهيلها تقوم على تحضير وطني سوداني وتلبي تطلعات وطنية سودانية.*
***سابعا:*** *نعم ما تحقق هو خطوة واحدة في الطريق الصحيح ولكنها خطوة مبشرة).*

## لقاء التجمع، إستراتيجية السلام، ومخاطبات

في يوم الثلاثاء 2002/8/27 التقى السيد الصادق بسكرتارية التجمع الوطني الديمقراطي بالداخل وبحث معهم التطورات في الساحة السودانية ومسار التفاوض في مشاكوس بصراحة تامة تطابقت فيها الرؤى وتم الاتفاق على الآتي:

- تجاوز خلافات الماضي والتركيز على القضايا الوطنية الكبرى والبعد المستقبلي.
- مخاطبة جذور الأزمة والعمل على تحقيق الأجندة الوطنية (السلام العادل والتحول الديمقراطي).
- تثمين الوثيقة الموقع عليها من القوى السياسية ومنظمات المجتمع المدني والشخصيات الوطنية والتي أصبحت أساساً للتعاون[158].
- العمل على كتابة ميثاق وطني مجمع عليه يؤسس على الرؤى المتفق عليها ويستوعب المستجدات.

[158] يبدو أن الإشارة هنا للمذكرة المقدمة للسيد عمر البشير في 29 ديسمبر 1998م وقد وقعت عليها فصائل التجمع إضافة إلى منظمات مجتمع مدني ونقابات وشخصيات وطنية. راجع/ي الجزء الرابع (الثقب الأسود)

- الكفاح بالوسائل الشعبية السلمية لتحقيق أهداف الميثاق الوطني.
- تكوين آلية لتنسيق العمل من أجل هذه الأهداف.

ومباشرة بعدها قدم حزب الأمة (ورقة إستراتيجية السلام العادل في إطار الحل السياسي الشامل في السودان، في 28 يوليو 2002م)[159]، مشتملة على رؤاه حول القضايا المختلفة ذات الصلة بالسلام، متفائلة بالسودان الواعد، والسودان الرائد. ومصحوبة بمرفقات لتقييم تجربة الحكم الاتحادي والسياسة الخارجية، والميثاق الثقافي باعتبارها رؤى مهمة في تفاصيل اتفاقية السلام.

وفي 30 يوليو خاطب السيد الصادق السيد محمد عثمان الميرغني رئيس التجمع الوطني الديمقراطي، يذكره بتعاونهم بعد انقلاب يونيو في إطار التجمع، وإبرامهم معاً قرارات أسمرا المصيرية، وأنه في عام 1999م اختلفت قراءاتهم للتطورات وتباينت الوسائل، ثم قال: (يقف السودان اليوم على أعتاب مرحلة تاريخية هامة توجب استنهاض هممنا القومية لتحقيق السلام، والديمقراطية، والتنمية.) مؤكداً أن حزب الأمة اختار لجنة لحوارهم برئاسة دكتور إبراهيم الأمين راجيا أن يجري حوار مثمر يحقق تعاوناً وطنيا صادقاً من أجل الأهداف المشتركة.

وفي 12 أغسطس 2002م خاطب السيد الصادق المهدي السيد عمر البشير رئيس المؤتمر الوطني، قائلاً: (*إن بلادنا مقبلة على مرحلة جديدة ونحن أبناؤها يمكن أن نجعل هذه المرحلة القادمة برداً وسلاما على وطننا وأن نحقق بها السلام العادل والحكم الصالح المستقر العادل الذي يهزم بجاذبيته المشاعر الانفصالية ويدعم العزائم الوحدوية فيحقق ويصون وحدة الوطن.. إنها مرحلة تستطيع العزيمة الوطنية فيها أن توطن أسس الوفاق والاتفاق وتوسع وتعمق المدخلات الوطنية السودانية فيه، فإن أخفقنا فسوف نوسع المدخلات الدولية.*

*التحدي الذي نواجهه هو أن نشد أهل السودان للسودان الموحد العادل الديمقراطي المتجه لبناء السلام والتنمية وأن ننشط العطاء الوطني السوداني ليحتل موقعه المستحق من عملية تحقيق الحل السياسي الشامل.*

*لقد أبرمنا معكم نداء الوطن في 25 نوفمبر 1999 وأيدنا بروتوكول مشاكوس الذي أبرمتموه مع الحركة الشعبية والجيش الشعبي في إطار فصلناه في الورقة الإستراتيجية المرسلة إليكم بتاريخ 28 يوليو 2002م، وفي الحالتين فإن الأمر يوجب إجراء حوار ثنائي وجماعي لتفصيل ما يتفق عليه ثنائياً وإكمال ما يتفق عليه قومياً*). [160]

وفي 19 أغسطس خاطب السيد الصادق الأمين العام حينها للأمم المتحدة السيد كوفي عنان شاكرا له على رسالته بتاريخ 2002/7/22، ومؤكداً على ثقته في مواصلة دوره لدعم السلام والديمقراطية في السودان.

---

[159] السابق وثيقة رقم 116

[160] خطاب البشير جاء مباشرة بعد (البرنامج الوطني) الذي أبرمه المؤتمر الوطني مع الجماعة المنسلخة من حزب الأمة وبعد التعديل الذي جرى في قانون الأحزاب ضمن المؤامرة على حزب الأمة، وقد تطرق الخطاب لهذه النقطة وأوردنا الجانب المتعلق بتعديل قانون الأحزاب فيه ضمن رصد المؤامرة على الحزب في الباب الأول (الأصابع المفقودة)

# مبادرة الأمة للتعاهد الوطني

رحب حزب الأمة ببروتوكول مشاكوس ترحيبا لم يرحبه أحد، وبشر به تبشيرا لم يبشره أحد، وعكف على استكمال أوجه النقص في مجمل عملية السلام بوسائل شفافة وأبواب وقلوب مشرعة حواراً مع الجميع لبلوغ الأهداف الوطنية.

وقع طرفا التفاوض على البروتوكول دون تهيئة كاملة لقواعدهما، لذلك لازم الجولات التالية بطء سير، عمل حزب الأمة على تسهيل التفاوض بوسائل متعددة أولها دعم الاتفاق وقيادة الرأي العام لقبوله ومباركته، وثانيها باقتراح الحلول الوسطى لطرفي التفاوض وللوسطاء وللقوى السياسية السودانية. تبلور ذلك الجهد في مبادرة التعاهد الوطني.

فمباشرة بعد بروتوكول مشاكوس، كون حزب الأمة لجنة عليا برئاسة رئيسه السيد الصادق المهدي ومقررية رئيس قطاع الدراسات والبحوث، د. عبد الرحمن الغالي، وعضوية عدد من قادته وهم الأحباب: فضل الله برمة، عبد المحمود حاج صالح، د. ابراهيم الأمين، الفاضل حمد، علي قيلوب، الظاهر خليل، صلاح إبراهيم أحمد، وسارة نقد الله.

عملت هذه اللجنة على دراسة البروتوكول، والقضايا المطروحة في طاولة التفاوض، وفي 11 نوفمبر وصلت إلى وثيقة سميت (مبادرة حزب الأمة للترشيد والتوازن والضغط والتطمين) وكانت تحوي 24 بنداً تفصيلياً مصاغة بشكل غير نهائي، وفي الثلث الأول من ديسمبر كانت المبادرة قد بلورت وتغير عنوانها إلى (مبادرة الأمة للتعاهد الوطني)، حاوية لـ 31 نقطة[161].

في لقاء مع صحيفة البيان حينها تحدث السيد الصادق المهدي عن المبادرة قائلاً: (*نحن بالفعل قدمنا في حزب الأمة مشروعا للتعاهد الوطني وهذا المشروع يقوم على افتراضات عدة، أولها: أنه في اتفاق مشاكوس تم الاتفاق على بعض النقاط مجملة ولكن لم يتم الاتفاق على التفاصيل، كما أن هناك نقاطا تم الاتفاق عليها وتحتاج لهذه التفاصيل وأخرى نوقشت واختلف عليها، ونقاطا لم يتفق عليها ويجب حسمها، وقد رصدناها جميعا في 31 نقطة افترضنا لها حلولا وسطا يمكن أن تلتقي حولها القوى السودانية جميعا، وقدمنا هذه الحلول في مشروع التعاهد الوطني قدمناه لكل القوى الحاكمة والمعارضة وقمنا بتشكيل لجان للاتصال بهذه القوى والتحاور معها من أجل الوصول إلى مشروع نهائي في القريب العاجل.*)[162].

وفي 11 ديسمبر 2002م أرسل السيد الصادق المهدي نص المبادرة للقوى السياسية وشخصيات مستقلة ومنظمات معنية بعمليتي السلام والتحول الديمقراطي راجياً منهم دراستها توطئة لبحثها مع الآخرين للاتفاق على تصور مشترك، وصولاً للإجماع القومي حول هذا الأمر الهام. (*ويسرني في هذا الصدد دعوتكم لحضور حفل الشاي المقام بداري بالملازمين مساء الاثنين 16 ديسمبر 2002م، وذلك في تمام الساعة السابعة مساء، لتداول الرأي مع قيادات حزب الأمة ومختلف القوى السياسية*).

[161] نص المبادرة كاملاً في الملاحق

[162] البيان في 16 يناير 2003

وقد أفضت المداولات حول المبادرة إلى صياغة نصها النهائي في كل نقاطها الـ31[163]، ملخصها كالتالي:

خاض السودان تجربة استقطاب دموي حاد وهو على عتبة السلام العادل والتحول الديمقراطي عبر تعاهد يشمل النقاط التالية:

1) التوفيق بين الوحدة الوطنية والحقوق الدينية.
2) التوزيع العادل لعائدات الثروة وتحقيق التوازن التنموي والعدالة الاجتماعية.
3) حكم لا مركزي ديمقراطي متوازن على كل المستويات.
4) إزالة المظالم التنموية والإدارية والثقافية وتمكين سكان المناطق من تحديد مستقبلهم عبر ممثليهم المنتخبين.
5) صيانة حقوق الإنسان.
6) فترة انتقالية تقوم على التراضي في ثلثها الأول والانتخابات الحرة النزيهة فيما بعد.
7) انتخابات حرة نزيهة عادلة.
8) دستور مدني ديمقراطي لا مركزي يعبر عن الشعب السوداني كله يجيزه برلمان منتخب.
9) القوات المسلحة.
10) جهاز أمن قوي يعنى بتأمين الوطن والمواطن والدولة القومية.
11) الاعتراف بالمظالم والاعتذار عنها لتنقية الحياة السياسية وإعمال مبدأ المحاسبة والمساءلة مع تشجيع قيم التصالح والتعافي.
12) نقل الاتفاق الحالي من اتفاق ثنائي إلى قومي والالتزام به والدفاع عنه.
13) ضمان تمثيل الحركة الشعبية تمثيلاً مناسباً في أجهزة الحكم وتجنب الإقصاء.
14) تطمين المؤتمر الوطني وتشجيع التسامح وتجنب العزل السياسي.
15) التحول من دولة الحزب إلى دولة الوطن.
16) مؤسسات قومية مستقلة تضمن تنفيذ الاتفاق.
17) مشاركة إقليمية متوازنة لتحقيق السلام.
18) مشاركة دولية فاعلة لتحقيق السلام والتنمية والتحول الديمقراطي وضمان تنفيذ الاتفاق.
19) إزالة آثار الحرب المادية والمعنوية وإعادة توطين اللاجئين والنازحين وتأهيلهم وتوفير سبل كسب العيش الكريم لهم.
20) إزالة الاختلالات التنموية والإدارية في المناطق الأقل نمواً وتحقيق العدالة الاجتماعية.
21) إصلاح الأحزاب بما يكفل ديمقراطيتها وقوميتها.
22) التوفيق بين مكتسبات الحركة النقابية الديمقراطية والمصالح الوطنية وعدم تسييس النقابات وضبط النشاط النقابي.

[163] ترجم الملخص للغة الإنجليزية ونشر للوسطاء ذلك، لكن نسخة المعاهدة الأصلية لم تترجم وهي طويلة جدا وتفصيلية

23) التوفيق بين حرية الصحافة والمسئولية الوطنية.
24) علاقات خارجية تراعي انتماءات البلاد الجغرافية والحضارية.
25) الاهتمام بالسودانيين بالمهجر وربطهم بالوطن الأم.
26) احترام الأديان المختلفة والدعوة للتعايش والتفاعل الإيجابي بينها.
27) احترام التنوع الثقافي والتعبير عنه والدعوة للتعايش والتلاقح بين الثقافات.
28) رفع كافة أشكال التمييز السياسي والقانوني والاقتصادي والاجتماعي ضد المرأة.
29) اعتماد آلية السوق الحر وحماية الشرائح الاجتماعية الضعيفة لتحقيق التنمية المستدامة.
30) إجراء إحصاء سكاني بمساعدة دولية.
31) إلغاء الديون الخارجية علي البلاد.

وزع حزب الأمة الدعوة لنقاش هذه المعاهدة على نطاق واسع. وكونت في اجتماع ديسمبر 2002م لجنة من القوى السياسية والمدنية والشخصيات الوطنية المشاركة في منبر التعاهد الوطني لصياغة النص النهائي الذي يمثل اتفاق حد أدنى تصادق عليه القوى السياسية السودانية مجتمعة. وبعد العديد من الحوارات الثنائية ومتعددة الأطراف، تم تحديد الرؤى المختلفة في كل نقطة، ومن ثم الاتفاق على نص للتعاهد، وتقرر أن يعقد اجتماع جامع لإجازته، دعا له الحزب في الثامن من مارس 2003م للخلوص لاعلان سياسي.

اتهمت بعض الجهات الأمنية في النظام هذه المناشط وظنت بها الظنون مع أن الحزب دعا المؤتمر الوطني الحاكم للانضمام لهذا المنبر القومي المهم.

استدعت قوات الأمن بعض القادة السياسيين على خلفية اجتماع الثامن من مارس، من بينهم الدكتور إبراهيم الأمين القيادي بحزب الأمة، والأستاذ علي محمود حسنين نائب رئيس الحزب الاتحادي الديمقراطي، والمرحوم دكتور الطيب شكاك من جامعة الأحفاد، ومدير دار الأمة عمر محمد عمر (الشهيد) رحمه الله الذي حُقق معه وأُبلغ بإلغاء الاجتماع. وبعد بضعة أيام أوقف آخرون: المرحوم صديق يحيى ممثل نقابة العمال، ومحمد زين عديلة عضو المكتب السياسي للأمة، والوسيلة عز الدين الناشط بحزب الأمة، وتوفيق أبو كدوك رئيس حزب العدالة.[164] الاتهام الموجه للذين تم استدعاؤهم أو اعتقالهم هو التحضير لانتفاضة شعبية!!

## مؤتمر الهيئة الأول

صدق المثل (رب ضارة نافعة)، فقد كان لآثار انخراط جماعة المشاركة في نظام الإنقاذ فوائد كثيرة من ناحية استنفار قواعد حزب الأمة والأنصار لدعم المؤسسات التي كال لها المنخرطون بالكيل الثقيل. فهم لم يدخروا هجومهم على هيئة شؤون الأنصار ويكتفوا بالخلاف السياسي، بل تفحّم قائدهم الذي ما كان له في المسألة الدينية والأنصارية ناقة ولا جمل، على القيادة في كيان الأنصار، معضداً إمامة السيد أحمد المهدي.

وكنا تابعنا اجتماع الحشود الأنصارية الضخمة في أبا في 1978 وفي أم درمان 1983م وفي كل مرة كان بعض الأحباب يقترح مبايعة السيد الصادق أمام تلك الحشود، ولكنه كان يرفض الفكرة، مصرا على مأسسة كيان الأنصار فلا تجري مبايعة إمام إلا عبر انتخاب داخل

---

[164] Human Rights Situation is Sudan, April 2003. Umma Party

المؤسسة ذات النظام الذي تجيزه جماعة صحيحة التمثيل للقواعد مما يقي التفلتات وتقلبات الزمان. وفي 1983م أصر الحشد على معاهدته بالنصرة فسُمي (صاحب العهد مع أنصار الله)، وهو العهد الذي تكرر في مارس 1999م.
وبكلماته: *(لقد أعرضت عن أية محاولة لإلزامي ببيعة لأنني أعتبر أن وصية الإمام الصديق بشأن البيعة في عنقي[165] وحتى عندما عدل عنها المجلس الخماسي[166] اشترطت أن نعتبر ما فعلناه مربوطاً بظروف خاصة، على أن تظل الوصية أساساً للإمامة مستقبلا فوافقوا، وأعلنت ذلك في خطبة أثناء جنازة الإمام الصديق الإمام الراحل. إن وصية الإمام الصديق بشأن الإمامة لا يمكن تنفيذها إلا إذا أقمنا مؤسسة تمثل رأي الأنصار وتكون آلية لاختيار الإمام. القيادات في كيانات السودانيين التقليدية تتم عادة بالتوارث وأحياناً بالمغالبة لذلك نجد أن أكثرية كيانات السودان الدينية والقبلية تعاني من أزمات بسبب تنافس الوارثين، هذا التنافس سوف يستمر ويضر بتلك الكيانات ولكن إقامة مؤسسة تمثل قاعدة أصحاب الشأن وتتولى أمر اختيار القيادة في نطاقها هي أفضل وسيلة لحسم خلافات الخلافة سلمياً. إن مؤتمرنا العام القادم سوف يكوّن هذه المؤسسة علي نحو ما جاء في الدليل الأساسي وعلي نحو ما أوصت به الورشة. المؤتمر سوف يختار مجلس الشورى ومجلس الشورى سوف يختار مجلس الحل والعقد، وهذا سوف يختار الإمام متى شاء في الوقت والمكان المناسبين وسوف تكون إمامة مؤسسية، وللمجلس أن يتخذ ما يشاء من تدابير مؤقتة، هذا يعني أنه ليس من الضروري أن هذه الأجهزة بعد استكمالها سوف تقوم باختيار الإمام، ولكنها ستقرر الزمان والمكان المناسبين لذلك حسب الظروف، بعض خفاف العقول من الناس الآن يظنون أن كل هذه الحركة و(الهيصة) الآن إنما هي لأننا نريد أن نعقد بيعة للإمام، إننا لو أردنا ذلك وبمثل هذه الطريقة (المكلفتة) وطريقة (الحدقان) هذي لما احتجنا لكل هذا، نحن نكون مؤسساتنا والمؤسسات تقرر ما تشاء. إن مثل هذه القضايا المصيرية والأساسية لا يمكن التلاعب بها.)*[167]
وفي إطار التحضير لمأسسة الكيان الأنصاري تم تكوين لجنة لصياغة صحيفة ترسم خطى التكامل والتمييز بين عمل الهيئة وحزب الأمة على أن تجاز مؤسسياً داخل كل كيان على حدة. تكونت لجنة من قيادات بالحزب وبالهيئة، وهم الأحباب والحبيبات: د. عمر نور الدائم رحمه الله، سارا الفاضل رحمها الله، عبد المحمود الحاج صالح، عبد الرسول النور إسماعيل، د. عبد النبي علي أحمد رحمه الله، د. عبد الرحمن الغالي، آدم أحمد يوسف، يوسف حسن، ود. مريم الصادق. قدم الحبيب السيد الصادق في ديسمبر 2001م للجنة ورقة بعنوان (العقيدة والسياسة: صحيفة التكامل والتمييز بين الأنصار وحزب الأمة) لتتم دراستها عبر اللجنة التي اجتمعت عدداً من الجلسات برئاسة دكتور عمر نور الدائم رحمه الله ومقررية د. عبد الرحمن الغالي.

---

[165] أوصى الإمام الصديق أن اختيار الإمام يكون بشورى الأنصار، نص الوصية وتفاصيل ما حدث في الجزء الأول من هذه السيرة (بينج ماريال)
[166] الإشارة للمجلس الذي كونه الإمام الصديق ليدير أمر الأنصار حتى يُختار الإمام بشورى الأنصار، راجع/ي الجزء الأول، بينج ماريال
[167] خطاب الحبيب صاحب العهد مع أنصار الله في افتتاحية الورش التحضيرية، 20 أكتوبر 2002م.

في 1 يونيو 2002م خاطب السيد الصادق كل من رئيس المكتب السياسي لحزب الأمة (د. آدم موسى مادبو) ورئيس مجلس الحل والعقد (الحبيب حسن موسى) حول موضوع صحيفة التكامل والتمييز بين الحزب والهيئة، فسرد في البداية تاريخ العلاقة بين حزب الأمة وهيئة شؤون الأنصار ثم جاء:

*(كونت في ديسمبر 2001م لجنة ذات تأهيل عال من قيادات الهيئة والحزب فتداولت مسألة صحيفة للتكامل والتمييز بين الهيئة والحزب.. وقد والت اللجنة اجتماعاتها ورأت أن يغير الاسم إلى "صحيفة الأمة والهيئة"، وقررت الآتي:*

1. *أن العلاقة بين حزب الأمة وكيان الأنصار قد تطورت عبر العهود على النحو المعلوم المبين في هذه الصحيفة. ونحن الآن بصدد تعريف للأمر يتناول المستجدات والظروف الراهنة. والمطلوب الآن أن يكون التنظيمان مستقلين تماماً، استقلالاً يكرسه وصفهما الوظيفي، فالحزب كيان سياسي ديمقراطي جامع لكل السودانيين بلا تمييز بينهم على أساس الدين أو الإثنية أو الجهة أو النوع. وهيئة شؤون الأنصار كيان شوري يضم الأنصار داخل السودان وخارج السودان، بموجب برنامج ديني ثقافي اجتماعي تربوي غير معني بصراع السلطة ولكل من التنظيمين وثائقه المرجعية المحددة: الدليل الأساسي للهيئة، ودستور الحزب للحزب.*
2. *تنضبط قيادة التنظيمين انضباطاً محكماً وترعى موجبات وثائقهما التكوينية دون أية تجاوزات.*
3. *رئيس حزب الأمة وإمام الأنصار أو صاحب العهد – وهما الآن شخص واحد- ورئيس المكتب التنفيذي للحزب وأمين عام الهيئة يكونون آلية تنسيق عليا لما قد يحدث من تضارب أو تجاوز، ويمكنهم أن يعينوا آليات تنسيق مساعدة متى لزم ذلك.*
4. *يعرض هذا الأمر للأجهزة المعنية لاتخاذ قرار نهائي به، وبموجب ذلك يعمل تنوير واسع للقواعد.*
5. *تقوم الأجهزة المعنية ببث إعلام موسع داخل وخارج البلاد للإلمام بحقيقة الأمر.*
6. *الذين صعدوا إلى الأجهزة يستمرون فيها على أساس شخصي ودون تمثيل لجماعة معينة.*
7. *بالنسبة للمنبر:*
   - *منابر الهيئة تراعي في توجهها السياسي قرارات الحزب العالقة.*
   - *منابر الحزب تراعي الهيئة في حدود اختصاصها.)*

أجاز مجلس الحل والعقد الصحيفة، واستُنفر والأمانة العامة لتنظيم المؤتمر العام الأول للهيئة، فنظمت الأمانة مجموعة من الورش لتحضير ملف المؤتمر.

## الورش التحضيرية

في الفترة 20-23 أكتوبر 2002م انعقدت الورش التحضيرية للمؤتمر العام الأول لهيئة شؤون الأنصار، وألقى السيد الصادق كلمة في افتتاحيتها وأخرى في ختامها[168]، كما حضر كل مداولات الورش المختلفة وحرص على تدوين كل ما يقال فيها من أفكار ونقاشات.

[168] نص كلمة الافتتاحية في الملاحق كاملاً

شارك في هذه الورش 22 متخصصاً ومتخصصة بأوراق عمل منهجية غطت قضايا الأنصار المختلفة مثل نظام الوكلاء، والنظرية الإدارية في المهدية، والإعلام، وورقة الإمامة، ومناقشة صحيفة الأمة والهيئة، وبرنامج الهيئة، والدليل الأساسي. كما أعدت سكرتارية الورش ملفات متخصصة جامعة للمادة المتعلقة بمواضيع الورش. وبعدها نظمت السكرتارية حلقة نقاش لموضوع الخلاوى ومشاكلها لقصور الورش في هذا الموضوع[169].

وفي الجلسة الافتتاحية للورش تحدث السيد الصادق، صاحب العهد مع أنصار الله عن المهدية ومراحلها الثلاثة، ثم ذكر الآفاق الجديدة للكيان، وأهمها:

- *المسلمون في السودان يعانون من تفرقة زادتها تجربة نظام الإنقاذ شتاتاً ومرارة.*
- *وقعت البلاد فريسة لاستقطاب داخلي حاد وارتهان لإرادات دولية خطيرة.*
- *يقف الإسلام في كثير من المنابر الدولية متهماً بالاستبداد في السلطة والإرهاب في المعارضة.*
- *تواجه البلدان العربية والأفريقية والإسلامية تحديات مصيرية تنموية، سياسية، واجتماعية.*
- *يتحرك العالم نحو العولمة بما فيها من ايجابيات وسلبيات.*

*لذلك وجب علينا استشراف مرحلة ثالثة للدعوة أبرزت بعض معالمها النداءات الثلاثة: نداء المهتدين –ونداء الإيمانيين –ونداء حوار الحضارات. أ. هـ*

**ثم تحدث عن آليات وهياكل الكيان وقال:**

*(في المرحلة الثالثة قادنا اجتهادنا لتطوير كيان الأنصار في اتجاه مؤسسي ذي شخصية اعتبارية يكون أداة لمشاركة الأنصار في أمرهم بأجهزة يرتضونها ويشتركون فيها. وتشترك مع الإمام في الأمر بصورة تجعل الإمامة دستورية. هذه المعالم فصلها الدليل الأساسي.. المطلوب اليوم أن يراجع ليقدم للمؤتمر العام في شكله النهائي..لا يوجد في دفاتر الأنصارية نص عام بشأن آلية تنصيب الإمام، غير نصين:* ***الأول:*** *نص عام في مقولة الإمام المهدي عن ولاية الأمر أن تكون لمن "تقلد بقلائد الدين ومالت إليه قلوب المؤمنين".* ***والثاني:*** *وصية الإمام الصديق التي أملاها عليّ في فراش الموت: أن الإمام يختاره الأنصار.*

*هنالك ثلاث وسائل ممكنة لتنصيب القيادة: أسلوب التغلب، أسلوب الوراثة، وأسلوب التراضي على الانتخاب.*

*والمعلوم أنه كلما كانت المجتمعات أكثر تخلفا كلما لجأت للوسيلتين الأولى والثانية، وكلما تقدم بالمجتمع الوعي والتعليم والتنمية كلما لجأ للأسلوب الثالث. وكلما كان المجتمع متخلفا كلما كانت القيادة فيه فردية ومطلقة الصلاحيات.. وكلما كان المجتمع متقدما كلما كانت القيادة فيه مؤسسية محددة الصلاحيات. نحن نتطلع للتحديث المؤصل وهذا لا يحصر في مجال السياسة والاقتصاد بل يشمل المجتمع بكل مكوناته الفاعلة. إذا لم يمس التحديث كياناتنا الدينية والقبلية فإن مشروع التحديث سوف يبقى معزولا ومعلقا في الهواء).*

وذكر أن الوسيلة التي تسندها مراجعنا المعتمدة وتلائم ظروفنا المعاصرة هي الانتخاب مثلما ورد في الدليل الأساسي. وأن تحدد أسس البيعة لتكون مرضية وملزمة لطرفيها.

[169] من تقرير السكرتارية

وفي شأن العلاقة بين الأنصار وحزب الأمة تحدث عن مبادئ: أن الأنصارية لا يمكن أن تُجرّد من الوطنية، وأن حزب الأمة لا يفصل ما بين الدين والسياسة ولا يمكن لمبادئه أن تجافي قطعيات الدين، وأن كيان الأنصار يخص الأنصار وحدهم مع الاعتراف بالتعددية الدينية والسياسية، وحزب الأمة ملتزم بالبرامج السياسية التي تقررها أجهزته ويشترك في قراراتها مسلمون غير أنصار ومؤيدون غير مسلمين فهو مفتوح لكل مواطن سوداني وبرامجه تراعي التوازن المطلوب بين مذاهب المسلمين وبين ملل أهل السودان وثقافاتهم، فهناك اختلاف بين الحزب والهيئة مع وجود مناطق تداخل يرجى ضبطها لئلا تؤدي لتناقض، ونادى باتخاذ صحيفة مرجعية، داعياً المشاركين في الورشة للاطلاع الدقيق على صحيفة الأمة والهيئة المطروحة للورشة والقطع بالرأي فيها لحسم هذا الأمر.
وتطرق كذلك لحديث البعض عن وجود اختلافات في الجسم الأنصاري (*فهنالك هيئة مسماة هيئة شؤون الأنصار شجعها أمن النظام لتعمل مستقلة. وهنالك السيد أحمد المهدي ومبايعة بعض الناس له إماماً. وهنالك السيد ولي الدين ومن معه واعتبارهم الإمام الهادي حيا والتزامهم بالبيعة له*)، وذكر أن هذه الجماعات تحظى بدعم ما من سلطة النظام الحاكم، وتشكل نسبة قليلة جداً من الجسم الأنصاري. وأن ظاهرة التشقق المحدود في جسم الأنصار ظاهرة قديمة، وكذلك تشجيع الحكام الأوتوقراطيين منذ الحكم الثاني وحتى نظام الإنقاذ لها. وطالب بتوجيه نداء لهذه الجماعات باعتبار أن المواقع في كيان الأنصار بالتراضي والشورى والانتخاب فإن أرادوا المشاركة في المؤتمر القادم فهذه فرصتهم، وإن رفضوا ذلك فهم أحرار، والأنصار سوف يكونون مستعدين للتعامل معهم بشرط تجنب التآمر ضد الهيئة لتحقيق مكاسب ذاتية، وتجنب دور مخلب القط لجهات سياسية تكايد كيان الأنصار.
ثم تحدث عن برنامج الهيئة للمرحلة القادمة منتقداً إصابة النهج الحركي الإسلامي مؤخراً بالاهتمام بالسياسة والسلطة بصورة مقدمة على مطالب الدين الأخرى، مستشهداً بتجربة الإنقاذ، وأن على هيئة شؤون الأنصار أن تكون أداتنا لمجابهة تحديات المسلمين اليوم وأن تكون وسيلة بيان بالعمل للتيارات الإسلامية المختلفة. وأن تقيم هيئات منتسبة لها ذوات اختصاص في كافة المجالات الخدمية والاجتماعية بحيث يحتل نشاطها غير السياسي مساحة من الألف للياء في حياة الناس.
وفي الجلسة الختامية للورش التحضيرية قال السيد الصادق إنه لن يتطرق للتوصيات التي رآها درست المواضيع بصورة وافية وسوف يكتفي بالحديث عن خمس نقاط وهي: بطاقة الأنصارية، الإمامة، البيوتات التاريخية، علاقتنا بالنظام، العلاقة بين الحزب والهيئة.
فيما يتعلق بالعلاقة بالنظام قال:
*(نحن نقدر لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية في عهدها الجديد تسجيل هيئة شؤون الأنصار، وفي الوقت نفسه نستنكر ما فعله النظام مكايدة لنا)، .(استولى النظام على كل سيارات الهيئة اغتصاباً، كنا قد جلبنا سيارات جديدة لتسيير عمل مؤتمر الهيئة فوضع النظام يده عليها بعد قيام الانقلاب وكان هذا آخر عهدنا بها. وفي عام 1993م استولى النظام على مركزنا العام بمجمع بيت الإمام المهدي، ..، وعندما قرر النظام رفع يده عن مجمع بيت الإمام المهدي سلمه لهيئة سماها باسمنا – كما فعل بالحزب – كان هذا هو السيناريو أو (البروفة) التي عملها في إطار الهيئة ثم طبقها أيضاً في إطار الحزب! عملية صبيانية لا تليق بمستوى أناس جادين)..*

*(ثم صار النظام يتحجج بأن هناك آخرين لهم الحق في هذا المجمع. إن النهج الصحيح هو أن يسلم المجمع لمن كان فيه وإن كان لأحد حجة فالمحاكم هي الفيصل. إننا لن نسكت على هذه المظالم بل إننا نحضر الآن وثيقة بالاضطهاد الديني الذي تعرضنا له في هذا المجال وفي مجالات أخرى كالمصادرة والتعذيب الذي تعرض له عدد من أئمة مساجدنا، ونطالب كافة الجماعات الدينية مساندتنا في المطالبة بحقوقنا المشروعة. إن مجمع بيت الإمام المهدي ليس ورثة لأحد وهو بموجب وصية صاحبه الإمام عبد الرحمن يملك للخليفة وقد كان الخليفة هو الإمام الصديق، ونحن نعتقد أن المقصود هو كيان الأنصار. وليس لأي أحد إلا الذي أعماه الغرض أن يغالط في حقيقة كيان الأنصار).*
*(حدثت لنا مكايدة أخرى في الجزيرة أبا، لقد كنا فيما يتعلق بهذا الأمر ماضين في مشروع لتطوير الجزيرة أبا، كان هناك عون إيطالي بصدد تطوير الجزيرة كقرية نموذجية لتطوير الريف السوداني كله: صناعات زراعية، تربية حيوانية ... الخ. كما كان هناك عون كندي بصدد إقامة بل وأقام بالفعل معهد فني لتدريب الأيدي العاملة لتطوير الريف، وكانت لنا فكرة بتوصيل الكهرباء من الخزان للنيل الأبيض من الرنك وحتى القطينة لضمان استدامة الري وزراعة الثلاثة مواسم بدلاً عن الموسم الواحد. كل هذا توقف الآن، بل وأهم من هذا أننا كورثة للإمام عبد الرحمن قررنا أن تؤول ملكية الجزيرة أبا لأهلها، الذي فعله النظام هو أنه حول ملكية الجزيرة أبا إلى ملكية عامة للحكومة، هذا خطأ لأنه يمكن لأي من الورثة في أية لحظة أن يرفع قضية حسبة أو خلافه ويدعي ملكية الجزيرة وأنها أخذت منه غصباً، ولكن لو قام الأمر على أساس أن أهل الحق قد تنازلوا، لن يكون هناك مجال لأي نوع من الدعاوى).*
*(إننا نقول للنظام: بدلاً عن الانشغال بالمكايدات وسياسة فرق تسد، أنتم مطالبون بإخراج الإسلام من الجحر الضيق الذي حشرته فيه تجربتكم، وبأن يتعاون الجميع – نحن وأنتم – في تأمين وتطمين غير المسلمين على حقوقهم الدينية وحقوق المواطنة، وأن نستعد لمواجهة الحملات التي صنفت الإسلام قريناً للاستبداد والإرهاب، فنحن الآن في قفص الاتهام، وأن ننتصر لديباجة الإسلام الوضاءة، هذا هو الموقف الذي يليق بقيادات جادة ومسئولة وواعية بمستوى الورطة التي يمر بها الآن الوطن والإسلام. فهل من مجيب؟)*
طبعاً.. ما من مجيب!!
وفيما يتعلق بالعلاقة بين الهيئة والحزب السياسي ذكر السيد الصادق أن الورشة درستها بصورة وافية وجادة وأيدت الصحيفة المقترحة (صحيفة الأمة والهيئة) مع بعض الإضافات كما أوجبت أن نضع لوائح تمنع التداخل، وتقديم برنامج تنويري شامل لشرح معاني ومقتضيات الصحيفة. و*(المطلوب الآن أن نجيز الصحيفة في شكلها النهائي في المؤتمر العام لهيئة شؤون الأنصار ومؤتمر حزب الأمة لإعطائها القوة التشريعية اللازمة).*
اختتمت الورش وقد أعدت للمؤتمر العام ملفاً مدروساً في مختلف القضايا، ثم كان المؤتمر بمثابة معسكر أو رباط من الشدة المصحوبة بالإنجاز.

## رباط السقاي المبروك

في الفترة ما بين الخميس إلى السبت الموافق 19-21 ديسمبر انعقد المؤتمر الأول لهيئة شؤون الأنصار، بمزارع الإمام عبد الرحمن المهدي بالسقاي.

قام الأنصار بتصعيد عضوية المؤتمر من كل ولايات السودان، ومن كليات ولائية وفئوية: المرأة والشباب والمهنيين والفئات والوكلاء. وكان قوام المؤتمر أربعة آلاف بحسب الدليل الأساسي، ولتقليل تكلفة الانعقاد فقد جرى في مزارع السقاي، حيث تمت تهيئة المكان بعمل مرافق وخيم تصلح لإقامة تلك الجموع، فكانت إقامة فيها من المشقات في ذلك الزمهرير، تحملها أنصار الله بكل رحابة صدر وبيشر بالغ لبناء مؤسستهم. ولقد أشار السيد الصادق لهذه المعاناة في سبيل غاية عليا حين قال: (*هذا المؤتمر سيكون بمثابة رباط شبيه برباط منى، يؤاخي المؤتمرون بعضهم بعضا ويتعارفون ويعيشون سويا في المأكل والمشرب دعما للإلفة بينهم استلهاما لعنقود المحبة الذي ألح في طلبه إمامنا في راتبه: "فألفني ومن صحبني ومن أحبني على حب نبيك صلى الله عليه وسلم لأحبك يا من بيده الأكوان."*)

كنتُ كالعادة في سكرتارية المؤتمر، نعكفُ على تسجيل كل صغيرة وكبيرة، وقد تم تصعيدي عضوة في المؤتمر ضمن كلية الإعلاميين والمبدعين.

في الجلسة الافتتاحية تحدث صاحب العهد مع أنصار الله خطابا نقتطف منه بعض الفقرات هنا:

(*كان رأيي الشخصي أننا محتاجون لزمن أطول للتحضير لمؤتمر الأنصار العام لا سيما وعددٌ منا مشغول بالتحضير للمؤتمر العام للحزب. ولكن مجلس الحل والعقد قدم لي توصية باستعجال عقد مؤتمر عام الهيئة، وفيما يتعلق بضيق الزمن قالوا إنهم يستطيعون مضاعفة العمل. كذلك فيما يتعلق بالإمكانات قالوا إنني إذا عاونتهم يستطيعون جمع المال المطلوب.لم أشأ أن أعطل هذه الحماسة الحميدة لذلك وافقت على رأيهم، واندفعوا في العمل بهمة شارك فيها أصحاب الرأي والتنفيذ وفي وقت وجيز جدا استطاعوا أن يحققوا عملاً عملاقا فالشكر والتقدير لمجلس الحل والعقد وللمكتب التنفيذي وقائده الأمين العام ولكافة الكوادر الحية النشيطة التي واصلت الليل بالنهار لتحقيق هذا العمل المجيد والشكر والتقدير للذين تبرعوا بالمال سخيا نقدا وعينا* (**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)[170].)

(*شرعوا بهمة ونشاط في تكوين البناءات القاعدية للمرأة، والشباب، والوكلاء والفئات. كما أقاموا تنظيمات منتخبة للهيئة في المحليات المختلفة بحيث صار لكل محلية مجلس شورى منتخب ومكتب تنفيذي منتخب. فلم تقتصر مهام المؤتمرات التي عقدت على جمع القواعد لاختيار ممثليهم في المؤتمر العام وحسب، وقد تم ذلك بصورة واسعة في داخل السودان وخارجه*).

(***إن لهذا المؤتمر أهمية تاريخية لأنه:*** *أول تجربة من نوعها فقد كنا في الماضي نعقد مؤتمرات للوكلاء. أما مؤتمر عام من هذا النوع فهو تجربة جديدة وغير مسبوقة في كيان الأنصار. ويرجى أن يكون أنموذجا لكثير من كيانات البلاد التقليدية لتحقيق التحديث المؤصل والإنبات* (**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**)[171]*.. إن سعة تمثيل قواعد الأنصار في هذا المؤتمر والطريقة الديمقراطية الشورية التي اتبعت فيه تمثل اختراقا للحائط الفاصل بين*

---

[170] سورة الحشر الآية (9)

[171] سورة إبراهيم الآيتان (24،25)

*جسمنا التقليدي والحديث بصورة عملية. إن على كيان الأنصار أن يدرك أن عليه واجبا تاريخيا مصيريا هو أن يكون: الواصل البشري بين سودان دار فور وسودان سنار أي بين غرب السودان وسودان وادي النيل. والواصل البشري عبر مناطق التجاور الممتدة من أم دافوق غرباً إلى الرصيرص شرقا وبين شمال السودان وجنوبه. والواصل الفكري بين حياة البلاد التقليدية وحياتها الحديثة.. ينبغي أن نستشعر هذا الدور المصيري الهام.. هذا المؤتمر سوف يختار ويقنن أجهزة الأنصار بصورة تستمد شرعيتها من أصول تاريخية ونظم حديثة).*

ثم أشار للبرامج والصحائف المرجعية التي وزعت للمؤتمرين لدراستها واتخاذ القرارات بشأنها، أولها الإلمام بالمرجعية الفكرية واعتمادها أساساً للمرحلة الثالثة من الدعوة، وثانيها دراسة صحيفة الإمامة[172] واعتمادها أساساً مرجعياً للإمامة، وثالثاً دراسة صحيفة الأمة والهيئة لتحديد العلاقة بين هيئة شؤون الأنصار وحزب الأمة، ورابعاً مراجعة الدليل الأساسي للهيئة على ضوء التوصيات المقدمة للمؤتمر، وخامساً اختيار أجهزة الهيئة القيادية والتنفيذية. وسادساً تحديد عدد وأهداف الأمانات التنفيذية وإقرار آلية لإدارة التأهيل والتدريب. وأخيراً اتخاذ القرارات اللازمة بشأن تكوين هيئات ذات شخصية اعتبارية في الخدمات المختلفة.

وأشار كذلك للمعرض الفني والأدبي: *(وسيجد الجميع في المعرض أدبيات دينية ووطنية ومعروضات ومقتنيات للإثراء الثقافي كما يُرجى أن يستمتعوا في ثاني أيام المؤتمر بالليلة المفتوحة وما فيها من المدائح والأشعار والأناشيد الوطنية شحذا للهمم واستنهاضا للعزائم.. "والعود ما بجيب النار بلا يفركو[173]").*

في ذلك المعرض لاقيتُ لأول مرة الشاعر حاج العمدة عبد الماجد ولم أتعرف عليه. جاء وقال إن لديه قصيدة فإذا به ذلك الشاعر الفطحل الذي كم استمعنا لقصيده وما كنا نعرف أنه يمشي بيننا مصعداً من ولاية نهر النيل.. وبالفعل أعطيتُ له فرصة في الليلة المفتوحة فأهاج الناس حماسة.. وسوف نأتي لاحقاً على شعر السقاي.

حينما انعقدت الجلسة الإجرائية الأولى كان على المؤتمرين أن يبحثوا ملفاتهم فيجيزوا أولاً الصحائف (صحيفة الإمامة وصحيفة الأمة والهيئة)، والدليل الأساسي، ومن ثم ينتخبوا مجلس الشورى (وعدد أعضائه 400)، ثم يجتمع الشورى وينتخب الأمين العام ومجلس الحل والعقد (وعدده 40) ويجتمع الأربعون لينتخبوا الإمام، وقد لا ينتخبوه فوراً وفق تصور السيد الصادق الذي رأى أن توقيت وظروف انتخاب الإمام ينبغي أن تترك لمجلس الحل والعقد. هذا ما كان منصوص عليه في الدليل الأساسي، وما كان في تصورات السيد الصادق.

أكد عبد الرحمن الصادق أن جماعتهم في تأمين المؤتمر رصدت اجتماعاً قبل جلسة المؤتمر الأولى لعدد من القيادات على رأسهم دكتور عمر نور الدائم رحمه الله ومعه الحبيبين صلاح عبد السلام وتبيرة هباني رحمهم الله أجمعين والحبيب علي العمدة أمد الله في عمره وآخرين،

---

[172] نص صحيفة الإمامة في ملاحق الكتاب

[173] من شعر الشاعر المهدوي أحمد ود سعد: شمر ود سعد بي توبو لي وركو، قاصد يمدح الهانو لناس مركو، والعود ما بجيب النار بلا يفركو. أي أن شعره حركته جلائل الأعمال التي قام بها الذين غلبوا وأهانوا المستعمر (ناس مارك).

كانوا يتحدثون عن ضرورة تنصيب الحبيب إماماً وكانوا يعرفون معارضته لذلك، ويرون أنه إذا فوض الأمر لمجلس الحل والعقد فإنه يستطيع رفض ترشيحه أو تأجيله، لذلك رأوا أن يُفرض الأمر من داخل المؤتمر العام، فانزعج جداً لأنه يعلم أن الحبيب لم يكن موافقاً على ترشيحه للإمامة، فأخبره وانزعج بدوره. وفكر عبد الرحمن أن الطريقة الوحيدة لإيقاف الترشيح أن يعارضه علناً وبأقوى صورة حينما يُطرح، ولكن المرحومة الحبيبة السيدة سارا ترجته ألا يفعلها، وأثناء انعقاد الجلسة المعنية حرصت على أن تجلس يمينه لمنعه من الإدلاء بأي رأي.

وفي الجلسة الأولى وأثناء نقاش الدليل الأساسي برز اقتراح بتعديله ليُنتخب الإمام من المؤتمر العام فتم ذلك، ومباشرة بعدها قدم مقترح ببدء ترشيحات الإمامة. لم تستطع رئاسة الجلسة السيطرة على ذلك التيار الجامح، كان هناك شبه إجماع وحماسة بضرورة إكمال ترشيح وانتخاب الإمام أولا.

طلب السيد الصادق الفرصة وقال إن هذه الخطوات ستأتي في وقتها فلا داعي لاستعجال خطوة انتخاب الإمام، ولكن بلا جدوى، وبالفعل فرض المؤتمرون تقديم انتخاب الإمام، وفرضوا ترشيح السيد الصادق حيث رشحه المرحوم الحبيب تبيرة إدريس هباني.. تحدث السيد الصادق كذلك وقال إنه لا يريد الترشح للإمامة، ويرى أن مجلس الحل والعقد ينبغي أن يحدد الظرف المناسب لذلك. لكن تلك الكلمات لم تكن تستطيع الصمود أمام التيار الجامح المعاكس، والذي أيده كبار الكيان كالمرحوم دكتور عمر نور الدائم، والمرحوم السيد صلاح عبد السلام وغيرهما، فتمت التثنية، ولم يُتقدم بترشيح آخر. أما عبد الرحمن فقال إنه شرع برفع يده طالباً فرصة فأمسكت بها الحبيبة سارا رحمها الله وترجته أن يصمت! يظن عبد الرحمن أنه لو كان عارض الترشيح بقوة ربما استطاع معاكسة تيار جارف لم يأبه حتى بكلمات الحبيب نفسه ورجائه أن يسير الأمر مثلما خطط له الدليل الأساسي، وهو تقدير لا أجدني موافقة له.

وقد شهد الإمام في تأبينه لدكتور عمر بدوره في الدفع باتجاه الإمامة، قال: (*كنا نختلف كثيرا في أمر الإمامة فيدعو لها وأمانع، وكانت حجته القوية يا فلان نحن محكوم علينا بفكر تقليدي يلغي دورنا في الحاضر والمستقبل وأنت صاحب رؤى لا غنى عنها لدفع استحقاقات الماضي والحاضر والمستقبل، ومهما كانت تقديراتك فإن الإمامة تضمن لهذه الصحوة سنداً عريضاً. فأقول له ولكن بقدر ما تفعل ذلك مع قوم فإنها تصد قوما آخرين، فكان يقول لي: هؤلاء الآخرون إن كانوا موضوعيين فسوف يدركون قيمة هذا النهج، ولكن أخطر ما قد يصيبنا بالخسران أن يغلب كيان ككيان الأنصار أو أن تحتله قيادة ترحل به إلى الماضي أو ترهنه للغيبيات*).

الشاهد، تم ترشيح وانتخاب الإمام، ثم سرت حماسة شديدة، وحالة لا توصف من الشعور بالظفر، وبعدها نهض الجميع للمبايعة، رافعين أيامنهم، والسيد الصادق يردد نص البيعة التي صاغها من فوره، والمؤتمرون يرددون من خلفه: [**بايعناك على قطعيات الشريعة. بايعناك على بيعة الإمام المؤسس الأول وخليفته، والإمام المؤسس الثاني وخليفتيه. بايعناك على فلاح الدنيا وصلاح الآخرة. بايعناك على نهج الشورى وحقوق الإنسان. بايعناك على الطاعة المبصرة فيما يرضي الله ورسوله، والله على ما نقول شهيد**].

قال الإمام الصادق المهدي إن هذه الإمامة (هجمت عليه) ولم يكن مستعداً لها، وقد شاهدنا الهجوم بأم أعيننا.
والحقيقة إننا في السكرتارية لم نكن راضين عن انفلات البرنامج بذلك الشكل، وكتبنا ضمن سلبيات المؤتمر (سيطرة روح ثورية على حساب الجدول وترتيباته).
وحينما خرجنا في إحدى استراحات الصلاة وجدتُ نفسي أسير حذو بعض المؤتمرين الذين لا يكادون يحلقون فرحاً يتحدثون عن نصرهم على المنصة، فقلتُ لهم، وهل كان انتخاب الإمام (سيطير)؟ كان يمكن أن تفرضوه هو ذاته من داخل مجلس الحل والعقد، فرد عليّ أحدهم بسرعة: (لا بالله! نخلي ليكم انتو يا ناس الخرطوم تنتخبوا الإمام وتعزلوه؟ حسي الجماعة الباعونا ومشوا للمؤتمر الوطني ديل ما كانوا عاملين في صفنا؟ أربعين زول في الحل والعقد البعيد شنو بكرة يجتمعوا يتفقوا يعزلوه؟ تلقوها من غُشما!) شعرت يومها بأني أفندية خرطومية بعيدة عن تلك الروح التي يبدو أنها كانت تسري في أوصال قواعد الأنصار. المؤامرة حركتهم فاتهموا كل خرطومي.
ثم استمرت الحماسة وتم انتخاب الأمين العام أيضاً من المؤتمر العام وبإجماع على الشيخ عبد المحمود أبو الذي تقلد منصب الأمانة العامة منذ 1993م.
وضمن برنامج المؤتمر الثقافي قدم الحبيب الإمام الصادق المهدي محاضرة (العقيدة ومرتكزاتنا الفكرية)، كما أنه أم المرابطين في السقاي في يوم الجمعة 20 ديسمبر، وتحدث عن مبايعته بالخميس قائلاً:
*(بالأمس شاء الله أن عزمتم على أن تحسموا أمر الإمامة وأن تختاروا العبد الضعيف إماماً، لا شك عندي أن هذا الذي فعلتموه لم يكن على الأقل من تدبيري أنا ولا حتى من تدبير القائمين على الأمر لأننا كما أوضحتُ كنا نقدر تقديرات أخرى ولكن إخواننا وأبناءنا وبناتنا وأخواتنا في المؤتمر رأوا ما رأوا والخير فيما اختاره الله فهو إذن تدبير عناية، أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد ولذلك ينبغي أن تعتبر هذه الإمامة إمامة عناية، إمامة لطف، أرادها الله وهيأ أسبابها، وهي كذلك إرادة جماهير ولذلك فهي إمامة جماعة،..، استطعتم أن تحققوا بها ما حققتم، ولا بد أن ندرك أن دورها مرتبط بالمؤسسات التي تبحثون الآن تكوينها لأن الجماعة والمشاركة جزء لا يتجزأ من مفهوم إمامة الجماعة وهي كذلك جزء لا يتجزأ من الاستجابة لضرورات العصر فالناس بزمانهم أشبه منه بآبائهم كما قال الإمام علي رضي الله عنه، ولكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال).*
ثم تحدث عن وضع البلاد المزري والتحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها ومحاولات حشر الجميع في خندق التشدد والغلو والإساءة للدين، وأن علينا إدراك التكاليف الإضافية فيما حدث *(كنا نريد أن نرجئها لوقت آخر، ولكن إرادتكم المدفوعة بالعناية هجمت بهذا التصور)*، وعلى الجميع أن يعملوا معاً لمواجهة التحديات: *(نحن حزمنا وعزمنا وفعلنا ما فعلنا لا لنرتاح ولكن لنتعب ولكي نقبل هذه التحديات الداخلية والخارجية. أنا إن شاء الله مستعد لذلك وأرجو أن تكونوا جميعا مستعدين لذلك رجلاً، شاباً، شيخاً، معوقاً، امرأة صغيرة، كبيرة.. كلنا حتى أطفالنا فالمهدي عليه السلام قال: الطفل مكشوفٌ له الحجاب،..، هناك من يتكلم عن تركيبتنا لم نجر إحصاءً ولكن وضح لي أن 70% تقريباً من الحاضرين هنا شباباً وعندنا الكهول والشيوخ وهذه تركيبة المجتمع السوداني ولكن للأسف نسبة النساء بيننا أقل منها في المجتمع،*

*ولكن أرجو منهن أن يكن واحدة كألف، وأن يكون التعويض عن الغيبة الحسية حضورا معنويا أساسيا..، وهذا كله يمكن أن يدخل في قوله تعالى: "إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ"*[174]*). وفي النهاية قال: (أكلف جميع الوكلاء والمسئولين في مجالس الشورى أن ينظموا أداء البيعة نيابة عني في كل مكان).*

بخلاف تلكم الحماسة المذكورة واحتياج نقاش الدليل الأساسي لزمن إضافي، فقد سار البرنامج كما ينبغي من ناحية انتخاب وتصعيد مجلس الشورى الذي اجتمع وانتخب الأمير عبد الرحمن نقد الله شفاه الله رئيساً والمهندسة زينب الصادق مقررة، ثم انتخب مجلس الحل والعقد الجديد. وبه اكتمل انتخاب مؤسسات الهيئة.

تحدث الحبيب الإمام الصادق المهدي في الجلسة الختامية للمؤتمر، فاعتذر للمؤتمرين *(عما صدر وبدر وحدث من تقصير في ضيافتكم فكانت الإمكانات ضعيفة وهذا أقل بكثير مما تستأهلوه من كرم وضيافة.. نحن حقيقة ضيفناكم ضيافة تيمم ولكن صليتم صلاة حرم، فالفرق كبير بين تيممنا المتواضع وصلاتكم الواصلة إن شاء الله.)*

وقال: *(حدث كثيرا أن اجتمع الناس وطالبوني بأخذ البيعة، بيعة الإمامة، وكنت أقول لهم لا بد أن تتم هذه إن تمت في حضرة أصحاب الشأن، فإن كنا نحن نريد إمامة الصدفة، وإمامة الخطفة، وإمامة النزعة والنزوة والرغبة الشخصية فقد حصلت لقاءات كبيرة عندما زرنا الجزيرة أبا في الثمانينات احتشد الناس بمئات الآلاف وجاءوني مقترحين البيعة وقلت لهم هذا لا يجوز. كما قال السيد صلاح عبد السلام الذي أحضر شهادة من السيد ولي الدين الهادي بما قاله الإمام الهادي، حدث كل هذا ولكنني قلتُ يجب أن يرجأ كل ذلك إلى حين حضور أصحاب الشأن فلا بد أن يحسم هذا الأمر الذين هم مفوضون من أهله، فإن كنا نريد هذا النوع من إمامة الصدفة وإمامة اللقاء الطارئ لحسمنا الإمامة من (زمان)).*

*(عندما جئنا في العودة قلت إن هناك مهام نريد أن ننجزها أهمها تنظيم الأنصار وتنظيم الحزب وهذا كان ولا زال أملاً كبيرا. والحمد لله أنتم الآن أنجزتم عملاً كبيرا لأننا قننا تنظيمنا. وأي نقص بعد ذلك سيكون مسئولية من كلفتموهم في هذا المؤتمر..، أعتبر الآن أن مهمة كبيرة نزلت من عاتقي، وإن كانت صحبتها مهام جديدة. ولكنها ضمن تنظيم. فقدمنا بذلك قدوة لكل القوى الاجتماعية في السودان كي تنظم نفسها بطريقة مفهومة فيها المشاركة والشفافية. فكثيرا ما يتحدث الناس عن التحديث والتطوير والنهضة ولكن كيف يتم ذلك إذا تركنا القوى الاجتماعية في القبيلة وفي الطريقة وكل هذه التنظيمات الاجتماعية كما كانت في السلطنة الزرقاء، فلا يمكن أن ننهض وننطلق من أصولنا القوية المثبتة إلى مستقبل فيه استصحاب للنافع من نظم وعلوم ومفاهيم العصر)..*

وودعهم قائلا: *(سلموا علي كل الأهل، وبلغوا التحيات الطيبة. وأسأل الله سبحانه وتعالي أن يوفقني في أن أمرّ عليهم وأسمع منهم ويسمعوا مني.. حفظ الله زرعكم وضرعكم وذراريكم أبناءكم وبناتكم وأرجو أن تبلغوا عني الجميع أننا دخلنا في مرحلة نريد فيها أن يأخذ كل منا بيد أخيه أو أخته حتى نبني كياننا هذا ليقوم بمهامه الداخلية والخارجية بأكفأ صورة ممكنة).*

**شعر السقاي**

---

[174] سورة محمد الآية 7

وقبل أن نغادر محطة مؤتمر الهيئة التاريخي فإننا لا بد نذكر الأدبيات التي ارتبطت به. ألقى اللواء (م) أبو قرون عبد الله أبو قرون قصيدة بالمناسبة، جاء فيها:

| | |
|---|---|
| أقسمتُ بالله العظيـم البـاري | بالواحد الرحمن والجـبـار |
| الباسط الرزق العميـم لعبـده | والكاشف المستور والستـار |
| المرسل الريح الكريم لواقحـاً | ومسير النسم العليل الساري |
| أن أقضي العمر القصير ملازماً | ومنافحـــا عن ملة الأنصار |
| الباذلين الروح لا طمعاً بجنـات | ولا خـوفـــاً عـــذاب النار |
| نصر الإله رجاؤهم واستوعبوا | معنـىً سما لله من أنصاري |
| | |
| يا أمـــة الأنصار يا أم النهي | ورفيقة السيف اصطفي واختاري |
| خيرت فاخترت القــوي البــر | خيـــراً من خيـــار من خيار |
| إني التزمـت ولاءكم فشـدوت | وانتظمـت لحوناً بالوفا أوتـاري |
| الغيث هل عليك بالسقاي فانظ | لقـــي إلى عذب السقى اشعاري |
| يا عاشق الحرية اشتقنا لهـا | وبـك الخلاص فقد مللت إساري |
| إياك أعني الصادق المهدي | حلــو النبع في صفو بلا إكدار |
| | |
| يا صاحب العهد الوفي سلامي | ذا ساعـدي لكم وحسن كلامي |
| يا صادق الأقوال جئتُ مبايعاً | والحشد من خلفي ومن قدامي |
| أنت الزعيم لحزبنا وكيـاننـا | أنـــت الملاذ وأنت ري الظامي |
| القوس أنت وأنــت سهمـــي | قـــد رميت وأنت أنت الرامي |
| هذا بيانـي إن أبنت فإننــــي | أفلـحت أو فادعوه هرف كلام |
| الصادق الصديق أهدى أهلنـــا | فـــادعوا له بالطور والأنعام |

وقال المكي مصطفى (ود غليب) قصيدة طويلة، منها:

مؤتمر الربـاط فـــك العقـــد حلاها
من بعد السنين بيعـــة صدق أوفاها
إمامة شـورى جات تابعة العناية معاها
للصادق الحبيب فــي الله دافعة ولاها

اقدل يا الإمـام خوض المحن وأجليها
حارساك الصعـاب إنت البلد حاميهـا
أمل الأمة فيك غيرك زعيم مـــا فيها
يـا نسل الكرام الساموا روحهم فيها

حكمة وحنكة فيك إنت الصبر سيـدابو
للشعب الأبي صــدرك مفتـــح بابـو

فصحاء البيـان منـك يرجفوا يهابـوا
كيفن بلحقك التـاتـا واقـــف دابـــو

مـا بنقدمك وجـــوه البيوت نتـلبـد
نحن معاك نخوض العركة ما بنتـّـردد
يا أبو أم سلمة سير عين الخصم تتقدد
ود غليب معاك ضارب نحاسو مجند

أما الأستاذ السر قدور فقد ألف قصيدة (قامت سفينة نوح) بمناسبة مؤتمر السقاي ملحنة على وزن المدحة الشهيرة"عليّ طال الشوق"، ومنها:

قامت سفينة نوح شايلة الخلوق والسوح
يا خلي أوعى تــــروح خليك معـانا

اتجمعوا الأنصار والأمر بينهم صار
وافيـن بالعـهد لا مـــين ولا إقصـار
قامتنـا طـالـت وخصومنـا بانوا قصار
بايعنـا إمامنـا الصـادق ضيا الأبصـار
ونباتا روّح وطـار لــى كافة الأنصار
يا خلي أوعى تـروح خليك معـانا

ماضينا نحن مجيد وحاضرنـا بيك سعيد
وارثين من بـدري عزا قديم وتـليـد
يا صادق الوعـد ومجــــدد التجديـد
وإمام الأمــــة المـافي ليـك نـديـد
بي حلمك وعلمـــك قربت كل بعيـد
رمـز الوطنيـة والفخـــر والتمجيـد
المولى ليك يزيـد بالنصـر والتأييـد
يـا خلـي أوعى تـروح خليـك معـانا

وجاء للمنصة حاج العمدة الذي حدثتُ عنه آنفاً وقال قصيدته بمناسبة رباط السقاي، ننتخب منها:

شعبـــك توجـك وتاج المكـارم زانـك
وأنصـارك تهــلل ديمـة شانن شانـك
صـادق الأمة يـــاك والأوان دا أوانـك
ما بسـاووك يا الفـوق للثريـا مكانــك

فارس المعركة البي الكل رجح ميزانك

تخيـل فوقك قيادة الأمـة في تبيانـك
سماحـة ودين ووطنية انفجر بركانـك
صافيين القلوب الطاهرة من أعوانـك

ما يتشالقوا الناس الأساس دا كيانـك
أنصار الله والمهدي العظيم برهـانك
بي سيف الجريد اتباشرت حياتـــك
هزموا الإنجتيرا وجيشا ظل مهانـك

وإنـت براك وضعت أســـاس
وجابـــهت الظلـم فتيانـــك
وقدت مسيـــرة الحريـــة
ما جاوبت بي قولة نعم بلسانك
اتغربتَ واتشردتَ واتعذبتَ
ما ساومتَ بي وطنك خضبت بنانك
يحفظك الله ضحيت يا المعظم شأنك

## انفجار دارفور والقبضة الأمنية

لقد ذكرنا كيف أن دارفور كانت تمور، وحزب الأمة بوجوده الكثيف فيها شعر بالغليان وضرورة التدخل على مستوى قومي منذ وقتٍ باكر، فدعا للقاء في داره حضره من المؤتمر الوطني مدع بأن الأمور في دارفور تحت السيطرة وهم قمينون بحلها ولا يحتاجون لتدخل من أحد.

لكن، لم تمض بضعة شهور حتى انفجر البركان في فبراير 2003م. تفجرت حربٌ أوقدت شرارتها حركتان مسلحتان هما حركة تحرير السودان وجيشها (قبل أن تنشق لاحقاً إلى فصيلين)، وحركة العدل والمساواة التي أسستها قيادات كانت في الغالب جزءاً من النظام و(حركته الإسلامية) وكانت وراء إصدار (الكتاب الأسود) الذي يرصد مظالم دارفور عامة وتحت نير نظام الإنقاذ خاصة، صدر الجزء الأول منه في عام 2000 والثاني في أغسطس 2003م.

كانت الحركتان تنطلقان من مجاهل جبل مرة أشهر جبال الإقليم وأوفرها بالثمار والطبيعة الخلابة، الجبل الذي صار الآن هدفاً لطلعات الانتينوف وغارات المليشيات الحكومية المرعبة.

مع بداية الحرب في دارفور صعّد النظام من قبضته الأمنية وتزامن ذلك مع تفاقم التضييق على حركة المعارضة والمجتمع المدني الحر منذ العام 2002م. وقد تابعنا آنفاً كيف تم التضييق على اجتماع إعلان التعاهد الوطني بدار حزب الأمة في 8 مارس 2003م واعتقال أو استدعاء عدد من القادة داخل وخارج حزب الأمة مثلما مرّ ذكره.

وفي مذكرة عن حقوق الإنسان سلمها حزب الأمة للمقرر الخاص في أبريل 2003م تمت الإشارة لتلك الحادثة وللعديد من التضييقات عام 2002م وأوائل 2003 متعلقة بالقيود على حزب الأمة وغيره من أوجه النشاط السياسي والمدني والطلابي والصحفي في البلاد.
من ذلك منع سلطات الأمن في يوم 8 مارس 2003م لاحتفال مركز الدراسات السودانية بالتعاون مع مركز فريدريك كايو بيوم المرأة العالمي والذي كان يفترض عقده في ساحة المتحف القومي بالخرطوم. إضافة لاستمرار الحكومة في تقييد وقمع الصحافة واستدعاء الصحفيين واعتقالهم جزئياً والحكم عليهم بغرامات باهظة لكتابة مقالات لا توافق هوى السلطات، ومصادرة الصحف بعد الطباعة لإرهاقها مالياً، وإغلاق بعض الصحف كما حدث لصحيفة الوطن بعد اعتقال رئيس تحريرها ثم نائبه. وتعرضت المذكرة كذلك للقيود على حرية الحركة الطلابية في العديد من الجامعات. والقيود على حرية التنقل فالحكومة اعترفت بأن لديها قائمة تحتوي على ألفي اسم محظور من السفر، بينما يعتقد عديدون أن العدد الفعلي أكبر من ذلك[175].
وفي ذلك الوقت كانت السنسرة الصحفية تشمل موضوعات عديدة وسرعانما سوف تلحق دارفور بمحظورات النشر.
كانت الأحداث في دارفور تسير باتجاه الكارثة.
في يوم 23 مارس 2003م عقد حزب الأمة لقاءً تفاكرياً حول دارفور، بغرض المتابعة والتحرك لاحتواء الموقف. وظل التدهور مستمراً.
في يوم السبت 26 أبريل هجمت المقاومة المسلحة على مطار الفاشر حاضرة شمال دارفور.
كان هجوماً فجائياً وضخماً استدعى أن يعقد الناطق الرسمي باسم القوات المسلحة مؤتمراً صحفياً مشتركاً مع وزيري الداخلية والإعلام في اليوم التالي أعلنوا فيه صدهم للهجوم وكشفت بياناتهم الرسمية عن ضخامة العملية التي أسفرت عن تدمير أربع طائرات، ومقتل 32 من القوات الحكومية بينهم ضابطين، وبلغ عدد قتلى المهاجمين 20 شخصاً، وتنوقلت تقارير إخبارية تتحدث عن أن خسائر القوات الحكومية تفوق المعلن.
كانت حرب عصابات شرسة ومتصاعدة بشكل مخيف وعنيفة بشكل رهيب، فالثوار من شدة حرصهم على كتمان هوياتهم كانوا في بداية الانفجار يقطعون رؤوس موتاهم ويحملونها معهم للجبل.. كان واضحاً أن المسلحين ينتمون لقبائل معينة مصنفة على أنها غير عربية في دارفور. مع أنه لا نقاء عرقي لا هناك ولا في كل السودان الشمالي، غالباً.
استمرت هجمات المسلحين المباغتة والعجز الحكومي في قمعها. تفاهم النظام مع الإدارة الأمريكية وفهم أن تنازله في طاولات كينيا سيكون ثمنه صمت واشنطن عما يُعاس في دارفور باعتباره (أمر داخلي)، قالوا لهم: كونوا سريعين وفعّالين، وهذا يعني: اضربوا ضربتكم وادفنوا في جنح الليل وقبل أن يفتح العالم عينه!
فبدأ النظام خطة إخماد التمرد في دارفور فوراً، و"لا من شاف ولا من دري".
وسنرى كيف صارت دارفور جهنم الضمير الوطني، ولحقتها جبال النوبة والنيل الأزرق، بعد ضياع الجنوب.

[175] Human Rights Situation is Sudan, 2003. Umma Party

إن الثقب الأسود لم يدع للوطن من جنب يرتاح عليه!

**دارفور دارٌ خير دار**
**الله يا دارفور**
**يا قطعاً فجائياً لشريان الجمال**
**وحسرةً**
**في حضن قيثار إذ انفلت الطرب**
**..**
**الطيبُ راح**
**رآك بدلتِ سلامك بالخناجر**
**والصفاء اعتكر يا دارفور**
**والطهر القديم**
**انذبح في هتك المروءة**
**والبنيات الصغار**
**يبكين من وجع الصَغــار**
**ومن أفاعيل التتار**

قال الحبيب محمد صالح مجذوب:

**نحيّيك يا زمان دارفور**
**كنـت الكعبةَ تكسيها**
**سفينةَ الدين على بحرك مراسيها**
**ونـارت من هداك ربوع**
**هانت بيك قواسيها**
**كنت حوارها يا دارفور**
**وشيخها ونور خلاويها**
**وصوتها البي الذكر مسموع**
**وكان للمهدي هزة أيد**
**ودرقةَ عزو ساويها**
**وحبو الفي القلب مطبوع**
**كان ده تباك يا دارفور**
**قبل ما يطبقوا المشروع**
**ونتحضر**
**ومن وجهتنا نمشي عكس**
**ونتودر**

قال الشاعر المخضرم محمد المكي إبراهيم وهو يصف فظائع دارفور وهتك عرض الفتيات:

**قال لي فارس الجنجويد: هاتها**
**قلت :اسورتي؟**
**قال لي هاتها**

**كنت وحدي**
**كنت خائفة،**
**والمخيَم كان بعيداً**
**والبنات اختفين وراء السياج ،**
**وأصبحت وحدي**
**قلت: خذها**
**وبسطت يدي**
**سطع البرق من يدهِ،**
**ورأيت يدي وهي تسقط في الرملْ هامدةً،**
**ورأيت غزالاً يوليَ**
**ودمٌ احمرٌ يصبغ الرمل حولي**
**قال لي فارس الجنجويد: ارفعيها!**

وللوجع بقية، ولكن ليس له نهاية.

في هذه الفترة وما قبلها قدم الحبيب السيد الصادق العديد من الأدبيات منها: الوحدة الوطنية والثوابت القومية[176]، وورقة (وباء القرن: الإيدز في إفريقيا جنوب الصحراء) في يوليو 2002م، و(تحصين السلام ببناء الدولة القادرة والعادلة)،[177]. ومحاضرة ( الشعر السياسي في السودان)[178] وورقة (الشورى والديمقراطية: رؤية عصرية)، [179] و(مكامن العجز في المؤسسات الرسمية العربية والإسلامية)[180]، و(مستقبل السلام في السودان وتداعيات إستراتيجية الأمن الأمريكي)[181]. و(مستقبل العلاقات السودانية الأمريكية)[182]، و(الحضارات الإنسانية تصارع أم تحاور) التي ألقيت في السادس من مارس 2003م[183].

وقبل ذلك بيوم، أي في 5 مارس، ألقى الحبيب الإمام الصادق المهدي محاضرة بعنوان (نحو مشروع قومي للفن التشكيلي في السودان)، ولهذه المحاضرة قصة.. فهيا لها!

---

[176] محاضرة بقاعة الصداقة، 2 يوليو 2002م.

[177] في 12 ديسمبر 2002- محاضرة أمام مركز الدراسات والبحوث الجنائية والاجتماعية- جامعة الرباط الوطني

[178] محاضرة لمنتدى الخرطوم- 3 الثقافي 2002م.

[179] ورقة مقدمة لمؤتمر مؤسسة الفكر العربي- القاهرة- أكتوبر 2002م.

[180] ورقة مقدمة في 2002/11/2م ضمن ندوة في قاعة الشارقة- نظمتها جامعة إفريقيا بالتضامن مع منظمة الدعوة الإسلامية.

[181] ورقة مقدمة لمركز دراسات السلام والتنمية- قاعة الشارقة- 16 ديسمبر 2002م

[182] ورقة في مؤتمر العلاقات السودانية الأمريكية الذي نظمه مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا بفندق القراند هوليداي إن. 7 يناير 2003م

[183] ورقة في مؤتمر حوار الحضارات بجامعة النيلين في 6 مارس 2003م

## من الصليب الأحمر للتشكيل في السودان

في يناير 2003م شارك الحبيب الإمام الصادق المهدي في اجتماع دعا له الصليب الأحمر الدولي، ضمن جلسات استماع تنظمها المنظمة في عدد من البلدان كجزء من النقد الذاتي لمجهودهم.

قالوا في الاجتماع إنهم دعوا المشاركين لمعرفة رأي الناس في العالم حول المنظمة وأدائها، فقال لهم الإمام الصادق رأيه عن الشعار Emblem، وهو: (*إن كثيرا من الأشياء في الغرب نشأت بذهنية مسيحية في القرن التاسع عشر، ونحن الآن في ظروف مختلفة والمطلوب ما يجمع الناس، بينما الصليب يفرق بينهم، المسيحية فيها أشياء كثيرة مجمّعة ولكن ليس الصليب. وحتى الهلال في الإسلام يفرّق إذ أصله فكرة نابعة من الدولة العثمانية المختلف عليها تاريخيا بين المسلمين. فبقدر ما في ذلك الشعار من حماسة دينية فإن الآخرين سوف يفكرون في رموز أخرى (صليب، هلال، أسد.. إلخ). ولذلك أرى ضرورة تغيير الرمز. تمت مناقشة طويلة حول الموضوع أثناء الاجتماع. سألوني ما هو الرمز المناسب؟ فقلت لهم: لقد فكرت في بدائل كثيرة: كرة أرضية تحملها أيد، كرة أرضية فيها شريط، إلى آخر الأفكار الممكنة،.. ونفس الشيء بالنسبة للتسمية مثلا اقترحت أن يكون الاسم سواعد الإنسانية، أو الضمير الإنساني، المهم النقلة من الفكرة الدينية إلى الإنسانية،.. نتقلها من مؤسسة مسيحية إلى مؤسسة إنسانية. من مؤسسة بيروقراطية إلى مؤسسة ديمقراطية. ننقلها من الذاتية الأوروبية ethnocentrism European المركزة على الهوية الثقافية الأوروبية إلى الكلية الإنسانية، الإنسان الأوروبي نفسه كواحد من الناس ينقل من القرن التاسع عشر إلى القرن الحادي والعشرين*)[184].

بعد ذلك فكر الحبيب الإمام أن في السودان رصيدَ فن تشكيلي مقدر، وطالب بالالتقاء بقادة التشكيليين في السودان، وبالفعل تمت الدعوة في صباح الجمعة 31 يناير 2002م لاجتماع حضره ثمانية من التشكيليين هم السادة حيدر إدريس إبراهيم رئيس الاتحاد العام للتشكيليين، وعلي الأمين محمد الحاج الأمين العام، وعلاء الدين الجزولي، وصلاح حسن عبد الله، من الاتحاد العالم للتشكيليين السودانيين، والسيدين محمد حسين الفكي رئيس الجمعية التشكيلية السودانية، وسليمان جاد الله العريفي نائب الرئيس، والتشكيليون محمد عبد الله أحمد عتيبي، وعبد الله أدم. شارك الأستاذ حيدر إدريس في تنظيم الدعوة للاجتماع.

ناقش الاجتماع أفكارا لتقديم مقترحات حول رمز منظمة الصليب الأحمر، منها على سبيل المثال تنظيم مسابقة وكان هذا مقترح الإمام، بينما اقترح بعضهم تنظيم ورشة على غرار تلك التي صممت شعار كلية الفنون الجميلة، كما ناقش الجمع هموم التشكيل والتشكيليين في السودان.

قال الإمام في الاجتماع إن علينا توظيف هامش الحرية الممكن للاتفاق على قضايا قومية مثل السلام (وهناك مشروع التعاهد الوطني)، وبروتوكولات قسمة الثروة والسلطة وضرورة الاتفاق على قضية الثقافة والدين (حيث قدم حزب الأمة مشروع ميثاق ثقافي وآخر ديني)، وضرورة ميثاق اجتماعي، وبحث التصحيح المطلوب لنظام الحكم الديمقراطي، هذه وغيرها

[184] من محضر اجتماع الإمام الصادق المهدي بالفنانين التشكيليين السودانيين في 31 نيابر 2003م، كاتبته رباح الصادق.

من القضايا المهم بحثها لكي نستفيد من الحرية النسبية ونجعلها فرصة لبلورة الرؤى. وقال إن هناك رؤية إسلامية منكفئة غير صحيحة تتعامل مع الفنون ككماليات أو أنها بدون مرجعية شرعية، وترمقها من باب اللهو الباطل، ونادى بنقاش هذا الخطاب والخروج برأي متفق عليه. وصف الأستاذ محمد حسين الفكي اللقاء بأنه (تاريخي ولم يحدث قبلاً بين الفنانين وقادة الفكر والسياسة في البلد). وقال الأستاذ صلاح حسن عبد الله إن السيد الصادق هو القيادي الوحيد الذي زار كلية الفنون مرتين أثناء حكمه (نميري زارها مرة واحدة)، وإنه في السابق كان هناك اهتمام شخصي من السيد الصادق والآن هذه دعوة قومية. وتحدث الأستاذ حيدر إدريس عن تهميش التشكيليين داخل الوزارات برغم دورهم الكبير. وتوسع في ذلك الأستاذ عتيبي متطرقاً لتهميش قطاع الفنانين وتشرذمه داعياً إلى تشابك التشكيليين. ورصد الأستاذ علاء الدين الجزولي مشاكل التشكيل والتشكيليين في السودان ووصف التشكيليين بحق بأنهم (كيان ثقافي فيه قدر عالٍ من الخصوبة) وكيف أنهم نبهوا للمشاكل وكتبوا كثيراً وخاطبوا من على المنابر وبلا جدوى السلطة التنفيذية والمسئولين والسياسيين في الأحزاب: سلطة ومعارضة.
علق له الحبيب الإمام مازحاً: فلما كل متني كلمتني!
الجزولي: نعم تعبنا! وقلتُ أحول المخاطبة إلى الكتب لكن دعوة السيد الصادق المهدي هذه بكل ما له من تقدير هي بداية للتجاوب المطلوب، والأحزاب الأخرى حتى لو لم يدعونا سنمشي لهم!
وذكر الحبيب الإمام حاجته المستمرة لنتاج التشكيليين لإهدائه للموفدين الأجانب، إذ كان في البداية يهديهم من نتاج التشكيل الفولكلوري، ثم حول للوحات فأهدى لوحات فنانين سودانيين لعدد منهم مثلاً جون دانفورث، وعمرو موسى، ونادين مكرم عبيد، ويجدها شيئاً جميلاً ومعبراً، وقد راقت لهم. وذكر أن المنتجات الفولكلورية فيها محاذير مع ازدياد وعي (الخضر) في العالم وتحريم منتجات سن الفيل وجلود النمور وغيرها، وإنه حينما كان في الحكومة آثر مصنوعات الفضة كهدايا[185].
وفي نهاية لقاء بث الهموم وتداول الأفكار هذا تم الاتفاق على أن يقدم الحبيب الإمام الصادق المهدي محاضرة حول التشكيل في السودان في يوم 5 مارس 2003م.
طالبَنا الحبيب في قسم الدراسات بمكتبه الخاص، كعادته حينما يهم بالكتابة في أي موضوع تخصصي، بمعلومات حول التشكيل في السودان، فقمتُ بالبحث المطلوب مستفيدة من الكتابات الموجودة وإفادات بعض التشكيليين، وقدمتُ الورقة إلى عدد منهم لأستشيرهم حول بعض المعلومات الواردة قبل رفعها للحبيب، ومن هناك تسربت الورقة إلى قطاع أكبر قبل أن ينشر دكتور حسن موسى جانباً منها في مدونته المذهلة (جهنم).. ثم رفعتُها للحبيب الإمام كالمطلوب، وفي النهاية كتب ورقته (نحو مشروع قومي للفن التشكيلي).
وفي اليوم الموعود قدم الإمام الصادق المهدي المحاضرة في مقر المجلس الأعلى للثقافة والفنون بالخرطوم تحت مظلة الجمعية والاتحاد ومؤسسة أروقة للثقافة والعلوم.
في بداية المحاضرة قال الحبيب:
*(ثلاث مسائل لفتت نظري بحدة للشأن التشكيلي هي:*

---
[185] المرجع السابق

✓ *نقدي للمهندسين المعماريين السودانيين لغياب أية صلة تعبر عن الهوية أو الحاجة المناخية في المباني السودانية الحديثة.*

✓ *تعطش السوداني في الغربة التي عانينا منها لمرئيات وطنية.*

✓ *كنا نهدي زوار السودان الأجانب تحفا من صناعات السودان اليدوية، ففضلتُ لأسباب كثيرة أن تكون التحف لوحات سودانية تمثل عطاء تشكيليا متقدما. هذا الاهتمام أدى لمقابلات أصدقاء عاملين في هذا المجال، أدت بدورها لاقتراح هذا الخطاب.*

*ليس أقوى في ميزان الفاعلية من فكرة آن أوانها أو حضر رجالها ونساؤها. إننا اليوم نخوض حرباً أهلية طاحنة يرفدها تباين ثقافي حاد. ونواجه حربا كونية باردة وأحيانا ساخنة يوقدها تباين حضاري. وفي الحالين القطري والدولي فإن الخيار هو بين الفصال ودمائه، والوصال ونمائه.*

*أنا ربيب تراث فاصل حتى النخاع، وكالجرّاح الذي شفى من نزيف الجراح، غدوتُ أفر من الفصال فرارك من الخبائث، وأهرع للوصال حنوك للطيبات.)*

ثم تحدث عن المشروع الثقافي القومي المطلوب، والشبهات حول الدين والفن، وفي النهاية رسم الطريق نحو مشروع قومي للفن التشكيلي في ظل المشروع القومي الثقافي بعد أن تحدث عن مشاكل وهموم التشكيل والتشكيليين في السودان، ثم قال:

*(إن البلاد على مشارف مولد جديد، للفن التشكيلي دور هام فيه ضمن المشروع الثقافي القومي، لذلك ينبغي الدعوة لملتقى للتشكيليين مهامه: تنوير المجتمع بأنفسهم وبدورهم، الاتفاق على مشروع قومي تشكيلي يواكب الميثاق الثقافي القومي، اقتراح آلية قومية لتنفيذ المشروع القومي، وتحديد مطالبهم المشروعة لتلبيتها في إطار برنامج بناء الوطن. ربما وجد بعض الناس هذه التطلعات بعيدة المنال، ولكن، قال التجاني يوسف بشير، رحمه الله:*

***فتخير وصف وصور رؤى الوحي      وصغ واصنع الوجود المغاير***

*وعلى كثرة بحث بعض الناس عن ماهية اسم الله الأعظم. قال أحد الصوفية اسم الله الأعظم هو همة ابن آدم، حيث:*

***قلوب العاشقين لها عيون      ترى ما لا يراه الناظرون***

***وأجنحة تطير بغير خفق      إلى ملكوت رب العالمين).***

وقد لاقت المحاضرة نقاشاً طيباً وتم قبولها على نطاق واسع.

وأذكر أن الدكتور أحمد عبد العال، رحمه الله، وهو مؤسس مدرسة الواحد، اعتلى المنصة وحمد للحبيب الإمام هذا الطرح الجميل، برغم الورقة التي قُدمت إليه وفيها بحسبه: الْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ! وكان يعني الورقة التي انتقدتْ فيها مدرسة الواحد وسعيها لتنزيل التوحيد الإلهي على التشكيل، تناغماً مع طرح الإنقاذ الأحادي.

## رسالة بوش

في 19 مارس 2003م قامت أمريكا بغزو العراق في حرب شعواء قصفت واجتاحت حتى دخلت بغداد في 1 مايو 2003م واحتلت العراق عسكرياً بمساعدة دول حليفة. تسببت هذه الحرب في أكبر خسائر بشرية للمدنيين في العراق والجيش الأمريكي على مدى عقود عديدة.

استند الغزو الذي خلص إلى احتلال أمريكا للعراق احتلالا لم يختتم رسمياً إلا بعد ثماني سنوات (في 15 ديسمبر 2011م)، على حجج: تجريد العراق من أسلحة الدمار الشامل، ووضع حد للدعم الذي يقدمه صدام حسين للإرهاب، وتحرير الشعب العراقي، وقد اتضح مؤخراً أن التقارير التي زعمت وجود تلك الأسلحة لم تكن دقيقة وبعضها مضللة.
وجدت نية الغزو معارضة من عديدين داخل وخارج أمريكا.
في 16 مارس 2003م خاطب الحبيب الإمام الصادق المهدي الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش الابن محذراً من مغبة الغزو:
*(الولايات المتحدة الأمريكية هي المهندس الرئيسي للنظام العالمي الحالي والذي حفظ السلام العالمي منذ الحرب العالمية الثانية.*
*ومنذ إعلان الاستقلال فقد ظلت مساهمة أمريكا في تعريف ومراقبة حقوق الإنسان العالمية مساهمة مقدرة. وبعد عقود من الكفاح ضد الجمود الفكري والانكفاء الديني، اتجه العالم الإسلامي والغربي والأفريقي للإصلاح والتنوير، وأدركت تلك العوالم أن الأفكار المنكفئة والحكومات الاستبدادية أقامتا تحالفا غير مقدس وأوقفتا التنمية البشرية. لقد أدرك الرأي المعتدل والمستنير والذي يحظى بسند غالب في هذه العوالم، أدرك المظالم التي تغذي حركات الاحتجاج ولكنه أدان على نحو قاطع التحول لأساليب ارهابية للتعبير عن ذلك الاحتجاج.*
*لقد فتح أصحاب ذلك الرأي تلك الأساليب الإرهابية وساندوا الوسائل المطلوبة للتغلب عليها.*
*وأدانوا امتلاك واستخدام أسلحة الدمار الشامل ومع ذلك فهم يعتقدون:*

- *أن الكفاح ضد الإرهاب يجب أن يتعدى الأعراض لاستئصال الأسباب.*
- *أن الحملة لاحتواء امتلاك واستخدام أسلحة الدمار الشامل يجب أن تحدد بصورة قاطعة وعلى أسس واضحة لتجنب ازدواجية المعايير.*
- *أن الحرب ضد الإرهاب وضد أسلحة الدمار الشامل ستستفيد من الإصلاح والتحول الديمقراطي الذي تصنعه وتحافظ عليه القوى الاجتماعية الداخلية.*

*وفي رأينا أن كل تلك التطورات المطلوبة ستتأثر سلبا بأي عمل عسكري من قبل الولايات المتحدة على العراق.*
*ومهما كانت النتائج العسكرية لذلك العمل فإن النتائج الدبلوماسية والسياسية ستكون سالبة.*
*إننا نعارض بوضوح أي عمل عسكري ونلتمس منكم إيقافه.*
*إننا لا نقدم هذه المرافعة على سبيل التعاطف مع النظام العراقي فهو، ومعه نظم أخرى، يستحق المحاسبة على انتهاكات عديدة. ولكن إذا تمت مهاجمته خارج قرارات الأمم المتحدة فإنه سيجد سنداً إسلامياً وعربيا وأفريقيا وعالميا قويا. وفي مثل هذه الأحوال فإن النصر العسكري سيكون نصرا أجوف، وهذا سيقود فقط لمزيد من الفوضى الدولية وسيفيد القوى المعارضة للشرعية الدولية.*
*وفيما يختص بمنطقتنا فإنه ينتظر من الولايات المتحدة بذل مزيد من الجهد لتحقيق واستدامة السلام في الشرق الأوسط.*
*لقد رحبنا وساندنا مبادرات الولايات المتحدة الرامية لمساعدة الشعب السوداني لمساعدة نفسه لتحقيق السلام والتحول الديمقراطي والاستقرار.*

*هناك العديد من القضايا الإقليمية والدولية التي تتطلب اهتماماً عاجلاً والتي سيساهم حلها في تحقيق النظام والرخاء الدوليين.*
*إن العمل العسكري المنفرد ضد العراق سيخلق حالة من الاستقطابات المتعددة وسيقود بالتالي لأزمات شاملة. وهناك الحكمة المأثورة القائلة: أي عمل يهزم مقصده فهو باطل).*
ونحن نعلم أن بوش لم يستمع لهذا النصح ولا لناصحيه الأمريكيين والأوربيين الكثر، ولا استجاب للرفض المتعاظم والتظاهرات التي خرجت ضد غزوه للعراق، ثم كان ما تنبأ به الحبيب الإمام تماماً.

## إعلان كمبالا

لقد تابعنا آخر لقاء تم بين الحبيب الإمام الصادق المهدي والمرحوم الدكتور جون قرنق في نيجيريا ولم يفض إلى شيء إذ كانت فجوة الثقة بين الأمة والحركة لا تزال قائمة.
لكن وفدين من حزب الأمة والحركة الشعبية التقيا في كمبالا في الفترة من الثامن وحتى العاشر من أبريل 2003م، استطاعا إعادة المياه إلى مجاريها.
كان وفد الأمة مكوناً من الأحباب المرحومة سارا الفاضل محمود والسيد صلاح إبراهيم أحمد والسيد إدريس على القاضي بينما ضم وفد الحركة القادة باقان أموم أوكيج، ودينق ألور كوال، وياسر سعيد عرمان. اتفق الوفدان على لقاء قمة يجمع الحبيب الإمام الصادق المهدي بالدكتور جون قرنق في مايو 2003م. وصدر عن اللقاء بيان رسمي (إعلان كمبالا).
فتح هذا اللقاء صفحة جديدة في العلاقة، وبناء عليها خاطب الدكتور جون قرنق رحمه الله المؤتمر العام السادس لحزب الأمة متطلعاً للقاء يجمعه بالسيد الصادق حسب الاتفاق.

## مؤتمر الحزب السادس

تأخر انعقاد المؤتمر العام السادس للحزب والذي كان مقرراً انعقاده في 26 يناير 2002م وذلك لتعذر التمويل مع تلكؤ النظام في إرجاع ممتلكات الحزب المصادرة كما مر، فتم تأجيل المؤتمر ليُعقد في يوم 26 يناير 2003م.
كونت لجنة عليا للإعداد للمؤتمر العام تفرعت عنها سبعُ لجان: لجنة العضوية، والاستقبال والسلامة، والبرنامج والسكرتارية، والخدمات، والمالية[186]، والبرنامج الحزبي.
تم استنفار ضخم بعد مؤامرة الاختراق مكّن من عقد المؤتمر في نفس العام ولكنه تأخر لتجويد التحضيرات حتى انعقد في الفترة 15-18 أبريل 2003م.
صُعّدت للمؤتمر عن محلية أم درمان جنوب. كما كنت عضوة في لجنة السكرتارية، كالعادة، وقد قامت لجنتُنا بأعمال السكرتارية في كل المؤتمرات والورش التي رافقت المؤتمر.
كان عدد الإناث كبيراً في لجنة السكرتارية، والمشاركة في الورش، وأذكر مرة في ورشة العلاقات الخارجية كانت المنصة كلها تقريباً نساء مديرة الجلسة والسكرتارية يطغى عليها

---

[186] تقرير المؤتمر العام. خلا التقرير من ذكر لجنة البرنامج الحزبي وقد ذكرت في: عبد الرحمن الغالي تجربة برنامج حزب الأمة في محوري الدين والثقافة، ورشة إعداد برنامج الحزب السياسي، معهد أبحاث السلام بجامعة الخرطوم بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة الإنمائي. أبريل 2004م

النساء، فرفع الحبيب الإمام الصادق المهدي يده طالباً فرصة الحديث وقال مبتسماً: على الأقل أعطونا 50%.
كانت لجنتان من لجان المؤتمر الستة ترأسها نساء: الحبيبة سارة نقد الله (لجنة السكرتارية)، والحبيبة مريم الصادق (لجنة الإعلام والتعبئة والتوثيق)، وكان أداؤهما من أفضل اللجان. وفي ذلك المؤتمر أجاز الحزب في دستوره ألا تقل نسبة النساء عن 20% في كل هياكله القيادية، تطوراً عن المؤتمر الخامس (1986م) الذي كانت نسبته نصفها. وقد رأينا كيف أن النسبة في رئاسة اللجان فاقت الـ30%.
لقد ذكرنا في الجزء الثالث الكيفية التي تمت بها صياغة برنامج (نهج الصحوة الإسلامية) حيث رُفعت تقارير الطواف على الأقاليم (النفير) للرئيس الذي قام بصياغة البرنامج. أما برنامج (وثبة جديدة لبناء الوطن) الذي أجيز في المؤتمر السادس فقد حدثت فيه نقلة من الناحية المؤسسية نفصلها أدناه.
كانت لجنة البرنامج الحزبي برئاسة السيد بكري عديل. قررت اللجنة العليا أن هناك مجالات يجب أن تُترك لورش متخصصة تضع البرامج فيها وهي: مسألة التأصيل، وقد كلف بها قطاع الدراسات والبحوث، العلاقات الخارجية التي انعقدت ورشتها في مارس 2003م وقام بها قطاع العلاقات الخارجية، مسألة الهياكل والدستور التي انعقدت ورشتها في مارس 2003م ونظمتها لجنة قانونية متخصصة، ومؤتمرات قطاعية للطلاب (انعقد مؤتمر الطلاب في فبراير 2003م)، ومؤتمر المرأة الذي انعقد فبراير 2003م،[187] ومؤتمر المهنيين الذي انعقد في أبريل 2003م، ومؤتمر المهجر الذي انعقد في أبريل 2003م.[188] رفعت تلك الورش والمؤتمرات برامجها وتوصياتها للجنة العليا التي حولتها للجنة البرنامج للصياغة.
وضعت لجنة البرنامج الهيكل العام لبرنامج الحزب. ومن ثم قسمت محاوره الرئيسية لأخرى فرعية، وعلى عكس الورش المتخصصة التي شارك فيها خبراء حتى من خارج الحزب (مثل ورشة العلاقات الخارجية) فقد اقتصرت اللجنة في اختيارها للخبراء في المجالات المختلفة على أعضاء الحزب. تم اختيار ما بين 250- 300 كادراً وخبيراً ومتخصصاً من الحزب في المجالات المختلفة وزعوا على لجان بحسب المحاور المقرة. عكفت كل لجنة على مدى عشرة شهور على وضع برنامج الحزب في المجال المعني. ثم تجمعت أعمال اللجان الفرعية للجنة البرامج التي صاغتها وقدمتها للجنة العليا[189] والتي بدورها رفعتها للرئيس، فحولها إلى لجنة صياغة نهائية مصغرة مكونة من رئيس قطاع الدراسات والبحوث د. عبد الرحمن الغالي، واثنتين من قسم الدراسات بمكتبه الخاص: إيمان الخواض ورباح الصادق.

---

[187] وقبله ورشة الاستراتيجية في مارس 2001م ومنها بلور رؤيته الفكرية، فقد كانت المؤتمرات القطاعية في الغالب تناقش ما يليها من البرنامج وتصعد عضويتها، بيد أن قطاع تنمية المرأة سبق بورشة الاستراتيجية ثم عقد المؤتمر القطاعي لإجازة الرؤية والتصعيد في 2003م.

[188] عبد الرحمن الغالي، تجربة برنامج حزب الأمة في محوري الدين والثقافة، ورشة إعداد برنامج الحزب السياسي، معهد أبحاث السلام بجامعة الخرطوم بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة الإنمائي. أبريل 2004م

[189] السابق

كان السفر الذي قدمه الرئيس للجنة الثلاثية ضخماً ويشتمل على رؤى تفصيلية دقيقة في كل المحاور، مع تكرار لبعض المسائل المشتركة في أكثر من محور، طالبنا الإمام بإعادة صياغة ذلك الملف الضخم باختصار وبلغة تعبوية تبدأ بنقد التخريب الذي جرى في عهد الإنقاذ ثم تدلف إلى ملامح برنامج الحزب بدون تكرار أو تقاطع بين المحاور. وبعد فراغ الثلاثية من مهمتها أضاف السيد الصادق مقدمة للبرنامج، ومن ثم تمت إحالته للجنة العليا لطباعته في شكل كتاب يقدم للمؤتمر العام.

وهكذا نجد أن السيد الصادق ليس له في برنامج الوثبة إلا مقدمته التعبوية في المقام الأول، بينما صاغ البرنامج وملفاته عقل جمعي لنحو ثلاثمائة من كوادر الحزب، مع مشاركة فعالة لرؤى عشرات آخرين من المختصين الذين شاركوا في ورش الحزب المتخصصة. ومن ثم رفع البرنامج (وثبة جديدة لبناء الوطن) للمؤتمر العام لنقاشه وإجراء التعديلات التي يراها قبل إجازته.

## في المؤتمر

تحدث الحبيب الإمام في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر في 15 أبريل 2003م، وتطرق للمدة التي انقضت منذ آخر مؤتمر في 1986م وقسمها لأربع فترات، ذاكراً إنجازات وإخفاقات الحزب في كل منها. ثم تحدث عن السودان كوطن واعد هبطت فيه الطموحات من الثريا للثرى بسبب تعثر الديمقراطية، وتعنت الاستبداد، والأيديولوجية الواهمة، والحرب الأهلية.

ثم تحدث عن خيار الحل السياسي المتفاوض عليه وقال: *(إن الشرط الأساسي لمواصلة مشوار الحل السياسي الشامل المتفاوض عليه هو أن يسلم الجميع بالتخلي عن أجنداتهم الحزبية والاستعداد للتجاوب مع أجندة وطنية وفاقية، والتسليم بالاحتكام للشعب الحر في كل قضايا المصير والحكم.)*

وقال قبل أن يلخص أهم رايات البرنامج: *(لقد قام حزبنا باجتهاد جاد لتقديم برنامجه الفكري والسياسي. البرنامج المقدم لهذا المؤتمر ثمرة اجتهاد شارك فيه عشرات المختصين في المجالات المختلفة وعدد كبير من ورشات العمل بصورة تمثل جامعة سياسية غير مسبوقة بهذا الحجم والإحاطة في السياسية السودانية).*

وعن الطريق للمؤتمر قال: *(في غضون العام المنصرم عقدنا 4471 مؤتمراً قاعدياً في الأحياء والقرى والفرقان على طول البلاد وعرضها. وعقدنا 302 مؤتمرا على مستوى المحليات منها 291 في الشمال و11 في الجنوب. وعقدنا 18 مؤتمرا قطاعيا وفئويا شمل كافة القوى العاملة. هذه وثبة تنظيمية غير مسبوقة في حزبنا وفي كافة أحزاب الوطن وتمثل إنجازاً تنظيمياً ديمقراطياً مرموقاً. إننا من الناحية التنظيمية نواصل تطوير حزبنا الذي بدأ أبوياً مركزياً، ثم صار سياسياً مركزياً، ونتطلع ليصير مجتمعياً لا مركزياً).*

وحول الإمامة ورئاسة الحزب قال:

*(واجبي أن أقدم بياناً من سيرتي الذاتية. مع أنني نشطت في أعمال سياسية في عهد الدراسة لم أكن متطلعاً لدور سياسي بعد الدراسة. قيام الحكم العسكري الأول أوجب معارضة ونوعاً من النشاط لم يكن الصف الأول في الأحزاب في ذلك الوقت مستعداً له مما جذبني للعمل السياسي بشدة. بعد ثورة أكتوبر كان الرأي الغالب داخل أسرة المهدي أن يعين في رئاسة الحزب شخص من الرعيل الأول. ولكن القوى السياسية في حزبنا ألحت على انتخاب الرئيس*

والأمين العام والمكتب السياسي وفي اجتماع لتجديد تأسيس حزب الأمة في أكتوبر 1964م انتخبتْ رئيسا بأغلبية ساحقة على مرشح الأسرة من الرعيل الأول).
.. (اكتسبت هيئة شؤون الأنصار دوراً هاما في التعبير الديني والوطني في عهد مايو وفي عهد الإنقاذ مما شد نحوها محاولات الاختراق. محاولات الاختراق أطلقت حماسة في أوساط الهيئة لتقنين نظامها وملء مقعد الإمامة. عملت على تطوير مفهوم جديد للإمامة. فصارت الإمامة انطلاقا من وصية الإمام الصديق انتخابية وصارت بموجب تكوين هيئة شؤون الأنصار مؤسسية. إمامة وظيفية وجماعية بلا قداسة).. (إذن وبمفهوم الإمامة كما ذكرنا لا يوجد تعارض بين الإمامة والرئاسة. ولكن توجد مشاكل عملية بين الحزب وهيئة شؤون الأنصار مما أوجب إصدار الصحيفة المرجعية لتحديد العلاقات وقد أجازها مؤتمر هيئة شؤون الأنصار، كما أجازها المكتب السياسي الانتقالي للحزب، ومطلوب لإصدارها بصورة نهائية أن يجيزها المؤتمر العام هذا. الجمع بين الإمامة والرئاسة ممكن نظرياً وشاق جدا عمليا. ربما رأى بعضنا الجمع بينهما غير صحيح وهذا رأيٌ له احترامه. ولكن المشكلة التي يجب تجنبها دائما ألا يكون الإمام منكفئا وهذا وارد، وألا يكون الرئيس مستلبا علمانيا، لأننا في تلك الحالة سنعيد إنتاج التناقض بين الفكي والأفندي. لم تكن رئاستي الأولى لحزب الأمة في أكتوبر 1964م بإرادتي، ولم تكن الإمامة في 19 ديسمبر 2002م بإرادتي، وفي الحالين فإن حرص الجماعة عليها أوجب عليهم مساعدتي في مهامها. لذلك وفيما يتعلق بالمستقبل فإنني أضع استقالتي من رئاسة حزب الأمة أمام المؤتمر العام وأعلن استعدادي لقبول نتيجة ما يقرر المؤتمر جمعاً أو فصلا بين المنصبين).
وجه الإمام الصادق في كلمته خطابات للآخرين: للنظام مرحباً بالاتفاق على السلام وقبول المواطنة والإقبال على التعددية، وللحركة الشعبية قائلا (نحن نرحب بفتح صفحة جديدة معكم تقوم على احترام ما سبق بيننا من عهود، وتتطلع لسلام عادل وتحول ديمقراطي، ونؤكد لكم استعدادنا لإبرام علاقة خاصة بيننا لتأمين اتفاقية السلام والتحول الديمقراطي وبناء الوطن. ونعتقد أن تجاور كثيرمن قواعدنا وقواعدكم على طول المنطقة من أم دافوق غربا إلى الرصيرص شرقا يوجب هذه الخصوصية).. وللاتحادي الديمقراطي باحترام التحالف والتعاون. وللمؤتمر الشعبي بضرورة تجاوز عثرات الماضي والاستعداد للتعاون، وللشيوعي بالاستعداد للتعاون القومي ضمن مشروع التعاهد الوطني، ولجاد وحق وحزب العدالة والأحزاب القومية العربية والمؤتمر الوطني المعارض بتثمين تعاونهم في إطار التعاهد الوطني مطالباً بدرجة أعلى من التضامن. وللقوى الطالبية والنقابية وكافة منظمات المجتمع المدني للعمل المتين لعزل التوجهات الحربية والشمولية والعمل التضامني من أجل السلام العادل والتحول الديمقراطي.
وتحدث عن الثنائيات في السودان بين شمال وجنوب وبحر وغرب وقطاع تقليدي وحديث وغيرها وعن مسؤولية الحزب ودور المؤتمر السادس في معالجتها (والقيام بممارسة ديمقراطية تؤكد قيم التسامح واحترام الرأي والرأي الآخر، وجدية المناقشات، واختيار القوى الأمين في المؤسسات، والاستفادة القصوى من فترة المؤتمر القصيرة في الاطلاع على المعارض والتعارف بين قياداتنا في جميع البقاع داخل وخارج السودان، ثم العمل بفعالية لمجابهة التحدي الحزبي الكبير: كيفية نقل الحزب إلى اللامركزية، وتوجيهه نحو التنمية

*المجتمعية، والتمويل الجماهيري، وتبسيط الهيكل لصالح التمدد في الأنشطة الموازية، وبناء مدرسة الكادر، والرباط الاستراتيجي).*
خاطب المؤتمر في جلسته الافتتاحية عددٌ من ممثلي القوى السياسية داخل السودان وخارجه: حزب المؤتمر الوطني الحاكم، الحزب الاتحادي الديمقراطي المعارض، حزب سانو، حزب المؤتمر الشعبي، الحزب الاتحادي الديمقراطي المسجل، الحزب الناصري، وتجمع حركة القوى الجديدة (جاد).
وأرسل كلٌ من الراحل الدكتور جون قرنق زعيم الحركة الشعبية لتحرير السودان والسيد محمد عثمان الميرغني رئيس التجمع الوطني الديمقراطي بالخارج رسالتين للمؤتمرين، كما خاطب المؤتمر الأب فيلو ثاوس فرج كاهن كنيسة الشهيدين بالخرطوم.
شاركت وفودٌ خارجية من الحزب المصري الحاكم، وحزب الوفد المصري، ومن الجماهيرية العربية الليبية، إلى جانب عدد كبير من السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي بالسودان، كما أم المؤتمر عدد كبير من وكالات الأنباء ومراسلي الصحف المحلية والخارجية.
أما رسالة الراحل دكتور جون قرنق فقد حيا فيها مؤتمر حزب الأمة وعبر عن نيتهم عقد مؤتمرهم الثاني عما قريب وقال: (بما لدى حزب الأمة من أساس ثوري تاريخي يرجع للمهدية فإنني ألتمس وأطلب من هذا المؤتمر اتخاذ خطوات ثورية ليتجه الحزب الاتجاه الجديد نحو السودان الجديد وهذا هو الطريق الوحيد للوحدة ولتقدم بلادنا ورفاهيتها).. و(أود أن أخاطب بجدية علاقاتنا الثنائية. شهدت العلاقات بين الحركة الشعبية وحزب الأمة فترات صعود وهبوط في السنوات القليلة الماضية، وتعلم الطرفان دروساً من تلك التجربة. إن قبولي مخاطبة مؤتمركم هي إشارة موضوعية لأن الطرفين يرغبان في فتح صفحة جديدة والعمل لعلاقات أفضل مبنية على إنجازاتنا لا على إخفاقاتنا، تتضمن تلك الإنجازات: اتفاق شقدوم، وإعلان أسمرا للقضايا المصيرية، وإعلان كمبالا المشترك الموقع في بداية هذا الشهر وفي هذا الخصوص فإن إعلان كمبالا قد فتح فصلاً جديداً في علاقاتنا وإنني أتطلع لمقابلة رئيس حزب الأمة السيد الصادق المهدي في القريب العاجل.)
في اليوم الأول للمؤتمر انعقدت جلسة لنقاش التقريرين المقدمين من رئيس الجهاز التنفيذي المرحوم د. عمر نور الدائم، ورئيس المكتب السياسي الدكتور آدم مادبو، ثم انقسم المؤتمرون إلى مجموعات لنقاش البرنامج المقدم (وثبة جديدة لبناء الوطن) في محاوره المختلفة، والهيكل والدستور. وبعد إجازة الدستور والهيكل والبرنامج بالتعديلات التي رآها المؤتمرون تمت عملية انتخاب الرئيس حيث تم ترشيح السيد الصادق المهدي ولم يتقدم منافس للترشيح ففاز بالتزكية.
وفي اليوم الثاني للمؤتمر جرت انتخابات الهيئة المركزية من داخل المؤتمر العام، وبعد انتخابها اجتمعت وانتخبت الأستاذ علي قيلوب رئيساً لها، والأستاذة زينب العمدة مقررة. وتم انتخاب الدكتور عبد النبي علي أحمد رحمه الله أميناً عاماً للحزب في اجتماع الهيئة المركزية صباح اليوم الثالث للمؤتمر بعد أن فُتح باب الترشيح للأمانة العامة فقدمت سبع ترشيحات انسحب على إثرها خمسة مرشحين، فتم الاقتراع بين الأمير عبد الرحمن عبد الله نقد الله شفاه الله ودكتور عبد النبي علي أحمد رحمه الله. وأذكر يومها أن دكتور آدم مادبو وقد كان ممن رُشحوا للأمانة العامة، صعد للمنصة وسحب ترشيحه مطالباً كل من كان يريد إعطائه صوتاً

أن يصوّت للدكتور عبد النبي رحمه الله. وكان ممن سحبوا ترشيحهم كذلك الفريق صديق محمد إسماعيل، الشيخ محمد المهدي حسن، المهندس آدم موسى يعقوب، ود. حبيب سرنوب الضو[190].

كان حريق دارفور في أوجه وجراحها نبضت في قلب المؤتمر. وكان المرشحان من قادة الحزب المجمرين بلا جدال، والنتيجة حصول المرحوم عبد النبي على 308 صوتاً، والأمير على 269 صوتاً[191].

وفي اليوم الرابع الذي تمدد فيه المؤتمر تجاوزاً للجدول الموضوع، جرت انتخابات المكتب السياسي.

كانت الدعوة للجلسة الختامية مساء يوم 17 أبريل، اليوم الثالث، وبالفعل جاء الضيوف واطلعوا على بعض ما خرج به المؤتمر من انتخاب للرئيس والأمين العام وإجازة للدستور والهيكل والبرنامج ولكن انتخابات المكتب السياسي لم تكن اكتملت، فقد مد المؤتمر حتى اليوم الرابع لإكمالها.

وفي جلسة الختام تحدث الحبيب رئيس الحزب قائلا:

*(إن الديمقراطية تتعلق بالقرار البطيء ليس لأن الإبطاء جزء من طبيعتها ولكن لأنها تشمل الرأي والرأي الآخر وتراعي تدافع الآراء مما يجعل الاتفاق صعبا ولكن كما يقال السهل في السهل والصعب في الصعب). (لقد قالوا عنا مترددين، نعم مترددون في القرار الأحادي، ماذا كانت النتيجة عندما انقلبوا هم علينا ومارسوا القرار الفردي الحاسم؟).. (قالوا عنا مثاليين، نعم مثاليون. إن في السياسة أخلاق. ونحن نلتزم هذا الفهم للعمل السياسي، لقد جاءنا على طول مسيرتنا السياسية من يعرض علينا مجرد المناصب، قلنا لهم ولا زلنا نقول ليس السؤال هو من يحكم السودان، فليحكم السودان أي بنيه ولكن السؤال هو كيف يحكم السودان؟)*

*(قالوا أكاديميين نشغل أنفسنا بالفكر، صحيح. إن الفكر بلا عمل عاجز وكسيح ولكن الفكر هو قرن استشعار للعمل، العمل بلا فكر أعمى وأعشى وضال)*.. مكة قبل المدينة.

*(بعض الناس يعتبرون أن السياسة هي تصيد السلطة وتصيد سقطات الآخرين، هذا هو ما أكسب السياسة سمعة سيئة مما جعل اللعنات تطاردها. نعم السياسة الانتهازية ملعونة، هذا الفهم الذي يفصل السياسة عن الأخلاق غير صحيح،.. نعم في المدى القصير يربح النفعيون ولكن من يضحك أخيرا يضحك طويلا. وإذا سألنا الآن عن الذين نازلناهم ونازلونا وصارعناهم وصارعونا وانتقدناهم وانتقدونا، أين هم الآن؟)*

*(إن كياننا هذا لا يقبل قيادة إلا إذا انتسبت لشجرة نسب معنوية. هذه الشجرة هي شجرة جهاد واجتهاد ووطنية وديمقراطية. هذا هو المعيار، كل من لم ينتسب لهذه الشجرة سقط مهما كانت الدماء التي تجري في عروقه)*.

والكلمة كاملة في ملاحق الكتاب للمستزيد.

**

---

[190] المؤتمر العام السادس لحزب الأمة، تقرير لجنة الانتخابات

[191] نفسه

أما الأدبيات التي ارتبطت بالمناسبة، فأبلغها ربما قصيدة الحبيب محمد صالح مجذوب (نحو حزب الأمة هبوا)..

**نحو حزب الأمة هبـــوا**
**حزب متماسك رسالـي**
**حزب راكز حزب عامــل**
**حزب حامل طرح شامــل**
**لا تطرف لا كمالـــــي[192]**
**حزب من المهدي شارب**
**ماهو ماخد من ضلالــي**
**مهدي رائد ديــن ودولة**
**سيف وصولة وذكر مولى**
**أصلـــي عصـــري**
**وبي هدى قرآنوا ساري**
**حزب من عمق المواطن**
**حامل الفكر المثالـــــي**
**حزب علــم لي ولادو**
**حب بلادو ليـــه رادو**
**ضاقو طعم الريدة حالـــي**
**حزب ديمة يقوم مبادر**
**للجديد دايما موالـي**
**ما بيشطح طرحو ثابت**
**فرع نابت بل مرابط**
**في ثغور وطنو الخوالي**
**حزب للحرية نادى**
**حزب شامخ حزب عالي**

وقصيدة (حزب الأمة رمز القوة)

**حزب الأمة رمز القــوة**
**وحدة وخـوة**
**للسـودان قنديل**
**هلالو الضمّ حرية جنوبـي**
**فور أو نوبـي**
**حزب الأمة أصيل**
**شال النمــة وسطو وغربو**
**جنوبو هو قلبو**

[192] علماني نسبة لكمال أتاتورك

**شرق لي دقنة سليل**
**خيرو الـعم البدو والحاضرة**
**وبقى زي جابرة**
**بدونو الواقف يميل**

**ما بعد المؤتمر**

مباشرة بعد مؤتمر الحزب السادس شارك الحبيب الإمام بمحاضرة بعنوان (نحو مشروع قومي للرياضة بالسودان) كانت بنادي بيت المال الرياضي في 23 أبريل 2003م. والحبيب الإمام يتعامل مع مسألة الرياضة البدنية هذه بجدية لا تُجارى. وقد شكلت إحدى ملفات نصحه في خطاباته لنا لدى الصغر، لكنه صار يقدم هذه النصائح للعامة والخاصة بلا انقطاع، وقد كرر أن الإنسان محتاج لإشباع عشر حاجات أساسية وإلا اختل توازنه، والحاجة الرياضية إحداها.

في تلك المحاضرة قدّم من نتائج البحث حول فوائد الرياضة ومضار هجرانها، ثم فصّل ما يراه ضرورياً للنهوض بها في السودان.

وقد أدار المنصة يومها الأستاذ الكاتب الصحفي مؤمن الغالي فقال بادئاً حديثه: إنني في أقصى اليسار والسيد الصادق في أقصى اليمين ولا أدري لماذا اختارني منظمو المنبر لإدارته؟! الحبيب الإمام لم يكن يعرف مؤمناً عن قرب برغم العلاقة الأنصارية الممتدة بأسرته، وكانت هذه هي البداية حتى توطدت الصلة لاحقاً في رحلة تمبكتو التي سوف نأتي على ذكرها بإذن الله.

طبعاً سوف يدرك كل من يتابع سيرة الحبيب السيد الصادق وأفكاره أنه ليس يميناً بحال ناهيك عن أن يكون في أقصاه. وكذا المهدية كانت دعوة وحركة ثورية تنادي بالتغيير لا المحافظة على الأوضاع، وكانت مهتمة بحقوق المستضعفين ورد المستكبرين، وبالتالي ليست يميناً.

ولنعد لأروقة الحزب بعد المؤتمر.

كان أول انعقاد للمكتب السياسي الجديد في يوم 6 مايو 2003م، وفيه تم التنافس على منصب نائب الرئيس، ورشح كل من الدكتور عمر نور الدائم، ود. آدم مادبو والسيد بكري عديل، وفاز الدكتور عمر نور الدائم رحمه الله نائباً للرئيس، واختار المكتب السياسي بالتزكية الأستاذ حامد محمد حامد رئيساً له.

خاطب الحبيب الإمام الصادق المهدي تلك الجلسة متحدثاً عن المهام الموضوعة أمام الحزب لإكمال تسكين المؤسسات المنتخبة للتو، ثم قال في النهاية: *(سوف يوزع لحضراتكم للعلم نص محاضرتي التي ألقاها نيابة عني د. التجاني سيسي في أكسفورد أمس عن احتمالات السلام في السودان. وملخص المحاضرة التي سوف ألقيها في مؤتمر القاهرة الإسلامي عن "الشورى كأساس لنظم الحكم في العالم الإسلامي" وذلك للعلم والمتابعة وأهمية ما فيها لما نحن بصدده، فإننا نتطلع لتكون اتفاقية السلام مدخلاً للسلام العادل والتحول الديمقراطي. كما نتطلع لتكوين منابر في عوالمنا الأفريقية والعربية والإسلامية للعمل لتأسيس الشرعية فيها على أساس الحكم الراشد القائم على المشاركة والمساءلة.)*[193]

---

[193] كلمة رئيس الحزب في اجتماع المكتب السياسي الأول بتاريخ 6 مايو 2003م

كانت محاضرة أكسفورد بعنوان Prospects for Peace in Sudan، ألقيت في منبر السودانَين الذي يشرف عليه السيد أحمد الشاهي، وقد تطرقنا لمحاضرة السيد الصادق هناك في فبراير 2002م وما دار حولها من حديث.. وكانت محاضرة القاهرة أيضاً ضمن منبر تكررت مشاركة السيد الصادق فيه سنوياً وهو مؤتمر وزارة الأوقاف المصرية السنوي بمناسبة المولد النبوي الشريف، المؤتمر الخامس عشر، في الفترة ما بين 9-12 مايو 2003م.
اتجه الحبيب الإمام مباشرة بعدها للقاهرة لحضور مؤتمر المولد. وهناك كتب مقالة (العراق إلى أين)[194].
كانت حركة الحبيب الإمام في القاهرة كالعادة متمددة بين قطاعات عديدة. ففي يوم 16 مايو شارك في مؤتمر سياسي موسع لحزب الوفد عقد بمدينة المنصورة تحدث فيه وحضره عدد كبير من قيادات حزب الوفد والسياسيين والمثقفين ورجال الدين الإسلامي والمسيحي والقيادات الشعبية والتنفيذية بمحافظة الدقهلية. رحب حزب الوفد المصري بالإمام الصادق المهدي في تجمع كبير حيث احتشدت جماهير المنطقة لتحيي الإمام وهي تهتف عاش الزعيم.. ووصفت القيادية بالوفد د. هبة دربالة ذلك الجمع الكبير بأنه عرس سياسي، وتحدث الإمام معرفاً بالأنصار والمهدية وحزب الأمة، وانتقد غياب الدور المصري في عملية السلام في السودان، وتطرق للحرب العراقية، ولما يدور في المنطقة العربية[195].
في عصر يوم 17 مايو اتجه الحبيب الإمام الصادق إلى ليبيا حيث التقى بطرابلس في مساء نفس اليوم الدكتور على عبد السلام التريكي أمين اللجنة الشعبية العليا للوحدة الأفريقية، وتباحثا حول آخر تطورات عملية السلام في السودان والمباحثات الجارية حينها في كينيا وإيجاد صيغة لتحويل الاتفاق من ثنائي إلى قومي بمشاركة كل القوى السياسية ومراقبة جيران السودان الأخرين. وتطرقا للوضع في دارفور والحل المأمول. وفي ظهر يوم الأحد 18 مايو التقى الحبيب الإمام بالسيد سليمان الشحومي الأمين المساعد للشؤون الخارجية الليبي باحثا ذات القضايا[196].

## إعلان القاهرة

بعد عودة الحبيب الإمام للقاهرة من ليبيا في الثلث الأخير من مايو جرى اللقاء المنتظر بينه وبين الراحل الدكتور جون قرنق.
كان يفترض أن يكون اللقاء بعد عشرة أيام من لقاء وفد الأمة والحركة المشار إليه في كمبالا، وأن يكون في نيجريا، ولكن النيجريين كانوا حينها منشغلين بتكوين حكومتهم وكان دكتور جون متجها لإيطاليا ولهذا تقرر أن يتم اللقاء في القاهرة[197].
تم اللقاء في 2003/5/24م، وثلثهما السيد محمد عثمان الميرغني، إضافة للوفود الحزبية المرافقة لكل طرف.

---

[194] مقالة نشرت في جريدة الحياة اللندنية في 2003/5/19م
[195] بيان صحفي من المكتب الخاص للإمام الصادق المهدي بتاريخ 17 مايو 2003م
[196] بيان صحفي بتاريخ 19 مايو 2003م
[197] إفادة المرحومة الحبيبة سارا الفاضل في المكتب السياسي بتاريخ 2 يوليو 2003

جرت في اللقاء مشاورات حول دعم مسيرة الحل السياسي الشامل، وإعلان مشاكوس، وتأكيد وحدة السودان على أسس جديدة، وأسس العمل المشترك. ووقع ثلاثتهم على (إعلان القاهرة) الذي تطرق لسبل تجاوز القضايا الخلافية في مسيرة السلام ومنها مسألة العاصمة القومية.[198]
قالت المرحومة الحبيبة سارا الفاضل: كان في اللقاء من الأمة السيد كمال إبراهيم أحمد والدكتور إبراهيم الأمين ومحمد حسن مهدي (فول) بالإضافة للحبيب الإمام الصادق المهدي، وتعذر حضور السيد صلاح إبراهيم يوم الجمعة. كنا في حالة نقاش مستفيض في اجتماع مع قادة الحركة والاتحادي بهدف الوصول لقرارات معينة، أما العقيد د. جون قرنق والسيد الصادق المهدي فكانا في جلسة مغلقة. وقد صغنا الإعلان الذي أطلعناهم عليه فأجروا عليه تعديلات بسيطة.
وأضافت رحمها الله: بالإضافة إلى إعلان القاهرة قررنا التعاون المشترك فيما بيننا خصوصاً لتنظيم مؤتمرات قاعدية في مناطق التمازج، والتفاوض من أجل السلام العادل والتحول الديمقراطي، وربط السلام ببرامج، وإدخال مصر وليبيا في عملية السلام[199].
صاحبت الإعلان فرحة عارمة في أوساط الرأي العام السوداني، باتفاق أكبر القوي السياسية وزناً.
وفي البداية جاءت ردود الفعل الحكومية مرحبة بوضوح تارة وبحذر تارة أخرى، غير أنها لم تبد تحفظاً واحداً حول مضمون الإعلان وبنوده وإن جاء تحفظ بعض رموزها وخشيتهم من أن يكون الإعلان محوراً معارضاً موجهاً ضد الإنقاذ. ولكن هذا الترحيب المبدئي نسفه النظام لاحقاً.
للتدليل على الترحيب الفوري نسوق بعض آراء قيادات الإنقاذ حينها.
مثلاً كان رد د.غازي صلاح الدين مستشار رئيس الجمهورية للسلام حينما سئل حول نتائج اللقاء الثلاثي بالقاهرة ومدى إسهامها في تعجيل الوصول لاتفاق سلام شامل، هو :( نحن نرحب مبدأ بفكرة التزام أن يكون الحل قومياً شاملاً لكل الفئات ونركز بصورة قوية علي مبدأ التعرف علي الأوزان السياسية المختلفة من خلال عملية الانتخابات، وتعريف القوي السياسة ينبغي أن لا يبني على الصورة التاريخية بقدر ما يبنى علي الأوزان الحقيقية المترتبة علي انتخابات مراقبة وتجمع علي نتائجها الأطراف. وأيما تصريح أو إعلان لدعم المسيرة السلمية ودعم ما توصل إليه حتى الآن من اتفاقات هو شيء يرجى أن يدفع مسيرة السلام).
وحول ما أعلنه قرنق بالقاهرة من أهمية إشراك القوي السياسية في تسوية سياسة شاملة قال غازي: (إن هذا الموقف هو الذي نتبناه دون محاولة الدخول في أي مزايدات سياسية) وأضاف: (إذا كان المطلوب هو مشاركة من حيث فتح المبادرة من جديد لكل القوي السياسية فهذه مسألة يمكن أن ندرسها طبعا بكل ما تعنيه من احتمالات معاودة التفاوض من حيث بدأ في يونيو الماضي أما إذا كان مجرد شعار يطلق من أجل التأثير لأن يكون الاتفاق مجمع عليه بصورة قومية فهذا هو الموقف الذي نتبناه)[200].

---

[198] نص إعلان القاهرة وإعلان الخرطوم المساند له في الملاحق

[199] السابق

[200] في صحيفة الحرية بتاريخ **2003/5/28م، نقلا عن الغالي، دحض الأباطيل، سابق**

د. قطبي المهدي المستشار السياسي للرئيس وصف تأييد إعلان القاهرة للمفاوضات واتفاق مشاكوس بأنه (سار جداً للحكومة ويجعلنا نشعر بأن الخطوات التي اتخذناها تحظى بقبول سياسي عام في السودان وليس فقط بيننا وبين الحركة).. (لقاء القاهرة الذي جمع الميرغني وقرنق والصادق مبشر أكثر لو كان تم مع الحكومة لأن هذه الأطراف: الاتحادي، الحركة، الأمة كلها تفاوض الحكومة الآن ولو أن هذه القيادات الثلاث اجتمعوا على صعيد سوداني مع الحكومة أو على الأقل مع الحزب الحاكم كان سيكون ذا بشريات أكثر للمجتمع السوداني)، وأكد أن لقاء الزعماء الثلاثة في القاهرة إذا استمر في هذا الاتجاه وأضاف للوحدة الوطنية ودعم جهودنا مع الحركة نحو السلام ( قطعا سيمهد الطريق لتصالح وطني شامل واتفاق على الحلول التي ستنتج عن مفاوضات السلام في نيروبي أما إذا أصبح مجرد محضر لمعارضة الحكومة أو تأزيم الأوضاع بدلاً عن الإجماع الوطني سيكون تأثيره سلبيا)[201].

د. إبراهيم أحمد عمر الأمين العام للحزب الحاكم عدد إيجابيات إعلان القاهرة فقال (إن الترحيب بالإعلان يأتي لعدة مؤشرات: **أولاً:** أن اللقاء تم في القاهرة وليس في أسمرا ليس لأن أسمرا مرفوضة ولكن لأن اللقاء تم بعد تفعيل العمل بمنظمات التكامل بين الخرطوم والقاهرة وتفعيل العلاقات المصرية السودانية على مستويات رفيعة. **ثانياً:** بدأ الميرغني بتحية البشير بدلاً عن سلم تسلم. **ثالثاً:** قدم قرنق للاجتماع في ظل وقف العدائيات في السودان ومشاورات مشاكوس. **رابعاً:** قدم الصادق للقاهرة من الخرطوم وليس من أسمرا من أرض المعسكرات متأبطاً جيش الأمة) وقلل البروفيسور عمر من أهمية ومحتوى البيان وقال (المحتوي ليس فيه جديد)! وأضاف ( الحديث عن مقررات أسمرا وليس فيه أي مدلول حقيقي). وقال (مقررات أسمرا جبها هذا اللقاء)[202].

ومن بعد الترحيب أو الترحيب المتحفظ الأولي للحكومة تغيرت اللهجة فجأة وابتدأت حملة شرسة ضده.

ألمح بعضهم إلي أن المأخذ علي الإعلان أنه تم خارج السودان ولكنه منطق لم يكن يصلح أساساً للحملة والشأن السوداني انتقل برمته للخارج (دعك عن ولوج الخارج للسودان: جيش الرب اليوغندي، لجان حفظ السلام، وفود مكافحة الإرهاب، المبعوثين الدوليين بحيث صار لكل دولة كبرى مبعوثاً مختصاً بالشأن السوداني يحضر كل فترة ليتابع ما يدور).

ولمّح بعضهم إلي أن الإعلان يعني نقضاً لبروتوكول مشاكوس ولكن هذا أيضاً لم يصلح أساساً للحملة ذلك أن الاتفاق دَعَم مباحثات السلام بوضوح ولم يطلب إشراك القوى السياسية علي طاولة المفاوضات الحالية. أما القضايا التي ناقشتها القوى الموقعة علي الإعلان فقد سبق أن فاوضت الحكومة قوى سياسية معينة ووقعت معها إعلانات ومواثيق بالتزامن مع جولات الإيقاد دون أن يعتبر ذلك نقضاً لعملية السلام.

انصبت الشنشنة في النهاية على بند العاصمة القومية، بزعم أن الإعلان نص على علمانيتها، فانطلقت جردة تكفيرية في المساجد والصحف لا تحفظ إلاً ولا ذمة.

---

201 **الأيام الاثنين 2003/5/26م، نقلا عن الغالي**

202 **نفسه**

جاء في نص الإعلان: فإن الزعماء الثلاثة سبق وأن توصلوا إلى اتفاق حول القضايا المصيرية، بطريقة تتيح الحفاظ على وحدة السودان عبر المساواة في الحقوق والواجبات الدستورية لذا فإنهم يرون بأن الاتفاق على قومية العاصمة التي تساوي بين كافة الأديان والمعتقدات لهو ضرورة لازمة للحفاظ على وحدة بلادنا.
إن أدنى نظر لنص الاتفاق أعلاه يبين بوضوح أن كلمة علمانية لم ترد أصلاً. أما ما ورد فيمكن تلخيصه في ثلاث أفكار رئيسية: فكرة قومية العاصمة، وفكرة المساواة في الحقوق والواجبات الدستورية، وفكرة المساواة بين كافة الأديان. وهي أفكار سبق وأقرتها جميع الأطراف السودانية بما فيها نظام الإنقاذ الذي تبنى في وثائقه فكرة التنوع الدستوري والقانوني، ومبدأ القومية، والمواطنة كأساس للحقوق والواجبات الدستورية، والمساواة بين الأديان. فتلك مبادئ واردة في الدستور، وفي نداء الوطن، وفي بروتوكول مشاكوس[203].
أما الحملة الدينية فتندرج في جنس فتاوي الطلب التي يستثيرها النظام كلما أراد الخروج من (زنقة) سياسية أو التخلص من إحراج مع قواعده فيؤشر لعلماء السوء الذين يسنوا أقلامهم و(يطرنوا) حناجرهم وينطلقوا فينا بكل قبيح لا يرضي الله ولا رسوله ولا المؤمنين.
رداً على تلك الهجمة الجائرة أصدر الإمام الصادق المهدي (**مطلب الشعب السوداني، منشور من الإمام الصادق المهدي إلى جميع السودانيين**) وذلك في السادس من يونيو 2003م، جاء في المنشور[204]:
*(ظهر لنا بوضوح أن طرفي النزاع المسلح بعد أن اتفقا على بروتوكول مشاكوس في يوليو 2002م لن يتمكنا من التحرك بالمرونة التي يوجبها الحل الوسط مما جعل اللقاءات بعد ابرام البروتوكول حوارات عقيمة تقف في خانة: مكانك سر! إن السلام العادل والتحول الديمقراطي هما مطلبان شرعيان للشعب السوداني ولكن الإقدام اللازم للاتفاق بشأنهما لن يأتي من داخل طاولة المفاوضات بل لا يرجى أن يصل التفاوض بينهما درجة اللقاء وجها لوجه. هذا الموقف يعني أن الحسم نحو الاتفاق ربما جاء من مبادرات الوسطاء أو جاء من موقف وفاقي شعبي سوداني يدفع طرفي التفاوض نحوه. لذلك فكرنا منذ ديسمبر 2002م في مشروع التعاهد الوطني الذي تطرق لكل النقاط المختلف عليها وأحصاها عددا واقترح لها حلا وسطا).*
وبعد الحديث عن منطلقات إعلان القاهرة وما جاء بخصوص العاصمة القومية من ترحيب حكومي مضمر أو معلن، قال: *(ردة الفعل المتأخرة والهجمة من قبل النظام جاءت بعد مرور خمسة شهور على طرح مبادرة التعاهد الوطني الحاوية لنفس أفكار الإعلان، والجديد الآن أن حزب الأمة اتفق مع الحزب الاتحادي الديمقراطي والحركة الشعبية لتحرير السودان على تبني الحل الوسط الذي كان تقدم به من قبل، أما الحكومة وحزبها فقد ظننا أنها فرصة يمكن أن تستغل لنسف عملية السلام).*
*و(لو أن هؤلاء تفكروا هل العاصمة السودانية اليوم أقرب للإسلام أم في عام 1989م عندما قامت السلطة الجديدة؟ لأدركوا أنه مهما كانت القوانين في الدفاتر فإن النظام المصرفي اليوم*

---

[203] الغالي، دحض الأباطيل، سابق
[204] نص المنشور كاملا في ملاحق الكتاب

*أكثر ربوية منه في عام 1989م، وأن الزكاة اليوم تطبق بصورة أبعد عن الإسلام منها في عام 1989م لأنها اليوم محض جباية وثنوية ضريبية يرزح المسلم تحت وطأتها. أما من ناحية الأخلاق فلا أحد ينكر أن الذمة والأمانة اليوم أقل كثيرا مما كانتا في عام 1989م، وأن الشارع السوداني اليوم أكثر استهتارا خلقيا، ففي كل هذه الحالات الضرورة الاقتصادية التي خلقتها السياسات خلقت فقراً والفقر أخو الكفر. هذا علاوة على استغلال الدين لتثبيت السلطان، ورفع الشعار الديني غطاء للكسب الدنيوي، والتلاعب بالدين على غرار حفلات عرس الشهيد والعقد على الحور العين، وإعلان الجهاد بغير ضوابطه وشروطه، وابتداع صلاة الشكر والإجماع السكوتي، والبيعة البعدية وتعدد البيعات، وغير ذلك من الألاعيب، كل ذلك أدى للاستهتار بالدين وبالخطاب الديني لدى الكثيرين).*
*(إن إنقاذ السودان من سياسات "الإنقاذ" التي أوصلته إلى ما هو عليه الآن من مخاطر التمزق والتدويل، بل إنقاذ "الإنقاذ" من نفسها يوجب العمل على إبرام اتفاق شامل يحسم كل النقاط المختلف عليها ويواجه الوسطاء والمتفاوضين بموقف شعبي موحد حول كل القضايا).*
*..(هذا الاتفاق هو مطلب الشعب السوداني العادل والمشروع ومن شأنه أن يحقق إجماعاً من تخلف عنه فقد عزل نفسه.. إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى).*
بالطبع فإن فورة إعلان القاهرة استمرت زمناً، وتم استهياج تلك المدعوة الهيئة الشعبية للدفاع عن العقيدة والوطن.. فما قصرت في النباح!
وفي يوم الأربعاء 11 يونيو 2003م أصدر حزب الأمة بياناً صحفياً قال فيه إن إعلان القاهرة تمخض عن آليات تنسيق تصاغ عبر ورشتي عمل. وإن ردة فعل حكومة المؤتمر الوطني المتباينة حول إعلان القاهرة تعكس توترها في طاولة المفاوضات، والضغوط الدولية عليها لتوقع اتفاقاً ينص على تحول ديمقراطي كانت تعمل على تجاوزه باتفاق ثنائي مع الحركة الشعبية، وإن إعلان القاهرة وورقة تفاهم لندن وثائق في طريق بناء إجماع قومي يرفضه المؤتمر الوطني مما جعله يفتعل معارك لنسفه بصورة غير مسئولة تبذر الفتنة الدينية وتهدر حقوق الإنسان، متراجعاً عن هامش الحريات المبذول بل بلغ طور الإعلان في الصحف الرسمية عن إهدار دم معارضين لسياساته، مع استجواب واعتقال القيادات المعارضة، كالدكتور آدم مادبو والمرحوم دكتور عبد النبي علي أحمد الأمين العام للحزب والأمير عبد المحمود أبو أمين عام هيئة شؤون الأنصار والحبيب إسماعيل آدم علي مساعد الأمين العام للتنظيم، إضافة لاستمرار اعتقال الحبيب عبد الرحمن بشارة دوسة دون تحر أو مساءلة منذ ما يزيد عن السبعين يوماً لمشاركته في ندوة تتحدث عن دارفور (اعتقل دكتور دوسة في أبريل 2003م).. وقال البيان إن الحبيب الإمام الصادق المهدي رئيس الحزب باق في الخارج لمهام وطنية، وسوف تحدد عودته الأجهزة.
وبالفعل بقي الحبيب الإمام في القاهرة حتى جاء حزيناً ليشارك في موكب تشييع قرتي عينه: السياسية والإنسانية المرحوم دكتور عمر، والروحية: سيدنا عبد الله إسحق، فكان حدثاً شبيهاً بعودته بعد أن خرج آيساً من نظام مايو بعد المصالحة ثم عاد ليشارك في تشييع حبيبه الأمير عبد الله نقد الله عام 1979م..

وما في وفائه من ملال، بتعبير المجذوب رحمه الله.. وبقوله: حتى يقول الناظر العجب العجيب.

## أشهر في مصر

ظل الحبيب الإمام الصادق المهدي بمصر، وقد استبقته المؤسسة الحزبية لحين إشعار آخر، خاصة مع ردة النظام الفظيعة تهجماً على الحريات، والمهددات الأمنية الكامنة في حملة إفك علماء السوء. ومصر هي وطنه الثاني بحق، حتى أنها صارت لنا وطناً بسببه فصرنا حين يذهب الواحد والواحدة فينا للقاهرة يشعر بأنه في بيته، إن محبة مصر لدى الحبيب الإمام مشعة ومتعدية للآخرين.

في يومي 7 و8 يونيو 2003م شد الحبيب الإمام الرحال من القاهرة للإسكندرية لحضور حلقة نقاش أقامها مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية بالتعاون مع مركز دراسات أبحاث الشرق الأوسط بأمريكا، بمكتبة الإسكندرية، حول العلاقات العربية الأمريكية ومشكلة الشرق الأوسط. تحدث فيها عن احتمالات السلام في السودان، متطرقاً لضرورة ربط السلام العادل بالتحول الديمقراطي وضرورة الإجماع الوطني مشيراً لمبادرة التعاهد الوطني، وقال إن السلام والديمقراطية أصبحا شرطين ضروريين لمحاربة مصادر الإرهاب وتحقيق الاستقرار في العالم، كما تحدث عن العلاقات العربية الأمريكية وقضية الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية. ومن ثم قام بزيارة مكتبة الإسكندرية الكبرى وطاف على أقسامها وأهدى للمكتبة عدداً من مؤلفاته.

وشارك الإمام في 9 يونيو بندوة حزب الوفد حول عملية السلام في السودان. وفي21 يونيو شارك في ندوة المركز السوداني للثقافة والإعلام بالقاهرة المقامة بمناسبة احتفال المركز بمرور تسع أعوام على افتتاحه، متحدثاً عن العلاقات السودانية المصرية على المستوى الشعبي وضرورة تطويرها، وعن إعلان القاهرة، والأوضاع المتفجرة في دارفور وضرورة معالجتها في إطار قومي.

في هذه الأثناء كان حزب الأمة بالداخل يعمل على تجميع أكبر للرؤى حول إعلان القاهرة. في ذكرى اليوم المشئوم، الثلاثين من يونيو، أرسل دكتور عبد النبي علي أحمد رحمه الله خطاباً لمختلف القوى السياسية والنقابية والمدنية يدعوها لاجتماع يُعقد بدار الأمة في 5 يوليو 2003م، مؤكداً ترحيب القوى السياسية ببروتوكول مشاكوس وسعيها لترشيده وتوسيع المشاركة عبر عدد من المبادرات منها مبادرة الأمة للتعاهد الوطني، ومبادرة السودان أولاً، وإعلان القاهرة، وورقة لندن، وأرفق بالخطاب (مسودة اتفاق الأحزاب والقوى السياسية والمنظمات المدنية والتيارات الفكرية السودانية) التي تناقش القضايا المختلف عليها في التفاوض الجاري لدراستها والاتفاق حولها ومن ثم مخاطبة طرفي التفاوض والوسطاء قبل حلول الجولة القادمة.

لكن النظام منع اجتماع القوى السياسية الذي دعا له الأمة لدراسة المسودة بداره في 7/5/ 2003م، بل منع أي لقاء تعقده القوى السياسية مجتمعة، وداهمت سلطات الأمن اجتماعاً لقيادات حزب الأمة بمنزل السيد صلاح عبد السلام رحمه الله في 2003/7/6م ظانة أنه يضم أحزاباً أخرى، وذلك بنية اعتقال المجتمعين وفقما أفادوا، بيد أنهم أخلوا سبيلهم حينما

تبينوا أنه مجرد اجتماع حزبي. هذا التضييق جعل الأمة يسعى للإجماع الوطني حول مسودة الاتفاق من القاهرة وليس السودان[205]. وتكرر ذلك السلوك مع مبادرة السودان أولاً.

**الطريق الثالث: مشروع تطوير بروتوكول مشاكوس وتعديل وثيقة ناكورو:**

في السادس من يوليو 2003 قدم الوسطاء في عملية السلام وثيقة تضع الخطوط العريضة لاتفاق شامل في ناكورو، رفضتها حكومة الخرطوم في حين قبلتها الحركة الشعبية، وسعت الإيقاد ومن ورائها الولايات المتحدة إلى فرضها.

بعد فشل جولة ناكورو ظل حزب الأمة عاكفاً على دراسة وثيقة ناكورو ومراجعة القضية بصورة شاملة، فدرس بروتوكول مشاكوس والآراء والردود على مبادرة التعاهد الوطني، وفي 3 أغسطس أصدر (الطريق الثالث: مشروع تطوير بروتوكول مشاكوس وتعديل وثيقة ناكورو).

في 20 يوليو أرسل الأمين العام للمؤتمر الوطني إلى نائب رئيس حزب الأمة الدكتور عمر نور الدائم رحمه الله مسودة مشروع بعنوان "وثيقة الإجماع الوطني" لإبداء الرأي حولها استعداداً للتوقيع عليها. شكل حزب الأمة لجنة ضمت أعضاء الأمانة العامة وبعض قيادات الحزب (السيد صلاح عبد السلام، والسيد صلاح إبراهيم أحمد، ود. آدم موسى مادبو والأستاذ عبد المحمود الحاج صالح والسيد فضل الله برمة ود. الطاهر حربي والسيد حامد محمد حامد رئيس المكتب السياسي ونائبه السيد حماد الطاهر تاور، والأستاذ بكري عديل). وبعد مداولة رد الأمة على الوطني مؤكداً أن سلوكه بمنع مجهودات القوى السياسية وملاحقة اجتماعاتها تجعل الاستجابة لمبادرته "غير ممكنة"، كما أن الوثيقة التي تقدم بها (لا تصلح أساساً للإجماع الوطني في هذه المرحلة ولا تخاطب القضايا الملحة في عملية السلام والتحول الديمقراطي، لذلك سيتقدم الحزب بمقترحه لكل القوى السياسية بما فيها المؤتمر الوطني)[206].

ولنعد لتحركات الحبيب الإمام.

قدم الحبيب الإمام ورقة بعنوان **دور الأسرة الدولية في تمكين الديمقراطية وسيادة حكم القانون[207]**، ونشر مقال (التجربة المرة)[208]، شرح فيه كيف حطم نظام الإنقاذ عملية السلام إبان الديمقراطية والتي لم تكن فيها مطالب بتقرير المصير ولا ثقل أجنبي إلا لتسهيل اللقاء، مقارناً ذلك بعملية السلام الحالية التي تدنت في مقاييس الطموحات الوطنية، وتطرق لمجهودات القوى السياسية وحزبه لجعل العملية تعبر ما أمكن عن طموحات الشعب السوداني ومنها إعلان القاهرة، ثم قال:

*(الحملة المسعورة التي أطلقتها الحكومة على إعلان القاهرة زائفة لأنها تدينه باعتباره دعماً لعلمانية العاصمة والإعلان نص على قوميتها، العلمانية تعني إبعاد الدين والقومية تعني*

---

[205] تقرير حزبي في 28 يوليو 2003

[206] تقرير ما خلص إليه الاجتماع الخاص بمشروع الإجماع الوطني الذي قدمه حزب المؤتمر الوطني، 28 يوليو 2003

[207] قدمت لحلقة النقاش نظمتها جماعة "لا سلام بلا عدالة" بالتعاون مع وزارة الخارجية الإيطالية تحت رعاية مجلس الشيوخ الإيطالي بروما في 18 يوليو 2003م

[208] نشر بصحيفة الحياة في 19 يوليو 2003م

العدل بين الأديان. وهي حملة زائفة لأن قومية العاصمة إذا اعتبرت تنازلا لغير المسلمين فإن ما أجراه النظام من "تنازل" في نصوص دستوره أبلغ من هذا لأن الدستور يسمح بأن ترأس السودان امرأة على دين غير كتابي إذا انتخبت.. بعد زيارة الجنرال سيمبويو للخرطوم مايو الماضي وعلى طول شهر يونيو بالغ عدد من قادة النظام في تأكيد أن السلام آت قريباً وأن وفد التفاوض الحكومي لمحادثات 6 يوليو 2003 أعطيَ تفويضاً تاماً للتوقيع. ثم جاء الموقف الأخير والانفعال بلا حدود والهجوم على الوسطاء والعودة للغة المربع الأول الإقصائية وهي عنتريات لا تسمن ولا تغني من جوع!

إن على النظام في هذا المنحنى المصيري أن يقف وقفة جادة مع الذات مدركاً أن كافة أنشطة التوسط الحالية متأثرة سلباً بسياسات النظام الإقصائية التي أعلن تخليه عنها الآن، وأن النظام نتيجة لذلك موضوع لدى كثيرين في قفص اتهام وقفص شك في صدقية تنفيذه لما يبرم. شكٌ عززته سلوكيات النظام مع كافة محاوريه في الماضي مما جعل النظام يقف الآن معزولاً إلا من سند نوعين من الفصائل: النوع الأول هو فصائل إسلاموية منكفئة غير راضية حتى عما قبله النظام من "تنازلات" وهؤلاء ينتهزون كل سانحة للعودة لمربع مفاصلة نهائية بين "الإسلام" والكفر، وهم من شدة غيبويتهم السياسية يعلنون أن المسلم بنص القرآن يجب أن يكون إرهابياً في تفسير جهول للآية: **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)**. ونوع آخر هم فصائل سياسية منشقة من أحزابها ومحتمية بالنظام لا مساهمة لها في حمايته.

إن النظام وهو يقف معزولاً إلا من هذا السند الذي تنطبق عليه عبارة: ومن الصداقة ما يضر ويؤلم. يظهر درجة عالية من تناقض المواقف وهي ظاهرة خطيرة جداً في الظرف المصيري الذي يواجهه السودان الآن.

الوقفة الصادقة مع الذات مطلوبة للتخلص من التقلب والانفعالات والتناقض، لتوحيد الرؤية حول أحد ثلاثة خيارات هي المتاحة للنظام:

الخيار الأول: العودة للمربع الأول وسياسات الإقصاء والتعبئة الجهادية والاستعداد للتبعات.

الخيار الثاني: التنحي أسوة بما حدث في هايتي عام 1999 وما يحدث الآن في ليبريا.

الخيار الثالث وسطٌ بينهما وفحواه: الاستمرار في وساطة الإيقاد فكثير من علاتها مما صنعت سياسات النظام في مراحله المختلفة. والكف عن محاولة إيجاد منابر بديلة، والتسليم بأن القضايا موضع البحث لا تخص طرفي التفاوض وحدهما، والأجدى التعرف على رأي القوى السياسية الأخرى في السودان وهي قوى يعلم النظام من كثير من الظواهر وزنها الفكري والسياسي والشعبي).

وفي مساء الأحد 27 يوليو التقى الحبيب الإمام بالسيد محمد عثمان الميرغني واتفقا على ضرورة توحيد موقف القوى السياسية الشعبية من وثيقتي بروتوكول مشاكوس وورقة ناكورو، وتقديم مشروع كامل كأساس لاتفاق سلام عادل وتحول ديمقراطي. كما رحبا بالتطور الإيجابي في عودة اتحاد طلاب جامعة الخرطوم العتيق وهنئا الطلاب على الأداء الرائع وما حققوه من ممارسة ديمقراطية راشدة[209].

---

[209] بيان من محمد زكي، 28 يوليو 2003

وفي الفترة ما بين 11-16 أغسطس 2003م شارك الحبيب الإمام الصادق المهدي في قمة زعماء العالم بالعاصمة الكورية سيول، وهي القمة التي نظمها الاتحاد الديني والدولي من أجل سلام العالم[210] وقد انعقدت القمة بعنوان (العالم في منعطف تحول: البحث عن مداخل مبتكرة للسلام عبر القيادة المسئولة والحكم الراشد) وشارك فيها زعماء وقادة دينيون ورؤساء حكومات وساسة من جميع قارات العالم وأديانه المختلفة. شارك الإمام بكلمتين الأولى حول (سلام الشرق الأوسط) والثانية بعنوان (نحو مجلس للأديان بالأمم المتحدة). وأم الحبيب الإمام صلاة الجمعة بمسجد سيول المركزي في 15 أغسطس 2003م.

ثم نشر الإمام الصادق مقالة (الطغيان ملة واحدة)[211]، جاء فيها:

*(الطغيان ملة واحدة اتفقت هياكل وأساليب سدنتها وإن اختلفت شعاراتهم بين اليمين واليسار وبين الإسلاموي والوضعي. ملة اتفقت على نبذها هدايات الوحي* **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ )، (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)، (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)**. *وأدانتها الحكمة الإنسانية: السلطة المطلقة مفسدة مطلقة كما أجمع المفكرون)..*

*(والحكم الراشد ملة واحدة اتفقت على إيجابها هدايات الدين:* **(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)، "مَنْ بَايَعَ رَجُلاً عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ"**، *و"إن الله لينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة على الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة". وأوجبتها التجربة الإنسانية ويكفي تلخيصا لها ما جاء في إعلان الأمم المتحدة استقبالاً للألفية الثالثة، وما جاء في إعلان الشراكة الجديدة من أجل التنمية في أفريقيا (النيباد)، وما جاء في التقرير عن التنمية البشرية في العالم العربي لعام 2002م. هذه كلها وصفت الدواء الديمقراطي، وألسنة الخلق أقلام الحق).*

وفي سبتمبر 2003م أسفرت مجهودات ملتقى السلام السوداني برئاسة د. عصام صديق عن الوصول لـ(وثيقة السودان للسلام والوحدة والتحول الديمقراطي والتنمية المستدامة)، والتي تقدم موقفاً موحداً إزاء عملية السلام ووقع عليها 23 من ممثلي تنظيمات وجهات مختلفة أبرزهم د. عبد النبي علي أحمد رحمه الله من حزب الأمة، وعثمان عمر الشريف من الاتحادي الديمقراطي، ود. فاروق كدودة رحمه الله من الحزب الشيوعي، وجوزيف أوكيلو من التجمع الوطني الديمقراطي ويوساب، وعبد الله حسن أحمد رحمه الله من المؤتمر الشعبي، ود. لام أكول من حزب العدالة، وأمين بناني من العدالة القومي، وبيتر عبد الرحمن سولي من جبهة الإنقاذ الديمقراطية، والحاج وراق من حق، ود. توبي مادوت من سانو، وغازي سليمان من جاد.

لكنه ككل الجهود الحريصة على حلٍ حقيقي لم تلق بالاً من الحاكمين.

---

[210] Interreligious and International Federation for World Peace IIFWP وهي منظمة تعمل للحوار بين الأديان والحضارات من أجل سلام العالم ومقرها في الولايات المتحدة

[211] نشر المقال بصحيفة الحياة في 17 أغسطس 2003م

# مبالغات كاروري المرسومة

أعد الكاريكاتيرست الفنان هاشم كاروري كتاباً عنوانه (مايكروفونات رئيس الوزراء)! جمع فيه كل أعماله حول الحبيب الإمام وجلها كان انتقاداً وسخرية حيث كان لا يرسمه إلا وتتدلى من عنقه وتلتصق بيديه مايكروفونات الكلام الذي لا ينقضي. حضر لنا أستاذ كاروري في مكتب الحبيب الإمام الخاص بأم درمان وطلب أن نأتي له بمقدمة للكتاب من الحبيب، وما على الرسول إلا البلاغ. أرسلنا الكتاب للحبيب مع الطلب وفعلا أرسل الحبيب الإمام مقدمة للكتاب.. إنه لا يرد طالباً فما بالك لو كان كاروري الفنان المبدع. والحقيقة إنه إضافة لإبداعه رجلٌ لطيف، ويبدو أنه اعتمد على رحابة صدر الإمام فلم يخيّب ظنه.

أورد الحبيب الإمام في مقدمة الكتاب لوماً ممزوجاً بالثناء:

*(كنت أطلع على مبالغات الأخ الكاروري المرسومة (كاريكاتير كلمة ايطالية تعني مبالغة مرسومة)، وأحيانا أضحك لما فيها من دعابة وأحيانا أغضب لما فيها من ظلم، ولكنني كنت دائما أجد عزائي في حكمة القائل:*

***على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ويحمد منه الصبر فيما يصيبه***

*ولعل أفدح وجهي الظلم هما شخصنة القرارات في نظام يعلم الله أنه خلا من القرارات الشخصية التي يتخذها "الرئيس القائد" في النظم الشمولية، فكل قراراتنا كانت تلتزم بالمشاركة والمؤسسية. والوجه الآخر هو معايرتي بكثرة الكلام ولا أحسب رئيسا غيري صام عن الكلام إلا نادرا لا سيما في الديمقراطية، فأنت ترى بوش وبلير لا يسكت لهما حسا. وقد قال اتلي رئيس وزراء بريطانيا الأسبق إن الديمقراطية نظام يقوم على الكلام حتى يتخذ القرار. والمهم ما هو نوع هذا الكلام؟ وأشهد الله أنني لم أقل شيئا إلا "ذاكرت" لما أقول كما يستعد التلميذ لامتحاناته حتى أن إحدى بنات خؤولة بناتي قالت لهن بعد أن لاحظت هذا الاجتهاد المستمر: والنكم هذا متى سينتهي امتحانه؟*

*لقد كان نهج الصحافة في الديمقراطية الثانية في تقديري معتدلاً وكذلك في الديمقراطية الأولى. لكن الثالثة سوف يثبت التاريخ أن الصحافة لعبت دورا هاما في تقويض التجربة لا سيما ما قامت به صحافة الجبهة الإسلامية القومية لحاجة في نفس يعقوب كشفت عنها الأيام بانقلاب "الإنقاذ"، وجاراها آخرون فساهموا في هدفها دون علم!*

*لا شك أن للأخ كاروري مقدرة فنية رائعة كما أن له مقدرة على الفكاهة.*

*ولكن الحرية هي مصلحتنا جميعا، والحرية هي وسط بين رذيلتين هما الكبت والفوضى، مثلما أن الشجاعة وسط بين رذيلتي الجبن والتهور، والكرم وسط بين رذيلتي البخل والإسراف. وهذا يعني أننا جميعا مطالبون بالمحافظة على الحرية لأنها مثلنا الأعلى ومصلحتنا جميعا وهذا يقتضي شيئاً من ضبط النفس لكيلا نفرط في قيمية نقدسها جميعا.. لا سيما في التعامل مع أشخاص وجهات تبيح لنا اسمها وفعلها دون أية محاولة للردع السياسي أو القانوني.*

*إنني أتمنى للأخ هاشم كاروري عطاء مستمرا في الفن الذي يتقنه والفكاهة التي نحتاجها جميعا فالفكاهة ليست عبثا بل هي من ضرورات الإنسان النفسية والاجتماعية. لكن لا سيما في ظروف الديمقراطية ينبغي ألا ينسى وهو يبدع بالنكتة القلمية أنه مسئول عن حماية الحرية من الإفراط الذي يبدد جوهرها، التزاما بالحكمة: كلا طرفي قصد السبيل ذميم.)*

كلنا نتمنى لكاروري ألا تقف مبالغاته.

## وداعاً الأحبة..

في يوم الاثنين الموافق 13 أكتوبر 2003م توجه الحبيب الإمام إلى السعودية للاطمئنان على صحة الأمير عبد الرحمن نقد الله رئيس مجلس الشورى بهيئة شؤون الأنصار وأحد أهم قادة حزب الأمة المصادمين لنظام الجور. وكان قد أصيب بعلة قلبية منذ مايو 2003م وتم ترحيله للمملكة لتلقي علاج أفضل ترافقه شقيقته سارة التي كانت له بمثابة هارون لموسى.

ذهب الحبيب الإمام إذن للاطمئنان على أحد رفقائه المخلصين، وابن حبيبه وصفيه، الأمير عبد الرحمن نقد الله الذي لا يزال مسجيً، تغشاه دعوات الأنصار المخلصة في كل صلاة جامعة أن يأخذ الله بيده ويُنهضه من مرقده الطويل، اللهم آمين. دعوة وجهها له الراحل المقيم محجوب شريف:

**يلا يا نقـــــد الله يـــلا**
**نحن شعبنا مدرستنـــا**
**عليهو دوماً هلاهـــلا**
**شمسو شوف عيني بانت**
**هلالو فج الظلمة هـــل**
**يلا يا نقد الله يـــــلا**
**زى عمود النور لقيتك**
**واقفاً راية ومظلـــــة**

ثم أهدى له قصيدة أخرى ولكن الأستاذ سعد الدين إبراهيم رحمه الله، ظن أن شريفاً رحمه الله، يرثي فيها حال شخص آخر.. قال شاعر الشعب: انتي يا أحذيتي/ بين غبار ونقلتي/ كم سمعتك قلتي/ ياتو سكة تودي/ للمهانة مشينا/ وما رفعنا قدمنا.. كضب ولا غشينا/ البدوس بندوسو/ مافي شر بنكوسو/ ما ركلنا أكلنا/ ولا في شي خوفنا/ قمنا منو جرينا.. ،هذه أراني/ وهذه أشيائي/ ضميري ما بتغشّا/ عرفت كيفن قصّمتَ/ ظَهرَ البعير القشّة!

رحم الله محجوباً وسعد الدين ومنح الأمير العافية.. اللهم آمين.

الشاهد، عاد الإمام للقاهرة بعد عيادة الأمير، لتدهمه في الاثنين 27 أكتوبر فاجعة رحيل خليله الذي لازمه منذ سنته الأولى في جامعة الخرطوم متقاسماً همه الوطني وكدحه وأنسه، ومعه سيدنا عبد الله إسحق درة الأنصار وسكن أرواحهم.. يا رب إنك لطيف، يا رب إنك حنان منان فتحنن على ذلك الحبيب.

كان ذلك في غرة رمضان إثر حادث طريق بعد تقديمهما العزاء في أحد قيادات الكيان.

عاد الحبيب الإمام الصادق المهدي مسرعاً لوداع الأحبة في عصر نفس اليوم بقبة الإمام المهدي، وهناك أقيم المأتم.

أقيم لهما تأبين باكٍ ومشحون في ذات الوقت بالمعاني الجليلة التي مثلاها. أما الحبيب فإنه وقد أبنهما يومها، لا ينفك يؤبن الحبيب الراحل دكتور عمر نور الدائم، فقد كثرت فيه أحاديثه وما

انتهت[212]، رحم الله عمي عمر، رحم الله سيدنا رحمة ملؤها السموات والأرض إن الظلمة بغياب بدريهما لم تنقشع.
قال الحبيب الإمام في يوم الثلاثاء 28 أكتوبر أمام حشد ضخم حضر تأبين القامتين:
*(ودعنا إلى رحاب الله عمر الذي كان حاديا لا يفتر لمطالب الهمة العالية، كما كان بلسما شافيا في الملمات بالفأل الحسن والأمل الفسيح تجسيدا للوعد الرحماني* ***(إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)*** *- سورة يوسف الآية87.. كان ملماً بثقافة العصر إلماماً عميقاً.. إلماماً لم يجرفه عن أصالته مسلماً عربياً بدوياً ريفياً متسامحاً مع ثقافات الآخرين سمح المعاملات، ابناً للكبير وأخاً للند وأباً للصغير قؤولاً لما قال الكرام فعولا.. كان نوراً دائماً يهب الضياء ولا يغيب.*
*كان لفقيدنا سجل سياسي فريد: لبى نداء تجديد الحياة السياسية في أكتوبر 1964م فأقام مع زملائه حزبا لم يرهن مستقبله وفاءا لماضيه بل وفق بين واجبات الوفاء وتطلعات المستقبل.*
*وكان وهو يحتل موقعا قياديا مركزيا في حزبه لا يصرف نظره عن الأقاليم وهمومها ودورها في السياسة المركزية.*
*وكان من أكثر الناس إدراكا للأثر الاجتماعي في السياسة في السودان، فأعطى الاجتماعيات دورا مركزيا.*
*وكان مدركا أن السياسة الديمقراطية تعني فيما تعني الاعتدال لتأليف الرأي والرأي الآخر.. كان توفيقيا.*
*رماه بعض الغافلين بالطاعة العمياء ولكنه كان من أكثر الناس صراحة في الرأي ومناصحة للآخرين حتى صار ضميرا للجماعة في الحزب وبوصلة لتوجهاته.*
*وأسس كثيرا من علاقات حزبه الخارجية بصورة نموذجية فهو الذي أسس علاقاتنا بالجماهيرية الليبية بصورة عميقة ولكنها حافظت دائما على المرجعية المستقلة وعلى الإطار القومي، وكذلك فعل بعلاقاتنا مع الجارة إريتريا وفي هاتين الجارتين وغيرهما كون علاقات طيبة واكتسب احتراما شديدا.*
*وكان وهو السياسي الحزبي يدرك أن أحزابنا ينبغي أن لا تقفز فوق الواقع الاجتماعي فرعى رعاية خاصة التوازن الأنصاري والتوازن القبلي، إن التوازن من شروط الديمقراطية.*
*وكان عطاؤه الوطني ثريا أقول فيه:*
*كثير من المثقفين دخلوا العمل السياسي من باب الحزبية الشمولية، أو العصبية الاثنية، أو الوظيفة عند الحاكم بأمره، لكن فقيدنا ضرب المثل لدخول السياسة من باب الحزبية الديمقراطية الشعبية والمساءلة.*
*وكثير من الساسة اعتبروا السياسة لا تنجح إلا على حساب الأخلاق فضرب مثل السياسي الأخلاقي.*
*وكثير من الساسة جردوها من البعد الفكري والثقافي ولكن فقيدنا كان واسع الإطلاع يلاحق المؤلفات ويطالعها. كنا نختلف كثيرا في أمر الإمامة فيدعو لها وأمانع وكانت حجته القوية يا فلان نحن محكوم علينا بفكر تقليدي يلغي دورنا في الحاضر والمستقبل وأنت صاحب رؤى*

---

[212] قال الحبيب الإمام كلمات مختلفة في تأبين الحبيب الراحل في 2004، و2011م، و2015

لا غنىً عنها لدفع استحقاقات الماضي والحاضر والمستقبل ومهما كانت تقديراتك فإن الإمامة تضمن لهذه الصحوة سنداً عريضاً. فأقول له ولكن بقدر ما تفعل ذلك مع قوم فإنها تصد قوما آخرين فكان يقول لي: هؤلاء الآخرون إن كانوا موضوعيين فسوف يدركون قيمة هذا النهج ولكن أخطر ما قد يصيبنا بالخسران أن يغلب كيان ككيان الأنصار أو أن تحتله قيادة ترحل به إلى الماضي أو ترهنه للغيبيات.

وكان يقول نعم للإسلام ولكن بعض مناهج الإسلاميين ضحت بالحرية أو ضحت بمطالب العصر وإخلاصنا لديننا يوجب أن تصحح هذه المناهج. فلا إسلام بالإكراه ولا إسلام بلا حرية.

والساسة في العالم الثالث اكتسبوا صفة صارت قرينة بالسياسة في الدول النامية: الذمة الواسعة واليد الخفيفة حتى أن كثيراً من مفكري العالم وصفوها بأنها كلبتوقراطية- اشتقاق من السرقة كحالة مرضية. كان فقيدنا شفاف النهج عفيف اليد عنوان للأمانة في السياسة.

وكان حريصاً على تفاهم مستمر مع الجنوبي والآخر الثقافي في السودان. اقترحت عليه في عام 1993م حل مسألة الدين والسياسة على أساس المواطنة مرجعية للحقوق الدستورية فتبناها في مؤتمر نيروبي في أبريل 1993م وأجمع عليها الآخرون. وكنا بصدد تنبيهه وهو بالخارج بناء على لقاءاتنا بالأخوة الجنوبيين بالداخل ومباحثاتنا معهم في مسألة الجنوب وصدودهم بسبب السياسات الطاردة التي مورست أخيرا أن الاستجابة لتقرير المصير صارت ضرورة، فكتب إلينا عن إعلان واشنطن وموقف كل الساسة الجنوبيين المتمسك بتقرير المصير، فأجزناه في الاستجابة لتلك الضرورة على أن يرتبط ذلك بأنه إذا أمكن إزالة هذه المظالم تعطى أولوية للوحدة، فتبنى ذلك الموقف في 1993م، وعلى هذا الأساس استطاع التوصل لاتفاق شقدوم في ديسمبر 1994م الذي كان ممهداً لقرارات أسمرا في يونيو 1995م، وهو الذي سماها قرارات القضايا المصيرية.

ما كانت عادتك يا عمر أن تذهب وتترك أحبابك في هذه المفازة.. نعم أعلم عذرك.. لكن "المحمولة رغاية":

**ما كان منك إلى خليل قبلها ما يستراب به ولا ما يوجـــع**
**وصلت إليك يد سواء عندها البازي الأشيهب والغراب الأبقع**

هذا العطاء السياسي، والوطني، كان مصحوبا بمودة ومحبة وروح دعابة لا تنقطع.. وأتصوّر أنه في هذه المحنة يقول لي: "يا ود المهدي البتاعة دي طراوة وكمان قلنا نتخارج قبال ما يتعبنا ويتعبكم معانا المرض"... كان لي الصديق الصدوق الذي صدقني وصدّقني:

**إن أخاك الصدق من كان معك ومن يضير نفسه لينفعك**
**ومن إذا أبصر أمـرا أقطعك شتـــت شمله ليجمـــعك**

وكان متجرداً لم تحتل الماديات مساحة من قلبه، بل كانت في يده كرماً فياضاً. وكان إخلاصه فيما يقول ويفعل جواز مرور له ليقول ما يقول لأن الإخلاص يفتح القلوب: إنك لن تسع الناس بأموالك ولكن بأخلاقك.. سلام عليك يا عمر في الخالدين.. سلام عليك يا حبيبي يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً.

وضاعف الله لنا البلاء فيك يا حبيبي عبد الله.. كان سيدنا عبد الله اسحق ابن الإمام عبد الرحمن الروحي بامتياز.. قرأ له القرآن والراتب وأمه في الصلوات في كثير من الأحيان وأمه

والأئمة من بعده في صلاة القيام بجزء من القرآن في الليلة وكانت قراءته للقرآن روحانية خلطت معاني القرآن بلحمه ودمه وعظمه حتى استقرت في سويداء قلبه.

**لا در در الدافنيك فإنهم … هالوا عليك من التراب وأسرفوا**
**أو ما دروا أن المكارم في الثرى … أو ما دروا "سيدنا" بأنك مصحف**[213]

كان لسيدنا عبد الله اسحق دوراً هاماً في كيان الأنصار:
كان الخيط المستمر من الإمام عبد الرحمن وخليفتيه حتى يومنا هذا.
كان حصناً مرجعياً صد عن الكيان العدوانيات حيثما جهر بها من حدثته نفسه بالسوء عليه.
كان في الكيان نموذجا للقرآني الذي لم يبعده تأهيله عن السعي للرزق، فبعض أهل القرآن يحيط بهم التواكل.
وكان قدوة للقرآني المتواضع، فبعض أهل القرآن يجعلونه سبباً للمباهاة.
وكان في كياننا حلقة وصل قوية بين المركز والأقاليم.
وكان يشع إخلاصاً فلا يملك محدثه إلا التسليم بحجته، فالإخلاص مفتاح القلوب.
وكان مكتبة حية لتوثيق تراث الأنصار ما التمسناها إلا وجدنا عنده كنوزها.
وكان لفقيدنا عطاؤه الإسلامي العام لأنه:
كان تقليدي التعليم ولكنه كان من أكثر الناس استصحابا للجديد إذ كثير من التقليديين يفرون من الجديد فرارك من الأجرب.
وكثير من الروحانيين الذين يهتمون بالجانب الصوفي من الإسلام يهمشون الحاجة للعمل ولا يهتمون بالواجبات الاجتماعية ولكنه كان روحانيا عاملاً وكثير الاهتمام بالأمور الاجتماعية.
وكان فقيدنا مثلاً للمظهر الأغبر والجوهر الأنور ما رأيته إلا شب في خاطري الأثر: رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره (رواه مسلم).
لم يعل صوته أبدا في حوار ولم أسمع أبدا شخصاً تظلم منه. كان نموذجا للموطنين أكنافا الذين يألفون ويؤلفون.
كان متساهلاً في معاملاته مع الناس إلا في حالات معلومة مؤرخة اتخذ مواقف حازمة لم تأخذه في الله لومة لائم.
كان تجسيدا للوحي (**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**) الفرقان الآية 63.
كان نموذجا لثمرة المسيد السوداني بكل ما تحمل من كفاءة وإخلاص وأصالة وبساطة.
ومع اختلاف مشاربنا عددته صديقا حميماً مخاطبه بي عنقود محبة هندسها الإمام المهدي: فأنقذني ومن صحبني ومن أحبني على حب نبيك صلى الله عليه وسلم لأجلك. وكان عنده من مزامير داود صوتا نديا في تلاوته وفي مدائحه التي يهتز لها السامعون.
وكان مثلا حيا لمجتمع الجزيرة أبا في أيام أزهاره. المجتمع الرباني التكافلي الذي جمع قبائل السودان في بوتقة غلب فيها الإخاء عصبيات القبائل.

---

213 هذه من أبيات المرحوم عبد الله محمد عمر البنا في رثاء أبيه رحمهما الله، وقد حورها الحبيب لرثاء سيدنا



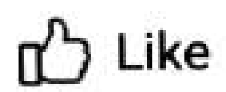
Mohammed ...

5 h ·

ماقام به قائد المليشيات وتفكيره وتخطيطه لاحتواء المشردين ليس عن فراغ ويريد استخدامهم لأمر ما ، لذلك يجب علي ا. س الانتباه ، صراحة ما يقوم به يدل علي وجود مستشارين ومخططين أذكياء حوله خاصة بعد التلميع المكثف وتحسين الصورة لكن مهما فعل تظل الدماء وارواح الأبرياء تطارده ، لذلك علينا اليقظة والحذر والتامين لان هذه الشخصية من شيمها الغدر والخيانة



242    31 comments · 15 shares







تحدثت كثيرا مع أحبابي في الكيان أن نطلق عليه لقبا يناسب دوره وعطاءه وكنا بصدد إعلانه أن يدعى أمين الدعوة الأنصارية.
فإلى جنة الخلد يا حبيبي عبد الله إلى معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. إلى الأحبة محمد وصحبه.. طبت حيا وميتا يا عبد الله.

..
اختلف شهيدانا مولدا ونشأة ولكنهما كانا توأمين:
في الصمود أمام المحن التي واجهها كياننا بشقيه الديني والسياسي، فما هانا ولا لانا ولا وهنا.
وقد كان لموقفيهما دوراً هاما في الإبقاء على هذه الرايات مرفوعة خفاقة تشق عنان السماء.
وكانا توأمين في الانتساب لكيان حبل الحسب والنسب فيه هو الجهاد والاجتهاد.
وكانا توأمين في المظهر الأغبر والجوهر الأنور.. لدى زيارة الحبيب عمر لمصر قال أحد المستقبلين من إخوتنا في مصر معلقا على مظهر الحبيب الراحل: ليس معنى أن تكون وزير زراعة أن تلبس ملابس الزارع. كان الحبيب لابسا "على الله".
كانا توأمين في حرصهما على جبر الخواطر عيادة للمرضى وعزاءً في الموتى وتراحما بين الناس.
وكانا توأمين في حماسة واندفاع وفتوة الشباب في سن الشيوخ:

**عمري إلى السبعين يركض مسرعا          والروح باقية على العشرين**

وكانا توأمين في أنهما استمرا مجاهدين جهاداً واجتهادا من الركاب إلى التراب.. من القوة إلى الهوة.
وكانا توأمين في أنهما مثلين فريدين يصعب أن يتكررا .. اللهم إلا إذا أفلحنا أن نستنسخهما تربويا فنجعل وفاتهما أجساما فانية وقدوة باقية.
قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "إن خياركم أحاسنكم أخلاقا" وبشر النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: "ما من شيء أثقل في الميزان –أي يوم القيامة- من حسن الخلق". اللهم أنزلهما في مقعد صدق وأجزل لهما الوعد الحق: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم (فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرّة أعين)".
اللهم ارحمهما واغفر لهما وبارك في أهلهما وذرياتهما، وهبنا الصبر الجميل على هذا الجرح الكبير فلا نملك إلا أن العزاء (**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**).
وامنحنا اللهم القوة ولطف العناية لنواصل مشوارهما حتى نرى كياننا يؤدي رسالتيه الدينية والسياسية بما يسرهما في عليين، ويرطب مرقدهما في جوار جدهما.. أقول صادقاً جدهما بنص القرآن: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ).. ولا حول ولا قوة إلا بالله).
وقد دفنا كما قال الحبيب الإمام جوار جدهما الإمام المهدي وقبته (البتضوي الليل وتهدي الناس سلام وأمان).
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون..
في يوم تأبينهما ببيت المهدي جاء حشد عظيم مكلوم، وتقاطرت الكلمات الباكيات، وأنشدت الحبيبة فيحاء محمد علي لحناً حزيناً:

**خبرٌ كأنّ شِفاهَنا نقلته ما أصغتْ له**

لوْ أنّها أصغتْ لما استطاعت تُمَرّرُ هوْلَه
هَوْلٌ سَرَى والكَرْبُ جرجَر ذيْلَهُ
التوأمُ الصديقُ رأسُ الصالحاتْ
التَوأم الأوّاهُ.. فاتْ
في لحظةٍ وَقعتْ فبئسَ الواقِعاتْ
..
الجرحُ منفتقٌ على شِقينْ
والألمُ نضّاحُ الجبين منوّحٌ كيمامتينْ
فيمامةٌ تبكي عُمَرْ
ويمامةٌ تبكي على سيدنا.. لنبكِ مناحتينْ
**
عمرٌ ..عُمَرْ
أسطورةٌ عن حلمنا ينثالُ كاللبَن الحَليبْ
يسقي سنًا، يسقي مُنى، يسقي هُنا
وهُناك في جوف الغيوبْ
غدَنا الذي يأتي
وقد أندته سيرتُه التي
تُزكي الطيوبْ
حدّثكَ عنه النّاسُ أو ما حدّثوا
هو رأسُ مَنْ للرّوح أبدًا أرْخصُوا
في شأن دين اللهِ
شأن بلادِنا قد أخلصوا
أصحابُ مَهْدي اللهِ
ذرْوتُهُمْ ..عُمَرْ
عمرٌ أثرْ، أثرٌ لنا دربٌ لنا
عمرٌ ثمَرْ، حلوٌ لنا ذقناه سكّرْ فاهـنـا
عمرٌ قمَرْ، في الليلة الظلماءِ كم أسنى لنا
عمرٌ شَجَرْ، غرْسٌ وما ندْري
غرَسنا أم غرسناه يظلِّلُ أفقنا
عُمَرٌ قمَرْ، يا ربِّ هوّن بَعْد فقدِ ليلنا
كم سام بدناً سام مالاً وادّكر
للسجن للسلبِ الظلوم كم اصطبرْ
ونحبُّه حباً يليقُ بمَن تحللَ مُحرمًا
قصد الإله ميمّمًا
فحياتُهُ كحَجيجٍ للنّصر الموزّر دائما
ونحبه. ما همنا منا شانئٌ مُرّ اللسانْ
نُعطيهِ تاجاً مِنْ شرايين الجنانْ
فهو الذي أعطى وردُ الدين للأحرار آنْ
**

يا سيدنا..
يا حُلوَ أيام زكَت في حضرتِكْ
يا زاهيَ الأفعال والأقوال
تحلو صُحَبتُكْ
أموطئ الأكناف في زمن الغرورْ
وصراطنا ورباطنا
حُلوٌ وخُلوٌ منْ شرورْ
لا ينمحي ذكرُك عنا يَا حبيب
في خطو نعلِكَ نعلُنا عبرَ الدروبْ
نتمثلُ الجذرَ هُنا
والعصرُ عَنه لا نغيبْ
ونقولُ حينَ البأس أينَ سَديدْ؟
بإشارةٍ لجَمَ القلوبَ الثائراتِ
وأحبَط المكرَ المخيط
تبعته آلافٌ مؤلفَةٌ
يؤلف قلبها منظومةٌ في خيط
لكنه.. سيدنا ولا فَرَحٌ أقلْ
سيدنا.. يفحَل جُرْحَه جُرحُ المُقلْ
سيدنا.. فلا ضَاعَ الأمل!

تلك دمعتان حارتان. لكنما الحبيب يكفكف الدموع ويسير في طريقه رابطاً الجراح بشريط الأمل، لا يلتفت إلى ما راح ولا يمل..
حتى يقول الناظر العجب العجيب.

## من أجل الحل العادل

لقد تابعت قارئي النجيب وقارئتي الفهيمة منطق الصادق في اشتراطات الوصول لحلٍ عادلٍ، أن يكون سلاما مربوطا بدقرطة، وأن يشارك فيه جميع أهل السودان لا يُقصى أحدٌ، أن يكون التوسط متوازناً. وسنرى كيف ضاعت تلك المطالبات كما الأذانُ بين شياطين!
في 8 نوفمبر 2003م قدم حزب الأمة (بروتوكول الطريق لاتفاقية قومية) وهو عبارة عن خريطة طريق للوصول لاتفاق قومي، بروتوكول يحقق المطلوبات التي كرروها وذكروا لماذا.
وفي أول ديسمبر كتب الحبيب الإمام (مسألة دارفور)، وهي ورقة رصد فيها أسباب المظالم التي فجرت الحرب في دارفور، والسياسات الخاطئة التي اتخذت في مواجهة المقاومة المسلحة فأدت إلى الأزمة الإنسانية والأمنية المستفحلة، ثم حدد الحل في نقاط سبع:
*(أولاً: الاعتراف بخطأ بعض السياسات وأهمها: خلل التوازن التنموي والخدمي. خطأ تسييس الجهاز الإداري والأهلي واتخاذهما ذراعا حزبياً وأمنياً. خطأ التفريط في مسألة التسليح والتدريب الذي أدى للتفلت. وخطأ قبول ظاهرة الفساد وعدم التصدي الحاسم لها.*

***ثانياً:*** *التسليم بالحقائق الموضوعية الآتية: ضرورة حياد وكفاءة الإدارة المدنية والأهلية. وأن للحواكير القبلية أساساً تاريخياً وعرفياً ينبغي احترامه. وأن للمزارعين حقوقاً مشروعة. وأن للرعاة كذلك حقوقاً مشروعة. وأن على السلطة وضع خريطة استثمارية تصنف أجزاء الإقليم الثلاثة الصحراوي الشمالي- وشبه الصحراوي الأوسط- والسافنا الجنوبي بصورة تحدد الموارد وحقوق السكان. وأن حقوق أهل الوطن مقدمة على مطالب الوافدين، ويجب عمل سجل مدني منضبط يحفظ حقوق المواطنين كما يجب وضع سياسة واضحة نحو الوافدين. وأن للقوى الحديثة التي نالت حظاً من التعليم تطلعات بعضها مشروع في المشاركة في القرار السياسي والتنمية والخدمات عبر قنوات شرعية. وان سياسة السودان نحو دول الجوار ينبغي أن تقوم على خطة إستراتيجية تكاملية تنموياً وأمنياً.*

***ثالثاً:*** *إعفاء حكام الولايات الحاليين وتعيين ولاة جدد ذوي التزام قومي وكفاءة عالية وانتماء للولايات الثلاث.*

***رابعاً:*** *الدعوة لمؤتمر جامع يمثل القوى السياسية التي كانت ممثلة في الجمعية التأسيسية المنتخبة عام 1986م، والقوى السياسية التي أفرزتها المقاومة المسلحة، وممثلين لأبناء الإقليم المثقفين من داخل وخارج الوطن وتفويض هذا المؤتمر لانتخاب رئيسه ولبحث الأجندة الآتية:*

- *قسمة الإقليم في السلطة المركزية على أساس التوازن الصالح لكل السودان.*
- *الصلاحيات المركزية واللامركزية والنظام الإداري الأصلح في الإطار المدني والأهلي.*
- *خطة الإصلاح التنموي والخدمي.*
- *كيفية إزالة آثار ثقافة العنف ومشروع نزع السلاح غير المنضبط.*
- *الخريطة الاستثمارية التي تعالج صراع الموارد.*
- *مشروع استيعاب قوى الإقليم الحديثة في المجالات المختلفة عبر قنوات مشروعة.*
- *السياسة الخارجية نحو دول الجوار.*

*على أن يدعى لحضور هذا المؤتمر الجامع دول الجوار كمراقبين وشهود.*

***خامساً:*** *تعيين لجنة خبراء فنية من مختصين لمساعدة هذا المؤتمر الجامع لتقديم دراسات وافية تساعد في بحث بنود الأجندة.*

***سادساً:*** *يلتزم حملة السلاح نبذ العنف ووقف إطلاق النار وتفويض المؤتمر القومي هذا والالتزام بقراراته.*

*وإن أرادوا مواصلة العمل السياسي فعلى أساس تكوينات حزبية ديمقراطية.*

***سابعاً:*** *تلتزم كافة القوى السياسية السودانية بهذا البرنامج وتلتزم بالامتناع عن كل ما من شأنه زيادة التوتر والاستقطاب وبقبول قرارات المؤتمر الجامع والعمل على إنفاذها.*

إنجاز كافة هذه المهام في فترة لا تتجاوز ستة أشهر من تاريخ الموافقة عليها).

وفي يناير 2004م وقعت الحكومة والحركة بروتوكول قسمة الثروة محدداً لأسس قسمة الموارد في النفط والأراضي، ومبيناً للنظم المصرفية، ناصاً على قسمة عائدات نفط وضرائب الجنوب بنسبة 50% للجنوب و50% للحكومة المركزية، وعلى نظامين مصرفيين إسلامي في الشمال وتقليدي في الجنوب.

انتقد الحبيب الإمام الصادق المهدي إغفال البروتوكول لموضوع المياه وغيرها من الموارد والاكتفاء بالنفط والضرائب، كما انتقد صيغة المناصفة لبترول وضرائب الجنوب باعتبار أنها تشجع الجنوبيين للانفصال والمطالبة بنفطهم وضرائبهم كاملة، وكان الأجدى تخصيص النسبة المطلوبة للجنوب من الثروة القومية.

وفي الفترة 10-12 يناير شارك الحبيب الإمام الصادق المهدي في المؤتمر الإقليمي (للديمقراطية وحقوق الإنسان ودور المحكمة الجنائية الدولية) المقام في اليمن، بورقة "مستقبل الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي"، كما شارك في العديد من الندوات واللقاءات العامة. وعاد للسودان في 25 يناير 2004م.

وفي 4 فبراير 2004م عقد حزب الأمة مؤتمراً صحفياً حول دارفور ألقى الحبيب الإمام الصادق المهدي رئيس الحزب كلمته الرئيسية وفي نهايتها مناشدة للرئيس عمر حسن أحمد البشير وحكومته والمؤتمر الوطني بإعلان وقف فوري من جانب واحد لإطلاق النار لمدة 3 أشهر، وإعلان دارفور منطقة كوارث لاستقطاب الإغاثات، وتكوين منبر سياسي جامع وتفويضه لنقاش القضية. وقال: *(إننا نلتزم من جانبنا، أي حزب الأمة، أن نعمل للحصول على تجاوب كافة الأطراف المعنية مع هذا الإعلان في ظرف 72 ساعة بعد إعلان الحكومة المذكور.. إننا إذ نطلق هذا الرأي نتطلع لتجاوب فوري معه ولتأييد الرأي العام السوداني له.)*

بعد تلك المناشدة تلقى حزب الأمة دعوة للمشاركة في لقاء بالمركز العام للمؤتمر الوطني في 14 فبراير حول دارفور، مثل حزب الأمة في اللقاء أمينه العام الدكتور عبد النبي علي أحمد وقدم في كلمته رؤى حزب الأمة في الحل المطلوب. مطالباً بإعطاء فرصة للمبادرة الشعبية التي قادها حزب الأمة وقد أوضحت صلاحيات المنبر السياسي الجامع الشامل لأجندة دارفور وفصلت الإطار الزمني، وفرصتها أكبر في تجاوب حَمَلة السلاح.

إثر لقاء الوطني المذكور كُونت لجنة تحضيرية لمؤتمر دارفور الجامع، انسحب منها ممثلو حزب الأمة في 8 مارس 2004م[214]، وذلك لأنهم بحسب بيانهم وجدوا اختلالات في اللجنة وقالوا: (إن حضورنا ومشاركتنا في اللجنة كانت على إنجاح هذه المبادرة أملاً في إيقاف نزيف الدم والحيلولة دون تمزق بلادنا وتدويل مشاكلها، ولكن ذلك لن يتم إلا وفق معالجات قومية حقيقية تخاطب جذور الأزمة وبأفق، ولكن لم نجد استعداداً لتقويم تلك الاختلالات فآثرنا الانسحاب ضناً على إضاعة وقت البلاد في إجراءات عقيمة وكلنا آذان صاغية للعودة في حال تبني النهج القومي الذي حينما نطالب به لكل الوطن وليس لأنفسنا).

وفي 25 فبراير خاطب الحبيب الإمام الصادق المهدي بداره بالملازمين وفد قبائل التماس المشاركة في اجتماعات لجنة تسيير مؤتمر التعايش السلمي بين قبائل الدينكا والرزيقات والمسيرية الذي انعقد بأديس أبابا منتصف الشهر متمنياً نجاح مساعي الصلح والتعايش السلمي بينهم.

---

[214] كان ممثلو الحزب في تلك اللجنة هم د. عبد الرحمن الغالي، محمد عبد الله الدومة، د. عبد الرحمن بشارة دوسة، ومحمد عيسى عليو

وفي 7 مارس 2004م شارك الحبيب الإمام الصادق بورقة عنوانها (المصالحة وبناء الثقة في السودان)[215] استعرض فيها عملية السلام في نيفاشا واتفاقياتها المختلفة حتى بروتوكول قسمة الثروة، ومسألة دارفور وخلص إلى رؤى الحل.

وفي 14 مارس 2004م كاتب كل من الراحل دكتور جون قرنق والسيد عمر البشير داعياً لهما لقبول مبادرة التعاهد الوطني كوسيلة لملكية الاتفاقية للكافة عبر مجلس قومي. قال الحبيب الإمام في خطاب لكل منهما على حدة، مخاطباً الراحل قرنق بالإنجليزية والمشير البشير بالعربية: *(إن تكوين مجلس قومي يمثل القوى السياسية الممثلة في الجمعية التأسيسية لعام 1986م، ويمثل القوى السياسية التي أفرزتها المقاومة المسلحة، والقوى السياسية المدنية التي تكونت في تأييد ومعارضة نظام "الإنقاذ"، ومنظمات المجتمع المدني المشهود لها بالجدوى، ويمثل بصورة موزونة المرأة والشباب، بأعداد محدودة. بحيث لا يتجاوز المجلس خمسين شخصاً، سوف يمثل مرجعاً سياسياً شاملا للرأي والرأي الآخر.*

*هذا المجلس القومي المرجعي يتفق على أن يكون له صلاحيتان: أن يصادق على ما اتفق عليه طرفا التفاوض الحالي بالأغلبية العادية، وأن يحكم فيما اختلفا فيه بأغلبية الثلثين.. إنه يمثل صمام الأمان الوطني لعملية السلام العادل ومشروع التحول الديمقراطي.. إن طرفي التفاوض –أي الحكومة والحركة الشعبية- قد اتفقا وسوف يتفقان على نقاط كثيرة، وقد اختلفا وسوف يختلفان على نقاط أخرى، ويختلفان على تفسير بعض ما اتفقا عليه.*

*الخيارات في حالات الاختلاف المستعصية ثلاثة: العودة للمربع الأول، أو التحكيم الدولي، أو التحكيم الوطني.. إن المجلس القومي المقترح يؤمن للبلاد نقلا للاتفاق من ثنائي لقومي، فيوسع قاعدة تأييده، ويحميه من خطر النقض من جانب واحد إذا كان اتفاقا ثنائيا، ويوفر بديلا أفضل للانتكاس للمربع الأول وللتدويل.*

*وبما أن البلاد تمر بمنعطف خطير اقترح عليك أن تدعو لاجتماع قمة يضم رؤساء الأحزاب الممثلة في الجمعية التأسيسية، ود. جون قرنق دي مابيور لاجتماع عاجل يعقد في القاهرة أو طرابلس أو نيروبي أو أبوجا للاتفاق على تكوين هذا المجلس ولتحديد صلاحياته، ولإيجاد بديل حقيقي لاحتمالات الطريق المسدود أو التدويل.. هذا النهج هو جوهر نداء الوطن في هذا الظرف الخطير.)*

وفي مارس 2004م أطلق حزب الأمة **نداء العون الإنساني وترسيخ التعايش والاستقرار بدارفور**، يكرر مطالبات المؤتمر الصحفي، معلناً عن غرفة طوارئ لدارفور بداره بأم درمان.

لقد كان الحبيب الإمام يشعر بخطورة ما يجري، وبصمم المخاطبين، بينما الوطن وأجندته تتسرب من بين الأصابع. في الربع الأول من ذلك العام كتب كثيرا من الأوراق حول عملية السلام وحول دارفور وأرسل خطاباً للأهل في دارفور يناشدهم الانصراف عن الفتن العرقية وبحور الدماء في الاقتتال القبلي، وخطابات أخرى للمسؤولين، وللوسطاء الدوليين، لم يكل مهما وجد من صدود.

---

[215] وذلك في ندوة السلام بين الشراكة والمشاركة التي عقدها مركز دراسات السلام بجامعة جوبا بالتعاون مع طيبة برس وفريدريش أيبرت

في 10 أبريل كتب الحبيب الإمام (نحو اتفاقية قومية للسلام وبرنامج للتحول الديمقراطي)، ثم سافر للقاهرة للمشاركة في فعاليات المؤتمر الإقليمي الثاني للمياه العربية في الفترة 13-15 أبريل 2004م. وعاد فجر الجمعة 23 أبريل فأم المصلين بجامع الهجرة (ودنوباوي)، وخاطبهم بالقضايا التي تشغله وكل وطني صميم، (اتفاقية السلام، أزمة دارفور ، وضبط التدويل).

في 25 أبريل كتب (نداء الوطن لدى فجر السلام) مطالباً بالضمان القومي وشمول الاتفاق.. ونحن لن نحصي هذه الأدبيات عددا، وقد ذكرنا أن الحبيب الإمام يشرك الوطنيين والقراطيس همومه، كان قلقه من المصير القادم يزداد، وكل العالم في حبور وطرب وبشر بالسلام القادم.. وحده رأى الشجر المتحرك، وحده رمق الصخرة الساقطة على رأس الوطن!

في 22 مايو 2004م وصل حزب الأمة إلى رؤية مشتركة بينه وبين المؤتمر الوطني حول مشكلة دارفور، وقع عليها من جانب الحزب دكتور عبد النبي علي أحمد رحمه الله أمين عام الحزب ومن جانب المؤتمر الوطني أمينه العام الدكتور إبراهيم أحمد عمر[216]. احتوت الرؤية على حل من 15 نقطة كالتالي:

1. إدانة العنف وتصعيد الحرب والعمل لخلق رأي عام ضدها.
2. إدانة ورفض النعرات الجهوية والعنصرية والقبلية واستخدامها لتحقيق أهداف سياسية والتأكيد علي التمازج والتصاهر بين أبناء السودان لخلق الأمة الموحدة.
3. الحل السياسي لقضية دارفور في إطار قومي شامل مع التأكيد علي أن المشكلة هي قضية داخلية.
4. العمل علي حل الإشكالات التنموية والخدمية عبر الحوار وفي الإطار الصالح للقضية.
5. أن يكون الحل سودانيا مع التطلع للمساهمة الإيجابية للجهد الإقليمي والدولي والسعي الجاد لأبعاد التدخل الأجنبي الضار عن المشكلة.
6. الالتزام بالوقف الفوري لإطلاق النار من كافة الأطراف.
7. التحكم والسيطرة علي المجموعات والمليشيات غير النظامية والعمل علي احتوانها وتجريدها من السلاح.
8. عند اتخاذ إجراءات أمنية يتم التأكد من عدم اخذ الناس بالشبهات والتأكد من البينات.
9. معالجة الحقوق المشروعة للزراعة والرعي وفق القانون والعرف والتراضي علي الحواكير.
10. تهيئة الظروف لإغاثة وإعادة توطين المتأثرين بالحرب وإعادة تعمير مناطق النزاعات.
11. الدعوة لمؤتمر سياسي جامع وتمكين كافة القوي السياسية ومنظمات المجتمع المدني والقيادات القبلية والمثقفين والأكاديميين المشهود لها بالمساهمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في قضايا دارفور للمشاركة في فعالياته المختلفة مع إشراك ممثلي الحركات المسلحة في دارفور.

[216] نقلا عن صحيفة أخبار اليوم الصادرة يوم 23 مايو 2004م.

12. تفويض المؤتمر القومي لبحث ومناقشة أجندة دارفور السياسية والتنموية والخدمية، الإدارية، القبلية والأمنية.
13. تلتزم كافة القوي السياسية السودانية بنتائج المؤتمر وتنأى عن الاستقطاب الضار وتلتزم بالتمهيد الإعلامي وبقبول قرارات المؤتمر والعمل على إنفاذها.
14. إنجاز كافة المهام قبل موسم الخريف.
15. الشروع فورا في اتخاذ الخطوات العملية لتنفيذ هذا الاتفاق عبر آلية[217].

وسنرى أن هذه النقاط ظلت حبراً على ورق وإن نفذ منها أي شيء فبالطريقة التي يمثل فيها خيال المآته الإنسان.

## بروتوكولات بعد مشاكوس

تواصلت المفاوضات بعد بروتوكول مشاكوس مما أدى لتوقيع عدد من البروتوكولات تباعاً حتى كان آخرها نصص الاتفاقية وجداول التنفيذ في التاسع من يناير 2005م.

في 29 سبتمبر 2003م تم التوقيع على بروتوكول الترتيبات الأمنية الذي نص على أنه إذا تأكدت الوحدة يتكون جيش السودان الموحد من القوات المسلحة والجيش الشعبي لتحرير السودان، ويظلان منفصلين إبان الفترة الانتقالية، ويقف إطلاق النار، وتكوّن قوات مدمجة بأعداد متساوية من الطرفين لتنتشر بأعداد محددة في الجنوب وجبال النوبة وجنوب النيل الأزرق والخرطوم ويتم التشاور حول الشرق.. هذه القوات المدمجة تكون نواة لجيش السودان مستقبلاً، بينما تنسحب قوات الجيش الشعبي للجنوب من كافة مناطق وجودها في الشمال، وتنسحب القوات المسلحة من كافة مناطق وجودها في الجنوب.

علق حزب الأمة على الاتفاق في بيان رحب فيه بالاتفاق مع إبداء ملاحظات عليه.

وبعد ظهر الأول من أكتوبر التقى الحبيب الإمام بقصر السلام بالقاهرة بالسيد علي عثمان محمد طه النائب الأول لرئيس النظام، وماسك ملف المفاوضات من طرف المؤتمر الوطني. حضر اللقاء كذلك وزير الدفاع اللواء بكري حسن صالح والأستاذ أحمد عبد الحليم محمد، رحمه الله، سفير السودان لدى القاهرة. قدم طه بياناً عن اتفاق نيفاشا حول الترتيبات الأمنية والعسكرية، واستمع لحديث الإمام بضرورة إشراك جميع القوى السياسية السودانية في المفاوضات القادمة لضمان قوميتها ولمخاطبة جميع القضايا العالقة، ولملاحظاته حول الاتفاق ودعوته لتبني الحكومة والحركة تكوين مجلس قومي سوداني يسمى"مجلس الشركاء الوطنيين" على غرار منبر شركاء الإيقاد ليلعب دوره في المرحلة القادمة، وإشراك كل من مصر وليبيا ونيجيريا وجنوب أفريقيا في عملية السلام على أن يكون لمنظمة الأمم المتحدة والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والاتحاد الأفريقي أدوار مراقبة؛ ولمطالبته بتنوير القوى السياسية السودانية بكل ما يدور، وبتحقيق الإجماع الوطني حول أسس عادلة تزيل أسباب الحرب وتضمن كفالة الحريات العامة وقومية الدستور وتضمن إجراء انتخابات عامة حرة نزيهة تؤدي لتحول ديمقراطي مستدام بالبلاد[218]..

طبعاً استماعٌ بأذنين بهما صمم!

---

[217] نفسه

[218] بيان صحفي من الحبيب محمد زكي بتاريخ 1 اكتوبر 2003

في 26 مايو وقعت الحكومة والحركة على بروتوكولات قسمة السلطة وأبيي والمنطقتين:
**بروتوكول قسمة السلطة:** أقام هذا البروتوكول نظام تمكين ثنائي فيه نسب محددة لقسمة السلطة المركزية التنفيذية والتشريعية، انسحبت حتى على المفوضيات ومن ضمنها مفوضية الخدمة القضائية. نصيب المؤتمر الوطني 52% والحركة الشعبية 28% وبقية الأحزاب الشمالية 14% وبقية الأحزاب الجنوبية 6%. أما بالنسبة لحكومة الجنوب فنصيب الحركة الشعبية 70%، والمؤتمر الوطني 15% ونفس الشيء للقوى الجنوبية الأخرى. أما بالنسبة للحكومات الولائية يكون للمؤتمر الوطني 70% من الحكم في الولايات الشمالية، وللحركة الشعبية 70% من الحكم في الولايات الجنوبية. كما نص على عدد من المفوضيات وعلى احترام المواثيق الدولية لحقوق الإنسان وعلى جدولة عملية التحول الديمقراطي.
**بروتوكول حل النزاع في منطقة أبيي:** نص على أن للمنطقة ظروفا خاصة وضرورة أن يجرى استفتاء لأهلها يتزامن مع استفتاء تقرير المصير للجنوب يعبرون فيه عن رغبتهم في الانضمام للجنوب أو البقاء ضمن الشمال، وأن يتم ترسيم حدود أبيي عبر مفوضية مكونة من الطرفين ومن خبراء خمسة من الدول الراعية للاتفاق يكون قرارهم نهائيا في حالة تعذر توافق الطرفين. الخبراء المذكورون لم يكونوا خبراء ولا محايدين في النزاع السوداني، قال الإمام الصادق: *(لجنة حدود أبيي الموصوفة بالحياد رئيسها السيد دونالد بيترسون سفير أميركا في السودان ما بين عامي 1992- 1995م، وفي 1999م نشر كتابا بعنوان «داخل السودان» صنف فيه نظام «الإنقاذ» بقوله في خاتمة الكتاب: "أنا أول من يعترف أن الحوار مع هذا النظام سوف يقود لطريق مسدود. إن تجربتي مع حكام السودان لا تترك مجالاً لأمل بأنهم يمكن أن يتخلوا عن السياسات المدمرة للذات التي يتمسكون بها".)*
**بروتوكول حل النزاع في جنوب كردفان (جبال النوبة) وجنوب النيل الأزرق:** نص على أن يجري مجلسا الولايتين التشريعيان المنتخبان مشورة شعبية حول مدى تحقيق اتفاقية السلام لطموحات أهل المنطقة. بحيث ينشئ كل مجلس منتخب مفوضية برلمانية تشرف على عملية المشورة.
وجه الحبيب الإمام رئيس حزب الأمة دعوة للمكتب السياسي لاجتماع استثنائي وعاجل بتاريخ الجمعة 28 مايو 2004م حيث خاطب المكتب بما رآه من ملاحظات ورؤى حول الاتفاقيات الموقعة في 26 مايو، وناقش المكتب السياسي الرأي حولها وكلف اللجنة السياسية لبحث كافة الرؤى ومن ثم بلورة رأي الحزب النهائي.
اجتمع المكتب السياسي جلسة أخرى يوم الاثنين 31 مايو، وذلك لاستعراض نتائج دراسة اللجنة السياسية للاتفاقيات.
قدم مولانا عبد المحمود حاج صالح الرأي حول اتفاقية قسمة السلطة، وتواصلت النقاشات حتى خرج (رأي حزب الأمة في بروتوكولات السلام) ونشر بالإعلام في التاسع من يونيو 2004م.
رحب حزب الأمة بالوصول للاتفاقيات والإيجابيات التي فيها وأشار للسلبيات التي اكتنفتها، مكررا مطالبته بمجلس قومي يقوم بالتبني والتصحيح وإجلاء ما غمض، وأنه (إذا اكتفى طرفا الاتفاق بالوضع الثنائي والتزما بتنفيذ ما اتفق عليه من بسط الحريات والشفافية وضبط الميزانيات وسائر المبادئ التي رحبنا بها فإننا سوف نعمل على تكوين معارضة ديمقراطية

عريضة هدفها دعم الإيجابي من اتفاقيات السلام والعمل بكل الوسائل المدنية على تصحيح ما عداه.. السودان أمام فرصة تاريخية هامة تحيط بها تيارات في أفريقيا والعالم العربي والإسلامي كلها تتطلع للتحول الديمقراطي، لذلك فإننا إذ نعمل للسلام العادل والتحول الديمقراطي في السودان نخوض موجة تاريخية لا تقهر).

اتجه الحبيب الإمام نحو الدوحة، في صباح 6 يونيو، والتقى هناك بالديوان الأميري القطري بالشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، أمير قطر، باحثاً تطورات عملية السلام في السودان وضرورة الإجماع الوطني وحضور العرب والمسلمين للاتفاق والمشاركة في عملية التنمية وإعادة التعمير.

وفي الأثناء كانت التحضيرات تجري ليقوم الحبيب الإمام بزيارة لولايات دارفور تفقداً لأحوال الأهل هناك وتلمساً لرؤاهم حول مقترحات حزب الأمة بشأن تحقيق السلام هناك.

## تفقد حريق دارفور

في الفترة ما بين 20-22 يونيو 2004م عقدت أمانة الدراسات والبحوث بحزب الأمة ورشة عمل تحت شعار (معاً من أجل حل أزمة دارفور)، قدم فيها الحبيب الإمام الصادق المهدي ورقة عمل للإصلاح الجذري في دارفور الكبرى. أشار فيها لخطر التدويل الخبيث: *(الموقف في دارفور الآن هو أن مجلس الأمن قد بحث الكارثة ثلاث مرات وأن قوة 75% أفريقية و25% أمريكية أوربية سوف ترسل لدارفور لمراقبة وقف إطلاق النار. كما أن مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون إفريقيا شارلي سنايدر وجه إنذارا للحكومة السودانية في 2004/6/14، فحواه: إذا لم تعمل على احتواء كارثة دارفور فلن تطبع أمريكا علاقاتها حتى إذا أبرمت اتفاقية السلام لإنهاء الحرب مع الجيش الشعبي لتحرير السودان. وإنه ما لم يوضع حد للمأساة في دارفور فإن الولايات المتحدة سوف تتخذ موقفا آخر).* وقدم في النهاية الحلول المرجوة. وخرجت الورشة بتوصيات تفصيلية تعرضت لمختلف المحاور المبحوثة.

مباشرة بعدها توجه الحبيب الإمام في وفدٍ رئاسي لزيارة دارفور وتفقد أحوال الناس هناك فليس من رأى كمن سمع.

كانت فكرة ذهاب الحبيب الإمام لدارفور قد برزت منذ فترة ولكن كان تنظيم الزيارة بالشكل المطلوب يتطلب إمكانيات وتنسيقاً، وفي الأثناء سافر وفد عالي المستوى يتكون من دكتور بشير عمر فضل الله، ود. حسن إمام حسن، والفريق (م) صديق محمد إسماعيل، والذين زاروا ولاية جنوب دارفور بتكليف من الحبيب في الفترة من الأحد 11 أغسطس 2002م إلى الجمعة 16 أغسطس 2002م. وكان من ضمن أهداف الزيارة نقل سؤاله وتحياته للقواعد وشرح الأسباب التي حالت دون زيارته لدارفور حتى حينها[219].

واتجه وفدان مركزيان آخران بمستوىً عالٍ، في نهاية خريف 2002م لتفقد أحوال الأهل وتقديم التعازي في عدد من الوفيات نتيجة النزاع المسلح بدارفور. أحدهما اتجه لمدينتي الفاشر والجنينة عاصمتي ولايتي شمال وغرب دارفور بقيادة الحبيب الدكتور آدم مادبو رئيس المكتب السياسي حينها. والثاني توجه لعدد من مدن جنوب دارفور وكان بقيادة الحبيب السيد

[219] تقرير اللجنة في أغسطس 2002م

صلاح عبد السلام رحمه الله وعضوية كل من مولانا آدم احمد يوسف من هيئة شؤون الأنصار ود. مريم الصادق رئيسة قطاع تنمية المرأة، والأستاذ حامد بلة من أجهزة حزب الأمة.
تقول مريم: (بدأنا انطلاقتنا من نيالا، وكنا نذهب منها للمنطقة المعنية ونعود إليها لننطلق لمدينة أخرى. استغرقت الرحلة أكثر من ثلاثة أسابيع. زرنا عديلة والتبت لأهلنا المعاليا، والضعين لأهلنا الرزيقات، برام لأهلنا الهبانية، تلس لأهلنا الفلاتة، وحاولنا وصول رهيد البردي لأهلنا التعايشة. ولكنا انتظرنا الوادي الذي كان ممتلئاً بالماء المندفع لليلتين ولم ينحسر. فعدنا أدراجنا دون مقابلتهم بعد أن وصلنا لمرمى حجر منهم.)[220] كانت عزة ابنة مريم حينها رضيعة بعمر تسعة شهور وقد تركتها وعانت كثيراً مثلما ذكرت أثناء الرحلة ثم لدى عودتها لاستئناف الرضاعة. وحينما ذهبنا في الوفد الرئاسي بعدها لدارفور كان جميع الذين لاقيناهم هناك يذكرون ذلك الوفد وكيف عكست مريم صورة مخالفة للإكليشيه النسائي المعروف بطوافها وصبرها على ظروف الشدة وخوضها مع الرجال في (التمدات) وهم يذرعون ريف دارفور.
الشاهد، في اليوم التالي لختام ورشة دارفور، الأربعاء 23 يونيو 2004م اتجه وفد حزب الأمة الرئاسي في طائرة خاصة قاصداً الفاشر، ومنها الجنينة ثم نيالا[221].
ضم الوفد إضافة للحبيب الإمام الصادق المهدي الأحباب والحبيبات د. عبد النبي علي أحمد الأمين العام رحمه الله، السيدة سارا الفاضل مساعدة الرئيس لشؤون المنظمات رحمها الله، اللواء م فضل الله برمة ناصر مساعد الرئيس، السيد تبيرة هباني مساعد الرئيس للشؤون الاجتماعية رحمه الله، السيد إسماعيل آدم علي مساعد الأمين العام لشؤون التنظيم، السيد محمد ساتي علي أمين الإعلام، السيدة سمية عبد الرحمن النجومي رئيسة لجنة الخدمات بالمكتب السياسي، السيد عادل المفتي عضو مجلس الحل والعقد بالهيئة، والسيد منصور حسن أمين الوكلاء بالهيئة، رباح الصادق مكتب الإمام الخاص، طارق كسلا من مكتب الإمام الخاص للتوثيق، السيد أبو بكر عبد المجيد والسيد بشرى الصادق من مكتب الإمام الخاص للتأمين.
كان برنامج الوفد في كل مدينة يحتوي على: لقاء شعبي مباشرة بعد وصول الإمام. وزيارة لمعسكرات النازحين. وندوة في المساء (فيما عدا الجنينة حيث لم يبق الوفد فيها حتى المساء)، ولقاء مع المسئولين بحكومة الولاية المعنية (لم يحدث ذلك في الجنينة). وزيارات اجتماعية لبعض بيوت كبار الأنصار وحزب الأمة في الولاية، ولقاء بوفود المحليات التي جاءت لمقابلة الوفد. وفي الفاشر كان هناك لقاء بوفد من الحزب الاتحادي الديمقراطي.

---

[220] إفادة من مريم الصادق في ديسمبر 2016م بغرض التوثيق لهذه السيرة

[221] كانت رحلة وفد حزب الأمة بقيادة الإمام رئيس الحزب عبر الطائرة YAK-40 التابعة لشركة تيكو للطيران. أقلعت الطائرة من مطار الخرطوم حوالي الساعة 7:40 صباح يوم 23/ 6/ 2004م متجهة لمدينة الفاشر حيث وصلت مطارها في الساعة 9:40. واتجهت في الساعة 10:15 صباح اليوم التالي من الفاشر للجنينة التي بلغت مطارها الساعة 11:05 صباح يوم 24 يونيو 2004م. وغادرت مطار الجنينة في الساعة 4:55 لتكون بمطار نيالا عند الساعة 5:50 عصر يوم 24 يونيو. وطارت أخيراً من مطار نيالا في الساعة 6:04 من مساء اليوم التالي، الجمعة، لتقر في مطار الخرطوم في الساعة 8:10 مساء يوم الجمعة 25 يونيو 2004م.

وسوف أحاول رسم ملامح تلك الرحلة من تقرير كتبته يومها معتمدة على إفادات بعضها مكتوب وغالبيتها شفاهية. لعكس ما اطلع عليه الحبيب الإمام ووفده حينها فيما يتعلق بمعسكرات النازحين والوضع الأمني، وكلمات اللقاءات الشعبية.

## معسكرات النازحين

معسكرات النازحين بحسب الإفادات التي ذكرت للوفد بلغت حينها مائة ألف ومليون وزيادة (بالطبع ازداد العدد جداً ووصل الآن لحوالي 3 مليون نازح ولاجئ). بيان تلك الأعداد كالتالي:

| عدد النازحين | عدد المعسكرات | الموقع |
|---|---|---|
| 430.000 | 7 | جنوب دار فور |
| 350.000 | 8 | غرب دار فور |
| 330.000 | 11 | شمال دار فور |
| 1.110.000 | | |

الأغلبية الساحقة من هؤلاء النازحين من أصول قبلية ثلاثة: فور، زغاوة، ومساليت. وهم يروون قصة واحدة فحواها: هجم علينا رعاة واستباحوا مزارعنا، نهبت أموالنا كلها. أحرقت قرانا. ضربتنا طائرات من الجو. وفي الأرض هاجمتنا قوى مسلحة غير نظامية تلبس زيا عسكريا وتمتطي خيلا وإبلا. استهدفنا لأرضنا، ومالنا، ولون جلدتنا. قصة يجمع عليها النازحون ويؤيدها دون تحفظ زعماء قبائلهم الموجودون في المدن الكبيرة، كما يؤيدها المثقفون من أبناء هذه القبائل، وفي الجنينة أيدها أمامنا قيادات المؤتمر الوطني من أبناء المساليت. وهم يعتبرون أن العدوان عليهم مدعوم من الحكومة أو من عناصر بعينها داخل الحكومة.

**في الرحلة قام الوفد بزيارة كل من: معسكر أبو شوك للنازحين في الفاشر وكان به حينها حوالي 43 ألف نازح. ومعسكر للنازحين في الجنينة به حوالي 54,218 نازح. ومعسكر كلمى للنازحين في نيالا به حوالي 30 ألف نازح.**

المعسكرات كانت مبنية من المواد المحلية (الحصير والقش) ومعروشة بمشمعات من البلاستيك في وحدات المأوى. وبها مراكز صحية ومدارس أقامتها المنظمات العالمية مبنية على هياكل من الحديد وملقمة بالبروش (الحصير). وبها وحدات للمياه وآبار صحية أشرفت عليها أيضاً المنظمات العالمية خاصة اليونيسيف. ويتم فيها تسجيل النازحين ويُعطى النازح المسجل كرت يستطيع بمقتضاه الاستفادة من خدمات المعسكرات. تُصرف للنازحين مئونة شهرية غالباً عبارة عن عدس وذرة وزيت، كما تصرف لهم قطع من الملابس وأغطية وملاءات بأعداد محدودة في بعض المعسكرات. وإن كان الوضع في الغالب أنهم يكتسون بالملابس التي أتوا بها من قراهم.

**مشاكل المعسكرات بحسب من لاقيناهم، هي:**

- الغذاء مشكلة في بعض المعسكرات حينها مع توقع تفاقمها مع فشل الخريف المرتقب والمليون وزيادة الذي هجر زراعته.
- مشاكل ضبط تسجيل النازحين مع رغبة بعض سكان المدينة في الاستفادة من الخدمات.

- بعض النازحين يدخلون المدينة ولا يحصلون على الخدمات.
- الوقود مشكلة رئيسية تؤدي إلى انهيار البيئة مع القطع العشوائي للأشجار.
- بعض المعسكرات (خاصة الجنينة) تعاني من انعدام الأمن حتى داخل المعسكرات حيث يتم نهب الأجهزة الكهربائية والبهائم، كما يتم الاعتداء على المحتطبين بقتل أو ضرب الرجال واغتصاب النساء أو إيذائهن من قوات الجنجويد.
- بعضها يعاني مشاكل صرف صحي كبيرة خاصة معسكرات نيالا حيث يعيش النازحون في حالة "ميعة" حتى قبل هطول الأمطار.
- ازدياد نبرة الكراهية العنصرية.
- انعدام الأمن في بعض المعسكرات، خاصة في الجنينة، حيث يتعرض الرجال للضرب والقتل والنساء للاغتصاب إبان الاحتطاب.

**معسكر أبو شوك بالفاشر**

زار الحبيب الإمام الصادق المهدي ووفده هذا المعسكر ظهر 23 يونيو 2004م.
أكد الوالي حينها السيد محمد عثمان كبر أن مخزون المعسكر من الدواء والغذاء كان كافيا، ولكن غذاء المعسكرات سيكون مشكلة بعد نهاية شهر يوليو خاصة بعد الخريف. وأن المعسكرات مغطاة تماماً بـshelters (وذلك غالباً في وحدات مأوى من مشمعات البلاستيك). وأنهم وزعوا التقاوي للأحياء. وأن أول الهموم الآن إرجاع النازحين ليلحقوا الخريف وذلك عبر تأمينهم تأميناً كاملاً.
بعد زيارة المعسكر تأكد للوفد أن هنالك حالات سوء تغذية وإسهالات بين الأطفال كما توجد حالات حصبة وأن الوضع الصحي ليس مطمئناً تماماً.
أما الغذاء فحسب إفادات المسئولين من برنامج الغذاء العالمي أن البرنامج WFP يمد المعسكر بأكثر من 70% من مخزونه للغذاء، وأن النسبة الباقية تشكل فجوة يجب أن تملأها المساهمات الحكومية والوطنية والعالمية المختلفة، كما أكدوا على كلام الوالي من أن المخزون الموجود حينها يكفي لشهر فقط.
وفي المعسكر اطلع الوفد على الاستعدادات لبدء العام الدراسي وتفقد المباني المصنوعة من المواد المحلية التي أعدتها اليونيسيف لذلك الغرض. كما شاهدنا مئات النازحات يقفن لاستلام حصتهن الشهرية في صفوف مكدسة، إذ يتم صرف المئونة للنازحين مرة كل شهر بإعطائهم حصتهم من الزيت والقمح والعدس.

**معسكر أردمتا بالجنينة**

وصلنا معسكر النازحين بالجنينة في الساعة 11:30 من صباح يوم 24 يونيو 2004م.
الأكل تمد به المنظمات أهمها برنامج الغذاء العالمي. الماء وإصحاح البيئة والآبار الصحية خدمات تقدمها اليونيسيف Unicef . المأوى shelter تمد بد منظمة NFI، بينما تمد الحكومة بالمعلمين والعاملين. والصرف الصحي يتكفل به كل من المشروع الحكومي لمعالجة المياه واليونيسيف.
ولدى لقاء عدد من النازحين بالمعسكر سألهم الحبيب الإمام الصادق لماذا أتوا؟ فأجابوا أنهم جاءوا بسبب الصراع الدائر وانعدام الأمن. وقالوا إن سياسة الحكومة الآن إعادتهم للقرى

قبل الخريف. فقد أتى وفد وزاري برئاسة وزير الداخلية عبد الرحيم محمد حسين لإعادتهم قبل نهاية الشهر.
بالمعسكر 160 شيخاً (النازحون يسكنون طبقا لإداراتهم وشيوخهم) كل شيخ يفده حوالي 30-40 نازحاً جديداً يومياً.
أحد شيوخ المعسكر قال: حتى في المعسكر لا يوجد استقرار. وحتى الآن الوفود قادمة. نعاني من انعدام الأمن حيث تهاجمنا الخيول والجمال، وبعض لبَسَة الكاكي: أي الجيش الرسمي، يساعدون مهاجمينا. وأكد قائلاً: لن يرجع النازحون حتى يضمنوا الأمن. الآن داخل المعسكر يوجد هجوم. أمس بعد صلاة المغرب أتى 6 أشخاص يمتطون الدواب، دخلوا علي وأخذوا مني جهاز الراديو، إجبارياً.
بالنسبة للمعيشة: بعض الناس تسلموا كروتاً والنصف ليست لديهم كروت. المسجلون يعطون تموينا غير كافٍ. عندنا مركزان صحيان سعتهما 50 حالة يومياً ويُرجعان ما يزيد عنها. جزء من التلاميذ مقبول في المدارس وجزء آخر غير مقبول. رسالتي لوزير الداخلية إن أراد إرجاعنا لقرانا: إذا عمرتم قرانا وأعطيتمونا حقنا المنهوب (بقر، ذرة وجميع الممتلكات التي فقدناها)، وإذا نزعتم السلاح والحصان والجمل فممكن أن نعود.. الآن البلاغات على التعديات ممنوعة، عدد العساكر في قسم البوليس 3 أفراد، يوجد قتل في المعسكر ونهب و(إفساد النساء، ووراءهم جهات دايرين ينتهوا من اللون الأسود دة!.. نحن بس دايرين عدالة).. (كنا بنزرع جاءونا وبالسلاح أوقفوا زراعتنا ونهبوا البهايم وحدث ذلك في كل القرى المجاورة، الناس الموجودة هناك الآن آتية. جئنا للجنينة ليلاً بأرجلنا).
إحدى النازحات قالت: (اغتصاب النساء شيء طبيعي هنا وضربهن. العرب هم الحكومة في هذه البلد لابسين الكاكي ومسلحين. سودانيين مننا وفينا ومعروفين. إذا طلع راجل في الخلا يقتلوه. أمس في المعسكر عرب بحصينهم شالوا المشمعات. في المعسكر نحن مساليت وتاما وزغاوة . الآن الأرض كلها رماد، محروقة. لازم تساعدونا. خلوهم يشيلوا السلاح من العرب).

**معسكر كلمى**

معسكر كلمى للنازحين بولاية جنوب دار فور تشرف عليه مفوضية العون الإنساني. كانت زيارتنا له يوم الجمعة 25 يونيو 2004م.
حال وصول الحبيب الإمام إلى المعسكر التف حوله المواطنون والمشايخ حيث يوجد شيوخ للفور وللزغاوة والمساليت ويوجد رئيس للمشايخ تحدث نيابة عنهم للحبيب الإمام، فوصف الظروف القاسية التي يعانون منها سأله الحبيب الإمام عن عدد المقيمين في المعسكر ونسبة النساء بينهم، وعن الجهة التي ضايقتهم والأسباب التي دفعتهم للنزوح وأوضاعهم الأمنية والتعليمية والجهات التي تمولهم ونوع المساعدات التي تقدم لهم، فقال: يوجد في المعسكر ثلاث وثلاثون ألفاً من النازحين من قبائل الزغاوة والفور والمساليت ونسبة النساء فيهم بين 65% و70% بالتقريب حيث لم يقوموا بإجراء إحصاءات دقيقة، وقال إنهم يعتمدون على المنظمات في الطعام حيث يقدمون لهم القمح والزيت والعدس فقط، وفي الوقود يعتمدون على الحطب تحضره النساء من المناطق الغربية التي لا تبعد عن المعسكر بأكثر من كيلو ونصف لأن الذهاب إلى أبعد من هذه المسافة يعرض حياتهن للخطر.

أما التعليم فهو معطل تماماً فهناك مدرسة حكومية بها 2500 تلميذا وتحتوي على ثمانية فصول وثلاثة معلمين، وهناك مدرسة تابعة للعون القطري بها ست فصول سعتها 1800 تلميذا أحضرت لها وزارة التربية ثلاثة معلمين وهناك 1600 تلميذ "فاقد تربوي" وكان أبناء النازحين أنفسهم يقومون بالتدريس وبالفعل درّسوا لمدة ثلاثة أشهر ولم يحصلوا من وزارة التربية على أية حوافز برغم حاجتهم الماسة، فتوقفت المدرسة.

وعن الأسباب التي دفعتهم للنزوح قال إنهم جاءوا من مناطق حول مدينة كاس، وقد أتلفت زراعتهم حيث هجمت عليها البهائم من غنم وضأن وبقر وخيول وهذا الهجوم وراءه مسلحون يلبسون (الكاكي) ولديهم أجهزة اتصالات، فوجد الناس أنفسهم فقدوا الزرع ولم يكن لديهم بهائم فكل هذا المعسكر لا يملك بقرة واحدة والزراعة التي زرعوها لم يحصدوا منها سوى 10% أو أقل ولا توجد أية جهة ليتقدموا إليها بالشكوى و70% من هؤلاء النازحين قراهم محروقة تماماً، وعندما سأله الحبيب الإمام لماذا جاءوا إلى نيالا وليس كأس أو زالنجي قال إن كأس غير آمنة وبها نهب مسلح.

سأل الحبيب الإمام عن كيفية مجيئهم إلى المعسكر هل هناك جهة نظمت انتقالهم؟ فقال إنهم لم يأتوا بانتظام ولم تنظمهم جهة فهناك أناس جاءوا قبل سبعة أشهر وهناك من جاءوا قبل ستة أشهر وقبل أسبوعين وهناك من جاءوا قبل يوم واحد وكل يوم هناك حضور جديد.

وعن الخدمات الصحية والعلاج قال أحد المقيمين بالمعسكر إنهم يعانون كثيرا حيث لا يوجد أي علاج وهناك نساء وضعن في العراء بدون توفر فراش لهن أو خيمة.

وعن الأوضاع الأمنية في المعسكر قال رئيس المشايخ إن شيوخ القبائل هم الذين يحلون المشاكل، وقال للحبيب الإمام: نريد منكم حلاً شاملاً للمشكلة.

استمع الحبيب الإمام إلى مجموعة النازحين الذين حدثوه عن معاناتهم وشكروه على زيارته وعبروا له عن امتنانهم له حيث كان السياسي الوحيد الذي جاء إلى معسكرهم ورآهم بعينه، على حد تعبير أحد النازحين.

وجدنا في المعسكر منظمات أطباء بلا حدود (هولندا)، والهلال الأحمر، والصليب الأحمر الدولي، وكير انترناشيونال، ووكالة العون النرويجية، وأطباء بلا حدود (بلجيكا)، تشرف على توفير الغذاء والمراكز الصحية فأي منظمة عندها مركز صحي. اليونيسيف من أكثر المنظمات عملاً في حقل المدارس أنشأتها من المواد المحلية وأنشأت مراكز صحية. وكانت هنالك مشكلة صرف صحي.

### الحالة الأمنية في المدن والولايات الثلاث

الحال في شمال دارفور كما وجدناه كان أقل سوءً منه في الجنينة أو نيالا، وبرغم ذلك فقد كانت المدينة مختنقة! وتشهد الكثير من المنظمات العاملة في دارفور أن حكومة شمال دارفور كانت الأكثر تعاوناً معها وقد سمحت لها بالعمل للإغاثة والحماية حتى قبل الحملة الإعلامية العالمية التي تصاعدت أنذاك. وكانت شكاوى وفود الحزب بالمنطقة منحصرة في الحديث عن نهب وسلب وقلة أمن في القرى بدون الإشارة لخطط تصفية عرقية بشكل محدد، بينما وجدت شكوى من القصف الجوي للمدنيين في القرى. وكان وضع النازحين والإحصائيات بشأنهم أكثر دقة كما كانت إفادات الوالي أكثر صراحة. بل كان الوالي متعاوناً

لدرجة كبيرة مع تنظيم الحزب هناك وتمت ضيافة الوفد في مقر تابع لحكومة الولاية، واستضاف الوالي الحبيب الإمام والوالدة سارا رحمها الله في منزله، وقد طلب مني ليلا الانضمام إليهم في منزل الوالي لكني لم استسغ الفكرة ولا حتى النزول في الضيافة الحكومية. كانت فكرة التنسيق مع الحكومة مرفوضة حتى من رئيس الحزب بشمال دارفور حينها الحبيب الأستاذ إسماعيل كتر ولكنه نزل لدى قرار مؤسسة حزبه بقبول عرض الوالي كبر باستضافة وفد حزب الأمة المركزي رسمياً، وأجرى التنسيق سكرتير الحزب بالولاية حينها الحبيب الدكتور محمد آدم عبد الكريم.

أما الوضع الأمني في الفاشر فقد وجدناها ومنذ ضربة الفاشر في أبريل 2003م مخندقة كما ذكرت، إذ كانت محاطة بسور رملي وخندق لمنع العربات الدخول إلا عبر بوابات معينة محروسة، وتسري على المدينة كما على الجنينة ونيالا الأحكام العرفية وحظر التجمع ليلا.

**الجنينة**

كانت الجنينة حاضرة غرب دارفور مدينة منعدمة الأمن تماما، يكثر فيها وجود (فرسان) الغارات والأهالي يعتبرونهم كلهم من الجنجويد ويؤكدون أنهم يقومون بغارات السلب والنهب والقتل.. كما يظنون أن جزءً كبيراً منهم من قبائل عربية غير سودانية حديثة الوفود ومنهم من قبائل عربية تشادية وفدت للمنطقة منذ مجاعة عام 1984م. هنا برزت بشدة روايات التصفية العرقية، وكان الحديث يتردد عن غارة حدثت قبل ثلاثة أيام من زيارتنا على سجن المدينة تم فيها إطلاق سراح كل المجرمين، وذلك بعد أن تم القبض على أحد الجنجويد وكان قد قتل أحد المساليت نهاراً جهاراً في سوق الجنينة.

تتعرض معسكرات النازحين في الجنينة للغارات ولا يأمن الرجل إن خرج الاحتطاب على روحه كما لا تأمن المرأة أن تغتصب أو يساء إليها بشكل أو آخر.

وفي الجنينة قابل الوفد جماعة من أعضاء المؤتمر الوطني وقال أحدهم للحبيب الإمام، وهو محافظ الجنينة وعضو بالمؤتمر الوطني، إن مزرعته حرقت وقطعت فيها خمسمائة شجرة مثمرة. وهنالك أحد أعضاء وفد المؤتمر الوطني شكا من أنه حرقت له أربع جناين: واحدة فيهن مشروع موز بالماكينات. وتحدثوا بمرارة أنه لم يقبل منهم حتى فتح بلاغ ضد الجرائم التي ارتكبت بحقهم إذ صدرت توجيهات للشرطة بعدم فتح بلاغات حول هذه التعديات. وقالوا إن ذلك حدث لهم (لأنهم إثنياً مساليت)! كما أكدوا أنهم نقلوا للحكومة في الخرطوم كل شيء، ولا ترغب في التدخل محاباة للجناة!

ثم سألهم الإمام هل العرب الذين يعتدون سودانيون؟ فقالوا إن بعضهم سودانيون وآخرون تشاديون وموريتانيون وسنغاليون. وقد جزم بعض أعضاء الوفد المؤتمروطنيين أن تصرفات هؤلاء غير سودانية، فهم يلقون بالرضع في النار، وقالوا ربما بعضهم بقايا النزوح من تشاد إبان المجاعة عام 1984م حيث نزح حوالي خمسون ألفاً حاولنا أن نعيدهم ولم يرجعوا، قالوا: هؤلاء ذابوا في المنطقة وربما أثروا أثرا كبيرا في تغيير طباع السودانيين العرب أنفسهم. وأكدوا أنهم كلهم عرب، لكنهم مختلفين ومن عناصر كثيرة ومتفلتين عن قبائلهم. كما يشجع البعض منهم أن هنالك ثارات قديمة بين القبائل، إضافة لأعراف العفو بين القبائل والمؤتمرات القبلية التي تحمل القبائل على دفع دية أبنائها المجرمين مما يشجعهم على التفلت، هذا المناخ برأيهم سهّل العنف.

سألهم الإمام هل هناك خطة لإخلاء الأرض واحتلالها؟ فأجابوا أنه وبصورة واضحة لم تبد لهم خطة لكن حرق الأرض وقطع الأشجار يشي بذلك برغم إنكار قياداتهم التخطيط لذلك.
كما أفاد أحد أعيان مدينة الجنينة بالتالي:
أحداث العنف البالغة التي شهدتها ولاية غرب دارفور بدأت مع بداية شهر أكتوبر من عام 2003م. دخلت القبائل العربية المسلحة المناطق الزراعية وأتلفتها عنوة بقوة السلاح، وقامت بقتل المزارعين والترهيب، ثم أبادت كل الموسم الزراعي لمنطقة دار مساليت عامة. وبعدها بدأ النهب المسلح المنظم. حيث يأتي أفراد يرتدون الزي العسكري وهم مسلحون من قبل الحكومة، تحت مسميات الدفاع الشعبي، الفرسان "الجنجويد" أو قوات السلام، يمتطون الخيول والجمال وبإعداد هائلة 150- 50-200، كما يسمون بقوات "باشمرقة". أغاروا على كل قرى دار مساليت. نهبوا، وقتلوا، وسلبوا، واغتصبوا النساء والفتيات وحرقوا القرى، تساندهم قوات الحكومة بالهيلوكبترات وعربات ودبابات "لتغطيتهم" تتبعهم من الخلف، مما اضطر مواطني دار مساليت إلى اللجوء للدولة المجاورة تشاد، وآخرون نزحوا للمدن وشبه المدن "الجنينة، هبيلة، مستري، قبررنا، مورني، سربا- صليحة، وأب سروج". تركز النازحون في هذه المدن أو شبه المدن. وبعدها تم حرق القرى المتبقية كاملة.. هذه الأفعال هي ممارسة لإبادة عرقية أو تطهير عرقي بالمعنى المعروف ولم يبق في الريف سوى القرى المحروقة، وهذا ما حصل في دار مساليت. ونزحت بعض الإدارات القبلية الآن إلى دولة تشاد والآن موجودة في معسكرات فرشنا وحجر حديد وقوز بيضة وأبو عرديب "في تشاد".
لا يستطيع أحد الآن التحرك خارج المدينة لمدى أكثر من 3 كلم فقط. قبل أسبوع كان البعض عائدين من المعسكرات لقراهم تم قتلهم، وقدر ما ناشدنا الحكومة للتصرف لم تتحرك. أخيراً استأجرنا من أولئك الفرسان أنفسهم من يقوم بدفنهم فقد ظلت جثثهم بالعراء لمدة 12 يوماً.
نحن كقيادات نناشد الضمير الإنساني السوداني والأحزاب السياسية. ونقول إن ما حصل بدارفور ليس من شيمة السودانيين على الإطلاق. وعليه نرجو التدخل فوراً لحل هذه المعضلة الصعبة بالنسبة لأهالي دارفور وخاصة دار مساليت.
استُجلب هؤلاء الناس من مالي وموريتانيا والنيجر وتشاد بالإضافة للقبائل العربية التي نزحت من تشاد من قبل وموجودة في السودان.
نحن كإدارة أهلية تفصلنا حدود طبيعية بيننا وبين جمهورية تشاد "وادي كجا واسنقاء".
هنالك إدارات أهلية عربية مشتركة في هذه الأعمال، وذكر أسماء بعض أمراء القبائل الضالعين بحسبه في تلك الأعمال، وقال: هؤلاء أعطتهم الحكومة عربات. كل القبائل العربية الحكومة أعطتها عربات، بخلاف القبائل الزنجية الموجودة من فور وزغاوة ومساليت. وبين القبائل الزنجية فإن كل من يحتج يخضع للاعتقالات غير المشروعة والتعذيب. ولذلك ففي غالب الأوقات يعمل مسئولو الإدارة الأهلية على ضمانة أهاليهم المقبوض عليهم. (أطلعنا على نسخة من وثيقة الضمانة التي يحررها مسئول الإدارة، مثلا الفرشة لدى المساليت، بضمانة عدد من أفراد قبيلته حتى لا يتعرضوا للتنكيل).
**نيالا**

في نيالا حاضرة جنوب دارفور كان الأمر مختلفاً من ناحية أن نيالا نفسها الأخطار الأمنية فيها أقل من الجنينة، صحيح حدثت حالات تفلت أمني متفرقة ولكنها ليست كالجنينة مليئة بالفزع حتى داخل المدينة[222].

**اللقاء الشعبي بالفاشر**

عقد لقاء في ميدان النقعة بالفاشر مباشرة بعد الوصول، وتحدث فيه السيد إسماعيل كتر "رئيس الحزب بالولاية" بكلمة ترحيبية، ثم تحدث الإمام قائلاً للحشد الكبير: أنا وزملائي نشكركم شكراً جزيلاً رسميين وشعبيين، حزبيين ومستقلين، رجالاً ونساءً، شباباً وأطفالاً، على حسن الاستقبال وعلى هذا الاستبشار. مؤكداً إدراكه لأنهم لا يرحبون بالأشخاص ولكن بالمعاني التي يمثلونها. ثم أكد أن السلطة لا تكون شرعية ما لم تكون منتخبة انتخاباً حراً.

وتحدث عن الإساءات التي وجهتها لحزب الأمة وكيان الأنصار سلطة الإنقاذ وقال: شرّدنا وسجنا وعوقبنا وأسيء إلينا. وبرغم ذلك فإنه لم يمنعنا أن نكون موضوعيين وباحثين عن مصلحة السودان بدون سعي للانتقام.

وقال الحبيب إنه كان في يوم الانقلاب يزمع القدوم للفاشر لحضور المؤتمر الذي أعد له لعلاج مشاكل دارفور الكبرى. ولكن قامت السلطة الانقلابية فمنعت ذلك وأن ذلك اللقاء تأخر خمسة عشر عاماً.

ثم تطرق لأسباب الخلاف مع الإنقاذ وهو أنهم حاولوا أن يحزبنوا الإسلام، وحاولوا أن يحزبنوا السودان، وأن يؤكدوا للجميع أن الإسلام ما رآه حزبنا وأن السودان هو ما في حزبنا.

ثم تطرق لسياسات الإنقاذ وكيف حاولوا تغيير التركيبة الإدارية والسياسية في المنطقة وأن هذه السياسات فشلت، وتأكد أنهم حاولوا أن يخلعوا الجذور الواقعية في التركيبة الاجتماعية ليغيروا ولاءها الديني والسياسي. صحيح أضعفوها ولكن طلت علينا شياطين بثلاث رؤوس: شيطان القبلية، وشيطان العنصرية، وشيطان الاستعانة بالأجنبي.

الآن أدركوا أنه يمكن الاتفاق على أن الإسلام يخص كل المسلمين وهو شورى بينهم لا يفرض واحد على الآخرين رؤاه. وأن السودان ملك لكل السودانيين لا يمكن الاحتكام على أساس وراثي ولا بالسلطة، ولكن برأي الشعب السيد فوق كل سيد. وباختيار الشعب هو الذي يقرر من يحكم والتداول السلمي للسلطة.

كل من أساء لنا نقول له: الفش غبينتو خرب مدينتو.

رحلتنا هذه من أهم واجباتها: تفقد الأحوال، فليس من رأى كمن سمع، والاستماع للرسميين والشعبيين والحزبيين، والاطمئنان على الوضع الإنساني، والدعوة للحل السلمي العاجل والتعبئة له شعبياً.

نريد التأكد أن هنالك استعداد لتلبية حاجات النازحين وأيضاً استعجال بالتطبيع ليعودوا لأوطانهم ليلحقوا الخريف، والاستعداد بكل الوسائل ليجدوا الإغاثة ولا تحصل مجاعة.

[222] تقرير حزب الأمة حول زيارة ولايات دارفور، يونيو 2004م

وجئنا لكي نتأكد ونطمئن أن ترتيبات حماية المدنيين والعمل على وقف شامل كامل لإطلاق النار والمراقبة الدولية له بصورة مطمئنة. وأن هناك اتجاه عام لتجريد كل من ليسوا من القوات النظامية من السلاح.

والتأكد أن ما ارتكب من جرائم وتجاوزات أمكن إحصاؤها ومساءلة المسئولين عن ذلك للإنصاف والعدل.

كما جئنا لنبشر بحل صار متفقا عليه وقد وقعنا مع النظام وثيقة تفاهم مشتركة تقتضي إجراءات عاجلة، وهي: إصلاح إداري، مراقبة وضبط وقف إطلاق النار، إيصال المساعدات الإنسانية. ثم يعقد ملتقى جامع يضم: الأحزاب الممثلة في الجمعية التأسيسية 1986م. والحركتين اللتين ترفعان السلاح: العدل والمساواة وحركة تحرير السودان. ومثقفون من دارفور. وزعماء العشائر. ليجلسوا لمناقشة كل القضايا الأساسية والغبائن التي كانت سببا في المواجهات. لهذا الملتقى ستة بنود: سياسية، وتنموية، وإدارية، وقبلية وخدمية وأمنية تبحث لتتخذ قرارات بشأنها لكي يتخذ حل جذري.

يمكن أن يقال لنا لماذا لم تعملوا ذلك حينما كنتم في السلطة؟! نحن قمنا بإشراك كافة أبناء الولايات بشهادة الآخرين، كما أننا نعتبر حزبنا وكياننا له ميزة خاصة: التجربة الوحيدة التي اجتمع فيها أهل البحر والغرب على عمل واحد كانت المهدية، علينا أن نغرس تلك الرابطة. أيضا كل الحزام من الروصيرص شرقا إلى أم دافوق غربا تسكنه قبائل التماس من أهلنا البقارة الذين ينتمون لهذا الكيان. ثم أن كياننا أدرك أهمية القطاع الحديث وهو متجذر في القطاع التقليدي وبشكل رابطا. ومن ميزات كياننا الآن أنه الرقم الانتخابي الأول في الجامعات. وإذا وجد مغالط فهل من مغالطة حول ثقلنا في الريف؟ ما سيؤكد ذلك الانتخابات القادمة.

نحن نؤكد أننا إذا فزنا لن نستغل موقعنا لنسيء لأحد أو ننتقم من أحد أو نقصي أحداً، بل السودان للسودانيين.

ونقول إن على جيراننا القريبين والبعيدين أن يكونوا حريصين ويتفهموا هذه الحركة نحو التحول الديمقراطي والسلام في السودان ويدعموها فأي خلل يفيض عليهم.

نحن لا نريد أن نرجع للمرارات فالمستقبل قد يجمعنا والماضي يقسمنا:

**لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق**

**ندوة الفاشر المسائية**

انعقدت الندوة مساء يوم 23 يونيو بملعب الشهيد الزبير بالفاشر. تحدث أمين عام حزب الأمة بالولاية الدكتور محمد آدم عبد الكريم مرحباً بالحضور وشاكراً لسلطات الولاية على تعاونها في تنظيم زيارة وفد الحزب ثم قدم الدكتور عبد النبي علي أحمد الأمين العام للحزب والذي تحدث بدوره عن أهداف زيارة الوفد للإقليم..

وتحدث بعد ذلك الوالي محمد عثمان كبر وقال إنه وجدت علامات تعجب: ماذا ستفعل حكومة ولاية شمال دارفور مع زيارة الإمام والوفد المرافق له؟ و(كان لا بد لنا أن نتحمل المسؤولية ونتصرف بحكمة العقلاء وشجاعة الرجال. ما كان لنا ونحن مسؤولين أن نعمل غير الذي عملناه).

وقال إنه استمع إلى أهداف الزيارة التي فصلها الإمام في خطابه بالنهار وأكد: (كل أهداف زيارته نقرها ونبصم عليها بالعشرة).
ثم ثمن زيارة الوفد باعتبارها دليلاً على الاهتمام والتقدير للإقليم فالمثل يقول (الحن بالرجل). وكما يقولون: (العين بتشوف الدايراه والما دايراه والأضان بتسمع الدايراه والما دايراه لكن الرجل يتمشى محل دايرة).

**قالوا أتعشقه وهذى حالـه          يا حبذا وطني علـى علاتـــه**
**العيش حلو في سبيل رقيه          والموت أحلى في سبيل حياته**

الإمام قال الحجر المدفون ياهو الكسر المحرات . ونحن في دارفور نقول: الحجر المدفون بكتل الجراية فليس لدينا محرات في دارفور. ثم أكد الوالي أنه ورغم الحال السيئ إلا أنه يبشر بالحل:

**قل لمن يبصر الضباب كثيفا          إن تحت الضباب فجر نقيا**

وأكد قائلا: نرفض تماماً مبدأ حمل السلاح واستخدام العنف لتحقيق الغايات السياسية. ونؤكد أن المشكلة في دارفور ليست عرقية. إن حاملي السلاح والمتمردين هم الذين أشعلوا الفتنة بدون مبررات ولسنا معهم. والجنجويد ألبوا علينا العالم الخارجي ولسنا معهم.
ثم تحدث الحبيب الإمام الصادق المهدي مؤكدا على اتجاه الحزب للحل السلمي، ومضيفا أنه لا شك أن الانقلاب العسكري على السلطة هو قمة استخدام العنف لأسباب سياسية.
ثم تحدث عن اتفاقيات السلام وأكد أننا نرحب بها لحقن الدماء ووقف إطلاق النار والاتفاق على التحول الديمقراطي ولكن عندنا عليها بعض المآخذ، متطرقا لمسألة التشريع حسب بروتوكول مشاكوس والذي يقتضي أن يكون هنالك تشريع للشمال إسلامي وللجنوب علماني، وكيف أن حزب الأمة انتقد هذا الأمر مؤكدا أن هذا مخالف لروح الوحدة، وقد طرح بديلا أن يكون التشريع العام للبلاد قومي المصدر، وأن تطبق على المجموعات الوطنية المختلفة التشريعات الخاصة بها. كما انتقد في بروتوكول قسمة الثروة مسألة أن يعطى الجنوب 50% من بتروله باعتباره أيضا مبدأ يشجع الجنوبيين على طلب الانفصال والمطالبة ببترول الجنوب كله، والصحيح أن يقال إن ثروات البلاد كلها توزع على أساس السكان، ثم تعطى نسباً خاصة للجهات الأقل نموا لجسر فجوة التنمية، وتعطى نسباً لإعادة بناء ما دمرته الحرب في الجهات المتأثرة بالحرب. وتحدث عن ضرورة تحويل الاتفاق من ثنائي إلى قومي حتى يلتزم به الآخرون ويستدام.
كما تحدث عن الحل الجذري لمسألة دارفور معددا الإجراءات الفورية اللازمة.

**اللقاء الشعبي في مدينة الجنينة**

نزل الوفد في الجنينة بمنزل السلطان محمد بحر الدين، وهي أسرة عريقة في سلطنة دار مساليت، وملتقى أعراق عديدة، ففي بيت السلطات وجدنا زوجات ينحدرن من قبائل مختلفة، إحداهن من أسرة مادبو (ناظر الرزيقات)، وأخرى دنقلاوية، وهكذا هي بيوت سلاطين وقادة الإدارة الأهلية في دارفور.
من هناك اتجهنا لزيارة معسكر أردمتا للنازحين، ثم انعقد في الجنينة لقاء جماهيري بالميدان الشعبي وسط المدينة.

تحدث أولا رئيس حزب الأمة بولاية غرب دارفور السيد تاج الدين محمد بحر الدين مرحباً بالوفد وبالإمام، محيياً قادة الأحزاب السياسية الحاضرين، وتحدث عن الأحوال السيئة في الولاية.

ثم تحدث الحبيب الإمام الذي أكد أن هذه المدينة قد عاشت أياماً وشهوراً عصيبة آثارها ظاهرة.. وأنه كشخص قد زار الجنينة من قبل مندهش تماما **فهذه ليست الجنينة بل الحريقة!**

قال: كنا نريد أن نأتي للحديث حول قضايا سياسية وتنظيمية، ولكن المسألة صارت قضية حياة أو موت.

ثم تعرض لمسألة الفتنة العرقية التي رآها ماثلة بشكل فظيع بين الناس، وأكد أننا نحن السودانيون كشكول إثنيات، وأن أي إنسان يحاول أن يؤكد غير ذلك أو يحاول خلق فتنة لفصل السودانيين على أسس عنصرية شخص ملعون، فكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس بناء الله ملعون من هدمه!

وأكد أن السودان مكون من أربعة تكوينات: زنجية وعربية ونوباوية وبجاوية. وقال: حتى لو كنا جهلاء أو أغبياء ونريد أن نترك جزءاً منا يفني الآخر، فإن الدنيا اليوم والعالم اليوم لن يدع ذلك يحدث، وقد اتعظت الدنيا بما حدث في بوروندي: حيث احترب التوتسي والهوتو كل منهما يريد إفناء الآخر وخاضا حروباً بشعة ومجازر عرقية ومدافن جماعية ولكن ما النتيجة؟ لم يفلح أحدهم في اقتلاع الآخر بل حدث دمار وخراب لا أول له ولا آخر. إذا نحن عقلاء نمنع هذا منعاً للتدخل الأجنبي.

جئنا نطمئن على الأحوال ونبشر بالحل. لكن ما رأيناه هنا أسوأ من تقديراتنا، ونحن نعاهدكم، إننا سنحاول أن نغير ما رأيناه هنا بأقصى ما نستطيع.. حالة الخوف الموجودة.. حالة الفزع الموجودة.. حالة الوجع الموجود.. حالة التوجس الموجودة.. لن نألو جهدا حتى نحول الحريقة للجنينة!

لا بد من إصلاح فوري، إداري بحيث يكون المسئولون برضا الشعب. ومساءلة منتهكي الحقوق، وكفالة الأمن بنزع السلاح من حامليه، ومؤاخاة الأصفر والأخضر والأسود والأحمر والأزرق في السودان، وتكون الإدارات القبلية حقيقة ليست قائمة على توزيعات وهمية، إعادة المفزعين والمشردين (في حالة لا ترضي أي وطني ولا بد يهتز ضميره لها) فلا بد أن يرجعوا لأماكنهم ولكن لا يعودوا قسراً ولا قهراً ولا فرضاً ولا إجباراً بل برضاهم إلى مناطق يطمئنون فيها على زرعهم وضرعهم.

كنت أود الكلام عن اتفاقية السلام، لكن حالة الفزع والاضطراب التي رأيتها جعلتني أرى أننا نتكلم عن أشياء هامة صحيح، لكن هنالك أشياء أهم قضايا حياة أو موت. الآن همنا وأزعجنا وصار ذا أولوية كبرى أن نخرج من هذه الحالة.

**الندوة الجماهيرية بنيالا**

في نيالا توزع الوفد بين عدد من بيوت الأحباب هناك، ونزل الحبيب الإمام الصادق المهدي في دار الحبيب الصادق ميرغني زاكي الدين.

انعقد في عصر الخميس بساحة المولد لقاء شعبي تحدث فيه رئيس حزب الأمة بنيالا الحبيب زكريا أبو حبو رحمه الله، والأمين العام للحزب الدكتور عبد النبي علي أحمد رحمه الله.

وفي المساء كانت هناك ندوة جماهيرية حاشدة في نفس الساحة ألقى الحبيب إمام حسن فيها كلمة ترحيبية من هيئة شؤون الأنصار، وبعده اعتلى المنبر الحبيب الإمام الصادق المهدي بادئاً بالسلام على الجماهير وشكرهم وشكر الجهات الرسمية والحزبية والشعبية على حسن الاستقبال ثم أشار إلى أن أهل السودان اليوم يجب أن يكونوا جميعاً في خندق واحد، وقال إن الزيارة تهدف إلى مخاطبة ثلاث قضايا هي السلام العادل والتحول الديمقراطي وكارثة دارفور، وتحدث عن التطور التنظيمي والبناء المؤسسي الجديد في كل من حزب الأمة وكيان الأنصار، وأشار إلى تراجع النظام عن احتكار التحدث باسم السودان والإسلام ونبه إلى خطر التمزيق وخطر التدويل الذي يواجه السودان الآن وضرورة تداركه، ثم لخص رأي حزب الأمة في بروتوكولات السلام الستة الموقعة بين الحكومة والحركة الشعبية، كما طرح رؤية حزب الأمة لتطوير اتفاقية السلام.

وفيما يتعلق بدارفور عبر الحبيب الإمام عن حزنه البالغ لما يحدث في دارفور وحمّل سياسات النظام المسؤولية عن تمزيق النسيج الاجتماعي في دارفور كما أشار لأخطاء النظام في معالجة الأزمة والمتمثلة في الانفراد بالرأي والتضليل الإعلامي، ودعا إلى معالجة جذرية للمشكلة تبدأ بإجراءات عاجلة لنزع السلاح والإغاثة ثم بعقد مؤتمر قومي جامع لحل المشكلة سياسياً بصورة جذرية.

## المؤتمر الصحفي وتحقق المحذور

لقد كانت مشاهدات الحبيب الإمام الصادق المهدي وما استمع له في لقاءاته بدارفور والتي انتخبنا جانباً منها مزعجة للغاية، لقد كان المشهد في شمال دارفور أفضل نوعاً ما حتى ظننا أن ما يقال في الإعلام العالمي عن دارفور تهويلا، ربما لأن واليها كان أكثر مكرا من زميليه فحاول احتواء الوفد باستضافته وتنظيم تحركه ليرى المشهد من الجانب المعمول، بينما الواليان في الجنينة ونيالا كانا أكثر سفورا في وجهيهما الإنقاذي مما أتاح لنا رؤية الحقيقة. ومهما كان سبب الاختلاف، فإنه ما أن حلت الطائرة بالجنينة حتى اتضح أن دارفور حقاً تحترق، وهذا ما قاله: هذه ليست (الجنينة) إنما الحريقة! وصار الحديث عن الحل الذي ذهب يبشر به غير مطروح أمام مسألة حياة أو موت!

حالما عاد الوفد للخرطوم تمت الدعوة لمؤتمر صحفي عقد بدار الأمة في 27 يونيو 2004م. تحدث الحبيب الإمام في المؤتمر ورصد المجهودات التي قام بها حزب الأمة خلال العامين الماضيين[223]. وبعد أن تطرق لأوجه تأزم القضية مع المأساة الإنسانية والنزوح المليوني والجرائم المرتكبة والتدخل الدولي الذي يكتنفها، تحدث عن مشاهدات الزيارة مؤكداً أن (الصورة بين ولايات دارفور تختلف من منطقة لأخرى)، واصفاً ما رأوه في كل من الفاشر والجنينة ونيالا من مشاهد انفراط الأمن والمعاناة الإنسانية والانتهاكات الفظيعة التي يرويها الضحايا.

وفي النهاية تحدث عن (المطلوب الآن) من إجراءات فورية تتمثل في تنحية الجهاز الإداري الحالي وتسليم المسؤولية لأشخاص مؤهلين بالكفاءة والموضوعية والالتزام القومي، **وتكوين آليات محايدة لتقصي الحقائق ومحاسبة الجناة وتعويض المتضررين**، وتكوين آلية

---

[223] لاحقا زيدت ولايات إقليم دارفور فصارت خمسة بإضافة ولايتي وسط دارفور وشرق دارفور

قومية للإغاثة، وحصر العمل الدفاعي في القوات المسلحة، وضبط الأمن داخل المعسكرات وقومية الإعلام. وأن يعقد مؤتمر قومي جامع، ثم قال: (التحرك الفاعل الناجز في دار فور الآن أو الطوفان).[224]

لم يستمع النظام لتلك النصائح كالعادة، مما سوف يجر عليه إدانات دولية، ويجرجر قيادته لساحة محكمة الجنايات الدولية متهمة بارتكاب جرائم حرب وضد الإنسانية وإبادة جماعية. إن الآلة التي حذر منها الإمام كانت قد بدأت تعمل بلا تأخير.

## زيارة كولن باول

في الفترة 29-30 يونيو زار البلاد وزير الخارجية الأمريكي كولن باول، وفي 30 يونيو-3 يوليو زارها الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان، وقام كل منهما بزيارة المعسكرات في دارفور، وسنرى أن عواقب ذلك كانت كارثية على النظام، فحديث كولن باول بعد الزيارة كان أنه توجد انتهاكات فظيعة ولكن لا توجد إبادة جماعية مما ألب عليه جهات عديدة اتهمته بالتهاون مع الخرطوم، الشيء الذي حفز وزارته لإجراء تحقيقات وسط معسكرات اللاجئين في تشاد، وفي سبتمبر 2004م أعلن باول أمام الكونغرس أنهم تأكدوا من وجود إبادة جماعية في دارفور، وفي النهاية دفعت الولايات المتحدة باتجاه تكوين لجنة تقصي حقائق دولية مبتعثة من مجلس الأمن، وهي اللجنة التي صدر تقريرها في يناير 2005م ومن ثم بدأت الملاحقات الجنائية.. قصة سوف نتطرق لها في حينها بإذن الله.

الشاهد، في يوم 8 يوليو 2004م كاتب الحبيب الإمام رئيس غرفة الطوارئ الخاصة بدارفور دكتور آدم مادبو، ودكتور عبد النبي علي أحمد رحمه الله متحدثاً عن اللقاءات التي عقدها في القاهرة، ومطالباً بتقرير حول زيارة عنان وباول.. وقال إنه التقى فصائل التجمع ثنائيا وجماعة وطرح عليهم وثائق الحزب وأهمها الموقف من بروتوكولات السلام، والموقف من كارثة دارفور، منادياً بتكوين رأي عام موحد ومعبأ حول هذه القضايا المصيرية والتعاون على التعبئة، وتحديد موقف موحد من التدويل ما يرحب به وما يحتاج لضبطه. وأنهم برأيه ينتظرون اجتماع هيئة القيادة بأسمرا و*(ينتظر أن تجري مشادة ما بين رؤية تنادي بها الحركة الشعبية تطالبهم بمباركة ما اتفق علية وبين موقف شبيه بموقفنا وهو ضرورة تحويل الاتفاقيات من ثنائية لقومية عبر آلية محددة)*.

وبعد أن تطرق الحبيب الإمام في خطابه للقاءاته بالمسئولين المصريين والسيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية، ومشاركته في مؤتمرات بالمنطقة تؤكد الاتجاه المتنامي نحو تحقيق الديمقراطية، وكذا اتجاه الدول الثمان لدعم التحول الديمقراطي في الإقليم، تحدث حول المفارقة بين موقف النظام الذي يحاول توظيف اتفاقيات السلام لدعم شرعيته والحركة التي تحاول تفكيك النظام، وحول زيادة النقد الموجه للاتفاق داخل الشمال والجنوب بل وداخل طرفي التفاوض أنفسهما، ثم قال: *(إن منظر نظام الإنقاذ الآن هو أنه بعد 15 عاما جاء باتفاق أقرب للانفصال منه للوحدة بل وهو اتفاق ينذر بالسوابق التي تطلق حركات تمزق للبلاد)*.

---

[224] نص الكلمة كاملاً في الملاحق

أما بالنسبة للتقرير الذي طالب به الحبيب الإمام الصادق المهدي فقد جاءه بتاريخ 11 يوليو من د. آدم مادبو. تحدث فيه عن لقاء كولن باول ببعض ممثلي القبائل الدارفورية، وفشل مناديب الحزب في الالتقاء بكوفي عنان.
قال دكتور مادبو: (التقى وزير الخارجية الأمريكي بستة من أبناء دارفور وهم: المهندس آدم عبد المؤمن، د. عمر آدم رحمة، د. إدريس يوسف النور، جعفر مورة النور، الأستاذ محمد عبد الله الدومة، والمهندس مادبو آدم (رحمه الله)، ممثلين لقبائل البرتي، الزغاوة، الفور، المساليت، والرزيقات). وقال د. مادبو إن السفارة الأمريكية كانت قد طلبت منه حضور ذلك اللقاء كممثل لقبيلة الرزيقات لكنه اعتذر موضحاً أنه يمثل حزب الأمة وليس قبيلة أو جهة.
أما حول لقاء كوفي عنان وبناء على تكليف رئيس الحزب لنائبه وللأمين العام للقائه فقد (حددت مواعيد اللقاء بمقر الأمم المتحدة شارع الجامعة ولكن في ذلك الوقت سير أبناء دارفور بالجامعات موكباً سلمياً لتسليم مذكرة للأمين العام للأمم المتحدة تصدت له قوات الأمن) مما أدى لتأجيل الزيارة إلى ما بعد عودته من تشاد، ولكن حالت ظروف الرحلة دون اللقاء.
وتطرق دكتور مادبو لنقاش المكتب السياسي للحزب للزيارة، وأضاف ملاحظات عامة: أن وزير الخارجية والأمين العام وبتدبير من الحكومة زارا أحسن المعسكرات بمدينة الفاشر والذي تقدم فيه أفضل المساعدات الإنسانية مقارنة ببعض المعسكرات التي تنعدم فيها أبسط مقومات الحياة، وأن الحكومة ليست لها الجدية ولا المصداقية ولا الإمكانيات لتنفيذ ما التزمت به من نزع سلاح الجنجويد وحماية المواطنين وإيصال المساعدات الإنسانية دون عوائق وقد بدأت في إرسال قوة من الشرطة قوامها 6.000 شرطي، قليلة العدد والعتاد وضعيفة القوة المعنوية. وأن أطروحات حزب الأمة حول أسباب مشكلة دارفور وكيفية حلها تجد القبول من القوى السياسية الأخرى وكذا مقترح المؤتمر العام لدارفور. وأنه بدأت الأمطار تهطل في كثير من مناطق دارفور مما يعني الكثير من النازحين سوف يتعرضون للمرض والهلاك، وإنه إن لم تمارس ضغوط شعبية وإقليمية ودولية فإن الحكومة لا تنوي عقد مؤتمر لحل مشكلة دارفور وترى أن يتم ذلك بينها والمجتمع الإقليمي والدولي.

### المفاوضات حول دارفور

بدأ التوسط الأفريقي حول دارفور ينشط، حيث عقد الاتحاد الأفريقي قمته الثالثة، في الأسبوع الأول من يوليو 2004، في أديس أبابا، واستحوذت أزمة دارفور على النصيب الأكبر من اهتمامها، وتكونت قمة أفريقية مصغرة خاصة بمشكلة دارفور، برئاسة الرئيس النيجيري، "أوباسانجو"، رئيس دورة الاتحاد الأفريقي، وعضوية كل من رئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي، "عمر كوناري"، ورؤساء كل من السودان والسنغال وجنوب أفريقيا.
دعا الاتحاد الأفريقي إلى جولة جديدة من المفاوضات، بين حكومة السودان وجماعات المقاومة السودانية، في 15 يوليو 2004، في العاصمة الإثيوبية، أديس أبابا، لحل الأزمة في الإقليم، وقد انعقدت مفاوضات أديس أبابا في موعدها المحدد، إلا أن تمثيل وفدي المقاومة المسلحة كان منخفضاً، حيث بعثوا بقيادات من الصف الثاني وسادت في الجولة أجواء غير

إيجابية عموماً. وانتهت المفاوضات، بعد يومين من بدء انعقادها، بانسحاب وفدي الحركتين من دون الوصول إلى نتائج محددة.
وفي 20 يوليو 2004م أصدر حزب الأمة بياناً حول انهيار المحادثات بشأن دارفور في أديس أبابا. قال إن المفاوضات انهارت لعدم مناسبة مكان انعقاد المفاوضات حيث عبرت حركتا تحرير السودان والعدل والمساواة عن عدم رضائهما عن أديس أبابا كمكان محايد للمفاوضات، وأن تكوين الوفد الحكومي المفاوض أرسل إشارة غير تصالحية، والجهة الراعية للمفاوضات قليلة القدرة على تمويل عمليات المراقبة والإغاثة. وإنه لتقوم مفاوضات مثمرة لا بد من تنفيذ الحكومة لإجراءات ثقة تشمل التغيير الإداري في كافة الولايات، وتكوين لجنة قومية عالية المستوى لتقصي الحقائق حول الجرائم وتقديم مرتكبيها لمحاكمات عادلة، وإعلان نهاية اللجنة الحكومية المعينة لمشكلة دارفور والعمل الحقيقي للحل بقيام المؤتمر الجامع لكل فعاليات دارفور، والاتفاق على مكان تتراضى عليه كافة أطراف التفاوض.
أما المفاوضات فقد تقرر أن تنتقل إلى نيجريا، فانعقدت في الفترة من 23 أغسطس إلى 15 سبتمبر 2004م جولة أبوجا الأولى للمفاوضات حول دارفور.
وفي يوم 22 أغسطس أرسل الحبيب الإمام خطاباً للرئيس النيجيري أوليسون أوباسانجو رئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي تتعلق بجولة المفاوضات المنعقدة بأبوجا حول مسألة دارفور والحل السلمي المأمول، أرسلت نسخة منها لكل من الأمين العام للأمم المتحدة والحكومة السودانية وكافة القوى السياسية السودانية[225].

## أنشطة فكرية مع الهيئة

في19-21 يوليو 2004م عقدت شعبة الدراسات والبحوث بأمانة المرأة في هيئة شؤون الأنصار ورشة حول اتفاقية إزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو)، وقد شارك فيها الحبيب الإمام بورقة بعنوان (ضرورة الاجتهاد لمواجهة تحديات العصر ومنها سيداو).
تعرض فيها للفكر بين اللاهوت والناسوت مؤكداً مقولة الإمام الشاطبي أن كل ما حكم به الشرع حكم به العقل. ثم تطرق للاجتهاد لدى الأنصار والحاجة للاجتهاد وأدواته المشروعة.
وبعد ذلك رصد المفاهيم المؤسسة لدونية المرأة من المرجعية الدينية التقليدية وفندها.
وتطرق لثلاث مرافعات في الساحة حول قضية المرأة: مرافعة الفكر الانكفائي، ومرافعة الفكر الوضعي، ومرافعة الفكر الصحوي وبعد مناقشتها قال: *(المدهش حقا أن النهج الإنكفائي بجموده وتيبسه في وجه التطور يغذى النهج الاستلابي الذي يتهم التراث بالتعفن ويجنح إلى التعلق بالوافد. والتعلق بالوافد باستلابه وتبعيته يغذى النهج الانكفائي الذي يتهم التحديث بالتبعية والذيلية. والحقيقة هي: كلا طرفي قصد السبيل ذميم. ولا بديل للنهج الصحوي الذي يعالج جدلية الأصل والعصر).*
ولدى نقاش الموقف من سيداو قال الإمام الصادق: *(تأملت بنود اتفاقية سيداو الثلاثين ولم أجد نصاً أتحفظ عليه ولكنني اعتقد أن النص كله مدبج في شكل جاف كأنها وثيقة مطلبية وكأنما المرأة موظف عند الرجل وفي هذه الوثيقة يمنحها حقوقا في عالمه.)*

[225] نص الخطاب في ملاحق الكتاب

وبعد تفنيده للتحفظات التي أبدتها بعض الدول العربية والإسلامية على بنود في الاتفاقية محتجين بالخصوصية الثقافية قال:

*(يجدر بحضارتنا الحية أن يكون لها عطاؤها في حركة المساواة والعدالة التي تتطلع إليها الإنسانية. من هذا المنطق أقول:*

***أولاً:** عنوان المعاهدة بالسالب منقصة لها والصحيح أن يكون عنوانها إيجابياً: المساواة النوعية بين البشر.*

***ثانياً:** كثير من النصوص "ترقي" المرأة لإلحاقها بعالم الرجل، والصحيح الانطلاق من أن الأنوثة قيمة أساسية في نظام الحياة والمجتمع ينبغي الاعتراف بحقوقها وكرامتها الأنثوية الإنسانية لتساهم بعطائها في تطوير الحياة الإنسانية نحو السلام والتعاون والتنمية.*

***ثالثاً:** كثير من مفردات المواثيق الدولية توحي بأن المرأة حيث كانت لن تحقق ذاتها إلا إذا صارت نسخة ملساء من الرجل أو نسخة ملونة من المرأة الغربية، هذه الإيحاءات هي بعض نتائج الهيمنة الثقافية الغربية والصحيح أن يتحقق للمرأة دورها دون تضحية بأنوثتها ولا بهويتها الثقافية.*

***رابعاً:** نصت المعاهدة على منع الاتجار بالمرأة وهذا صحيح، ولكن الحضارة الغربية تبالغ في تسليع المرأة ويحتملون في هذا المجال مشاهد إذا حاكاها الرجل لاعتبرت تحرشاً جنسياً. هذه المشاهد تضر كرامة المرأة لأنها تكرس في ذهن الرجل قيمتها الجسدية وحدها.*

***خامساً:** ما هو الأساس الأخلاقي والروحي للمساواة بين الرجل والمرأة؟ هذا جانب لا تتناوله نصوص المعاهدة كأنها مجرد معاملة قانونية. وهذا نهج يجعل جذور المعاهدة سطحية.*

***سادساً:** ليست الأسرة مجرد شركة لتربية الأطفال كما يبدو من المعاهدة. الأسرة تكوين ينبغي أن يقوم على المودة والرحمة والسكينة وأن تجمع أفراده المحبة والولاء. المعاهدة عن هذه المعاني عمياء.*

***سابعاً:** المساواة توجب موازين دقيقة بين الحقوق والواجبات. والمرأة إذ تنال حقوقاً مستحقة تترتب عليها واجبات. إن توازن الحقوق والواجبات مطلوب لكيان الأسرة وهو كيان يجب أن يحرص عليه الرجل والمرأة والأطفال ولكن إذا تردى فإن الخاسر الأول هم الأطفال ثم المرأة ثم الرجل).*

وأكد في النهاية أن قضيه تحرير المرأة تمثل أحد أركان تجديد الفكر الإسلامي. ثم قال:

*(يصطرع على مصير العالم الإسلامي الغلاة والغزاة وهما يتوعدانه بأحد مصيرين: الهروب إلى الماضي على يد الغلاة أو الهروب إلى الخارج على يد الغزاة. إن الحياة لا تقبل فراغاً ولا ينقذنا من أحد المصيرين إلا اجتهاد الحماة الذي يطرح حلاً اجتهاديا مدعوما بسند شعبي قوى قادر على إيجاد حل لجدلية الغلو والغزو بمشروع نهضوي يكون تحرير المرأة أحد أركانه).*

## المرجعية الإسلامية المتجددة

في الأول من أغسطس فرغ الحبيب الإمام الصادق المهدي من مسودة كتاب بعنوان (نحو مرجعية إسلامية جديدة: متحررة من التعامل الانكفائي مع الماضي والتعامل الاستلابي مع

الوافد). في مقدمته تحدث عن تأخر المسلمين عن ماضي حضارتهم وحاضر الإنسانية المعاصرة، وأنه لم تحقق لهم القومية ولا الحركات الإسلاموية البعث المنشود. وأن الحاجة ماسة الآن لاجتهاد يوفق بين التأصيل والتحديث ويحقق الحكم الراشد ويضع أساساً لمرجعية إسلامية جديدة في واحد وثلاثين مسألة يرجى أن يبحثها العلماء والمفكرون لوضع نواة تلك المرجعية.

طلب الحبيب الإمام من هيئة شؤون الأنصار الدعوة لورشة يشارك فيها علماء ومفكرون للإدلاء بدلوهم في الاجتهادات التي قدمها حول الـ31 مسألة وهي: العطاء الإنساني بين اللاهوت والناسوت، وسائل المعرفة، أسلمة المعرفة، الإسلام والأديان، الإسلام والأخلاق، التأصيل بلا انكفاء، التحديث بلا تبعية، الحكم، بين الشورى والديمقراطية، تجارب تطبيق الشريعة في العصر الراهن، التشريع، القضاء، الاقتصاد، الوطنية، القومية، الجهاد، العلاقات الدولية، الأمم المتحدة، الوحدة الإسلامية، العولمة، الإرهاب، الاجتهاد، أساليب الدعوة، التصوف، المرأة، العلوم الطبيعية، الأقليات، الفنون، البيئة الطبيعية، حقوق الإنسان، والرياضة.

فهو يرى أن تحقيق العافية الإيمانية والفكرية والثقافية يبدأ باتخاذ الموقف الصحيح من هذه القضايا، موقف له وفاء بالتأصيل وله مستقبل في آفاق التحديث والعولمة. مؤكداً أن الدين ضرورة للإنسانية وكذلك التطور الفكري والثقافي والاجتماعي. ولا بد أن يشبع الدين ضرورات الإنسانية العشر المادية، الروحية، المعرفية، العاطفية، الأخلاقية، الجمالية، الفنية، الاجتماعية، البيئية والرياضية. ويقبل التعايش مع التعددية ويفسح المجال للتطور من داخل مبادئه وليس على حسابها.

انعقدت الورشة بالمركز العام لهيئة شؤون الأنصار في الفترة ما بين 16-18 أغسطس 2004م وشارك فيها جمع غفير من العلماء والمفكرين والمهتمين بالفكر الإسلامي. أذكر منهم على سبيل المثال البروفسور الطيب زين العابدين، والأستاذ عبد الباسط عبد الماجد، والأستاذ كمال الجزولي، ود. حسن مكي، والأستاذة عائشة الغبشاوي، ود. عصام البشير، والشيخ علي هاشم السراج، إضافة لقادة هيئة شؤون الأنصار وكادرها الفكري أمثال الأمير عبد المحمود أبو، ومولانا آدم أحمد يوسف، والأستاذ فضل السيد نعيم وغيرهم[226].

واستهداء بالتوصيات والمداولات التي حرص الحبيب الإمام على متابعتها جميعها وكنا في مكتبه نسجلها بالكلمة، جاء كتابه "نحو مرجعية إسلامية متجددة"، الذي قال في فاتحته: *(الفكر الإسلامي اليوم مواجه بتحديات جمة. أخطرها الرؤى التي تضحي بالمستقبل من أجل الماضي، والرؤى التي تضحي بالماضي من أجل المستقبل. كان موقفي الاجتهادي ولا زال هو التطلع لمستقبل له وفاء أو وفاء له مستقبل. وفي خضم الجدل الفكري المحتدم رأيت أن أتناول بالاجتهاد أهم قضايا الساعة وأن أقدمها للشورى وأخذ الرأي. وفي سبيل ذلك نظمت هيئة شؤون الأنصار ورشة فكرية أمها لفيف من العلماء والمفكرين وتدارسوا اجتهاداتي بحرية واقترحوا اقتراحات قبلتُ كثيراً منها وأضفتها لاجتهادي. ولكن النص الأخير المقدم هو اجتهادي وأتحمل ما جاء فيه أمام الله وأمام الناس.. ومع ذلك فقد عزمتُ على تقديمه لنخبة*

[226] البيان الختامي للورشة في ملاحق الكتاب

*من علماء ومفكري الإسلام لدراسته وتداول الرأي بشأنه في منبر جماعي بغية الاتفاق على رؤية مشتركة حول هذه القضايا تكون مرجعية جماعية لمواجهة التحديات الراهنة.)*

## زيارة أمريكا

زار الإمام الحبيب أمريكا في سبتمبر 2004م مشاركا في المؤتمر الوطني للحزب الجمهوري الأمريكي المنعقد بنيويورك آنذاك 2004م. وفي يوم 2 سبتمبر شارك في منبر ضم وزراء سابقين ووزراء دفاع وقيادات من مختلف أنحاء العالم، تحدث فيه عن كيفية تأسيس الديمقراطية والحفاظ عليها في دول العالم. كان ضمن حضور المنبر عدد من زملائه بنادي مدريد.

كذلك شارك الحبيب الإمام في ندوة بواشنطن أقامتها المعارضة السودانية في يوم الأحد 5 سبتمبر ذكر فيها أنه جاء ضمن وفد نادي مدريد الذي يضم رؤساء حكومات ودول سابقين ساهموا في إرساء جذور الديمقراطية في بلدانهم، بهدف التعاون لوضع إستراتيجية مشتركة لدعم الديمقراطية في العالم وكيفية الاستفادة من تجارب الدول الديمقراطية المتقدمة. ولذلك أرسل النادي وفدين من أعضائه *(للمشاركة في مؤتمري الحزب الديمقراطي والجمهوري، اعتذرت عن الأول لمشاغل وطنية وحضرت الثاني. وانطباعاتي عن مؤتمر الحزب الجمهوري أن هناك احتفالية مبالغ فيها وصورة لا تليق بالتجربة الديمقراطية حيث ركزت على تأليه الفرد وشيطنة خصمه)*[227]. ثم تحدث الحبيب الإمام في الندوة عن اتفاقية السلام وكارثة دارفور. وذكر مجهودات حزب الأمة لتحقيق الأجندة الوطنية المنشودة.

## مجلس الأمن في نيروبي

ذكرنا آنفا ما حدث بالنسبة لتصريحات السيد كولن باول بعد زيارته لدارفور في أواخر يونيو، والتي انتهت إلى إعلانه في سبتمبر 2004م عن تحقق وزارته من وجود إبادة جماعية في دارفور. وفي نفس الشهر انعقد مجلس الأمن، في يوم 2004/9/18م، وصدر قراره رقم (1564)، والذي جاء بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، يؤيد تعزيز بعثة الاتحاد الأفريقي بدارفور، ويحظر الطيران في إقليم دارفور، ويفرض عقوبات على صناعة النفط السودانية وأخرى على الأفراد الذين يقومون بانتهاك القانون الدولي في دارفور من الحكومة والحركات المسلحة. ويشكل لجنة دولية لتقصى الحقائق في دارفور، وقد تضمن القرار التهديد باتخاذ إجراءات مضادة للسودان في حالة عدم التعاون بما في ذلك الإجراءات التي تهدد القطاع النفطي. كما تقرر أن يكون اجتماع المجلس القادم في نيروبي حول السودان.

لجنة تقصي الحقائق هذه سوف تزور دارفور، وسوف تفتح لنظام الخرطوم صندوق باندورا، أو تفعّل حالة (بيضة أم كتيكي)[228]! هذا بشأن دارفور.

---

[227] ندوة واشنطن، 5 سبتمبر 2004م، تلخيص أبو هريرة زين العابدين

[228] حسب الأسطورة السودانية أن هذه البيضة إذا لمسها الإنسان فإنه يكون بين خيارين إما يحملها فتقتل أمه أو يدعها فيُقتل أبوه!

أما حول السلام في الجنوب، فقد أعلن مجلس الأمن أنه سوف يعقد اجتماعاته حول السودان في يومي 18-19 نوفمبر في نيروبي، مكان مفاوضات السلام السودانية، حيث ترأس الاجتماعات الولايات المتحدة الأمريكية يمثلها سفيرها السناتور السابق جون دانفورث، وهي المرة الحادية عشرة منذ تكوين المجلس التي تعقد فيها الهيئة الرئيسية للأمم المتحدة المسئولة عن السلام والأمن بعيداً عن مقر رئاسة الأمم المتحدة في نيويورك. كل ذلك لإظهار الاهتمام البالغ بالشأن السوداني وضرورة حله.. يشي ذلك القرار كذلك بمفاقمة الضغط على حكومة السودان والحركة الشعبية وجيشها لكي يقوما بإكمال توقيعات اتفاقية السلام والبدء في تنفيذ ما يتفق عليه.

لقد تابعتم معي كيف كانت القوى السياسية وعلى رأسها حزب الأمة مجتهدة لخلق إجماع حول عملية السلام وربطها بالتحول الديمقراطي وتمليكها قومياً للشعب السوداني، فلا تكون شأن فصيلين مهما كانت أهميتهما في السلطة أو المقاومة المسلحة.

وحالما تم الإعلان عن الاجتماع تشاورت القوى السياسية وكونت وفداً مشتركاً للذهاب لنيروبي لحمل مطالب الشعب السوداني في مذكرة تحدد أسس الحل القومي المطلوب.

تكون الوفد برئاسة المرحومة السيدة سارا الفاضل، وعضوية كل من اللواء م فضل الله برمة من حزب الأمة، وبروفيسور فاروق كدودة من الحزب الشيوعي، ود. بشير آدم رحمة من المؤتمر الشعبي، والأستاذ كمال حامد بولاد من حزب البعث.

خاطب الحبيب الإمام الصادق المهدي ممثل الولايات المتحدة في مجلس الأمن ورئيس المجلس لتلك الدورة السيناتور جون دانفورث برسالة يعلمه فيها أن القوى السياسية بمن فيهم حزب الأمة يرسلون هذا الوفد مرحبين بهذه الجلسة الخاصة حول السودان في نيروبي، ويسعون لمخاطبة مجلس الأمن تمثيلاً لرؤى المجتمع المدني والقوى السياسية التي لم تشترك في مفاوضات الإيقاد الثنائية، راجياً أن يتم الاستماع لهم (حتى يخرج قرار مجلس الأمن على ضوء معرفة شاملة بالرأي السوداني).

غادر الوفد الخرطوم ما عدا الدكتور بشير آدم رحمة الذي احتجزته سلطات الأمن في المطار، ووصلوا نيروبي مساء يوم 18 نوفمبر 2004م، واستطاعوا عبر الاتصال بسودانيين عاملين بالمنظمة الدولية الحصول على بطاقات دخول لمكان انعقاد جلسات المجلس ولكنهم لم يتمكنوا من حضور الجلسة الافتتاحية. قابل الوفد بداية دكتور منصور خالد الذي نوّرهم بما تم في الجلستين الافتتاحية والمغلقة، ثم قابلوا دكتور جون قرنق ثم أمدوه بنسخة من مذكرتهم التي أوصلوها لكل الجهات المعنية. وفي يوم 19 نوفمبر حضر الوفد (من القاعة المجاورة للجلسات المغلقة) جلسة مجلس الأمن الثانية الخاصة بمداولات مشروع القرار وكلمات أعضاء المجلس ومراسيم التوقيع على الإعلان الخاص باختتام مفاوضات الإيقاد، والتقى بعدد من قادة الحركة الشعبية، وشارك في عشاء للسفير السوداني بنيروبي[229].

أما المذكرة التي سلمها الوفد لمجلس الأمن فقد نشرت على نطاق واسع. وقد ركزت على مطالب محددة لتصحيح مسار عملية السلام والمصادقة عليها قومياً والإسراع في حل أزمة دارفور التي لا يمكن أن تحل تحت سقوف اتفاقيات نيفاشا.

---

229 تقرير اعضاء الوفد بحزب الأمة

ردت المذكرة على السؤال: لماذا تستلزم بروتوكولات وساطة الإيقاد المراجعة والتصديق القوميين؟ مؤكدة أن هناك جوانب أساسية في البروتوكولات لا خلاف عليها وسوف يصادق عليها دون مناقشة فهي تشكل جزءً من الإجماع الوطني. وهناك مواضيع في البروتوكولات خاطئة مثل الانقسام الديني في بروتوكول مشاكوس (شمال/ جنوب)، والنسب المئوية المشجعة للانفصال في بروتوكول قسمة السلطة، وعدم المعالجة الوافية لقضية المساءلة، وغيرها، تقتضي المراجعة.

كما أجابت على السؤال: لماذا لا تصلح بروتوكولات وساطة الإيقاد نموذجا لحل أزمة دارفور؟ وفي النهاية طالبت المذكرة مجلس الأمن أن يصدر قراراً يساند الاتفاقيات الثنائية التي تم التوصل لها حتى حينها وتشجيع إكمالها، على أن تجاز من قبل ممثلين للشعب السوداني في جو ديمقراطي حر، وأن ينص على الاستمرار في التحريات التي كونها القرار 1564 لمحاسبة المذنبين وتحقيق العدالة للضحايا، والمساءلة عبر لجنة للحقيقة والمصالحة على نمط جنوب أفريقيا، وحثت المذكرة على اهتمام أعظم بالمسألة الإنسانية. وأن (على مجلس الأمن في سعيه للسلام الشامل والاستقرار الديمقراطي في السودان أن يدعو الأطراف السودانية بما فيها الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني الأخرى لعقد مؤتمر دستوري لكل الأطراف لمراجعة والتصديق على البروتوكولات التي تم التوصل لها ثنائيا، ولمناقشة أجندة دارفور الشاملة ولتضمين كل قضايا النزاع المحتملة للوصول لخطة حاكمة جديدة لإعادة ميلاد السودان وتكوين حكومة قومية انتقالية ذات قاعدة عريضة لتطبيق تلك الاتفاقات وتحقيق التحول الديمقراطي نحو الحكم المدني الديمقراطي).

لم تلق المذكرة استجابة كالعادة، فلا الطرفين ولا الوسطاء كانوا يريدون أن يزعجوا أنفسهم بشيء من هذا، الطرفان أنفسهما كانا أحياناً أقرب لباصمين على مقررات جاهزة قدمها الوسطاء بدون قول (بغم)! أو قولها ثم الرضوخ بعد فرفرة، خاصة النظام! حدث ذلك على الأقل في بروتوكول أبيي الذي لم يكلف الوسطاء أنفسهم مسح الهامش الذي يؤكد أن البروتوكول قدمه السيناتور جون دانفورث! وكما قال الحبيب الإمام الصادق المهدي واصفاً ذلك التغريب أن البروتوكولات خرجت وفيها رائحة (الكدوس) أي الغليون!

في النهاية خرج القرار رقم (1574)من مجلس الأمن بتاريخ 2004/11/19م والذي أكد على مساعدة السودان على تنفيذ اتفاق السلام والجهود الرامية لبناء أمة مسالمة وموحدة يعمها الرخاء، وأن ترصد مواقف الأطراف المتقاتلة في دارفور إزاء قرارات المجلس السابقة والتصرف وفقاً لذلك، وأيد زيادة حجم البعثة الأفريقية، وأبقى مسألة دارفور قيد نظره.

لقد اكتمل التصميم الدولي على حمل النظام على السلام حملاً مع إسكات أي صوتٍ حكيم يتحسب للغد البادية نذره.

نظام يجيد الالتفاف والمناورة! وسوف نرى كيف سيجعل الحركة الشعبية تمشي على رمالٍ متحركة، وفي النهاية يحققون لبعض اللوبيات الغربية الضاغطة حلمها بفصل الجنوب، لينشق السودان إلى نصفين: جنوب يقلقلونه مستغلين ضعفه وانشقاقاته فيظل كطير (السقد) لا ينام، وشمال طال سهاده منذ الثلاثين من يونيو! يتحول الحلم إلى كابوس، ويصير السلام الذي طالما انتظرناه بداية الطامة!

حزب الأمة من جهته لم يقف صامتاً. لقد عزم على قيادة التعبئة باتجاه مطالب يراها أساسية لجعل السلام ممكناً فلا يولد موءوداً، ونشط الحبيب الإمام الصادق المهدي في ذلك الاتجاه، فكان يخاطب الجهات المختلفة، ويكتب في الصحف، ويرتاد المنابر، وأذكر يومها أن كاتباً كبيراً جاء عموده في 22 نوفمبر 2004م بعنوان (أنقذوا الصادق المهدي من نفسه!)، متهماً المهدي بأنه صار في رصيف السياسة يكثر من المبادرات التي تحقق له بعض الوجود، بلا جدوى بزعمه، كصوغه لمذكرة القوى السياسية المقدمة في نيروبي، وهو ما سنتطرق له أدناه.

## منتدى الصحافة والسياسة

في يوم الأربعاء 24 نوفمبر 2004م عُقد منتدى (بين الصحافة والسياسة) في منزل الإمام الصادق المهدي وبالأحرى في "قطيته".. المنتدى الذي تنظمه لجنة يرأسها الصحفي الأستاذ محمد لطيف وقد كان بمبادرة من المرحوم الأستاذ محمد خليل وظل يعقد غالباً أول أربعاء من كل شهر بمنزل الحبيب الإمام الصادق المهدي، تُطرح فيه قضية يدلي فيها أحد المختصين أو الحبيب الإمام الصادق المهدي برأي أو إفادة أساسية، ومن ثم يفتح باب النقاش للسياسيين والصحافيين الموجودين ليقتلوا القضية بحثاً.

كان محور المنتدى لذلك اليوم قضية "المؤتمر القومي الدستوري" واستضيف كمتحدث رئيسي الدكتور عدلان الحاردلو أستاذ العلوم السياسية بجامعة الخرطوم فعرض رأيه في المسألة مقدماً أطروحة متكاملة في رفض فكرة الدعوة لهذا المؤتمر والحجج الموضوعية لذلك.

وتحدث الإمام الصادق المهدي عارضاً الفكرة النقيضة بضرورة عقد المؤتمر الآن مقدماً حججه الموضوعية النقيضة ومفصلاً مقترحه للمؤتمر والذي كان نشر من قبل.

وتبارت الكثير من الآراء الحرة والمتباينة يومها في حوار جاد، ومن خلال النقاش ظهرت أطروحات متدابرة حول المؤتمر وهل هو الفكرة الصحيحة الآن أم لا، خاصة فيما يتعلق بالسؤالين:

**أولاً:** ما هي أجندة المؤتمر، وهل سيتم إعادة فتح الملفات التي تم الاتفاق عليها منذ البداية؟

**وثانياً:** كيف يتم التمثيل داخل المؤتمر؟!

أطروحة الدكتور عدلان هي أن الاتفاقيات نفسها مؤتمر دستوري بدون اصطلاح على ذلك إذ تحوي الخطوط الأساسية التي كان يؤمل حسمها داخل المؤتمر الدستوري، ولا يمكن أن يعاد النقاش حولها من جديد.. وأطروحة الإمام الصادق هي أنه لا أحد يريد فتح الملفات كما هي فجزء كبير منها مضمن في الأدب الوفاقي السوداني التراكمي لأن نيفاشا لم تأت من فراغ (رأى الحاردلو أن جملة الأدب الوفاقي التراكمي تعبير أدبي غير محدد، بينما بيّن المهدي كيف أن غالب ما أتت به نيفاشا هو بمثابة إجماع سابق سواء في مقررات أسمرا أو في الاتفاقيات بين أطراف مختلفة)؛ ولكن هنالك مناطق رمادية لا بد من توضيحها لعل على رأسها أية نسخة من الإسلام ستحكمنا في الشمال؟ مبينا أنها لو كانت نسخة "الإنقاذ" فغالبية المسلمين عارضوها ولن يوافقوا! هنا تحديداً وافق الدكتور الحاردلو أنه لو كان من داع وحيد لعقد المؤتمر الدستوري فهي هذه النقطة.

قال الحبيب الإمام في المنتدى كذلك إن نيفاشا أتت بنقاط جديدة، والأطروحة التي تؤيد المؤتمر الدستوري تراه منبراً لالتزام الآخرين بهذه النقاط الجديدة ومشاركتهم فيها.
الأستاذ محجوب عروة رأى في فكرة المؤتمر الدستوري فرصة للحكومة للتسويف وكسب الوقت، وليس للقوى السياسية إلا أن تقبل بالنسبة التي أعطيت لهم في الحكومة الانتقالية . فعقب الإمام الصادق مؤكداً أنهم ليسوا مهتمين أبداً بالتمثيل في شراكة الحكومة الانتقالية بل بنزاهة الانتخابات وقومية الخدمة المدنية وكذلك لجنة الدستور وصلاحياتها، وكفالة الحريات الأساسية وحقوق الإنسان.
ورأى البعض استحالة عقد المؤتمر الدستوري مثل الأستاذ كمال حامد والأستاذ جمال عنقرة، أما الدكتور مرتضى الغالي فقد رأى أن أهمية المؤتمر الجامع هي مصادقة الشعب على الاتفاقيات فهنالك تغييب كامل للإرادة الشعبية. والأستاذ عثمان ميرغني رأى مخاوف الإمام الصادق ألا يتم إنزال السلام على أرض الواقع بفعل الاستقطاب المضاد الناتج من عزل الآخرين في الفترة الانتقالية وتحركهم المضاد بالتالي فكرة خاطئة لأنه لا يمكن أن يحدث أي تحرك أو انتفاضة أو أي شيء، فقد صممت الاتفاقيات آليات محددة للتحرك هي الهياكل واللجان والمفوضيات المذكورة في الاتفاقيات.
أي أن تلك الآليات التي يمكن أن تشكل ثنائياً بشكل حزبي يحرص على إقصاء الآخرين لا جمعهم، وبدون أية ضمانة لقوميتها ستصير إلهنا الذي لو كفرنا به لخسف بنا الأرض أو أسقط علينا السماء! ولا مجال لنا حتى أن نعارض!!
والأستاذ ضياء الدين بلال رأى أن فكرة ضم الفصائل المسلحة للمؤتمرين خطيرة بتحفيزها لحمل السلاح (ذلك أن مقترح الإمام لحاضري المؤتمر أن يكونوا إضافة لطرفي الاتفاقيات: أحزاب آخر جمعية تأسيسية ديمقراطية الانتخاب، والجماعات المسلحة، والقوى المدنية التي نشأت في عهد الإنقاذ، ومجمل أولئك 17 فصيلاً وجماعة) كما رأى بلال في فكرة المؤتمر الجامع تراجعاً عن الاتفاقيات الموقعة حتى الآن..
في المقابل رأى أستاذ الحاج وراق ألا تعارض بين الموافقة على اتفاقيات نيفاشا وتأييدها بحرارة، وبين الدعوة للمؤتمر الجامع فكلاهما صحيح، ورأى أن الحرص على إنزال اتفاقيات نيفاشا يجعلنا ندعو للمؤتمر الجامع كآلية لتعميم الاتفاقيات وتحويلها من شأن نخبة إلى شأن أهلي، ولتطييب الخواطر وإشراك الآخرين، بينما رأى في تصور الإمام حول المؤتمر مصاعب كثيرة، ودعا إلى اجتماع سداسي يضم كل من البشير، قرنق، الصادق، الميرغني، الترابي ونقد، أو من يمثلهم، مع ضمان تمثيل الشرق والغرب، يقوم هذا الاجتماع بتحديد التمثيل العادل في المؤتمر، وأجندته، وطرائق اتخاذ القرار فيه.
كان في لقاء "القطية" أيضا تنوير مهم من الدكتور الصادق عوض بشير حول تجربة جنوب أفريقيا في الحل الشامل لقضايا البلاد. ذكر دكتور الصادق أن تجربة جنوب إفريقيا هي الأقرب لنا من تجربة لبنان أو الصومال أو غيرها. وأن الحل هنالك تم على ثلاث خطوات: الأولى اتفاق الطرفين: المؤتمر القومي الأفريقي ANC بزعامة مانديلا من جهة وحكومة البيض بزعامة ديكليرك من الجهة الأخرى، اتفاقهم على أجندة التفاوض. والثانية انعقاد مؤتمر الكوديسا بينهما والذي استغرق زمناً طويلاً في المفاوضات والاتفاق بين الطرفين. أما الخطوة الثالثة فهي تحويل الاتفاق إلى قومي وذلك في مؤتمر جميع الأحزاب، والذي تم فيه تمثيل

التيارات الرئيسية وفقاً لانتخابات سريعة جداً لحصر أوزان الأحزاب بحيث تم تمثيل كل اتجاه حصل على 5% أو يزيد من أصوات الناخبين.
كما استمع المنتدى يومها لتنوير من الأستاذ كمال بولاد الذي كان ضمن وفد القوى الوطنية المسافر لنيروبي، منوراً بالاجتماعات التي انعقدت لصياغة المذكرة والتعديلات الكثيرة التي أدخلت في مسودتها.. وما لم يذكره بولاد أنها على أية حال قد ذيلت بتوقيعات الحزب الشيوعي السوداني، والمؤتمر الشعبي، وحزب العدالة الأصل، وحزب البعث العربي، والحزب الناصري بشقيه والوطني الديمقراطي وتحالف القوى الديمقراطية وحزب البعث منظمة السودان، واتحاد الطلاب السودانيين في الجامعات (الذي يضم الجامعات الست التي حررت اتحاداتها من الشموليين)، والمجلس العام لنقابات السودان.. هذه التوقيعات كانت حرية بأن تدع أي معلق ينسبها لجماعة لا لفرد حتى ولو كان كتبها الإمام الصادق المهدي من الألف إلى الياء، وكانت الأمانة تقتضي الإشارة للالتفاف الجماعي حول مذكرة نيروبي بدلاً عن محاولة نسبتها لفرد.
وقد كتبت يومها شقيقتي أم سلمة مداخلة للعمود الذي نسب المذكرة للإمام في معرض الإساءة والتقليل، وأرسلت تعليقها لكاتبه الذي نشره في عموده، وصدّره بأسطر قال فيهن إن الإمام الصادق المهدي لم يغضب مما كتب وعدّ ذلك اختلافاً في الرأي، بل قال له مازحاً حينما لاقاه "أقترح عليك أن تكوّن جمعية إنقاذ الصادق المهدي من نفسه"!
وكتبتُ يومها كذلك تحت عنوان (نعم أنقذوا الصادق المهدي من نفسه)! وقلتُ إنني لم اتفق مع فكرة أن مذكرة القوى الوطنية هي فعل شخص معزول في رصيف السياسة يفكر كيف يقوم بدور، ويحتاج أن ينقذه الناس من هذه الحالة العدمية التي أدخل نفسه فيها. لأن رصيف السياسة في أية دولة شمولية هو كل من وقف مع الشموليين أو طبّل لهم أو رضيَ بذلهم وهوانهم، وفيما عدا قلة تعد على أصابع اليد هي الممسكة بمقاليد الأمور في النظام، فكل قائمة المستوزرين والمسئولين والألقاب المدبجة هم في رصيف السياسة.
ألم نسمع من قبل بالمستشار الذي لم يكن يستشار؟ والمساعد الذي ما كان يساعد؟ كلنا قرأنا ما قيل حول ملابسات إعفاء السيد مساعد رئيس الجمهورية (2004م).. ألم نعلم بالوزراء الذين لا يملكون شيئا من الحكم؟ فليقرأ من شاء مذكرات الأستاذ مرتضى أحمد إبراهيم حول الوزارات في مايو، وليجلس من غالط إلى وزراء هذا الزمان الإنقاذي المهمشين حتى أن بعضهم يضرب عن العمل! الشيء الذي تعجب منه الأستاذ عبد الحميد عوض وهو يحلل موقف وزراء حزب الأمة "الإصلاح والتجديد" حيال أزمة الإعفاء في أكتوبر 2004م.. هؤلاء هم الجالسون على رصيف السياسة، فالحكم يلحقهم به كزوائد، والمعارضة تلعنهم بالزائد.
ليست السياسة مناصب أو ألقاب، إنها مواقف وأفكار وحراك وقدرة على مخاطبة الجماهير وبلورة آرائها والتعبير عن أمانيها وتجسيد تطلعاتها.. وليجرِ من أراد استطلاعا ليدرك هل إذا حُشد أي حشد جماهيري عفوي يتحلق الناس حول رموز النظام الذين تحمل صورهم الأخبار ويلهج بأسمائهم التلفاز والمذياع، أم "الصادق المهدي" الذي تجافيه تلك الوسائل وبعضها يرسل عليه اللعنات! حدث هذا كثيراً على أرض الواقع والإجابة لم تكن محتاجة لطرح السؤال.. فرصيف القلوب هو لأهل الإنقاذ مهما اجتهدت أبواق النظام.

بل وحدث موقف مماثل في الحرم المكي الشريف، أي حتى خارج الحدود السودانية، حيث حج رئيس جمهورية السودان ووفده في نفس العام الذي حج فيه إمام الأنصار ووفده، فلم يكن يعبأ بالوفد الرسمي أحد سوى المطوفون الرسميون، واحتشد حول الإمام الصادق الناس من كل حدب وصوب ومن جنسيات لبنانية ومصرية وأردنية وغيرها يتقاطرون للتحية وإظهار المحبة.. مما يذكر بالمشهد الذي حدث لهشام بن عبد الملك، الملك الأموي حينما لم يأبه به الناس وهو يقصد الحجر الأسود حتى جاء علي بن الحسين السجاد عليهما رضوان الله، فانفرج له الناس وأتاحوا له أن يلمس الحجر الأسود ويقبله، فاستنكر ملك بني أمية ذلك وقال من هذا؟ فرد عليه الفرزدق:

**هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم**

**هذا ابن خير عباد الله كلـــهــــم هـذا التقي النقي الطاهر العلم**

نعم لم نتفق مع تفسير الكاتب لرصيف السياسة.. ولكننا نتفق مائة بالمائة أن الصادق المهدي يحتاج أن ينقذ!

والمسألة خارج إطار المزاح تستحق هذه الجمعية وبشكل ملح.. والمهدي لو كان يضر نفسه فهو حري به أن يتلقى تلك المضار "في شان الله، والوطن".. ونحن متيقنون أنه يفعل ذلك، في شأن الله، والوطن.

لقد بح صوت كثيرين حريصين على الصادق المهدي (الإنسان) الذي بإمكانه أن يعيش حياته هانئاً حتى مع استمرار عمله بالسياسة والفكر ككثير من سياسيي الدنيا ومفكريها، وله من الأحباب ومن الأسباب ما يجعله يفعل ذلك ولا ينقص من مكانته في قلوب الناس ولا في المجتمع شيئاً. إذ ليس بالضرورة أن يكون العمل السياسي احتراقاً. ولا نحن في بلاد تقابل العمل بالحمد أو الحراك بالتفاعل بل هي بلاد -في الغالب- في سباتها تغط! سمعت العميد الحبيب يوسف بدري رحمه الله مرة يقول له: إنك تتعب نفسك كل هذا التعب، تنفخ في قربة مقدودة!

بح صوت كل محب منبهاً أو معلقاً أخرى، وقلتُ له من قبل لا بد كتبك هذا الشعب لدى "فكي مكرّب" لتهرق نفسك لأجله! لا إيماناً بالخزعبلات فلو اجتمعت الإنس والجن لما استطاعت أن تضر أو تنفع بغير ما كتبه الله، ولكن، إشارة لأن ما يقوم به أمر لا يجيزه المنطق! فالصادق المهدي أهرق كل عزيز وغال وأدخل نفسه في طاحونة لا تنتهي منذ زمان بعيد. ولكن ومنذ الهجرة في "تهتدون"، والصادق المهدي دخل في طور جديد، اعتلى خشبة مسرحية شعرية عجيبة، يكتبها بعصبه ويخرجها بلحمه وعظمه ومخه وماله وكل غالٍ. مسرحية مقتضاها أن يتحول من "الحالة الإنسانية" إلى حالة "العود المحترق". لقد مسته نيران الوطن التي هو فيها. وانطفأت في ناظريه كل المشاهد إلاه. وأشهد الله، وكلنا من حوله نشهد، أنه لم يعد ذلك الذي كنا نعرفه، إنه رجل يحتاج إلى إنقاذ! مهموم. ما بقيت من فكاهته القديمة وميله للمزاح إلا أثر يطل بين الحين والحين (والدهب إن راح بتفضل متاقيله).

الصادق المهدي عصيُّ الدمع الذي لم نكن نراه باكياً مهما ادلهمت الرزايا والخطوب وتراكمت الأحزان وحرّ الفقدان، صارت المنابر تراه تخنقه العبرات غير مرة ودموعه ما عادت كالسابق عصية. كلما تحدث عن الوطن بكى أو أبكى. الصادق المهدي في امتحانات

مستمرة، واجتهاد مستمر، يلاقي هذا ويخطب هناك ويقرأ ويكتب الأوراق، لكأن الامتحان غداً كما قال أحدهم وهو يعلق عليه منهمكا!! يتهمه البعض أنه يأتي بأبنائه في المناصب وهي "مناصبٌ" في الهم! للصادق المهدي عشرة أبناء وبنات، كلهم مشفقون أنه يحترق، وهو لا يمكن أن "يعزمهم" على النيران! فمن استطاع معه احترق ومن لم يستطع عليه أشفق.

نعم نصحنا ونبهنا وما من فائدة. البعض ممن يؤمن بأنها مسرحية ميلودرامية، أي مهما تشابكت واستطالت وتتالت مشاهدها العجيبة سوف تخلص إلى نهاية سعيدة، يقولون مع أبي الطيب المتنبي:

**لولا المشقة ساد الناس كلهم　　　الجود يفقر والإقدام قتال**

يلاقي الصادق المهدي في الدرب الذي يمشيه كل يوم عثرة، ومن مأمنه تأتيه الطعنات، ومن بني وطنه (محبوبيه) توضع العثرات، لكنه أسرج خيله وما من فائدة ترجى لمثل نصائحنا، بل نراه يعلق بخط يده في مكان "لف العمة" اليومي أبيات تجعل نصائحنا لا تعمل:

**إذا زاد فضل المرء زادت خطوبه　　　ويحمد منه الصبر فيما يصيبه**

**فمــن قل فيما يلتقيه اصطبــاره　　　لقد قل فيما يرتجيه نصيبــــه!**

ولكنك سيدي الإمام تلقى أكثر مما يمكن الصبر عليه! سادتي وسيداتي: نعم، أنقذوا الصادق المهدي من نفسه، إن كان إلى ذلك من سبيل!

وأزيد: حينما وجدته يعلق تلكم الأبيات بخط يده، وأنا أعلم مدى عدم استلطافه لخط يده، رسمتها له على لوحة على شكل جواد باللون الأخضر، فهو يحب الخيل ويحب الخضرة! وبعد مدة سافر وعاد ووجد اللوحة قد صابتها إصابات فطلب مني إعادة رسمها وقد فعلتُ، فعلقها هذه المرة في "القطية"، وهي مكان يحب أن يجلس فيه كثيراً كذلك!

ألم يقل: حتى يقول الناظر العجب العجيب؟!

## الضغط من أجل المؤتمر الجامع

بعد رجوع وفد القوى السياسية المبعوث لنيروبي للمشاركة في اجتماعات مجلس الأمن هناك، عقدت عدة اجتماعات بينه ولجنة القوى السياسية التي قامت بإيفاده، قدم فيها الوفد تنويرا عما جرى، وخرجت عن تلك الاجتماعات مقترحات بمواصلة الضغط المشترك، والتنسيق بين القوى السياسية، وتم توقيع بيان مشترك بين حزب الأمة وسكرتارية التجمع الوطني الديمقراطي بالداخل يصب في ذات الاتجاه إثر اجتماع عقد بين الطرفين بتاريخ 27 نوفمبر 2004.

في يوم الأربعاء 1 ديسمبر 2004 عقدت ندوة الأربعاء في دار الأمة، بعنوان (الوضع السياسي الراهن على ضوء قرار مجلس الأمن 1574)، تحدث فيها ثلاثة من أفراد وفد القوى الوطنية لنيروبي وهم: اللواء برمة- الأستاذ بولاد، والدكتور فاروق كدودة رحمه الله.

كان مفاد كلام الدكتور فاروق كدودة أن القوى السياسية عليها أن تفكر في العمل المشترك، وأن تعلن انعقاد المؤتمر الدستوري بحضور الحكومة والحركة أو رفضهما الحضور. وتحدث الإمام الصادق مؤكدا أن المؤتمر سيعقد سواء شاءت الحكومة ذلك أم أبت، وأن الذي سيجعل ذلك أمراً حتمياً واحد من ثلاثة خيارات: إما أن يدرك الطرفان الحكومة والحركة ضرورة

ذلك المؤتمر لتجاوز الخلافات داخلهما وللوصول لصيغة أفضل لإلزام الآخرين، والتحكيم في خلافات التفسيرات، أو أن يضغط باتجاه ذلك المجتمع الدولي، أو أن يتفاقم الضغط الشعبي باتجاه قومية الحل عبر الإضراب العام.
حتى ذلك الوقت لم يكن المكتب السياسي للحزب قد شارك في تحديد أو بلورة إستراتيجية الدفع باتجاه المؤتمر الجامع، ولا تحديد ماهيته أو حضوره بشكل تفصيلي.
وفي اجتماع المكتب السياسي الدوري بتاريخ الاثنين 6 ديسمبر 2004م استمع المكتب لتنوير من وفد الحزب لنيروبي الذي كان سلم تقريراً حول الزيارة. وفي التنوير تحدث الوفد عن أن لجنة القوى السياسية قررت الآتي:
**أولاً:** ألا يسمى المؤتمر دستورياً بل مؤتمراً جامعاً.
**ثانياً:** أن تتولى القوى السياسية الدعوة لهذا المؤتمر القومي الجامع وأن يعقد سواء أحضرت الحكومة والحركة أم غابتا.
وأن القوى السياسية على أية حال ستبلور رؤاها حول الاتفاقيات: الجزء المقبول منها، الجزء المحتاج لتوضيح ولتوحيد التفسيرات من المناطق الرمادية، والجزء الغائب من الاتفاقيات أو المحتاج أن يدرج للاتفاق حوله. وبذلك فإنها تريد أن تعين سكرتارية لتقوم ببحث كافة تلك الملفات على ضوء الاتفاقيات، وتقدمها للمؤتمر القومي الجامع. وتطلب من الحزب مدها بالأفراد المناسبين للسكرتارية، وأيضا ثلاثة أشخاص يمثلون الحزب في اللجنة التمهيدية للمؤتمر والتي ستحدد الأجندة والحضور ..الخ.
في جلسة المكتب السياسي لمواصلة ذلك الاجتماع والمنعقدة في اليوم التالي، 7 ديسمبر، تمت مناقشة تنوير وفد نيروبي. ورأى المكتب السياسي بعد بحث أن مسألة عقد المؤتمر القومي بذلك الشكل مسألة غير مفروغ منها، حتى ولو كان تأييد الحزب لفكرة المؤتمر القومي مفروغاً منه. وذلك لأن هنالك نقاط عديدة تتعلق بشكل المؤتمر الجامع ومهامه وصلاحياته غير واضحة تماماً لأعضاء المكتب السياسي، ويتعين عليهم معرفتها حتى يتسنى لهم اتخاذ القرار: إما الموافقة على عرض القوى السياسية في عقد المؤتمر بـ أو بدون موافقة طرفي التفاوض، ومن ثم تحديد ممثلي الحزب في تلك العملية، أو التحفظ على ذلك والضغط باتجاه عقد مؤتمر يجلس إليه الجميع.
وبناء على ذلك تم تكوين لجنة برئاسة السيد مساعد الرئيس لشؤون المؤتمر الدستوري، مولانا عبد المحمود حاج صالح، وعضوية من لجنة الشؤون القانونية وحقوق الإنسان، واللجنة السياسية، لتقديم دراسة حول ماهية المؤتمرات الدستورية أو الجامعة ودورها في اتفاقيات السلام والبناء القومي. وحول صلاحياتها، وحضورها..الخ. وذلك ليناقش أعضاء المكتب السياسي القضية وفقا لأسس علمية ثابتة.

## موقف بقية التنظيمات السياسية

**المؤتمر الوطني:** صدرت تصريحات سياسية من قبل الأمين العام للمؤتمر الوطني ب. إبراهيم أحمد عمر، ومن السيد قطبي المهدي مستشار الرئيس للشؤون السياسية، برفضان فيه فكرة المؤتمر القومي. وفي المقابل فإن خط بعض منسوبي النظام أمثال الدكتور غازي صلاح الدين يصب في اتجاهه. وعلى العموم فالرؤية بالنسبة للمؤتمر الوطني لم تكن واضحة والتصريحات

فردية لم تخرج كقرارات من الحزب أو من الحكومة، وقد درجنا على أن مثل تلك التصريحات حتى الصادرة من رئيس الجمهورية لا تمثل الرأي الذي سيستقر عليه الموقف الحكومي.
**الحركة الشعبية:** في تنوير وفد الحزب لنيروبي أفاد اللواء برمة أن الآراء بين قيادات الحركة الشعبية التي لاقوها مختلفة. فبينما رفض السادة إدوارد لينو ومالك عقار فكرة المؤتمر القومي باعتبار أن الاتفاقيات قائمة على توازن القوى بين الطرفين المتقاتلين ولا مكان لغيرهما، فإن السيد رياك مشار أكد أنهم ضد عقد هذا المؤتمر قبل التوقيع على اتفاقية السلام، بينما يرى ضرورة عقده بعد التوقيع وقبل ممارسة لجنة الدستور لصلاحياتها لأن قراراته تكون مبادئ منيرة لعمل لجنة الدستور. وعلى العموم فالحركة أيضا حتى حينها لم تصدر رأياً واضحاً في المسألة.
**الحزب الاتحادي الديمقراطي:** بينما وقع الحبيب الإمام الصادق المهدي كرئيس لحزب الأمة بياناً مشتركا مع رئيس الاتحادي الديمقراطي في القاهرة بتاريخ 10 نوفمبر 2004 تطرقنا له، موافقاً على المؤتمر الدستوري، تنصلت قيادة الحزب بالداخل عن التوقيع في مذكرة القوى السياسية لمجلس الأمن بدون إبداء سبب ظاهر وبرغم توجيه الدعوة لهم. لاحقا وفي الاتفاق بين حزب الأمة والتجمع تم الاتفاق على المؤتمر الدستوري، فالحزب الاتحادي الديمقراطي صار حينها يدفع باتجاه ذلك المؤتمر وهذا ما تردد حول زيارة السيد محمد عثمان الميرغني حينها للولايات المتحدة الأمريكية. كما جاء في موقع جريدة الحزب الإلكترونية بالإنترنت (الاتحادي) في ذلك الوقت إذ جاء أن المعارضة تؤيد عقد المؤتمر الدستوري شاءت الحكومة أو أبت. بل وتحدد موعداً للمؤتمر في يناير 2005.
**الرأي العام:** كتب باتجاه المؤتمر القومي الدستوري كثيرون شماليون وجنوبيون، أمثال أحمد عمرابي (في أخبار اليوم السودانية)، وبونا ملوال (في الرأي العام السودانية) ومرتضى الغالي (في الأيام)، والحاج وراق.. ولكن وقف تيار مخالف له داخل التيارات المعارضة نفسها، مثلا الدكتور عدلان الحاردلو في ملتقى بين الصحافة والسياسة (وإن اقتنع أن حسم نوع الإسلام المطبق في الشمال يقتضي عقد مؤتمر له)، وعثمان ميرغني، وكمال حامد، وغيرهم..
الشاهد، اختلفت الرؤى حول أطروحة المؤتمر الدستوري ولكن غالبية الرأي العام المعارض حزموا أمرهم على أن يضغطوا ويعملوا بلا توقف.. إنها مسألة وحدة أو تمزق، بل مسألة حياة أو موت للوطن!

## سمنار المحكمة الجنائية

وقع السودان على نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية في 2000/9/8م ولكنه لم يصادق عليه. والتوقيع يعني أن البلد المعني موافق مبدئياً على الانضمام ولكنه سوف يدرس الوثيقة ويتخذ خطوة الانضمام بعد تلك الدراسة.
في يوم 22 ديسمبر 2004م عقد سمنار في دار نقابة المحامين السودانيين بالخرطوم نظمته النقابة بالاشتراك مع معهد جنيف لحقوق الإنسان والتحالف الدولي من أجل المحكمة الجنائية الدولية، حضر الحبيب الإمام الصادق المهدي ذلك السمنار وتحدث عن المحكمة وكيف أنها تحقق مطامح العدالة وعدم الإفلات من العقوبة، وتقي من تقلبات المحاكم الخاصة وتأثرها بمصالح وسياسات الدول التي تدفع نحن تكوينها، ولذلك فإن تكوين المحكمة انتصار للعدالة.

خرجت توصيات هذا السمنار بضرورة أن يصادق السودان على نظام روما وعلى وجه السرعة. وكان السيد علي محمد عثمان يس وزير العدل حينها حاضرا ذلك الاجتماع، فقال له الحبيب الإمام يجب عليكم التصديق على هذا النظام وإلا طالكم الاتهام، فقال السيد وزير العدل بأنه يوافق على المصادقة.
حتى ذلك الوقت لم يكن مجلس الأمن أحال جرائم دارفور للمحكمة الجنائية، وحينما يفعل.. سوف يجن النظام السوداني وتتحول المحكمة الجنائية الدولية إلى (شيطان رجيم).

## التوقيع على اتفاقية نيفاشا

تتالت الأحداث نحو الخطوة الأخيرة..
كتب الحبيب الإمام في الشرق الأوسط بتاريخ 20 ديسمبر (كيف ننقذ السلام القادم من مخاطر الثنائية).
في 22 ديسمبر 2004م تم توقيع اتفاق القاهرة بين الحكومة والتجمع الوطني الديمقراطي.. سوف يلتحق التجمع، لا مؤتمر جامع ولا يحزنون، للأسف!
وفي التاسع من يناير حصل العرس الكبير، اقرأ: الوهم الكبير، احتفال ضخم شاركت فيه حتى قطعان التيتل (كما مزح الراحل قرنق يوم التوقيع محيياً التيتل في المنتجعات الكينية الذي أضاف لتفاوضاتهم متعة). ففي التاسع من يناير تم التوقيع على الاتفاقية بشكلها الكامل بما فيها جداول التنفيذ..
وضعت لتنفيذ الاتفاقية خطط تفصيلية محددة بالعام وأحيانا الشهر واليوم لكافة المناشط والإجراءات اللازم عملها، أهم خطط التنفيذ اثنتان:

- خطة الجام (البعثة المشتركة لتقدير احتياجات السودان) والتي أكملت تقريرها في أبريل 2004م وقدم لمؤتمر المانحين بأوسلو في 15-16 أبريل 2004م لغرض تنفيذ اتفاقية السلام.
- مصفوفة تنفيذ الاتفاقية. تم إدراجها مع ملف الاتفاقية النهائي في نيفاشا في 9 يناير 2005م. وقد اعتبرت جزءً لا يتجزأ من الاتفاقية.

هذا وقد نصت الاتفاقية على تكوين مفوضية لتقويم تنفيذ الاتفاقية ونص الدستور الانتقالي (المادة 221) على تكوين مفوضية التقويم والتقدير المكونة من طرفي الاتفاقية والمجتمع الدولي الضامن لها.
كان الفرح عارماً، وقد خرجت صحيفة الصحافة يومها بعنوان (تبت يد المستحيل).
وأذكر، لدى احتفال الصحيفة بالسلام قبيل هذه الخطوة الأخيرة زغردت الصحافية الماجدة لبنى أحمد حسين..
كان الجو العام مغتبطاً بحق.
وكنتُ يومها موزعة بين حديث القلب، اقرأ: الوهم، الذي يشع بالغبطة والأمل المدوّلين وسط بنات وأبناء الشعب السوداني، وبين حديث العقل والمخاوف التي زرعتها تحليلات السيد الصادق وحزب الأمة.. وكم كنا نود لو كانت مخاوفنا خاطئة، نهشها ونقول، "الله يكضب الشينة"!

لكن "الشينة"، لولا تلك الأحلام الغرة كانت أظهر من الشمس.. فماذا ينتظر من حكومة يتسلط عليها المؤتمر الوطني بنسبة 52%؟ ومن أين ستأتي بوحدة أو سلام أو ديمقراطية؟
الشاهد، برغم الجو العام الذي غلب عليه التفاؤل، كتب الحبيب الإمام الصادق المهدي كتاباً بعنوان (اتفاقية السلام يناير 2005م، والدستور الانتقالي 2005م في الميزان) صدر في مايو 2005م وترجم للإنجليزية، ونشر على نطاق واسع. كتاب ينبه إلى الفيل القادم نحو حشائش الوطن.
وسوف نتطرق لجانب من ذلك الكتاب الذي قرع الأجراس في الجزء السادس من هذه السيرة بإذن الله.. إذ نبه بالصوت الجهير إلى أن الاتفاقية بتركيزها على المحاصصة أغفلت جوانب مهمة، ولصعوبة الاتفاق على بعض القضايا وضعت نصوصاً غامضة ستشكل قنابل موقوتة وشيكة الانفجار، كما أنها نصت على أمور بائنة الخطل سوف تشجع الانفصال لا الوحدة.. وأنها بحرصها على الثنائية أصرت على إبعاد الآخرين كلهم فلم تدع لهم سوى مساحات ديكورية.
ولكن، سوف يكون الجميع بمن فيهم الحركة الشعبية صاحبة الـ28% ديكوراً. سوف يُعمل المؤتمر الوطني آليات الاختراق، والمناورة، والمداورة، حتى يُغتال السلام، والتحول الديمقراطي، ثم تغتال الوحدة!
كان ذلك هو سيناريو ذبح الفجر أو غشه!
وسوف نشهد في الجزء القادم من هذه السيرة بإذن الله كيف كانت المذبحة.
حينما تم التوقيع على اتفاقية تقرير المصير للسودان بين مصر وبريطانيا في فبراير 1953م فإن الشاعر المذهل محمد المهدي المجذوب رحمه الله، والذي كان معارضاً ماردا للحكم البريطاني ومعارضاً شرساً للخديوية المصرية على السواء لا يرى من سبيل لإزالتهما إلا بالجهاد على غرار ما فعل المهدي عليه السلام، لم يصدّق أن الاتفاقية يمكن أن تفضي إلى الاستقلال، وحملت قصيدته (فجرٌ كذوب) هذا التشاؤم، إذ قال:

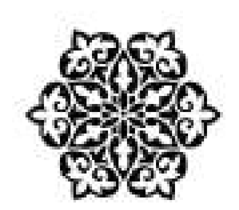
**أين الصباح! لقد جئنا إلى شفق ... كحمرة الخمر لا تبقي وتختلبُ**
**سقى المطامع ألواناً فأنبتهـــــا ... شوكاً تألق فيه الدمع والذهبُ**
**والناسُ كالناس عهد الغاب أطلقهم ... مخــــــربين فمنهوب ومنتهبُ**
**في كل ناحيــة رأي يخالفـــــه ... رأيٌ ورأيٌ به الأوطان تنشعبُ**

أبياته هذه كذبتها الأيام إذ نال السودان استقلاله جراء تلك الاتفاقية فقد أعلن الاستقلال من داخل البرلمان الذي أتت به انتخاباتها.. لكنها أبياتٌ إنما تصدق للغاية على الاتفاقية التي لم تؤدِ للسلام وإن استبشر بها الشعب السوداني، فلم يطلع الفجر أبدا، وانشعبت الأوطان! وهذا ما انتبه إليه الحبيب الإمام دون غيره، فنصح وأشار لمواضع الخلل، ونبه لوسائل الترشيد. ووقف كثيرون من طرفي الحكم والمعارضة ينظرونه شذرا، ولا يبالي. ولو قدر لنا مواصلة أحداث السيرة فسنجد الصورة تتكرر بشكل أكثر حدة أثناء الثورة المجيدة، أو مولد الوطن الجديد في ديسمبر 2018م.
وكما قال الحبيب محمد صالح مجذوب:

**راكز مصمم حر بصير**
**نبهت بالخطـــر البرز**

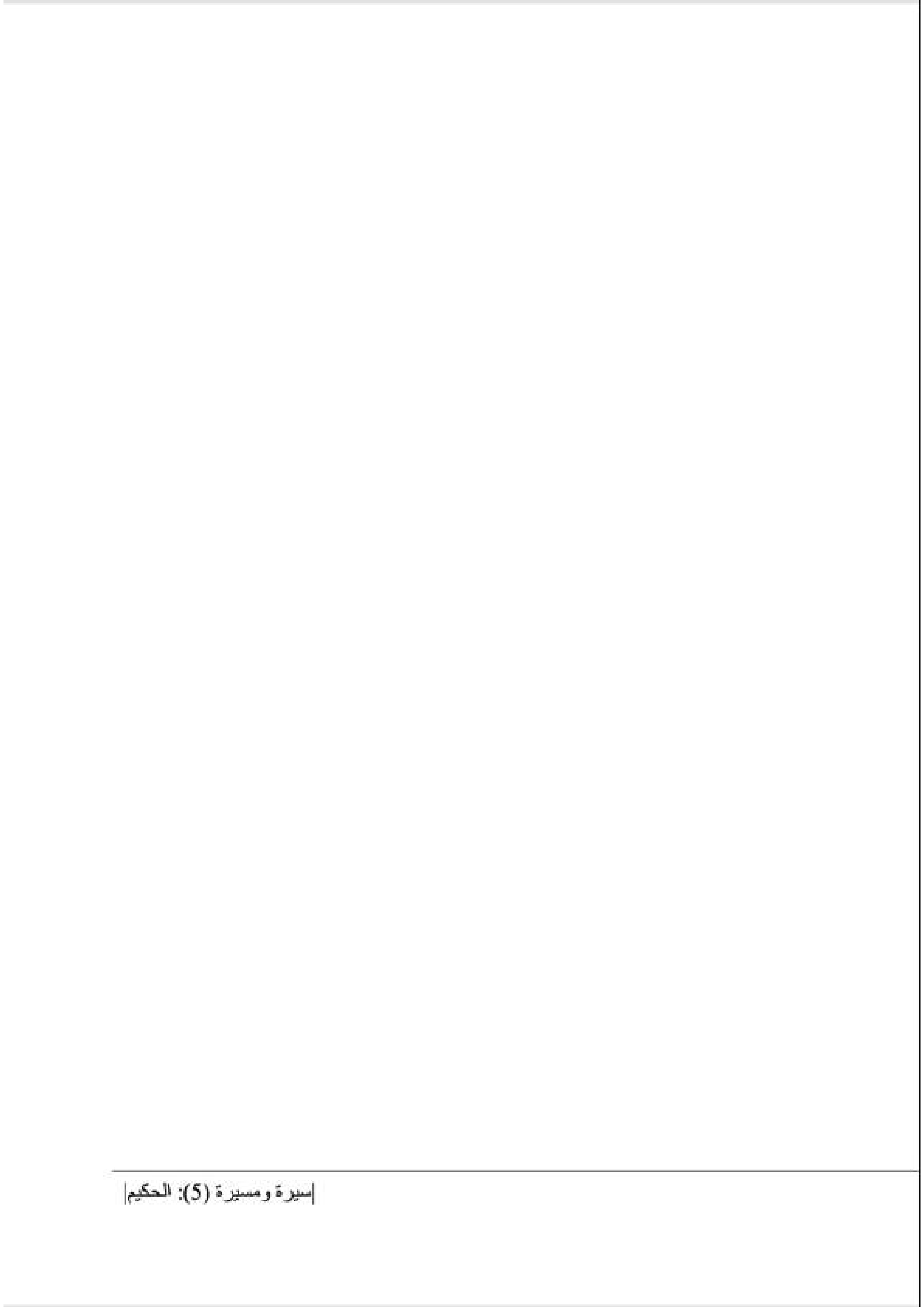
**ناصحت بالصوت الجهير**
**والكل عمُوا**
**ضاربين طناش أو سلموا**
**للإخطبوط استسلموا**
**إلا البصير**
**فخر البلد ومعلمو**
**زي شعبو متوطي الجمر**
**وطني وأصيل**

سوف نتوقف هنا عن السرد. وفي الجزء القادم بإذن الله نتطرق لفكر الحبيب الإمام الصادق المهدي، مؤجلين الجزء الذي بدأناه ولم نكمله بعد، وفيه وصف لكيف ضاع الجنوب، وكيف واصل الحبيب الإمام الصادق المهدي وأصحابه وحلفاؤه محاولاتهم المستميتة لإبقاء ما تبقى من وطن، فمهما كانت النكبات، يبقى الأمل. وهو أمل انبعث بقوة الآن مع الثورة الظافرة.
ولكن إلى اللقاء القادم والذي يليه بإذن الله، فإننا نورد في الفصل القادم أهم المحطات في حياة حبيبنا النعمة.



## الفصل الرابع

# أهم المحطات





## الفصل الرابع

# أهم المحطات

كنا نزمع المواصلة في رواية الأحداث حتى نصلها بوقتنا الراهن، إلا أننا راجعنا موقفنا ذاك لاعتبارين: الأول نصح صاحب السيرة نفسه، إذ علق قائلاً إن الناس لم تطلع على ما كتبت بعد، مفضلاً أن أتوقف هنا بانتظار أن يهضم القراء ما أزلفته قبل مباغتتهم بجزء جديد.

والثاني أني انشغلت في العام 2018م بكتابة باب عن فكر الإمام يزمع نشره ضمن كتاب عن المفكرين السودانيين، تحرره السيدتان سوندرا هيل وغادة كدودة. وأثناء عملي في ذلك الباب شعرت بأولوية الكتابة عن فكر الإمام بتعمق، فبالرغم من أن هناك كتابات عديدة تطرقت لفكره في جوانب مختلفة إلا أنها برأيي محتاجة هي نفسها لقراءة نقدية للوصول إلى درجة أعلى في الفهم، ولذا أزمعت أن يختص الجزء السادس من السيرة بالفكر، ويؤجل عملي في الجزء الذي عنونته (ويبقى الأمل) ليخرج في الجزء السابع إن شاء الله.

وحتى لا أفقد هواة التاريخ للأحداث السياسية والخاصة في حياة الإمام فقد أفردت هذا الفصل لمتابعة أهم المحطات العامة والخاصة في حياته.

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 25 ديسمبر 1935 | الميلاد |
| 1942 وما قبلها | الخلوة بالجزيرة أبا |
| 1943 | مدرسة الأحفاد الابتدائية |
| حوالي 1945 | مدرسة كمبوني بالخرطوم |
| أواخر 1948 | كلية فيكتوريا بالإسكندرية |
| النصف الثاني من العام 1952 | العودة من فيكتوريا للسودان، ومرافقة الشيخ الطيب السراج |
| أواخر 1952 | الالتحاق بكلية العلوم جامعة الخرطوم |
| مارس 1953 | الجلوس لامتحانات الجامعة والنجاح فيها، ولكن نكوص المستر ساندون عميد الكلية عن وعده |
| مارس 1954 | الجلوس لامتحانات أوكسفورد من جامعة الخرطوم |
| أبريل 1954م | الذهاب لبريطانيا ومعه عماه يحي وأحمد للدراسة بجامعة اوكسفورد، وهناك غير خطته لدراسة الاقتصاد والفلسفة والسياسة بكلية القديس يوحنا |
| 1954-1957 | الدراسة في كلية القديس يوحنا، والتخرج بمرتبة الشرف ثم نيل الماجستير تلقائياً بعد عامين |
| 1957م | العودة إلى السودان |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| أكتوبر 1957- فبراير 1958م | مشاركاً في الحملة الانتخابية لحزب الأمة بدنقلا برئاسة السيد أمين التوم، ثم في الحملة إلى جبال النوبة حيث بقي هناك ثلاثة أشهر قال إنها كانت مدرسة بالنسبة له، واعتبر تلك المهمة "مأمورية" على أن يتوظف، ثم يستأنف دراسة الزراعة بكاليفورنيا |
| مارس 1958م | عمل موظفاً بوزارة المالية، مساعد مفتش بقسم الإنشاء والتعمير، بالدرجة كيو |
| نوفمبر 1958م | تقدم باستقالته بخطاب لرئيس القسم السيد عبد الهادي حمدتو بعد قيام انقلاب 17 نوفمبر 1958م |
| 2 و4 مارس 1959م | الحركة التركيزية للانقلاب (سموها التصحيحية) والتشمير بالعداء لحزب الأمة |
| 24 مارس 1959م | رحيل الإمام عبد الرحمن وتقلد الصديق الإمامة، ووجد الصادق نفسه مضطراً للانخراط في العمل السياسي والتصدي للنظام العسكري مع الإمام الصديق |
| يونيو 1959م | صدور كتاب العبادات للإمام المهدي بخطبة مطولة للكتاب كتبها السيد الصادق المهدي حوت مجامع فكره الذي اتضح في كتاباته اللاحقة |
| مارس 1960م | زواجه من السيدة حفية مأمون |
| 21 أكتوبر 1959م | مذكرة الإمام الصديق الأولى للحكم العسكري مطالباً بنهاية الحكم العسكري |
| 29 نوفمبر 1960م | المذكرة الثانية من كل قادة المعارضة |
| ديسمبر 1960- أبريل 1961م | طواف السيد الصادق بكردفان شمالاً وجنوباً وغرباً والعودة بناء على استدعاء الإمام الصديق للوفود (هناك مذكرات تفصيلية حول ذلك الطواف والقرى التي شملها) |
| 1 يناير 1961م | خطاب الاستقلال القوي الذي وجهه الإمام الصديق بحضور حشود من كل القوى السياسية السودانية. أعقب ذلك تفاوض مع السلطات ثم مواجهة. وبعد تلغراف الجبهة الوطنية المتحدة احتجاجا على تعذيب محام بشكل بشع في يوليو 1961م، اعتقل العسكر كل الزعماء المشتركين في اجتماع التلغراف إلا الإمام الصديق والسيد ميرغني حمزة، وارسلوا لفت نظر للإمام الصديق في 11 يوليو 1961م. |
| 21 أغسطس 1961 | أحداث المولد التي أدت لاستشهاد 12 من الأنصار، وثمانية من الجند الذين هجموا عليهم بالنيران. |
| 2 أكتوبر 1961م | وفاة الإمام الصديق بعد إصابته بالذبحة الصدرية جراء أحداث المولد، وتركه وصية لبكره الصادق أن مطلبنا هو مطلب البلد عامة لتحكم بالديمقراطية والشورى فاحرصوا على تحقيقه مهما كلفكم الحرص، وبالنسبة للأنصار يكون مجلس خماسي يرعى شئون الأنصار حتى تسمح الظروف باختيار الإمام "عن طريق الشورى بقرار الأنصار". قرر المجلس الخماسي تجاوز الوصية واختيار الإمام بواسطة خمستهم، وبدون مراعاة مذكرة من كبار الأنصار حول الأمر، واتفقوا على مبايعة الإمام الهادي ووافق السيد الصادق بشرط مواصلة خط الإمام الصديق المعارض للدكتاتورية، وأن يذيع وصية الإمام الصديق على الملأ لحظة تشييع الإمام. |
| 1 يناير 1962م | الاتفاق على خطاب في احتفال الجبهة الوطنية بالاستقلال (لجنة الخطاب: محجوب محمد صالح، عثمان خالد، نصر الدين السيد، الصادق المهدي)، خفف الإمام الهادي الخطاب وكان ذلك أول شرخ في المعارضة. |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 1963/2/24م | زواجه من السيدة سارا الفاضل |
| مارس 1963م | انعقاد مؤتمر الوكلاء بالجزيرة أبا وشكل ثورة حقيقية في الكيان، أسفر عن برنامج مكون من 14 بنداً ولأهميته وقع عليه الصف الأول من الكيان في الخرطوم كوثيقة تاريخية وكأداة تعبئة. تم التوقيع في 1964/8/26م. |
| 1963/12/31م | منعت السلطات احتفال الاستقلال المزمع في أول يناير 1964م ففشل الاحتفال وكل الإجراءات البديلة. كتب السيد الصادق: إننا أمام أحد مسلكين: إما الموت الأدبي أو العمل الثوري، ومن ثم قاد العمل ضمن لجنة تنسيق تعمل مع الطلبة والمزارعين والعمال في مقاومة النظام العسكري |
| أبريل 1964م | إصدار كتاب "مسألة جنوب السودان" أوضح أن المشكلة في جوهرها سياسية اقتصادية ثقافية لا تحل عسكرياً. اتصل به وزير الداخلية أحمد مجذوب البحاري ليحذره وقال له إن القرار كان اعتقاله ولكنه رأى أن ينبهه. أصر الصادق على نشر كتابه. |
| أواخر سبتمبر 1964م | اجتماع أعضاء مجلس الوصية في منزل السيد عبد الله الفاضل ثم إصدارهم لـ"مذكرة أكتوبر" للإمام الهادي بخصوص حسم خلافات التنظيم وطريقة العمل بالكيان |
| 21 أكتوبر 1964م | تهجم الشرطة على ندوة طلاب جامعة الخرطوم بكلية البركس بالرصاص الحي فاغتالت فوراً الشهيد القرشي وآخرين. |
| 21 أكتوبر 1964 | إصدار الصادق "رسالة للمواطن السوداني" دعا فيه للثورة على الحكومة العسكرية. وزار أسرة الشهيد القرشي في المستشفى وأكد عليهم ألا يسلموا جثمان الشهيد للسلطات العسكرية |
| فجر 22 أكتوبر 1964م | السيد الصادق يرسل خطابات لقيادات الأمة والأنصار يقول: لقد بدأت الثورة الدامية هذا المساء ضد نظام الفريق إبراهيم عبود... مع دعوة عاجلة للاجتماع بمنزل الإمام الهادي لمواجهة الموقف في الساعة السادسة من ذلك الصباح. الاجتماع خرج بضرورة المشاركة في تشييع الشهيد القرشي. وكتابة مذكرة من الإمام الهادي لرئيس وأعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة. |
| 22 أكتوبر 1964م | السيد الصادق يؤم المصلين على جثمان الشهيد |
| 23 أكتوبر 1964م | صيغت مذكرة عصر الخميس 22 أكتوبر من الإمام الهادي لعبود، وتم الاتصال بالقصر لتسليمها فضرب لهم موعد بالسبت 24 أكتوبر، وأرسل السيد إسماعيل الأزهري برقية في 23 أكتوبر، وصدر بيان باستقالات أساتذة الجامعة 23 أكتوبر. |
| الاثنين 26 أكتوبر | قرر مجلس الوزراء بعد استعراض المذكرات المختلفة استدعاء المجلس المركزي للانعقاد، ثم اعاد عبود وضباط المجلس الأعلى للقوات المسلحة النظر في القرار وقرروا حل المجلس الأعلى ومجلس الوزراء وتكوين حكومة انتقالية، ومن ثم الاتصال بالجبهة الوطنية للتفاوض حول الأمر، فأرسلوا اللواء عوض عبد الرحمن واللواء الطاهر عبد الرحمن موفدين لهم ببيت الأمة. وفي نفس اليوم تكونت الجبهة القومية الموحدة من الجبهة الوطنية وجبهة الهيئات لقيادة المفاوضات مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة. |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| الأربعاء 28 أكتوبر | ذهب وفد التفاوض: مبارك زروق، حسن الترابي، عابدين إسماعيل، أحمد السيد حمد، الصادق المهدي للتفاوض في القصر. كتب السيد الصادق نقاطاً اتفقوا عليها كأساس للتفاوض صارت فيما بعد الميثاق الوطني. حينما اجتمعوا بعبود طالبوا بإعادة الدستور المؤقت الذي عطله الانقلاب فتساءل عبود عنه ورفع الاجتماع، وتم استئنافه في يوم الجمعة 30 أكتوبر 1964م وفي هذه المرحلة انضم إليهم بغير تفويض من الجبهة القومية الموحدة: بابكر عوض الله، طه بعشر، الأمين محمد الأمين، وأحمد سليمان. |
| 31 أكتوبر 1964م | إعلان حكومة أكتوبر الأولى من مجلس وزراء برئاسة السيد سر الختم الخليفة، على أن يظل عبود رئيساً للدولة يمارس سلطات مجلس السيادة في ظل دستور 1956م المؤقت. |
| 9 نوفمبر 1964م | سريان إشاعة عودة العسكريين للحكم وبيان ليلة المتاريس الشهير وتدفق الجماهير في الشوارع لحماية الثورة، ومع أن ذلك كان تضخيماً شديداً للأحداث، إلا أنه أكد عدم مقبولية عبود كرأس للدولة. |
| 14 نوفمبر 1964م | اجتماع الهيئة التأسيسية لحزب الأمة وانتخابها للسيد الصادق رئيساً لحزب الأمة وفوزه على منافسه السيد محمد أحمد محجوب بفارق كبير في الأصوات، وكذلك فوز الأمير عبد الله نقد الله أميناً عاماً للحزب. وفوز عدد من مناصري التجديد والمؤسسية في الكيان بقيادة الصادق في انتخابات المكتب السياسي للحزب، مع سقوط عدد من كبار أسرة المهدي والأسر الكبيرة في انتخابات المكتب السياسي. |
| 15 نوفمبر 1964م | أرسل السيد الصادق السيد أحمد عبد الوهاب للفريق عبود مطالباً إياه بالتنحي مع وعده ألا يقدم للمحاكمة وأن يكون التعامل معه كريما بمراعاة حقوق معاشه وعدم المساس به. وبالفعل استجاب عبود للطلب فاستقال، وحل محله مجلس سيادة كانت الرئاسة فيه دورية (د. عبد الحليم محمد، د. التجاني الماحي، د. مبارك الفاضل شداد، إبراهيم يوسف سليمان، ولويجي أدوك). لهذا وقف الصادق مستقبلاً ضد الدعوات لمحاكمة عبود وفاء بالعهد. |
| 25-26 ديسمبر 1964م | انعقاد المؤتمر العام الثالث لحزب الأمة، وإجازة دستور الحزب ولوائحه وبرنامج (نحو آفاق جديدة) |
| فبراير 1965م | تصدي السيد الصادق لتأخير الانتخابات. في 2 فبراير أجاز مجلس الوزراء أمر تقسيم الدوائر الإقليمية على أن تجري الانتخابات في وقت لا يتعدى 21 أبريل 1965م، وفي نفس اليوم أذاع السيد خلف الله بابكر وزير الاستعلامات والعمل نداء هاجم فيه الجبهة القومية المتحدة وطالب من الجماهير عزلها. فحدث بناء على ذلك تحرك جماهيري تلقائي واسع في العاصمة ووفدت جماهير كثيفة من الأقاليم مساندة للجبهة القومية أي كان التجاوب عكس النداء. فقررت الجبهة القومية إقالة الحكومة وتكوين أخرى ملتزمة بالميثاق. تحرك السيد الصادق متصلاً برئيس الوزراء وبرئيس مجلس رأس الدولة حينها حتى تم الأمر بإقالة الحكومة في 18 فبراير 1965م وتم تكوين حكومة ثانية أكثر اتزانا في 24 فبراير. هذه الحكومة توسعت في 1965/3/31م لاستيعاب ممثل الحزب الشيوعي وثلاثة ممثلين للشعب الديمقراطي. |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 15-31 مارس 1965م | انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة، وتكوين لجنة الاثني عشر للبحث عن صيغة دستورية مناسبة للعلاقة بين الشمال والجنوب |
| مايو 1965م | قيام انتخابات عامة وتكوين حكومة برئاسة المحجوب عن حزب الأمة في 6 يوليو 1965م |
| 1965/11/18م | تعديل الدستور لحل الحزب الشيوعي بأغلبية ساحقة في الجمعية التأسيسية |
| يناير 1966م | تقرير لجنة حزب الأمة لمحاسبة رئيس الوزراء برئاسة السيد أمين التوم وقبلت الهيئة البرلمانية التقرير ورفض المحجوب مساءلة الهيئة باعتبار أنه مسؤول أمام الإمام |
| 1966م | بلوغ رئيس حزب الأمة المنتخب، السيد الصادق المهدي، السن القانونية للترشح للجمعية (30 سنة) في ديسمبر 1965م، وإخلاء الحزب دائرة كوستي الجنوبية له ليتسنى له دخول الجمعية |
| 1966/4/17م | خطاب السيد عبد الله الفاضل رئيس مجلس الوصية للإمام الهادي يقول إن حكومة المحجوب فشلت، ويعتذر عن حضور جلسات تتعلق بتلك الحكومة |
| 27 يوليو 1966- 15 مايو 1967م | حكومة السيد الصادق المهدي |
| أكتوبر 1966م | مؤتمر جميع الأحزاب السودانية لحل مشكلة الجنوب |
| أكتوبر/ نوفمبر 1966 | الطواف على الجنوب |
| مارس 1967م | إجراء الانتخابات التكميلية في الجنوب |
| مايو 1967- أبريل 1968م | حكومة محجوب الثانية |
| 7 فبراير 1968م | خرق الدستور بحل الأزهري رئيس مجلس السيادة للجمعية التأسيسية من القصر مساء لتلافي اجتماع الجمعية 8 فبراير الذي يزمع إسقاط الحكومة. |
| 8 فبراير 1968م | منع الشرطة لنواب الجمعية التأسيسية من الاجتماع بأوامر من مجلس الرئاسة، واجتماعهم تحت الشجرة واتخاذ قرار بطلان خرق الدستور وحل الجمعية وتقديم عريضة للقضاء |
| مارس- أبريل 1968 | إجراء الانتخابات العامة التي حصل فيها جناح الصادق على مقاعد أكثر من جناح الإمام وإن خسر الصادق مقعده في دائرة كوستي، كما خسر الحزب ككل جراء الانقسام في دوائر عديدة وكانت الأغلبية للحزب الاتحادي الديمقراطي الذي خاض الانتخابات موحداً بين حزبي الوطني الاتحادي والشعب الديمقراطي. |
| 7 أبريل 1968- مايو 1969م | حكومة المحجوب الثالثة |
| 5 مايو 1968م | مقتل حليف السيد الصادق السيد وليم دينق وإهمال الحكومة للتحقيق في مقتله |
| 7 ابريل 1969 | إعلان توحيد حزب الأمة في مهرجان ضخم واحتفالات في الخرطوم وأم درمان |
| 25 مايو 1969م | انقلاب النميري |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| ضحى يوم 25 مايو | أول محاولة لاغتيال السيد الصادق بمنزله بالملازمين، قوة بقيادة أب شيبة كانت تضمر شرا تم تلافيه بتدخل من الضباط الانقلابيين أنفسهم |
| 26 مايو | التوجه إلى أبا ثم منها إلى سنجة وكتابة خطابات لضباط بالجيش. ثم العودة لأبا وحضور الفاتح عابدون واصطحاب السيد الصادق بحجة الحوار الذي كشف أحد الضباط (محجوب برير) أنه كان للاستدراج تهيئة للاغتيال. |
| 3 يونيو 1969 | اللقاء الأول بالنميري |
| 5 يونيو 1969م | خداع السيد الصادق بأنهم بصدد مواصلة الحوار، ثم نقله بالطائرة إلى المعتقل بجبيت |
| يوليو 1969م | مؤامرة الانقلاب العنصري تهيئة لإعدامه قضائيا أعلنها وزير الداخلية في مؤتمر صحفي |
| أواخر يوليو 1969 | نقله إلى السجن الأسود ببورتسودان، وصدور أوامر بتصفيته في الطريق لبورتسودان ولكن التعليمات وصلت بعد وصوله لبورتسودان. |
| 1969/9/16م | تحويله من سجن بورتسودان إلى سجن شندي |
| فبراير 1970م | أطلع قائد القيادة الشمالية تاج السر مصطفى السيد الصادق المعتقل تحت سلطته على المخاطر المدبرة للجزيرة أبا |
| 1970/3/14م | خاطب السيد الصادق الإمام الهادي بتسريب خطاب عبر أخته السيدة وصال ليعلمه بالمكيدة المعدة لأبا، وناصحاً بتجاهل زيارة نميري الاستفزازية للنيل الأبيض. |
| 1970/3/27- 1970/3/30 | ضرب الجزيرة أبا من الجمعة للاثنين. |
| 31 مارس | توقف الضرب وتسليم الجزيرة أبا فجراً، ومقتل الإمام الشهيد الهادي المهدي ورفيقيه قرب الكرمك على الحدود الأثيوبية وإذاعة النظام في 1 أبريل مقتل الإمام |
| 1 أبريل 1970م | تحويل السيد الصادق من شندي للمعتقل بالقاهرة بالطائرة، حيث اعتقل بمنزل قائد كلية الشرطة |
| 19 يوليو 1971م | محاولة الانقلاب الشيوعي، وتحول النميري للغرب بعدها، ومحاولة السادات التفاهم مع السيد الصادق، ولجوء المايويين للحيلة لترحيله من مصر بادعاء أنهم يريدونه رئيسا للوزراء، وتم تحويله بالطائرة إلى اعتقال منزلي ببورتسودان |
| 1972م | تأليف كتاب: يسألونك عن المهدية |
| مارس 1972م | اتفاقية السلام والدستور الذي انبثق عنها في 1973م ونص على الحريات |
| مايو 1973م | إطلاق سراح السيد الصادق المهدي لفترة سبعة أشهر |
| أغسطس-سبتمبر 1973م | انتفاضة شعبان التي صادر النظام بعدها هامش الحريات المتاحة |
| 26 ديسمبر 1973م | اعتقال السيد الصادق في سجن كوبر ثم ترحيله إلى السجن الأسود ببورتسودان في 30 ديسمبر |
| أبريل 1974م | إطلاق سراحه بناء على تقرير طبي من الدكتور أحمد عبد العزيز للاستشفاء بالخارج |
| 24 أبريل 1974م | سفر السيد الصادق إلى لندن ومقابلة الهندي وعمر نور الدائم، ارسلت القيادة الليبية وفدا للحوار |

| التاريخ | الحدث |
| --- | --- |
| صيف 1975م- مارس 1976م | القاء أربع محاضرات في جامعات بريطانية نشرت في كتاب "أحاديث الغربة". وألقى في تلك الفترة محاضرة في كانتربري في مؤتمر للأديان |
| 1975م | محاولة اغتيال أخرى من النظام علمت بها سلطات الأمن البريطانية وأرسلت ضابطا ليقيم في منزله للحراسة |
| يناير 1976م | الاتفاق على ميثاق الجبهة الوطنية |
| 1976/4/20 | مؤتمر لندن لأعضاء المكتب السياسي للجبهة الوطنية وحضره الشهيد محمد نور سعد لاكمال ترتيبات الانتفاضة المسلحة |
| 2 يوليو 1976م | الانتفاضة المسلحة التي هزت النظام ولكنها فشلت وتلاها قمع رهيب للأنصار وحزب الأمة |
| أواخر 1976م | إرسال فريق اغتيال للسيد الصادق وآخرين إلى بريطانيا |
| 6-7 يوليو 1977م | لقاء بورتسودان لبحث المصالحة الوطنية مع النميري امتد لعشر ساعات |
| 14 يوليو 1977م | اجتماع المكتب السياسي للجبهة الوطنية بفندق براون بلندن فوض السيد الصادق لمواصلة الحوار (بحضور الهندي) |
| 23 يوليو 1977م | لقاء السيد الصادق والشريف الهندي بالإذاعة البريطانية استضافهما إسماعيل طه، أيد الهندي المصالحة |
| 1977/9/26م | العودة للبلاد: أقدامي لم تمس الأرض |
| 9/27- 1977/12/11م | اجتماعات مع النميري تناولت الاتفاق على قضايا عديدة منها الإصلاح القانوني، والسياسة الخارجية، وتعديل الدستور..الخ، تم الوصول فيها لنقاط محددة ولكن لم يخرج بها بيان ولم تنفذ |
| 1978/4/11م | اتفاق الهندي مع أبو القاسم هاشم تم إعلانه في مؤتمر صحفي بلندن، ونشره في الصحف ولكن لم ينفذ |
| يوليو 1978م | إعلان المصالحة وبنودها رسمياً عبر مؤتمر صحفي |
| أوائل أغسطس 1978م | قبل السيد الصادق عضوية المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي لدواعي عملية وهي سفره لليبيا حتى تكون محادثاته مع القذافي لها صفة رسمية بحسب مقترح نميري |
| 20 أكتوبر 1978م | أذاع النميري في الراديو بياناً يؤيد فيه اتفاقية كامب ديفيد |
| 21 أكتوبر 1978م | قدم السيد الصادق استقالة مسببة من عضوية المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي |
| 27 أكتوبر 1978 | أعلن السيد الصادق في ندوة بدار اتحاد طلاب جامعة أم درمان الإسلامية إخفاق مشروع المصالحة، ثم خروجه من البلاد حيث ظل متنقلا بين العواصم |
| 1979/1/1م | صدور الدليل التأسيسي لهيئة شؤون الأنصار ومنشور (دليل التأسيس) والبدء في تكوين مؤسسات هيئة شئون الأنصار، وبدء نشاط الهيئة ومعسكرات التأهيل..الخ |
| أغسطس 1979م | عودة السيد الصادق للبلاد بعد غيبة طويلة للمشاركة في تشييع الأمير نقد الله |
| 1980م | عرض النميري للسيد الصادق خلافته ونيابته، ورفضه للعرض |
| ديسمبر 1979- يناير 1980 | الوساطة بشأن الرهائن الأمريكيين في إيران |
| أبريل 1980 | ثلاث محاضرات في جامعات نيجرية عن المهدية والتغيير الاجتماعي في الإسلام والنظام الاقتصادي في الإسلام |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 1981م | المشاركة في إصدار المجلس الإسلامي الأوربي للإعلان العالمي الإسلامي لحقوق الإنسان |
| 1981م | المشاركة في المجلس الاستشاري لدار المال الإسلامي والاستقالة منه |
| يونيو 1982 | محاضرة الإسلام والثورة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في جامعة كاليفورنيا |
| أكتوبر 1982م | مؤتمر جماعة الفكر والثقافة الإسلامية وورقة (مستقبل الإسلام في السودان) |
| 1982/11/7م | مصادرة النظام لبيت المهدي وتسليمه للسيد احمد المهدي، ثم نظم مهرجانا لمبايعته إماما للأنصار |
| 1983م | المشاركة في إصدار المجلس الإسلامي الأوربي لوثيقة نموذج دستور إسلامي |
| مايو 1983م | نقض النميري لاتفاقية السلام وتفجر الحرب بيدي الحركة الشعبية لتحرير السودان في 16 مايو 1983م |
| 8 سبتمبر 1983م | إعلان النميري عما سماه الثورة التشريعية (الشريعة البطالة) |
| 17 سبتمبر 1983م | خطبة عيد الأضحى التي أعلن فيها السيد الصادق رفض التلاعب بالشريعة |
| 25 سبتمبر 1983م | اعتقال السيد الصادق وعدد من قادة الحزب وكيان الأنصار بسجن كوبر |
| 1984 | كتابة السيد الصادق لعدد من الأدبيات: العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الاجتماعي الإسلامي، النظام السوداني وتجربته الإسلامية، المقامة الجعفرية، المنظور الإسلامي للتنمية الاقتصادية |
| 18 ديسمبر 1984 | اطلاق سراح المعتقلين في شرك لاغتيالهم قضائيا، تحذير السيد الصادق للأستاذ محمود محمد طه الذي رفض تحليل السيد الصادق، ووقع في الشرك ومن ثم أعدم في محاكمة معدة في يوم الجمعة 18 يناير 1985م |
| أواخر 1984م | فوز قائمة التضامن الإسلامي بقيادة طلاب حزب الأمة في انتخابات اتحاد جامعة أم درمان الإسلامية |
| 1985م | كتابة: المرأة وحقوقها في الإسلام |
| 4 يناير 1985م | أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي في مؤتمر صحفي عن (عملية موسى) بترحيل الفلاشا عبر السودان |
| الجمعة 15 فبراير 1985م | لقاء السيد الصادق بالدكتور الترابي وعرض عليه الأخير المشاركة في الحكم باعتبار أن نميري صار معتمداً عليهم كلية، راجعه السيد الصادق وذكر له أن النظام آيل للزوال |
| 10 مارس 1985م | اعتقال قادة جبهة الميثاق الإسلامي وعلى رأسهم دكتور الترابي وشن حملة اعلامية عليهم |
| 26 مارس 1985م | الشرارة الأولى للانتفاضة بمسيرة طلاب الإسلامية. ثم موكب معهد الكليات التكنلوجية وجامعة القاهرة ومعهد شمبات في الخرطوم وسفر نميري ورجم موكبه في الطريق 27 مارس، تجاوب نقابة الأطباء وموكب مدني الذي قدم مذكرة من 14 نقابة في يوم السبت 30 مارس. الاثنين 1 أبريل اجتماع مع توفيق خليل. الثلاثاء 2 أبريل موكب الردع الهزيل وخطرفات أبو القاسم وأبو ساق. لقاء أمين مكي مدني في نفس اليوم وتسليمه مسودة ميثاق الانتفاضة. الأربعاء 3 ابريل موكب الانتفاضة الذي أعلن الإضراب العام والعصيان المدني. |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| الجمعة 5 أبريل 1985م | خطبة السيد الصادق التي انتشرت كالنار في الهشيم يدعو للخروج: "القاعدون عن هذا الزحف المقدس قاعدون عن نداء الوطن متخلفون عن مسيرة التاريخ". وفي المساء التوقيع على الميثاق الذي خط مسودته. |
| 6 أبريل 1985م | استجابة الفريق عبد الرحمن سوار الذهب للضغوط وإعلان تسلمه السلطة |
| 6 أبريل 1985م | اجتماع موسع لقادة حزب الأمة ببيت المهدي وطرح السيد الصادق بتكوين وعاء جامع بمسمى الحركة الشعبية السودانية، رفض المقترح ورؤي أن يعدل الاسم ليكون: حزب الأمة القومي الجديد |
| 10 أبريل 1985م | اجتماع الهيئة التأسيسية التمهيدية لحزب الأمة القومي وانتخاب مكتب سياسي تمهيدي، ومجلس استشاري |
| 25 أبريل 1985م | تكوين مجلس وزراء الحكومة الانتقالية (بعد الانتفاضة مباشرة كون المجلس العسكري الانتقالي بقيادة سوار الذهب بسلطات سيادية وتشريعية) |
| 1985م | محاضرة النظام الأمثل لحكم السودان، وكتيب: الإسلام ومسألة جنوب السودان |
| 17 نوفمبر 1985م | توقيع الأحزاب السياسية والنقابات لميثاق الدفاع عن الديمقراطية وتخلف الجبهة القومية |
| 31 ديسمبر 1985م | الذهاب لرحلة النفير في دارفور، وفي رهيد البردي في 31 ديسمبر حدثت وفاة الوالدة أمي رحمة |
| يناير 1986م | محاضرة التطرف الديني وأثره على الأمن القومي السوداني |
| 26 فبراير- 1 مارس 1986م | المؤتمر العام الخامس للحزب وإعادة انتخاب السيد الصادق رئيسا لحزب الأمة القومي |
| 14-28 مارس 1986م | مؤتمر كوكادام بأثيوبيا للالتقاء بالحركة الشعبية لتحرير السودان، كان حزب الأمة الحزب الكبير الوحيد الذي حضره |
| 1986/4/1م | الاقتراع للانتخابات العامة. حصل حزب الأمة على أغلبية غير مريحة تضطره للحكم مؤتلفا |
| 6 مايو 1986م | انتخاب السيد الصادق المهدي رئيساً للوزراء في الجمعية التأسيسية |
| 15 مايو1986م- 3 يونيو 1987م | حكومة الوحدة الوطنية الأولى بائتلاف حزب الأمة مع الاتحادي الديمقراطي وبعض الأحزاب الجنوبية |
| 31 يوليو 1986م | لقاء السيد الصادق بجون قرنق في أديس أبابا بعد ختام مؤتمر القمة الأفريقية |
| 10 أغسطس 1986م | رحلة الاتحاد السوفيتي واستئناف العلاقة معه المقطوعة منذ يوليو 1971م |
| 27 سبتمبر 1986م | فاجعة وفاة الحبيب صلاح الدين الصديق |
| 1-19 أكتوبر 1986م | زيارة أمريكا لحضور الجمعية العامة للأمم المتحدة ومخاطبتها في 7 أكتوبر، ثم تركيا وبريطانيا |
| ديسمبر 1986م | زيارة إيران |
| يناير 1987م | عقد المؤتمر الإسلامي العالمي في الخرطوم بالتنسيق مع سالم عزام |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| فبراير 1987م | زيارة هولندة في 4 فبراير، وإلقاء محاضرة في لاهاي بعنوان تحديات الديمقراطية في السودان. ثم التوجه للندن والمشاركة في مناظرة بأوكسفورد في 11 فبراير حول ديون الدول الفقيرة فاز فيها فوزاً ساحقاً |
| 18-22 فبراير 1987م | زيارة القاهرة |
| 13 مايو 1987م | مخاطبة السيد الصادق لمجلس رأس الدولة لحل الحكومة (المشكلة تلخصت في شخصي أبو حريرة والشريف زين العابدين) |
| 3 يونيو 1987- مايو 1988م | حكومة الوحدة الوطنية المعدلة |
| يوليو 1987م | زيارة العراق والكويت وقطر والسعودية، وبعد العودة للبلاد رحلة يوغسلافيا وما تم فيها من إنجازات |
| يوليو- أغسطس 1987م | أزمة الائتلاف باستقالة السيد محمد الحسن عبد الله يس من مجلس رأس الدولة، وسعي الاتحادي لانتخاب أحمد السيد حمد، وفي النهاية انتخاب السيد ميرغني النصري في 8 أغسطس |
| نوفمبر 1987م | احتلال الكرمك وقيسان وإعلان التعبئة العامة |
| ديسمبر 1987- يناير 1988م | زيارة اليابان ثم الصين. في اليابان تم التفاهم بقبول مبادرة السودان حول الدين الخارجي، واتفاق على نقل التكنلوجيا وتوسيع التبادل التجاري واصبح السودان اكبر مستفيد من العون الياباني في أفريقيا. وفي الصين تم الاتفاق على ستة مشروعات بتمويل صيني وتوقيع بروتوكول تجاري وثقافي ودعم التعاون العسكري. |
| 15 مارس 1988م | خطاب السيد الصادق أمام الجمعية منادياً بتوسعة قاعدة الحكومة وتضييق قاعدة المعاكسات وقد ووجه بمعارضة فتولى د علي حسن تاج الدين مداولات مع الجميع حتى تم الاتفاق على الحكومة |
| 15 مايو 1988م- يناير 1989م | حكومة الوفاق الوطني الأولى بمشاركة سبعة أحزاب: الأمة والاتحادي والجبهة والحزب القومي السوداني وأحزاب جنوبية |
| أغسطس 1988م | كارثة السيول والفيضانات، وتكوين لجنة وزارية برئاسة د عمر نور الدائم اعطيت صلاحيات استثنائية وفوضت لاستخدام كل الإمكانيات واستقطاب العون، وتم الاتفاق على خطة لإعادة التعمير ودعا البنك الدولي لمؤتمر عالمي في باريس أول ديسمبر 1988م حددت فيه مساهمات الأطراف في تمويل برنامج إعادة التعمير في حدود 407 مليون دولار |
| 1988/11/16م | اتفاقية الميرغني قرنق، والنقاشات التي تلت حولها في الجمعية التأسيسية |
| 1988/12/27م | صدور بيان من السيد الصادق بشأن الاتفاق حول اتفاقية السلام |
| 28 ديسمبر 1988م | انتفاضة السكر ومقتل أحد المتظاهرين، وقرار مجلس الوزراء التراجع عن قرار الزيادة والتحقيق في أحداث القتل. ثم قرار الاتحادي الانسحاب من الحكومة والعمل على إسقاطها مع انه مشارك أصيل في قرار الزيادة |
| يناير 1989م | تعثر لواء الردع، وتسليم حامية الناصر، فرار الحامية في ليريا ذعراً، وفي تنوير هيئة القيادة لرئيس الوزراء حول تلك الأحداث لم يقبل تحليل الأسباب وتحدث عن |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| | مآخذ في الأداء العسكري وقدم مقترحات وعدت القيادة بدراستها وتقديم مقترحات لرفع مستوى الأداء. عقدت هيئة القيادة اجتماعات مع الضباط العظام وفيها تم تحويل اللوم للحكومة وبلورة مواقف انقلابية واضحة أسفرت عن المذكرة |
| فبراير- مارس 1989 | حكومة الوفاق الثانية، بعد انسحاب الاتحادي وصارت فيها الجبهة الشريك الأوضح في الحكم |
| 20 فبراير 1989 | تقديم الجيش لمذكرة فيها تهديد للحكومة، خلفها نوايا انقلابية لجهات عديدة داخل الجيش. |
| 22 فبراير 1989 | رد رئيس الوزراء على المذكرة سلمه لهم في اجتماع عقده مع القيادة العامة |
| 25 فبراير 1989م | اتخذ مجلس الوزراء قرارا بنشر المذكرة والرد عليها بطريقة لا تتعرض لأسرار الدولة، وإقرار مبدأ توسيع الحكم وتكليف رئيس الوزراء لإجراء الاتصالات اللازمة بما يوحد الجبهة الداخلية. اتفاق السيد الصادق مع السيد ميرغني النصري على توجيه الدعوة للأحزاب والنقابات لبحث إشكالية توحيد الجبهة الداخلية |
| 27 فبراير 1989 | خاطب السيد الصادق الجمعية معلنا إقرار الحكومة مبدأ توسيع الحكم وقال إنه بصدد تكوين حكومة وحدة وطنية موسعة لمواجهة التحديات مشترطا الحصول على سند من النقابات والتزامها بعدم الإضراب، والتزام القوات المسلحة بالدفاع عن الديمقراطية، وبالعدم لا محيص من استقالته، وتم إثناؤه عنها |
| 25 مارس 1989 | تكوين حكومة الجبهة الوطنية المتحدة بعد انتظار طويل للجبهة الإسلامية لكي ترضى بالمشاركة في الحكم ولكنها رفضت، شملت الحكومة كل الأحزاب والنقابات عدا الجبهة |
| أبريل- يونيو 1989م | واصلت لجنة وزارية برئاسة سيد أحمد الحسين مساعي السلام واتصلت بالحركة الشعبية للاتفاق على تنفيذ مبادرة السلام بتوضيحاتها، وتم الاتفاق على اجتماع في 4 يوليو 1989م وتحديد موعد للمؤتمر القومي الدستوري في 1989/9/18م |
| 18 يونيو 1989م | أعلنت هيئة القيادة عن محاولة انقلاب مايوي أعقبته اعتقالات وتنويرات غير منضبطة وسط الضباط |
| 29 يونيو 1989م | جلسة الجمعية التي ناقشت الميزانية وأجازتها بالإجماع في غياب نواب الجبهة |
| انقلاب الثلاثين من يونيو | |
| فجر 30 يونيو 89 | خروج السيد الصادق من منزله بودنوباوي والقوات تحيط بالمنزل. النجاة من مخطط اغتيال |
| 7يونيو 89 | مذكرة السيد الصادق المهدي لرئيس الانقلاب، والاعتقال في سجن كوبر |
| 3 أكتوبر 1989 | اقتادته جهات أمنية تعرض للتهديد وللتصفية الصورية أعيد في كوبر لزنازين الإعدام |
| 21 أكتوبر 1989 | توقيع الميثاق الوطني للتجمع الوطني الديمقراطي بسجن كوبر |
| نهاية 1989 | كتاب الديمقراطية في السودان راجحة وعائدة تم تسريبه من داخل كوبر ونشر ككتاب وحلقات في صحيفة الشرق الأوسط |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 8 يناير 1990 | التحويل للاعتقال التحفظي بمنزل بروف الشيخ محجوب بالرياض |
| 1990 | كتابة كتاب تحديات التسعينات سرب وطبع بالخارج ونشر مسلسلا في صحيفة الحياة |
| 1 مايو 1991م | اطلاق السراح ضمن عفو عام |
| 1991/10/25م | بداية مدرسة الكادر الأسبوعية كل جمعة ثم كل ثلاثاء |
| اغسطس 92 | مشروع نحو سلام عادل |
| 5 أبريل 1993 | اعتقال للتحقيق لمدة يومين |
| 22 مايو 1993 | مصادرة مجمع بيت المهدي |
| نوفمبر 93 | ورقة تقرير المصير في السودان |
| 20 مايو 1994 | إعلان مبادئ الإيقاد الذي رفضته الحكومة واعتبرت تقرير المصير كفرا |
| 20 يونيو حتى 7 يوليو 1994 | اعتقال لاتهامه في قضية تفجيرات |
| 1994/12/12م | اتفاقية شقدوم بين حزب الأمة والحركة الشعبية لتحرير السودان |
| 27 ديسمبر 1994م | اتفاقية أسمرا الأولى |
| 1 يناير 1995 | مقالة الخطوة الأخيرة لمشوار السلام في السودان |
| يناير 1995م | اتفاق بين حزب الأمة ومؤتمر البجا بالخارج |
| يناير 1995م | اتفاق مع الحزب الشيوعي بالخارج |
| 15 أبريل 1995م | البيان الديمقراطي، ورقة ارسلت للحزب بالخارج |
| 16 مايو وحتى 1 سبتمبر 1995م | نزيلا ببيوت الأشباح، سجن المائة يوم ويوم |
| 15-23 يونيو 1995م | مؤتمر القضايا المصيرية بأسمرا ومقرراته<br>البيان الختامي:<br>الميثاق الوطني 1995<br>قرار الدين والسياسة<br>قرار حول تقرير المصير |
| فبراير 1996م | موقفنا من الخيارات الوطنية. |
| فبراير 1996م | آخر خطبة أعلن فيها السيد الصادق أنه سوف يصوم بعدها عن الحديث المنبري |
| يونيو 1996م | مذكرة تجمع الداخل للسيد عمر البشير |
| 9 ديسمبر 1996 | عملية تهتدون التحرك فجر الاثنين |
| 18 أبريل 1997م | اجتماعات الحزب بالخارج ، خاطبها الحبيب، القاهرة.<br>خطاب رئيس الحزب- خطاب الأمين العام للحزب - خطاب مسئول العمل الخارجي- البيان الختامي |
| 21 أبريل 1997م | رأينا حول اتفاقية الخرطوم للسلام |
| 31يناير/2 فبراير 1998م | مؤتمر الحزب الرابع بالخارج- أسمرا |
| 12 فبراير 1998م | بيان حول حادثة الطائرة (وفاة الفريق الزبير محمد صالح) |

| التاريخ | الحدث |
| --- | --- |
| مارس 1998م | خطاب للرئيس أفورقي |
| مارس 1998م. | مشروع إصلاح التجمع<br>مقترح ميثاق وطني جديد<br>رأي حول مشروع دستور الفترة الانتقالية |
| مايو/ يونيو 1998م | اجتماعات الأمانة العامة للتجمع بأسمرا |
| مايو 1998م | تفجر الحرب الأثيوبية الأرترية |
| 1998/9/28م | رسالة رئيس وفد النوايا الطيبة من القادة السودانيين للتوسط بين أثيوبيا وأرتريا، ومنهم السيد الصادق المهدي، لكوفي عنان |
| أكتوبر 1998م | مشروع الميثاق العسكري الذي قدمه للحزب وبعد إجازته قدم للتجمع الوطني |
| 1 ديسمبر 1998م | ورقة عمل بين الأمة والشيوعي |
| 1998م | تدوين ورقة ملاحظات على دستور 1998م |
| 1998/12/8م | مذكرة التجمع للمبعوث الأمريكي |
| 29 ديسمبر 1998م | مذكرة تجمع الداخل لرئيس الجمهورية |
| 1 يناير 1999م | ابتسامة الحزين- رسالة الاستقلال |
| 1 يناير 99 | ورقة حيثيات إعدام الإنقاذ وأجندة البعث الديمقراطي |
| 11 يناير 1999. | الموقف السوداني بعد مذكرة تجمع الداخل في 29 ديسمبر 98 |
| 6 مارس 1999م | خطاب لشركاء الإيقاد بتوسيعها |
| 24 مارس 1999م | خطاب لماري روبنسون عن حقوق الإنسان. |
| 4 أبريل 99 | اتفاق القاهرة- بين الأمة والاتحادي |
| 1-2 مايو 1999 | لقاء الحبيب الإمام بدكتور حسن الترابي بجنيف |
| 10 مايو 1999م | خطاب لأعضاء هيئة قيادة التجمع بعد لقاء جنيف |
| مايو 1999م | ورقة عن عملية الإيقاد للسلام |
| 22 مايو 1999 | لقاء بين الحبيب ووفد حزب الأمة ود جون ووفد الحركة في كمبالا ، تنوير حول لقاء جنيف |
| 23 مايو 1999م | لقاء بين الحزب ويوساب |
| 1 يونيو 1999م | اجتماعات الحزب بالخارج في القاهرة: المجلس الاستشاري والمكتب التنفيذي |
| يونيو 1999 | اجتماعات هيئة القيادة بأسمرا. قدم الحبيب ورقة قراءة مشتركة للأوضاع في السودان |
| يوليو/ أغسطس 1999 | اجتماع هيئة القيادة بطرابلس: خطاب السيد الصادق، وإعلان طرابلس |
| 1999/8/14م | خريطة طريق للسلام والاستقرار في السودان |
| أغسطس 1999م | تقديم مقترح الميثاق الثقافي |
| أغسطس 1999م | خطاب لأعضاء هيئة التجمع بشأن لقاء مع حكومتي المشتركة |
| 19 سبتمبر 1999م | توصيات ورشة عمل الحل السياسي الشامل، حزب الأمة بالقاهرة |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 29 سبتمبر 1999م | خطاب لوزيري خارجية المبادرة المشتركة |
| 6 أكتوبر 1999م | خطاب مفتوح للمؤتمرين بالخرطوم- للمؤتمر المنعقد على خلفية الصراع الذي طفح بين الترابي والبشير |
| 18 أكتوبر 99. | خطاب لمؤتمر شركاء الإيقاد |
| أكتوبر 99 | اجتماعات هيئة قيادة التجمع- القاهرة: خطاب رئيس الحزب..البيان الختامي |
| 21 أكتوبر 1999م | ورقة عمل الحل السياسي |
| 27 أكتوبر 99. | خطاب الحزب للمبعوث الأمريكي هاري جونستون |
| 7 نوفمبر 1999م | مقترحات حزب الأمة لأليات الحل |
| 26 نوفمبر 1999م | نداء الوطن (الاتفاق بين الأمة والوطني بجيبوتي) |
| ديسمبر 1999 | اجتماع هيئة القيادة كمبالا: خطاب رئيس حزب الأمة- مذكرة الأمين العام للتجمع. ملحق مذكرة الأمين العام- خطاب تجمع الداخل- خطاب دكتور قرنق الهجوم على حزب الأمة |
| 22ديسمبر 1999م | بيان حول التصعيدات العسكرية |
| ديسمبر 99- يناير 2000 | الخطابات المتبادلة مع الراحل دكتور جون قرنق، جمعتها إخلاص مهدي وأخرجتها في كتاب |
| 16 يناير 2000م | خريطة للحل السياسي الشامل، مقترح قدم من حزب الأمة |
| فبراير 2000م | اجتماعات قيادات الحزب بالداخل والخارج |
| مارس 2000 | اجتماعات قيادة التجمع أسمرا، خطاب رئيس الحزب، وبيان خروج الحزب من التجمع |
| 6 أبريل 2000 | عودة الدفعة الأولى من قيادات الحزب بالمهجر للداخل بقيادة د عمر نور الدائم. خطاب الإمام الصادق المهدي في الاحتفال المقام بالقاهرة |
| 18 أبريل 2000م | بيان صحافي من الحزب |
| يونيو 2000م | مذكرة من الحزب للسناتور الأمريكي هاري جونستون |
| 2-10 يوليو 2000م | مجموعة ورش الحزب المتخصصة في القاهرة |
| يوليو/ أغسطس 2000م | اجتماعات قمة الحزب بالداخل والخارج خرج عنها البيان الختامي- منشور البيان السياسي لمرحلة التحول |
| 28 أغسطس 2000م | خطاب للوزيرين المصري والليبي لتفعيل المبادرة المشتركة |
| 2000/9/8م | وقعت الحكومة السودانية على نظام روما، ولكنها –الحكومة- لم تصادق بعد. |
| سبتمبر 2000 | مؤتمر التجمع- مصوع: مذكرة من حزب الأمة مقدمة عن موقفه من العمل الجماعي موقف الحزب بعد مؤتمر مصوع. |
| أكتوبر 2000م | خطاب حزب الأمة لدول الاتحاد الأوربي، القاهرة |
| أكتوبر 2000 | خريطة مستصحبة للمستجدات للحل السياسي الشامل |
| نوفمبر 2000 | كتاب العودة : من تهتدون إلى تفلحون |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 23 نوفمبر 2000 | تفلحون والعودة للسودان |
| 30 ديسمبر 2000م. | خطاب للرئيس الأمريكي بوش يحذر من غزو العراق |
| 19 يناير 2001 | مذكرة المبشرين ضد الحرب |
| يناير- فبراير 2001 | التفاوض مع النظام: قدمت ورقة للنظام في 20 يناير 2001م، وأخرى في1 فبراير 2001م. قرار المكتب القيادي في 14 فبراير 2001، وقرار المكتب السياسي في 18 فبراير (قرار المشاركة) |
| 6 فبراير 2001م | مبادئ الحل السياسي الشامل بشقيه السلام العادل والتحول الديمقراطي الكامل |
| فبراير 2001 | الطريق الثالث- مقال |
| 2001/2/27م | اتفاق نداء السودان بين الأمة والاتحادي – القاهرة |
| مارس 2001م | مذكرة حزب الأمة حول حقوق الإنسان في السودان |
| 13 مارس 2001م | مذكرة لحكومة الولايات المتحدة- نداء استنفاري من الشعب السوداني |
| 1 أبريل 2001م | مذكرة حزب الأمة حول تقرير مجموعة العمل الأمريكية |
| 2 أبريل 2001م | الرأي حول البرنامج الاقتصادي الوطني |
| أبريل 2001م | زيارة نيجريا ولقاء الرئيس أوباسانجو |
| 2 مايو 2001م | لقاء أبوجا بين الإمام ود. قرنق |
| مايو 2001م | رؤية حزب الأمة لتفعيل المبادرة المشتركة |
| 28 و30 يونيو 2001 | محاضرتان في نيجريا عن الدين والوحدة الوطنية والدروس المستفادة من تطبيقات الشريعة المعاصرة |
| 8/9/ 2001م | ورقة عمل لتنفيذ مبادئ المبادرة المشتركة |
| أكتوبر 2001م | الاتصالات الأولى بالسناتور دانفورث: خطاب دانفورث للصادق المهدي 19 أكتوبر 2001، خطاب المهدي لدانفورث 23 أكتوبر 2001 |
| 2001/10/23م | رد الحزب على مذكرة الاستطلاع من المبادرة المشتركة |
| 31أكتوبر 2001م | خطاب لمبعوث الرئيس النيجيري |
| 14 نوفمبر 2001م | لقاء وكلمة أمام وفد السيد دانفورث |
| 2001/11/8 | مذكرة عن السلام والديمقراطية والربط بينهما |
| 22 نوفمبر 2001 | بيان حول حرية الصحافة |
| 2002/1/7م | قرار الحزب بشأن تصريحات رئيس القطاع السياسي. نشر لقاء في ديسمبر 2001م |
| 1/21/ 2002م | ورقة عمل الحل السياسي الشامل |
| 27 يناير 2002م | منبر ندوة العميد- رؤية حزب الأمة |
| 23 مارس 2002م | قراءة في دفتر العام المنصرم- ردا على ورقة وزعها رئيس القطاع السياسي للمكتب السياسي |
| 2002/4/1م | بيان بشأن المنسحبين عن الاجتماع المشترك للمجلس القيادي والمكتب السياسي |
| 2002/4/8م | تأكيد قرار الحزب بشأن المشاركة في السلطة |
| مايو 2002م | القرار بشأن تقرير لجنة تقويم الأداء |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 02/5/29 | خطاب رئيس الحزب للسناتور دانفورث ردا على تقريره |
| 4 يونيو 2002 | اللقاء التشاوري بشأن دارفور في منزل السيد الصادق |
| 2002 /7/9م | الضوء في آخر النفق المظلم في نيروبي- مقال تنبأ بحدوث اختراق في المفاوضات على غير العادة |
| 2002/7/21م | المؤتمر الصحفي التاسع حول اتفاقية ميشاكوس في 20 يوليو 2002م |
| 2002/7/28م | ورقة استراتيجية الحل السياسي الشامل- رؤية حزب الأمة- - مرفقات:ملخص رأينا حول إصلاح الحكم الاتحادي- ملخص رأينا حول إصلاح الحكم الاتحادي |
| 16 ديسمبر 2002م- 8 مارس 2003م | مبادرة الأمة للتعاهد الوطني- طور حزب الأمة الورقة الاستراتيجية إلى مبادئ شاملة هي "مبادرة الأمة للتعاهد الوطني". انبنت على ثلاثة محاور هي: محور النقاط التي اتفق عليها الطرفان في ماشاكوس ولكن دون الدخول في تفاصيل حيث فصلت المبادرة تلك النقاط. ففي محور النقاط المختلف عليها بين الطرفين قدمت مقترحات حلول وسطى. وفي محور النقاط الهامة التي أغفلها التفاوض قدمت مقترحات بها. بلغ مجمل النقاط في المحاور الثلاثة 31 نقطة قدمها الحزب للقوى السياسية والمدنية الداخلية ولطرفي التفاوض وللوسطاء وقاد بها حملة تعبئة واسعة ساهمت في بلورة الرأي العام تجاه تلك القضايا. لكن النظام منع اجتماع تدشينها في 8 مارس 2003م |
| 19-21 ديسمبر 2002م | مؤتمر هيئة شئون الأنصار الأول وانتخاب السيد الصادق المهدي إماماً للأنصار وإعادة انتخاب الشيخ عبد المحمود أبو أميناً عاماً |
| مارس 2003م | تفجر الحرب في دارفور |
| 23 مارس 2003 | لقاء دارفور التفاكري (غرفة الطواريء- حزب الأمة)، واستمرار التدهور في دارفور |
| 2003/4/10 | بيان مشترك بين حزب الأمة والحركة الشعبية لتحرير السودان<br>التقى في كمبالا في الفترة من الثامن وحتى العاشر من أبريل كل من السيدة سارا الفاضل محمود والسيد صلاح إبراهيم احمد والسيد إدريس على القاضي بينما ضم وفد الحركة الشعبية لتحرير السودان كل من القادة فاقان اموم اوكيج ودينق الور كوال وياسر سعيد عرمان، اتفق الوفدان على لقاء قمة يجمع الحبيب بالدكتور جون قرنق في مايو 2003 |
| 15-2003 /4/18م | المؤتمر العام السادس للحزب ، تمت اعادة انتخاب الحبيب رئيسا للحزب، واجيز برنامج (وثبة لبناء الوطن) وانتخاب الدكتور عبد النبي علي أحمد أميناً عاماً للحزب |
| 24 /5/ 2003 م | إعلان القاهرة: الاتفاق بين الحبيب وكل من د جون قرنق والسيد محمد عثمان الميرغني. حول دعم مسيرة الحل السياسي الشامل، وإعلان ميشاكوس، ووحدة السودان على أسس جديدة، وأسس العمل المشترك. تلقى الحبيب بسبب هذا الاعلان هجوما مكثفا من الة النظام الإعلامية وعلماء السوء بالتكفير والتفسيق وغيره.وقد صحبه (إعلان الخرطوم الداعم لإعلان القاهرة). |
| 6 يونيو 2003م | مطلب الشعب السوداني، منشور من الإمام الصادق المهدي إلى جميع السودانيين |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| | إلى أهل الوطن العزيز رجالا ونساء وأطفالا في مفرق الطريق الوطني إلى السلام العادل والتحول الديمقراطي الحقيقي. |
| 19 يونيو 2003م | مسودة اتفـــاق الأحزاب والقوى السياسية والتيارات الفكرية والمنظمات المدنية في السودان: من أجل سلام عادل وتحول ديمقراطي حقيقي، عرضها الحزب للتوقيع |
| 3 يوليو 2003م | الطريق الثالث:مشروع تطوير بروتوكول مشاكوس وتعديل وثيقة ناكورو، |
| 28 يوليو 2003م | رفض مشروع الإجماع الوطني الذي قدمه حزب المؤتمر الوطني، قدمه في 20 يوليو 2003، ورفضته لجنة الحزب التي درست المشروع باعتبار أنه لا يهدف لإجماع وغير مؤهل لتحقيقه |
| سبتمبر 2003م | إصدار وثيقة السودان للسلام والوحدة والتحول الديمقراطي والتنمية المستدامة المتوازنة، ، وقد وقع عليها 23 من ممثلي تنظيمات وجهات مختلفة |
| 2003/9/29م | التعليق على وثيقة الترتيبات الأمنية |
| 27 أكتوبر 2003م | وفاة الحبيبين د عمر نور الدائم وسيدنا عبد الله اسحق في حادث حركة وعودة الحبيب الإمام للسودان لتشييعهما |
| 8 نوفمبر 2003م | بروتوكول الطريق لإتفاقية قومية، قدمه حزب الأمة القومي للقوى السياسية، |
| أول ديسمبر 2003م | ورقة: مسألة دارفور |
| 4 فبراير 2004م | مؤتمر صحافي حول دارفور ، خاطبه الحبيب وجاء في نهايته مناشدة للرئيس عمر حسن أحمد البشير وحكومته والمؤتمر الوطني بإعلان وقف فوري من جانب واحد لإطلاق النار لمدة 3 اشهر، واعلان دارفور منطقة كوارث لاستقطاب الإغاثات، وتكوين منبر سياسي جامع وتفويضه لنقاش القضية. |
| 8 مارس 2004م | انسحاب الحزب من اللجنة التحضيرية لمؤتمر دار فور الجامع، وذلك لاختلالات في اللجنة و(لم نجد استعداداً لتقويم تلك الاختلالات فآثرنا الانسحاب ضناً على إضاعة وقت البلاد في إجراءات عقيمة وكلنا آذان صاغية للعودة في حال تبني النهج القومي الذي حينما نطالب به لكل الوطن وليس لأنفسنا.) |
| 14 مارس 2004م، | مكاتبة قرنق والبشير، للدعوة لقبول مبادرة التعاهد الوطني كوسيلة لملكية الاتفاقية للكافة عبر مجلس قومي |
| مارس 2004م | نداء العون الإنساني وترسيخ التعايش والاستقرار بدارفور، يكرر المطالبات في المؤتمر الصحفي، ويعلن عن غرفة طوارىء لدارفور بدار الحزب. |
| 20-22 يونيو 2004م | ورشة عمل: معا من أجل حل أزمة دارفور. |
| 22- 24 يونيو 2004م | رحلة دارفور الأربعاء 22 يونيو إلى الجمعة 25 يونيو 2004م زارت حواضر ولايات دارفور الثلاث، بدءا بالفاشر، ثم الجنينة، ثم نيالا |
| 2004/6/27م | المؤتمر الصحفي وفيه الدعوة بضرورة التحقيق في الجرائم التي تتم في دارفور وإنذار بالتدخل الدولي في حال عدم القيام بذلك. |
| 2004/8/20م | خطاب للرئيس أوباسانجو حول اسس حل ازمة دارفور. |
| 17 نوفمبر 2004م | وفد القوى السياسية لمجلس الأمن المنعقد بنيروبي، وخطابه المشترك |

| التاريخ | الحدث |
| --- | --- |
| 2004/9/18م | صدر قرار مجلس الأمن بتكوين لجنة لتقصي الحقائق حول تجاوزات دارفور. |
| 2004/12/22م | عقد سمنار في دار نقابة المحامين السودانيين بالخرطوم نظمته نقابة المحامين بالاشتراك مع معهد جنيف لحقوق الإنسان والتحالف الدولي من أجل المحكمة الجنائية الدولية، خرجت توصيات هذا السمنار بضرورة أن يصادق السودان على نظام روما وعلى وجه السرعة، وقد كان السيد علي محمد عثمان يس وزير العدل حينها حاضرا ذلك الاجتماع، فقال له الحبيب يجب عليكم التصديق على هذا النظام وإلا طالكم الاتهام، فقام السيد وزير العدل وقال بأنه يوافق على التصديق. |
| يناير 2005م | اتفاق القاهرة بين الحكومة والتجمع الوطني الديمقراطي |
| 25 يناير 2005م | تقديم لجنة تقصي الحقائق الدولية حول دارفور لتقريرها لمجلس الأمن- شكلت استنادا إلى قرار مجلس الأمن بالرقم 2004/1564م بتاريخ 18 سبتمبر 2004م. |
| مارس 2005م | قرارات مجلس الأمن:<br>القرار 1590 في جلسته رقم 5151 بتاريخ 24 مارس 2005م والخاص بإنشاء بعثة الأمم المتحدة في السودان.<br>القرار 1591 في جلسته رقم 5153 بتاريخ 29 مارس 2005م برصد وتنفيذ تدابير منع الأشخاص الذين شاركوا في جرائم دارفور.<br>القرار 1593 في جلسته 5158 بتاريخ 31 مارس 2005م بإحالة الوضع القائم في دار فور منذ 1 يوليو 2002م إلى المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية. |
| 6 أبريل 2005م | اقتحام دار الحزب ومنع احتفال الحزب جماهيري تعبوي في الذكرى العشرين لانتفاضة رجب الأبية واحتفاء بقدوم وفد الحركة الشعبية بقيادة السيد جيمس واني الأمين العام للحركة الشعبية. |
| مايو 2005م | إصدار كتاب اتفاقية السلام الشامل ومسودة الدستور الانتقالي في الميزان. |
| 2005/5/8م | تكوين لجنة السيد دفع الله الحاج يوسف، كاستباق للمحكمة الجنائية الدولية سميت "لجنة تقصي الحقائق حول الادعاءات بانتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة بواسطة المجموعات المسلحة بولايات دارفور"، وحصرت الانتهاكات في المجموعات المسلحة واستثنت المسئولين ووفرت لهم حصانة مسبقا، فضلا عن أنها مكونة من أعضاء منحازين للنظام. وبالرغم من ذلك أوردت هذه اللجنة في تقريرها أن هناك انتهاكات وجرائم ارتكبت في دارفور. |
| 2005/6/6م | قرر المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية فتح التحقيق استناداً على تقرير لجنة تقصي الحقائق الدولية. |
| 9 يوليو 2005م | بدء الفترة الانتقالية وفقا لاتفاقية سلام نيفاشا |
| 30 يوليو 2005م | مقتل د. جون قرنق دي مابيور في حادث طائرة |
| 2005/8/24م | مخاطبة السيد الصادق لعمر البشير يعرض عليه عقد ملتقى جامع يصدق على الاتفاقية ويوضح ويفصل في نقاط الخلاف |
| 15 سبتمبر 2005م | بيان مشترك مع حركة العدل والمساواة بين الحبيب الإمام ود خليل إبراهيم |

| التاريخ | الحدث |
| --- | --- |
| 16 سبتمبر 2005م | بيان مشترك مع الجبهة الشعبية الديمقراطية والعدالة الإرترية وقعه الحبيب الإمام والأمين محمد سعيد |
| 24 أكتوبر 2005م | خطاب لكوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة |
| 17-2005/11/24م | زار وفد من مكتب المدعي العام للمحكمة السودان. |
| 2005/11/22 | اللقاء التفا كرى للقوى الوطنية حول أزمة دار فور، خرج بوثيقة القوى الوطنية لمعالجة أزمة دارفور، المركز العام لحزب الأمة القومي. |
| 29 ديسمبر 2005م | مأساة اللاجئين السودانيين بالقاهرة ومقتل نحو مائتين منهم بعد هجوم الشرطة. |
| 5 مايو 2006م | اتفاق سلام دارفور، أبوجا |
| 2006 | أصدر معهد الدراسات الموضوعية بنيودلهي كتاب (مائة قائد مسلم عظيم في القرن العشرين) واختير فيه الإمام الصادق المهدي ضمن القادة العظام في مجال الحكم. |
| 14 أكتوبر 2006م | توقيع اتفاقية سلام الشرق باسمرا يوم السبت |
| 21-22 مايو 2007م | اجتماع الهيئة المركزية للحزب |
| 6 فبراير 2008م | وفاة زوجه الحبيبة سارا الفاضل فجأة مباشرة بعد خروجها من اجتماع مشترك بين حزب الأمة والحركة الشعبية السودانية، مساء الأربعاء |
| 2008/3/5 | الإعلان في مؤتمر صحفي عن لجان خمسة للاتصال بالقوى السياسية: لجنة للحوار مع المؤتمر الوطني برئاسة د. عبدالنبي على أحمد. لجنة للحوار مع الحركة الشعبية برئاسة د. آدم مادبو. لجنة للاتصال مع حلفائنا في الهيئة الشعبية من أجل استرداد الحريات برئاسة د. إبراهيم الأمين. لجنة للاتصال بالمجتمع الدولي برئاسة بروفسور الشيخ محجوب. ولجنة للاتصال بحركات العمل المسلح في دارفور برئاسة الأخ محمد عبد الله الدومة. واصلت اللجان عملها منذ 3 ديسمبر2007م. ومنذ يوم الأحد 2مارس 2008م وقع وفدنا للحوار مع المؤتمر الوطني بالأحرف الأولى على ست أوراق: الثوابت الوطنية والدينية- إجراءات بناء الثقة- دارفور- الحريات- اتفاقيات السلام- والانتخابات. واتفق أن يعرض الطرفان ما توصلا إليه لأجهزتهما الحزبية ولحلفائهما ليأتي الاتفاق النهائي مدعوما بأعلى درجة من الديمقراطية والقومية.<br>وسوف يعقد ملتقى جامع أجندته من بندين هما: وضع خريطة طريق للتراضي الوطني الذي يرجى أن يحقق السلام الشامل العادل والتحول الديمقراطي الكامل في البلاد. والاتفاق على آليات تنفيذ ما اتفق عليه. |
| 20مايو 2008م | اتفاق التراضي الوطني |
| أكتوبر 2008م | (ملتقى كنانة) لحل قضية دارفور وقدم حزب الأمة ذات الرؤى المعتمدة باتفاق التراضي. |
| 22 نوفمبر 2008م | وفاة د عبد النبي علي أحمد الأمين العام للحزب في حادث حركة وتولى د. عبد الرحمن الغالي الأمانة العامة في الحزب للإسراع بعقد المؤتمر العام. |
| 28 فبراير- 1 مارس 2009 | عقد المؤتمر العام السابع للحزب والذي فيه تم تجديد انتخاب الحبيب رئيساً وانتخب الفريق صديق محمد إسماعيل النور أميناً عاماً |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 4 مارس 2009 | أصدرت الدائرة التمهيدية الأولى بالمحكمة الجنائية الدولية تهما على الرئيس عمر البشير تتعلق بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في دارفور |
| سبتمبر 2009م | مؤتمر جميع الأحزاب السياسية بجوبا تحت رعاية الحركة الشعبية لتحرير السودان، بهدف الوصول لإجماع وطني حول القضايا القومية |
| 29 أكتوبر 2009م | صادق مجلس السلم والأمن الأفريقي على تقرير ثابو أمبيكي (لجنة الحكماء) |
| أكتوبر 2009م | دعا الحزب القوى السياسية لاجتماع لمناقشة تقديم مذكرة جماعية للاتحاد الأفريقي بخصوص تأييد تقرير لجنة الحكماء. |
| أبريل 2010م | الانتخابات المزورة (قرار المكتب السياسي بالانسحاب بالكامل من الانتخابات الذي عارض مقترح السيد الصادق بالاستمرار في مستوى الانتخابات التشريعية) |
| 12 يوليو 2010م | أصدرت المحكمة الجنائية أمر قبض ثاني بحق الرئيس السوداني عمر البشير على خلفية اتهامات بجرائم إبادة جماعية |
| 17 ديسمبر 2010 | تفجر الثورة التونسية في بعد حادثة بوعزيزي |
| 9 يناير 2011م | استفتاء الجنوب حول تقرير المصير |
| 22 يناير 2011م | إصدار مشروع الخلاص الوطني، وفيه الإطار الصحيح لإنهاء الأزمات والتعامل مع جبهات الاحتراب الحالية عبر مؤتمر جامع وفق إعلان مبادئ للقضايا المختلفة. |
| 25 يناير 2011م | تفجر الثورة المصرية والتي انتهت بظفر الثورة في 11 فبراير 2012م |
| 1 مارس 2011م | إصدار كتاب بلاغ الثورة الناعمة ، والتقى الحبيب بجهات عديدة منها شباب الثورة بمصر، والتقى ضمن وفد المنتدى العالمي للوسطية بالمرشد العام للأخوان المسلمين في مارس 2011م، وبنائب المرشد العام خيرت الشاطر |
| 9 يوليو 2011م | انفصال الجنوب وتكوينه جمهورية جنوب السودان، حضر الحبيب ولفيف من الساسة والناشطين والفنانين السودانيين حفل دولة الجنوب حيث غنى الفنان الراحل محمد وردي "أبداً ما هنت يا سوداننا يوماً علينا" وأجهش الإمام الصادق بالبكاء ومعه كثيرون من الحاضرين. |
| 14 يوليو 2011م | ابرام وثيقة الدوحة بشأن سلام دارفور |
| أغسطس 2011م | عقد الحزب ورشة عمل لدراسة الوثيقة حددت ايجابياتها وسلبياتها وتوقعت ألا تحقق السلام |
| 6-7 أبريل 2012م | عقد اجتماعات الهيئة المركزية للحزب والتي اسقطت تقرير الفريق صديق وانتخبت د إبراهيم الأمين |
| أبريل 2012م | احتلال هجليج ثم تحريرها |
| مايو 2012م | تكوين لجنة مؤتمر السلام السوداني والتي فرغت من صياغة مشروع السلام الشامل والتحول الديمقراطي الكامل في 11 يوليو 2012م. |
| 28 نوفمبر 2012م | قدم المنتدى العالمي للوسطية مبادرة على خلفية صدور الإعلان الدستوري الذي أعلنه الرئيس السابق مرسي في 21 نوفمبر. وذلك بتأكيد أن الإعلان أدى لانقسام مجتمعي حاد وفتح مجالاً لتدخلات غير حميدة، لذلك ناشده الإمام الصادق كرئيس |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| | للمنتدى العالمي للوسطية لإعادة النظر في الإعلان لفتح الباب لحوار جاد يحقق التراضي الوطني، وأن يلتزم بأن تكون عملية تكوين الدستور توافقية تقوم على المشاركة الواسعة والتوازن. كما ناشد جبهة الانقاذ الوطني التعاون مع ذلك التوجه، وناشد صناع الرأي العام وأجهزة الإعلام طي صفحة المراشقات، والإقبال على نهج توافق يدعم التراضي الوطني، وكون المنتدى وفدا لزيارة مختلف الأطراف. |
| يناير 2013م | اختيار اليونفا للحبيب كسفير للنوايا الحسنة في محاربة ختان البنات |
| 2013/3/3م | وجه المنتدى العالمي للوسطية برئاسة الحبيب (نداء الكنانة)، كما تم عقد مؤتمر صحافي في مصر والاتصال بكل القوى السياسية هناك. |
| أبريل 2013م وحتى مايو 2013م | توجه الحبيب الإمام الصادق المهدي لمصر وأجرى لقاءات عديدة: لقاء عمرو موسى 28 أبريل 2013م، لقاء مجموعة الأحزاب السياسية 30 أبريل 2013م، لقاء الرئيس محمد مرسي 2 مايو 2013م طلب الحبيب الإمام فيه من الرئيس محمد مرسي: الغاء التعديلات الدستورية. على الأحزاب الاعتراف بالشرعية. الحفاظ على القوات المسلحة وتماسكها. ورد الرئيس مرسي على الحبيب الإمام قائلا: سوف نتصل بكم. لقاء عدد من قادة الأحزاب السياسية، ومنظمات المجتمع المدني في 2 مايو 2013م إصدار خطاب مفتوح للقوى المصرية الحاكمة والمعارضة (مصرنا ومصيرنا) 8 مايو 2013م.<br>لقاء حمدين صباحي مؤسس التيار الشعبي ووفد يتكون من: العميد محمد بدر عضو مجلس امناء التيار الشعبي والدكتورة اماني الطويل عضوة مجلس امناء التيار الشعبي والاستاذ حامد جبر القيادي بحزب الكرامة وعضو مجلس امناء التيار الشعبي وسيد الطوخي رئيس تحرير جريدة الكرامة والقيادي بالتيار الشعبي وعماد حمدي عضو لجنة العلاقات الخارجية بالتيار وهبة ياسين المتحدثة الاعلامية للتيار. 2013/5/10م.<br>لقاء د. عبد المنعم أبو الفتوح 2013/5/10م<br>كان انطباع الحبيب الإمام أن الأطراف جميعها مستعدة للتجاوب بمن فيها الرئيس السابق، ولكن التشدد منبعه كان المرشد العام الذي زاروه في المقطم وقطع لهم بأن (الرئيس لن يوافق).<br>وبعد تصاعد الأزمة في 30 يونيو، ساهم الإمام الصادق المهدي كرئيس لمنتدى الوسطية العالمي بإرسال رسالة للرئيس المصري محمد مرسي في 2013/7/3م، مفادها: رأينا في منتدى الوسطية مخاطبتكم في هذه اللحظة الحرجة بالتالي: تجنب الفوضى في مصر والحرب الأهلية واجب أول. تجنب إدارة عسكرية لمصر واجب ثاني. يمكن الآن بعد أن تأكد أن جزءا كبيرا من الشعب انحاز ضدك أن تقوم بإجراء استباقي، بإعلان الآتي: الموافقة على إجراء تعديلات في الدستور. الموافقة على تكوين حكومة انتقالية جامعة. الموافقة على إجراء انتخابات للرئاسة فورا بعد الاتفاق على التعديلات الدستورية على أن يتم كل هذا في فترة لا تزيد عن ثلاثة شهور. القضاء هو الذي يشرف على الانتخابات. مناشدة الجميع الهدوء لتحقيق هذه الأجندة. احترام القضاء، والالتزام بنتيجة الانتخابات. مناشدة جبهة الإنقاذ وحركة تمرد |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| | والمجتمع السياسي والمدني المصري للاجتماع معك لإبرام اتفاق مفصل يحقق هذه الأهداف ويحقق الاستقرار ويكفل استمرار الديمقراطية في مصر.<br>هذا النصح للأسف لم يتم الاستماع إليه، فكان أن تدخل الجيش، وصدر من حزب الأمة القومي بيان: (حول تطورات الأحداث في مصر) في 4 يوليو 2013م وذلك إثر إعلان الفريق السيسي إقالة الرئيس مرسي وتنصيب السيد عدلي منصور رئيساً. |
| 2013/8/27م | زيارة رئيس النظام البائد عمر البشير للحبيب في منزله بالملازمين والاتفاق على أن قضايا الحكم والدستور والسلام قومية |
| 24 سبتمبر 2013م | مؤتمر البشير الصحفي الذي اعلن فيه سياسات رفع الدعم واشتعال التظاهرات وارتكاب النظام لتخريب ممنهج وعنف الوحشي في قتل المتظاهرين فاستشهد أكثر من مائتين في يومين بولاية الخرطوم فقط، واستمر القتل لعدة أيام |
| 27 سبتمبر 2013م | تحدث الإمام الصادق في كلمة بمسجد الهجرة بعد الصلاة وأدان العنف على المتظاهرين وذكر أنهم خرجوا للمطالبة بحقوق مشروعة. |
| 28 سبتمبر | إصدار متنفذين في المؤتمر الوطني لمذكرة تدين ما حدث منهم رئيس كتلة المؤتمر الوطني بالبرلمان غازي عتباني، وفصله، ثم تكوين الإصلاح الآن. |
| 25-27 نوفمبر 2013 | تكريم مؤسسة قوسي للحبيب بجائزة قوسي للسلام وسفره في وفد كبير لمانيلا بالفلبين |
| 27 يناير 2014م | خطاب حوار الوثبة الذي قدمه عمر البشير بقاعة الصداقة. حضر الإمام وعدد من قادة حزب الأمة مائدة الحوار بعد أن أصدر بياناً في يوم 26 يناير يحدد فيه معايير جدوى الحوار وهي إزالة التمكين واستعادة دولة الوطن وقومية عمليات السلام والدستور والحكم. |
| 12 فبراير 2014م | لقاء وفدين رئاسيين من الأمة والوطني بالقصر الجمهوري |
| 6 أبريل 2014م | لقاء الوفدين في قصر الضيافة |
| 1-2 مايو 2014م | اجتماع الهيئة المركزية لحزب الأمة وانتخاب أ. سارة نقد الله أمينة عامة |
| 7 مايو 2014م | المؤتمر الصحفي الذي أعلنت فيه النتائج وتطرق الرئيس فيه لانتهاكات قوات الدعم السريع في مناطق النزاع مطالباً بمساءلتها |
| 2014/5/14م | تم استلام بلاغ بالرقم2014/2402بتاريخ 2014/5/12م، من جهاز الأمن الوطني في مواجهة الحبيب الإمام، بموجب المواد 159/69/66/62 من القانون الجنائي لسنة 1991م، ومعه استدعاء للحضور لنيابة الجرائم الموجهة ضد الدولة في 15 مايو. |
| 17 مايو | إضافة المادتين 50 و63 واعتقال الحبيب الإمام بسجن كوبر |
| 15 يونيو2014م | اطلاق السراح |
| أغسطس 2014- يناير 2017م | البقاء بالخارج لاستكمال مهام وطنية وإقليمية مع المنتدى العالمي للوسطية ودولية عبر نادي مدريد |
| 2014/8/8م | إعلان باريس بين حزب الأمة والجبهة الثورية السودانية |
| 2014/8/11م | اختطاف نائبة رئيس الحزب الحبيبة مريم الصادق من المطار واقتيادها لجهة مجهولة لمدة حوالي شهر |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 2014/9/4م | اتفاقية اديس ابابا حول النقاط الثمانية بين جماعة اعلان باريس والوسيط ثابو أمبيكي من جهة وبينه وبين لجنة السعبتين من جهة |
| 2014/9/9م | الساعة الواحدة صباحا اطلاق سراح د. مريم الصادق وعقدها مؤتمر صحفي بدار الأمة |
| 2014/9/12م | جلسة مجلس السلم والأمن الأفريقي رقم 456 والتي اعتمدت النقاط الثمانية كأساس لعملية السلام في السودان وبمقتضاها يعقد ملتقى تحضيري بمقر الاتحاد الأفريقي في اديس ابابا يجمع الفرقاء السودانيين للاتفاق على اجراءات تهيئة المناخ ثم اللقاء الجامع |
| سبتمبر 2014م | إصدار كتاب استحقاقات الحوار |
| 12-16 نوفمبر 2014 | محادثات أديس ابابا وموقف حزب الأمة منها |
| 2014/12/3م | توقيع نداء السودان من الجبهة الثورية، حزب الأمة، قوى الإجماع الوطني، مبادرة المجتمع المدني |
| 2014/12/5م | خطاب من الإمام لأمبيكي مقترح فيه خريطة طريق للحوار السوداني المفضي للحل |
| 2014/12/6م | اعتقال د. أمين مكي مدني والسيد فاروق أبو عيسى بعد عودتهم من التوقيع على نداء السودان |
| 2014/12/20م | خطاب من الإمام الصادق المهدي لمجلس الأمن الدولي |
| 2015/1/4 | اجراء تعديلات دستورية تسحب كل الملامح الديمقراطية في الدستور الانتقالي لسنة 2015م |
| يناير 2015م | جهاز الأمن يقدم شكوى ضد حزب الأمة لمجلس الأحزاب يطالب بوقف نشاطه |
| 2015/2/2م | نداء السودان يعلن عن حملة ارحل لمقاطعة انتخابات 2015م، ويدشن الحملة في ليلة سياسية بدار الأمة بأم درمان |
| 2015/4/9م | اطلاق سراح د امين مكي والسيد ابو عيسى |
| 2015/1/19م | لقاء برلين لقوى نداء السودان |
| 2015/1/19م | منشور من السيد الصادق يناشد الجميع أرضاً سلاح فيما بينهم والعمل على المصالحات الإثنية والقبلية. |
| 25-27 فبراير 2015 | اجتماعات نداء السودان في برلين وصدور إعلان برلين |
| أواخر مارس 2015م | الذهاب لأديس أبابا للحوار وتخلف وفد الحكومة متحججا بالانتخابات بعد تاكيد حضوره |
| أبريل 2015م | تسجيل حلقات شاهد على العصر بقناة الجزيرة بالدوحة |
| 1 مارس 2015 | نداء السودان يصدر اعلان برلين |
| 9/ 6 إلى 15/ 6/ 2015م | رحلة الى فرنسا والمانيا |
| 2015/8/31م. | لقاء الآلية الرفيعة بأديس أبابا |
| 2015/10/21 | خطاب لثابو امبيكي |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 2015/11/13م | لقاء نداء السودان في باريس |
| 2015/8/25م | جلسة مجلس السلم والأمن الافريقي رقم 539 التي امنت على مطالب الحوار باستحقاقاته التي قدمتها المعارضة |
| 2015/9/9م | اجتماع نداء السودان والمبعوثين الدوليين في باريس |
| 2015/9/28م | لقاء نداء السودان في برلين |
| 21 مارس 2016م | توقيع حكومة السودان على خارطة الطريق التي قدمها السيد امبيكي |
| 2016/4/17 | خطاب مساعد رئيس الجمهورية ابراهيم محمود للوساطة الافريقية |
| 2016/6/19م | خطاب الإمام الصادق باسم نداء السودان لامبيكي مطالبا بضمانة شمولية الحوار واستحقاقاته وتقديم مقترح مذكرة تفاهم للوساطة |
| 20 يونيو 2016م | رد أمبيكي المختصر بان الوثيقة لا تقبل اضافة |
| 23 يونيو 2016م | خطاب اخر من امبيكي يقترح اسس للتعامل مع مطالب نداء السودان |
| 22 يوليو 2016م | خطاب نداء السودان للوسيط امبيكي |
| 2016/8/8م | توقيع نداء السودان في أديس أبابا على خارطة الطريق بعد الحصول على ضمانات بتضمين تحفظاتهم |
| 25-30 سبتمبر 2016 | لقاء المجلس القيادي لنداء السودان في أديس ابابا |
| 2016/10/21م | اصدار كتاب الوثبة في الميزان، وارسال خطاب للسيد ثابو امبيكي ولاحقا الكتاب مترجما |
| 2-5 نوفمبر 2016م | بيان مهم حول زيارة قيادتي الحركة الشعبية وحزب الأمة القومي لبرلين |
| 26 يناير 2017م | العودة للبلاد تزامنا مع تاريخ تحرير الخرطوم واستقبل بحشد مهيب |
| 14 يناير 2018م | الفراغ من صياغة مسودة إعلان خلاص الوطن الذي تداولته القوى السياسية وتم إعلانه في مؤتمر صحفي حضرته كل فصائل المقاومة بدار الأمة في 17 يناير 2018م |
| 18 يناير 2018م | الموكب بميدان الأهلية الذي تهجمت عليه السلطات بالعنف المفرط بعد محاولة منعه بإغراق الميدان بمياه المجاري. اعتقال ثلاثة من نواب رئيس حزب الأمة هم فضل الله برمة، إبراهيم الأمين، ومحمد عبد الله الدومة، والأمينة العامة سارة نقد الله، ومساعد الرئيس صديق الصادق، وآخرين. |
| 17 مارس 2018م | اجتماعات نداء السودان بباريس، الاتفاق على هيكل نداء السودان وانتخاب الإمام الصادق رئيسا للنداء. |
| 29 يونيو 2018م | اجتماعات قوى نداء السودان بدعوة من الحكومة الألمانية في برلين، طلبت السلطات المصرية من الحبيب الإمام عدم الذهاب للاجتماع ولكنه رأى أن هذا شأن وطني سوداني لا يحق لها ذلك الطلب |

| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 30 يونيو 2018م | رجوع الإمام للقاهرة في وقت متأخر من ليل 30 يونيو ومنعت السلطات المصرية دخوله البلاد فجر يوم 1 يوليو مع السماح لنائبته مريم الصادق ومسؤول الإعلام والعلاقات العامة بمكتبه الخاص محمد زكي بالدخول ولكنهما قررا اصطحابه |
| 1 يوليو 2018م | توجه الإمام نحو الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي على طيران الاتحاد، وقرر الدخول في حالة صمت لقراءة ردود الأفعال في مصر والسودان ودولياً وعربياً |
| 14 يوليو 2018م | وصول الإمام لمطار لندن بمعية د مريم والحبيب محمد زكي واستقبال حماسي له في مطار هيثرو. |
| 26 يوليو 2018م | خطاب للرئيس الأثيوبي أبي أحمد يهنئه على المصالحة بين الشقيقتين أثيوبيا وأرتريا |
| 29 يوليو 2018م | سرقة حقيبة يد ابنته د مريم أثناء وجودهم بالفندق بلندن وفيها جواز سفرها، ومرافقتها إياه للأردن للمشاركة في مؤتمر الوسطية العالمية وجمعية الشؤون الدولية بورقة (مستقبل العالم العربي الأزمات والحلول) في 7 أغسطس 2018م، ومع فشل محاولات العودة تم الافتراق بينهما حيث ظل بلندن وهي بعمان |
| 6 أغسطس 2018م | أول رسالة اثنين يرسلها من الأردن التي اتجه لها من لندن مشاركاً في مناشط مؤتمر الوسطية، وبعدها درج أسبوعياً على إرسال رسائل الاثنين بالتعليق على مجريات الأحوال في البلاد والعالم حتى عودته في 19 ديسمبر 2019م. |
| 1 سبتمبر 2018م | إلقاء محاضرة نظمها البرنامج السوداني بجامعة أوكسفرد عن حاضر ومستقبل السودان، تنبأ فيها بأن الثورة السودانية قادمة: السودان موطن للربيع السياسي (الثورات الشعبية). وبالفعل حدثت العديد من حركات الربيع الصغيرة. والنظام في يأسه مستعد لإطلاق النار للقتل. الربيع القادم سيكون عبر مئات الاعتصامات التي تؤدي إلى إضراب عام. سيكون هذا هو محرك التغيير. |
| 2018/9/11م | إصدار بيان ينتقد تصريح جون بولتون مستشار الأمن القومي الأمريكي ضد المحكمة الجنائية الدولية حتى لا تطال المواطنين الأمريكيين الذين يرتكبون جرائم خارج حدود بلادهم. أكد أن المحكمة الجنائية الدولية تشكل تطوراً في القانون الجنائي الدولي لمساءلة اللمعتدين على الشعوب في جرائم ارتكاب الحرب العدوانية، والجرائم ضد الإنسانية، وجرائم الحرب، وجرائم الإبادة الجماعية. وهي الآن أهم وسيلة دولية لتحقيق عدم الإفلات من العقوبة. |
| 15 نوفمبر 2018م | جدد جهاز الأمن تحريك البلاغات العشر ضده عشية إعلان نائبته د مريم الصادق عن عودتها للبلاد تهيئة لرجعته. ومحاولات حثيثة من السلطات لتعويق حصولها على وثيقة سفر. لكنها عادت وألقت خطاباً بدار الأمة أكدت فيه أن هذا هو عام الحسم. |
| 19 ديسمبر 2018م | العودة واستقبال جماهيري حاشد ببيت الأمة بأم درمان. قال الإمام في خطابه إن الاحتجاجات التي اندلعت للتو تلقائية معبرة عن المعاناة ومرشحة للزيادة، راجياً أن يكون التعبير فيها بدون عنف ولا تخريب، وأن تقدم مذكرة للخلاص الوطني بصورة جماعية لا عذر لمن يتخلف عنها، تحمل مطالب الشعب. |
| 22 ديسمبر 2018 | في مؤتمر صحفي عقده الحزب تحدث الإمام مؤيداً الحراك السلمي ومندداً بتصدي النظام له بالعنف وقتل الشهداء، وناشد القوى النظامية ألا تبطش بأهلها وكرر |

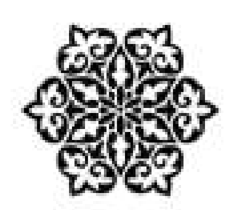
| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| | المطالبة بتسيير موكب جامع يقدم مذكرة لإقامة نظام جديد. ولكن انطلقت حملة مغرضة لتشويه حديثه بحسبان أنه أساء للثورة ووصفها بأنها "بوخة مرقة"، وكان الإمام حينما سئل لماذا تأخرت مشاركتكم في الثورة قال إننا نقاوم هذا النظام منذ يونيو 1989م وتصدينا ونتصدى له بأكثر من أية جهة أخرى فلا نقبل المزايدة علينا ممن ركب الموجة مؤخراً، واستشهد بالمثل: ما بنفع علوق الشدة ولا بوخة المرقة، وهو مثل يضرب لتفضيل المداومة في الخيرات لا فعلها لدى الضرورة، ولا يمكن حمله على الإساءة للثورة، بل للمتأخرين فيها. |
| 25 ديسمبر 2018م | استبشرت القوى السياسية لتناغم تجمع المهنيين مع مطالبها بالانتقال من الصيغة المطلبية إلى السياسية والمناداة بتنحي النظام وإقامة نظام جديد. وشارك حزب الأمة ضمن نداء السودان في المداولات التي أسفرت عن إعلان الحرية والتغيير. وشارك الحزب في صياغته في اجتماعات سرية. |
| 1 يناير 2019م | التوقيع على قوى الحرية والتغيير من قبل كتل سياسية ومهنية من ضمنها نداء السودان في 1 يناير 2019م. |
| 5 يناير 2019م | تحدث الإمام في احتفال صالون الإبداع باستقلال السودان، فحيا الثورة وشبابها الباسل وقال إنهم موسى الذي نشأ في دار فرعون، كما وصف النظام بأن نهايته حانت ولم يتبق سوى دفن الجنازة. |
| 18 يناير 2019 | بعد مجزرة موكب الخميس 17 يناير في بري نعى الإمام شهداء الثورة وندد بالقتلة، وطالب بتحقيق عادل مستقل ومساءلة القتلة. |
| 20 يناير 2019 | خاطب الإمام عشرين من وزراء خارجية البلدان الممثلة في مجلس حقوق الإنسان مطالباً الأمم المتحدة بمساندة الشعب الثائر وتكوين لجنة فنية للتحقيق في البطش الدموي بالمتظاهرين. |
| 25 يناير 2019 | أم الإمام الصادق المصلين بالجمعة في مسجد الهجرة بودنوباوي وقدم تصوراً لخطوات الثورة التراكمية بدءاً بالمواكب وتقديم مذكرة للقصر وانتهاء بالاعتصام وقال: (لا عذر لمن يُمسك عن مواكب خلاص وطنه المحتضر). |
| 13 فبراير 2019م | تم عقد أول مؤتمر صحفي لقوى الحرية والتغيير تحدثت فيه مكوناته الأساسية بدار الأمة، كما كانت معظم اجتماعات الحرية والتغيير وورش العمل التي تنظمها تنعقد في دار الأمة. |
| 2 مارس 2019م. | رفض الإمام إعلان النظام للطواريء في 22 فبراير وقدم كبسولة التحرير لإسقاط رئيس النظام ونظامه في حشد شعبي بدار الأمة. |
| 5 أبريل 2019م | للمشاركة في التعبئة لمواكب 6 أبريل أم الحبيب صلاة الجمعة بودنوباوي وفي الخطبة حث الجميع على تلبية النداء الوطني في موكب 6 أبريل قائلاً: (احتشدوا وارفعوا راياتكم وشعاراتكم سلمياً، اضربوا مثلاً)، وطالب رئيس النظام بالاستقالة، كما ناشد القوات المسلحة ألا تبطش بالمواطنين. وقد كان الموكب الضخم الذي تمخض عن الاعتصام التاريخي المجيد والباسل الذي غير وجه التاريخ لشعبنا. |

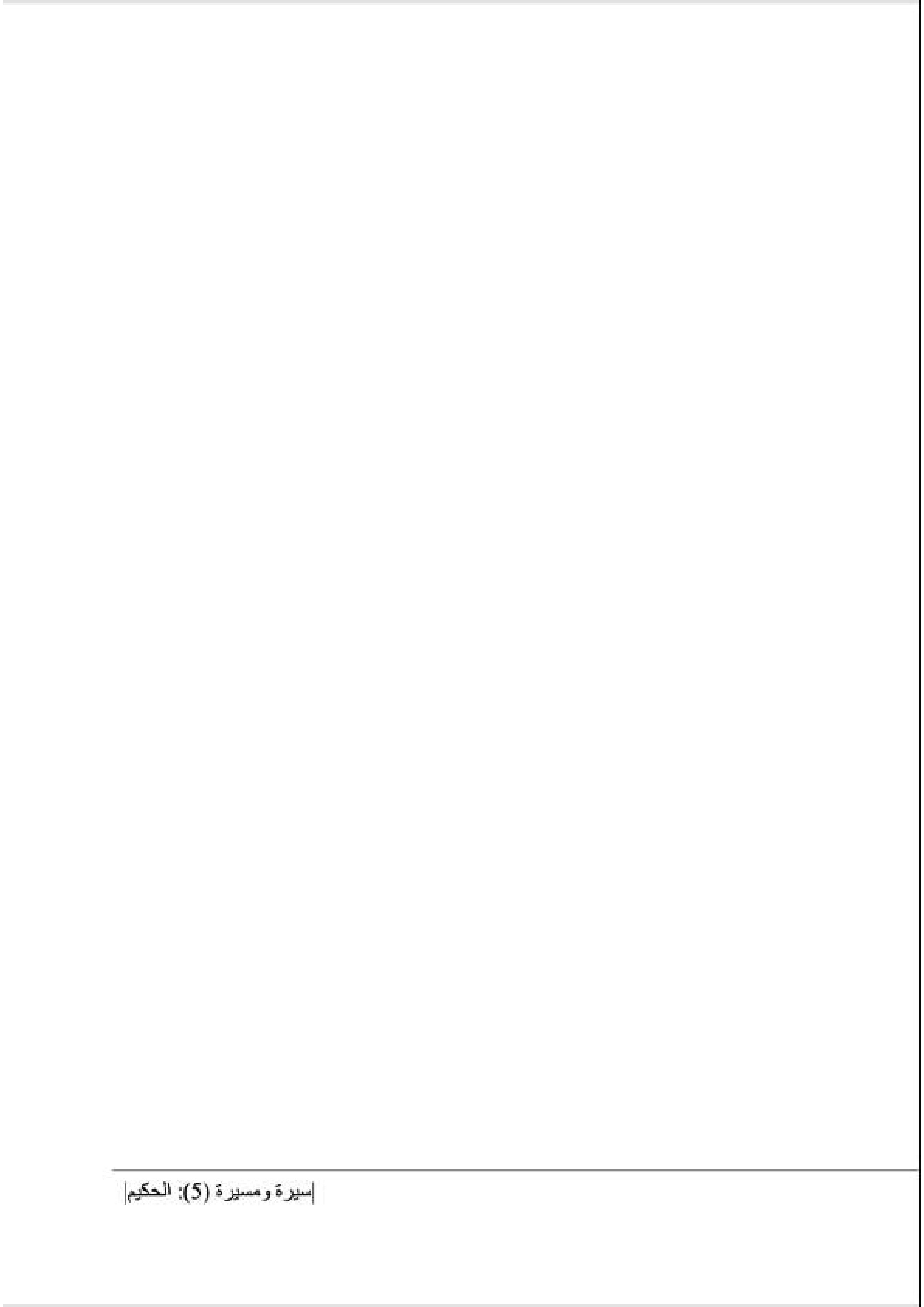
| التاريخ | الحدث |
|---|---|
| 8 أبريل 2019م | في أعقاب تصريحات من بعض قادة المجلس العسكري توحي بأنهم ضاقوا ذرعاً بالاعتصام، أعلن الإمام أنه سيصلي الجمعة في الاعتصام واتصل بالأمينة العامة الأستاذة سارة نقد الله التي كانت في ميدان الاعتصام ليخبرها بذلك. |
| 10 أبريل 2019م | عقد اجتماع ضمه ومحمد وداعة ويحي الحسين بعضوين من لجنة البشير الأمنية التي كونها لقمع الثورة وهما أحمد هارون وصلاح قوش وكانا قد طلبا لقاءهم للتنور بمطالب المعارضة، تصدى الإمام لحماية المعتصمين بإخباره اللجنة أنه سوف ينضم للاعتصام ليحمي الثوار. فقال له أحمد هارون لن تجد منهم أحد لأننا سنفضه بالقوة، فقال له محمد وداعة (فلتقتلوهم وتقتلوه معهم)، لكن قوش قال لا لن نفضه، ثم سعى بعد ذلك لتنحية البشير. هكذا ساهم الإمام بفعالية في ميل ميزان اللجنة التي كونها البشير نحو خلعه. |
| 17 أغسطس 2019م | توقيع الاعلان السياسي والوثيقة الدستورية رسمياً بين قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري والإيذان ببدء الحكم الانتقالي |
| أكتوبر 2019م | إصدار حزب الأمة لمصفوفة الخلاص الوطني لضمان العبور الأمن نحو السلام والعدالة والديمقراطية المستدامة. وظل يطالب بالعدالة الانتقالية وضرورة التحقيق المستقل حول مجزرة فض الاعتصام والجرائم في مناطق الحرب. وكان الإمام أول من بادر بتقديم مقترح للجنة مستقلة للتحقيق في مجزرة الاعتصام، وكون لجنة خاصة أصدرت تقريراً فضح التزوير في تقرير اللجنة الرسمية. |

أقول..

لقد أضفنا هذا الفصل على الكتاب الذي كان جاهزاً للطباعة منذ ثلاثة أعوام، لأننا كما ذكرنا سوف نشتغل بإذن الله على فكروية الحبيب الإمام في الجزء القادم، نسأل الله التوفيق والسداد والتولية، ونسأله أن يكلأ صاحب السيرة بحفظه وعنايته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.







# الملاحق

**بسم الله الرحمن الرحيم**
**حزب الأمة**
**بيان تنويري لأعضاء الأجهزة القيادية**

ثارت في بعض الصحف منذ الأسبوع الأول من هذا الشهر، وبدون مبررات ظاهرة، أقوال عن تاريخ حزب الأمة المتأخر وتنظيمه الانتقالي قبيل عقد المؤتمر العام السادس في أبريل 2003م. تناولت الأحداث التاريخية للحزب أقلام شتى. كون مجلس التنسيق الأعلى للحزب، في اجتماعه بتاريخ الجمعة 7 مايو 2004م لجنة لتبيان الحقائق برئاسة السيد رئيس هيئة الضبط والرقابة الحزبية في التنظيم المرحلي السيد صلاح عبد السلام الخليفة، ومقررية السيدة مقررة المكتب السياسي لذلك التنظيم السيدة سارة نقد الله، وعضوية آخرين ذكروا في الكتابات أو كانوا شهودا عن قرب للأحداث المعنية داخل التنظيم المرحلي، وذلك لحصر الروايات المثارة عن الحزب وتفصيل الحقائق حولها. وقد فرغت اللجنة من عملها وقدمته لمجلس التنسيق الأعلى ليتخذ بشأنه القرار المناسب، **وقد قرر مجلس التنسيق الأعلى في جلسته بتاريخ 19 مايو 2004م أن يتم توزيع تلك المادة على أعضاء الأجهزة القيادية للتذكير بالأحداث التاريخية وتوثيقها وإيضاحها للسائلين، على ألا ينشر هذا البيان ليس لسريته، بل لأسباب سياسية تقتضي ألا نشغل الساحة الإعلامية بمادة تاريخية تعد انصرافية ولا حكمة وراء التراشق حولها في هذا الظرف الوطني الحرج.**

**أولاً: ملابسات تكوين التنظيم المرحلي**

التنظيم المرحلي للحزب هيكل قام لإدارة الحزب وتنظيمه في الفترة ما بين أغسطس 2000م وحتى قيام المؤتمر العام للحزب الذي كان من المفترض أن يتم في يناير 2001م. وقد حدثت عدة ملابسات عوقت قيام المؤتمر العام فلم ينعقد إلا في أبريل 2003م.

**تكوين التنظيم المرحلي:** بعد توقيع "نداء الوطن" في 25 نوفمبر 1999م في جيبوتي بين حزب الأمة وحكومة السودان، قرر الحزب تصفية الوجود الخارجي وعودة قيادات الحزب وكوادره المعارضة للداخل. دشن الحزب العودة للعمل العلني بالتزامن مع عودة الدفعة الأولى من قياداته في 6 أبريل 2000 تيمنا بذكرى الانتفاضة، فعاد وفد كبير على رأسه الدكتور عمر نور الدائم الأمين العام المكلف للحزب- رحمه الله- وبصحبته السيد مبارك المهدي وآخرون. قبل عودة الفوج الأول للقيادات جرت مفاوضات مطولة تبحث في أمر تنظيم الحزب الانتقالي لحين انعقاد مؤتمره العام. فكون الحزب بالخارج لجنة لبحث مسألة التنظيم من أعضاء الأجهزة الدستورية بالخارج ورصفائهم الزائرين للقاهرة من الداخل برئاسة الأمير عبد الرحمن نقد الله (عجّل الله بشفائه) الذي كان زائرا للقاهرة في تلك الأيام. اجتمعت اللجنة عدة اجتماعات ثم رفعت تقريرا في 13 يناير 2000م لرئيس الحزب. ولتوسعة التشاور وجه الرئيس خطابا في 16 يناير

2000م لجميع أجهزة الحزب القيادية بالداخل والخارج، عرض في الخطاب ضمن قضايا أخرى مسألة التنظيم المرحلي، وتلقى استجابة من الجهاز القيادي بالداخل ومن عدة مكاتب وكوادر قيادية في الخارج. ثم وجه الرئيس بعدها دعوة لقيادات الحزب بالداخل والخارج حيث جرت الاجتماعات في الفترة 15- 16 فبراير 2000م ناقش فيها المجتمعون ملفا يحوي أكثر من مائة صفحة كان للتنظيم فيها نصيب الأسد. وخرج البيان الختامي بعدة توصيات بعضها يتعلق بالتنظيم المرحلي وتكوين المكتب السياسي والأمانة العامة فيه. وفي يوليو 2000 عقد الحزب ورشة خاصة بالتنظيم في مقره بالقاهرة. بعد عودة الفوج الأول للقيادات حدثت خلافات حول تفسير التنظيم المرحلي وتكوينه، وحول علاقة الحزب بالنظام والتفاوض معه، فدعا الرئيس لاجتماع قمة لقيادات الداخل والخارج حضره 19 من قيادات الحزب، استمرت الاجتماعات الماراثونية طيلة تسعة أيام امتدت من 27 يوليو وحتى 4 أغسطس 2000م. ناقشت الاجتماعات التاريخية مسألة التنظيم في اليوم الأول ثم انفضت المناقشة بتكوين لجنة خاصة بالتنظيم برئاسة السيدة سارة الفاضل ومقررية الأستاذ عبد المحمود صالح وعضوية كل من الدكتور عبد النبي علي أحمد، والسيدين صديق موسى بولاد وعبد المحمود أبو ابراهيم. اتخذت تلك اللجنة أدبيات مرجعية لها: توصية اجتماعات فبراير، وتوصيات ورشة التنظيم (يوليو 2000م) وتصورات للتنظيم مقدمة من كل من السادة عبد الرحمن عبد الله نقد الله، آدم محمود موسى مادبو، ومبارك عبد الله المهدي. خرجت اللجنة برؤى ناقشتها الاجتماعات ثم خرجت بتوصيات نهائية تشكل هيكل التنظيم الانتقالي وتكوينه، حيث كون المكتب السياسي بعدها بالتصعيد من كليات محددة بالانتخاب مثل الشباب والمرأة، وأخرى بالتصعيد من الكليات المعنية مثلا هيئة شؤون الأنصار. أما المكتب التنفيذي فقد سكنته لجنة التنظيم في اجتماعات القاهرة وأجمع عليه بالتراضي، ولم يقم بتعيينه الرئيس أو غيره كما تقول بعض الإشاعات المغرضة الآن. أعقب ذلك صدور منشور من رئيس الحزب بعنوان "منشور البيان السياسي لمرحلة التحول" وزع على أعضاء الحزب بالداخل والخارج اختتم بالفقرة التالية: "أوجه نداء واضحا لكافة جماهير حزبنا الوفية الواعية القوية قفل باب الجدل والالتفاف حول الهيكل الجديد والشرعية التي يمثلها والعمل الجاد لعقد مؤتمر الحزب العام. المؤتمر العام هو الذي سوف يخاطب المستجدات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وهو الذي سوف يجسد تطلعات بلادنا للإصلاح والتجديد، وسوف يؤهل حزبنا لقيادة العمل السياسي في مطلع القرن الجديد".

وقد قاد التنظيم المرحلي العمل الحزبي في فترة حرجة، وتخلل أداءه عدة تعقيدات سياسية وتنظيمية أخرت من انعقاد المؤتمر العام.

**أهم سببين لتأخر انعقاد المؤتمر العام في زمانه هما:**

حزب الأمة حزب كبير تنتشر فروعه في كافة بقاع السودان، تمويل التحرك في العاصمة وداخل الولايات كان يتطلب آليات للحركة والاتصال السريع. لقد كان من شروط الحزب للاتفاق مع الحكومة أن تصحب اعترافها بالتعددية الحزبية إعادة ممتلكات الأحزاب المصادرة من دور وسيارات وآليات اتصال. قدرت اللجنة المعنية بممتلكات الحزب المصادرة أنها تساوي حوالي 4.5 مليون دولار مقابل مئات السيارات، وأجهزة اتصال، ومولدات كهربائية وأثاثات صودرت من دور الحزب بالعاصمة والأقاليم. ولكن النظام أعاد أقل من ربع ذلك المبلغ، ولم يعد للحزب بقيته كوسيلة ضغط على الحزب حتى يقبل المشاركة في السلطة.

الفريق المفاوض للنظام بتفويض من الحزب سعى لتأخير حصول الحزب على حقوقه بتأليب النظام ضد الحزب وإظهاره بمظهر الضعيف الذي ستقصم ظهره المصادرات وعدم إعادتها. هذه الحقيقة تكشفت للحزب لاحقا حينما قام ذلك الفريق بانقلاب على الحزب ليشارك في السلطة بدون استيفاء شروط المؤسسة الحزبية. وقد كانت رئاسة لجنة إعداد المؤتمر ومقرريتها بيد الفريق المفاوض ومؤيديه وقد عملوا ما يوسعهم لتعطيل مهمة الإعداد للمؤتمر. وقد أدخل هؤلاء الحزب في طاحونة من المشاحنات داخل الأجهزة، والحملات الإعلامية الشرسة التي وجهت ضد الحزب كأنه مناقض لدواعي الإصلاح والتجديد، استمرت الحملات منذ مايو 2001 وحتى يوليو 2002م، مما صرف جهود الحزب إلى دفع الافتراءات وإبراز حقيقة الخلاف وأسباب التذمر وأنها حول عدم المشاركة في السلطة ولو بدون الضوابط المؤسسية، حيث لا خلاف حقيقة حول دواعي الإصلاح والتجديد والتي لا يعارضها أحد داخل حزب الأمة.
ولذلك، فبعد أن تجاوز الحزب العقبة الأخيرة بخروج الفريق المفاوض ومؤيديه طواعية من صفوف الحزب وبكامل رغبتهم وتكوين تنظيمهم الجديد، انهمك الحزب في تجاوز العقبة المالية لتمويل المؤتمر مما سيأتي تفصيله لاحقا.

**ثانيا: المذكرة الأربعينية- مايو 2001:**

حينما وصل فريق حزب الأمة المفاوض للنظام (حينها) إلى عتبة رأى أنها تصلح لإمضاء اتفاق مع النظام في فبراير 2001م، قرر عرض ما تم التوصل له للأجهزة الحزبية ذات الشأن وهي المجلس القيادي والمكتب السياسي للحزب، وقد تمت اجتماعات ماراثونية رفعت فيها اللوائح لاستقصاء آراء الجميع. وفي نهاية الاجتماعات ورغم اختلاف الأعضاء حول مسألة المشاركة في النظام بين مؤيد ومعارض، خرج رئيس الحزب بمقترح توفيقي وهو قبول مبدأ المشاركة ولكن على أسس وضوابط محددة وهي: إما حكومة قومية أو وفقا لانتخابات حرة. ذلك المقترح حظي بإجماع جميع أعضاء المجلس القيادي أولا ثم جميع أعضاء المكتب السياسي عليه فخرج القرار رقم (73) بتاريخ 18 فبراير 2001م. ولكن الفريق المفاوض ومؤيديه –وبرغم أنهم مشاركون أصليون في قرار 18 فبراير- استدركوا موقفهم ذلك ورأوا ضرورة المشاركة في السلطة بدون تلك الضوابط. وقرروا أن يضغطوا على رئيس الحزب خارج الأجهزة إذ رأوا أن تمرير ذلك الخط داخل الأجهزة مستحيل. فاجتمعوا في منزل السيد مبارك المهدي قائد تيارهم وناقشوا أمر تقديم المذكرة وصياغتها. وقد اصطحبت أربعين اسما بعضها غير موقع. احتوت المذكرة، والتي نشرت بالصحف لاحقا، على الأفكار التالية:
الدعوة لاستبدال أجهزة الحزب الانتقالية بكلية ذات شرعية ثورية تضم رئيس الحزب والدكتور عمر نور الدائم (الأمين العام المكلف) والذين حملوا راية النضال منذ 1989 وحتى 1999م.
ضعف الحركة السياسية السودانية واستحالة تخطي القوات المسلحة والحركة الإسلامية، وضرورة مراعاة أثر البترول والظروف المعيشية الضاغطة لجماهير الحزب.
ضرورة أن يتجاوز رئيس الحزب أصحاب الذهنيات المخذلة ويقر المشاركة في السلطة فورا.
رفض رئيس الحزب، ومن قبله نائبه الدكتور عمر نور الدائم (رحمه الله) فكرة تقديم المذكرة واعتبروا أنها تلغي الاعتراف بالأجهزة الحزبية، وأعلن الرئيس أن على أصحاب المذكرة إلغاءها ومناقشة ما شاءوا داخل الأجهزة، أو الإصرار عليها والتخلي تلقائيا عن عضوية تلك الأجهزة. بالرغم من ذلك، وعلى هامش اجتماع للمكتب القيادي للحزب سلم اثنان من موقعي المذكرة مظروفا مغلقا معنونا للرئيس. هنا تمت اتصالات بمبادرة ذاتية من بعض القيادات الذين

علموا بالأمر لاستدراك الموقف الذي سيؤدي لمواجهة بين مقدمي المذكرة وبين الأجهزة التي يودون الثورة عليها، من أولئك الدكتور عمر نور الدائم (رحمه الله) الذي اتصل بالسيد طه أحمد سعد بوجود اللواء م فضل الله برمة، واللواء برمة ذهب بدوره لزيارة الأستاذ الزهاوي إبراهيم مالك وإن كان لم يلقه، والسيد صلاح عبد السلام الخليفة ذهب من تلقاء نفسه للسيد مبارك المهدي يرجوه التحرك بسحب المذكرة ومناقشة محتواها أو تقديمها كورقة رأي داخل الأجهزة الحزبية، كما عمل السيد السر الكريل لجمع الموقعين على المذكرة في منزله –وهو منهم- وتنظيم لقاء لهم برئيس الحزب في منزله، وقد قام بدعوة عدد من الأفراد لم يوقعوا على المذكرة مظنة التوسط لدى الموقعين بقبول منطق التراجع، خاصة وأنه شخصيا أعلن أنه وقع على المذكرة بدون قراءتها وبعد أن سمع ما مفاده أنها –أي المذكرة- كانت رغبة رئيس الحزب لإجراء إصلاحات داخل الحزب. كانت الدعوة للاجتماع مقتصرة على السيد السر الكريل فلم يدع رئيس الحزب أي فرد من جهته ولم يأت مصطحبا أحد. وحينما اكتمل الحضور ابتدر أحد الموقعين على المذكرة حديثا، فاقترح البعض بعد فراغه من حديثه أن يتخذ التداول شكل الاجتماع وأن يتخذ رئيسا له السيد صلاح عبد السلام باعتباره أكبر الحضور سنا.

خلص ذلك الاجتماع إلى الاتفاق على سحب مقدمي المذكرة لمذكرتهم بكامل رضاهم. والجدير بالذكر أن بعض الموقعين على المذكرة ليسوا أعضاء في المكتب السياسي ولا المجلس القيادي للحزب.

لم تناقش أجهزة الحزب المذكرة الأربعينية لأنها لم تقدم داخلها بل كانت تزمع الانقلاب عليها بالاتفاق مع رئيس الحزب ونائبه الدكتور عمر نور الدائم وكلاهما رفض الفكرة. ولكن أمرها تسرب للصحافة بيد كاتبيها خرقا للاتفاق الذي وصلوا له.

تجدر الإشارة إلى أن ما يقال عن أن تلك المذكرة كانت بعد تقرير لجنة تقويم الأداء ونتيجة لعدم الاحتكام له إما تخليط ناتج عن عقليات مفرطة في الشفاهية غارقة في السهو واللبس أو مجرد أكاذيب والأخير تفسير أقرب للعقل لأن التخليط الذي جرى كان لتبرير زلة تقديم المذكرة خارج الأجهزة، بالقول أن تقويم الأداء لم يجد لإصلاح الأجهزة ولذلك تم سحب الاعتراف بها..

الحقيقة أنه سبقت المذكرة مناقشة التقرير المعني بعام بالتمام والكمال، حيث كانت مناقشة تقرير لجنة تقويم الأداء في مايو 2002م. من الأقوال الكاذبة المذكورة التالي: "بعد فشل محاولات الإصلاح من داخل الأجهزة وآخرها تقرير الحاج نقد الله وكانت حينها الأزمة التنظيمية قد تلاحقت فأنجبت لأزمة سياسية في الحزب لأن الحزب أصبح لا في المعارضة لا في الحكومة. اجتمعت مجموعة من الكوادر الأساسية في الحزب بمنزل الأخ السر الكريل وبمبادرة من الأخ المرحوم الدكتور عمر نور الدائم لدراسة الأوضاع في الحزب واستقر الرأي على صياغة مذكرة ضغط لرئيس الحزب". كيف تكون المذكرة الأربعينية التي قدمت في مايو 2001م جراء عدم الاستجابة لتقرير اللجنة الذي نوقش في مايو 2002م؟ ولماذا لم تظهر الروايات عن مشاركة الدكتور عمر نور الدائم في المذكرة إلا بعد أن توفي إلى رحمة مولاه؟ وأي أخلاق ودين تلك التي تدفع الناس إلى تلطيخ سمعة ذلك الرجل المخلص المغوار الذي ضحى بحياته في سبيل الله وحزب الأمة وكيان الأنصار، فبادله الناس وفاء بوفاء؟.. وهل تنسى الجماهير ما قاله في المنابر عن الجماعة المنخرطة في نظام الإنقاذ الخارجة على حزبها؟ اللهم لا!.

**ثالثاً: المساءلة والعقوبة داخل الحزب:**

البناء التنظيمي للحزب قام على ضرورة إيجاد آلية للمساءلة على التجاوزات، وذلك بناء على العديد من القرارات الحزبية، والمناشدات الآتية من مختلف القيادات والكوادر، نذكر من الأدب الحاض على ضرورة المساءلة الآتي:
في المؤتمر الرابع للحزب بالخارج والذي أقيم في أسمرا في الفترة ما بين 30 يناير وحتى 2 فبراير 1998م، جاء البيان الختامي بالتوصيتين التاليتين: الالتزام بلوائح الحزب لتحقيق الولاء والانضباط- التصدي للانحراف والمخالفات عبر آلية محاسبة عادلة. الجدير بالذكر أن هذا البيان الختامي أجيز بالإجماع. ونشر في كتاب أصدره الحزب بالخارج حوى أدبيات المؤتمر الهامة من كلمات الضيوف ممثلي القوى السياسية السودانية والجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، وكلمات قادة الحزب بالخارج (كلمة السيد رئيس الحزب- كلمة الدكتور عمر نور الدائم- وكلمة السيد مبارك المهدي).
في ورشة العمل الخاصة بالتنظيم في يوليو 2000م جاءت التوصية التالية: "قيام آلية مساءلة ومحاسبة على التجاوزات".
في اجتماعات يوليو/ أغسطس 2000م خرج البيان الختامي بالفقرة التالية: "تقرر تكوين هيئة تسمى هيئة الرقابة وضبط الأداء وتكون مهمتها: التصدي لأية انحرافات فكرية أو سياسية أو تنظيمية وتمنحها اللائحة الانتقالية سلطات تبدأ من لفت النظر- العتاب- إلى المحاسبة وتجميد العضوية حتى التوصية بالعزل".
كثرت الشكوى من بعض القيادات لعدم وجود آلية محاسبة عن التجاوزات للقيادات خاصة في التصريحات الإعلامية. وقد كان تكوين الهيئة بردا وسلاما على الحزب الذي طالما عانى من الانفلات وعدم الانضباط وما يجره على سمعته، بعض القيادات لجأوا للهيئة لإعادة الآخرين إلى الجادة، مثلا جاء في خطاب للأستاذ الزهاوي إبراهيم مالك لرئيس الحزب بالإشارة إلى تصريحات رآها غير منضبطة لقيادي حزبي في أكتوبر 2000 الآتي: "إننا نعاني وعلى أعلى المستويات من تصرفات غير مسئولة لها ما وراءها تضر بالخط العام للحزب وتسقط من هيبته وتعرقل مسيرته. نؤكد لسيادتكم بأننا سنبذل الجهد كله جدا ومثابرة لمحاصرة كل انفلات." وكان السعي المذكور عبر هيئة الرقابة الحزبية التي قامت بما يليها كما ذكر الخطاب، أما وجه عدم الانضباط فهو أن القيادي المذكور ومن موقع مسئول أصدر تصريحات للصحف حول مناقشة أجندة لم يتطرق لها اجتماع المكتب السياسي بينما أهمل ذكر نقاش الاجتماع لـ" تقرير من القطاع السياسي عن سير الحوار مع الحكومة حول الأجندة الوطنية".. ولكن بالرغم من ذلك أعلن الفريق المفاوض لاحقا -وحينما حاسبت الهيئة السيد مبارك على تصريحات قمة في عدم الانضباط- أعلن انتقاده لهذه الهيئة. قال السيد مبارك "نؤكد **موقفنا المبدني** بأن هذه الهيئة لا مثيل لها في أجهزة النظم الديمقراطية، فقضايا الفكر لا تخضع للمحاسبة والعقاب" (من بيان مبارك المهدي المنشور بالصحف بتاريخ 21 يناير 2002م). الجدير بالذكر أن السيد مبارك المهدي مشارك فعال في كل المنابر التي نادت بضرورة قيام آليات للمحاسبة والمساءلة على التجاوزات والانفلات. وهو من أوائل الذين نادوا بضرورة ذلك. مثلا جاء ذلك في خطاب تهديدي له بتاريخ 5 يونيو 1999م موجه لكل من رئيس الحزب وأمينه العام جاء الآتي: "إنني قررت تجميد نشاطي في الحزب إلى حين انعقاد مؤتمر الحزب لمناقشة تحفظاتي على الطريقة التي تسير بها الأوضاع التنظيمية في الحزب حيث غياب المساءلة والمحاسبة"، وذلك لأن أحد أعضاء الحزب القياديين الذين شاركوا في اجتماع أعضاء الأجهزة القيادية والاستشارية للحزب

بالخارج في مطلع يونيو 1999م كان قد ظهر "باسم الحزب في برنامج تلفزيوني عالمي لإدانة موقف الحزب وتخوين أحد قياداته علنا" حسب تعبير السيد مبارك المهدي. ولكن العضو الذي كان يستحق حسب رسالة السيد مبارك "اعتباره شخص خائن ويعاني من اضطرابات نفسية وصفوي" .. هذا الشخص قال في التلفاز العالمي أن ضرب مصنع الشفاء وتأييده خيانة. ويجدر أيضا أن نذكر حول اتهام المصنع بتصنيع أسلحة كيماوية أن "المعارضة لم تتهم أحدا ولم تتخذ موقفا في أي موضوع وفي إجماع من كل الناس باستثناء رأي عبر عنه الأمين العام للتجمع الوطني الديمقراطي (مبارك المهدي) وهذا الرأي الذي عبر عنه الأمين العام تبرأ منه الصادق المهدي وهو رئيس الحزب، وتبرأ منه الأمين العام للحزب الدكتور عمر نور الدائم" (جريدة البيان الإماراتية بتاريخ 19 سبتمبر 1998م). ويجدر أيضا أن نذكر أن الحزب كان قد أصدر بيانا في نفس اليوم يدين فيه ضرب مصنع الشفاء ويعتبر أن الضرب خطأ مبدئيا ومضر سياسيا حيث سيفيد النظام. فهل يستحق أحد المساءلة والمحاسبة على ذكر رأي الحزب المعلن، حتى ولو أساء لأحد قادة الحزب الخارجين عن الخط الحزبي في ذلك الأمر، بينما لا يستحق أحد القيادات المساءلة وإن كال للحزب من المدرعات الثقيلة؟!

إن الحزب غير مسئول عن تراجع البعض المبدئي بعد أن أجاز تكوين هيئة الضبط والرقابة الحزبية استجابة لحاجة حقيقية جعلت الساحة السياسية السودانية نهبا للتناقض والتذبذب والاختلاف المريع بين المواقف داخل الحزب الواحد وبشكل يثير التساؤل حول الإصرار ممن هذا شأنهم على الاستمرار في حزب واحد!.

إن كافة الروايات التي تنسب المحاسبة على التجاوزات لرئيس الحزب ملفقة. الهيئة هي التي تصدر كافة العقوبات من لفت نظر إلى عتاب إلى تجميد، ولا تحتاج للرئيس إلا في الموافقة على توصية الهيئة بالفصل من الحزب. أيضا الروايات التي تقول أن خبر تجميد عضوية السيد مبارك، إثر تصريحاته الصحفية المنشورة في صحيفة صوت العرب بتاريخ 26 ديسمبر 2001م وجريدة الرأي العام بتاريخ 30 ديسمبر 2001م، أن ذلك الخبر وصله عبر الصحف كاذبة. فقد أجمعت الهيئة على إنزال عقوبة التجميد على السيد مبارك لتعديه على الحزب عبر الصحف بشكل غير منضبط، ولتكرار تجاوزاته فقد كان أول من عوقب بلفت النظر. وقد كان القرار بتجميد عضوية السيد مبارك لمدة عام بإجماع أعضاء الهيئة وبالرغم من وجود بعض مؤيديه داخل الهيئة فقد كانت تجاوزاته المتتالية مما يصعب الدفاع عنها حتى للمتعاطف معه.

كان ذلك في يوم 5 يناير 2002م. وقد قام السيد صلاح عبد السلام رئيس الهيئة بالاتصال بالسيد مبارك هاتفيا وإبلاغه بقرار اللجنة حتى قبل إبلاغ بقية أجهزة الحزب وعلى رأسها الرئيس.

كان المكتب السياسي قد قرر الالتزام بمؤسسات الحزب الانتقالية، وأن الآراء الخلافية مكانها أجهزة الحزب لا الأجهزة الإعلامية العلنية في القرار رقم (110) بتاريخ 7 يناير 2002م، وذلك لأن الفريق المفاوض ومؤيديه وجهوا هجمة شرسة للنيل من الحزب ومؤسساته آنذاك. لم يكن للرئيس دور في تجميد عضوية السيد مبارك المهدي حينها، ولكن الرئيس هو الذي استخدم صلاحياته في رفع التجميد. حيث جرت وساطات التزم السيد مبارك إثرها بالمؤسسية موقعا على بيان يفيد ذلك بتاريخ 20 يناير 2002م، فقرر الرئيس اعتبار ذلك الموقف استئنافا إذ أن من صلاحياته رفع عقوبة التجميد في حالة استئناف العضو المعني له، وأصدر بيانا يؤكد فيه التزام السيد مبارك بالمؤسسة والتطلع للتجديد والإصلاح مؤسسيا وعبر المؤتمر العام في نفس اليوم. وفي نفس اليوم أيضا أصدر السيد مبارك المهدي بيانا مضادا ينافي فيه ما اتفق ووقع

عليه، ويؤكد معارضته "المبدئية" لهيئة الرقابة الحزبية على النحو المشار إليه آنفا. إزاء ذلك أصدر المكتب السياسي القرار رقم (113) بتاريخ 28 يناير 2002م والذي نص على التالي: "إن بيان السيد مبارك الفاضل المهدي مخالف لأسس العمل الجماعي والمؤسسي الذي التزم به الجميع. والرئيس عامل على التصحيح بما يؤكد الالتزام بمؤسسات الحزب وقراراته وإلا يحال الأمر للأجهزة المعنية. إلى حين ذلك الظرف يلتزم الجميع بالامتناع عن التصعيد بأية وسيلة".
هذه هي ملابسات تجميد عضوية السيد مبارك المهدي، والتي تظهر كيف أدارت المؤسسة الحزبية انفلات أحد قادتها وعدم اعترافه بالمؤسسة والنيل منها عبر أجهزة الإعلام، والدور الذي لعبه الرئيس في محاولة حل الإشكالية بشكل يرضي المؤسسة ويحتوي الانفلات في ذات الآن، بحيث استخدم صلاحياته لرفع العقوبة التي قررتها المؤسسة.
وفي هذا الصدد نؤكد أن قرار تجميد العضوية كان قد اتخذ في حق قيادات أخرى قبل ذلك ولم يظهر أن للجماعة المعترضة وبشكل مبدئي على المساءلة أي اعتراض في حينها.
ومن أهم الدروس المستفادة من تمرين تجميد العضوية أن الثغرات الإعلامية في بلادنا تعطي الفرصة باسم حرية النشر لبعض ذوي المصالح الخاصة والاتجاهات التخريبية، للضغط على مؤسساتهم معنويا عبر تدبيج المقالات وترويج الشائعات والأكاذيب. ولن يبرأ جسدنا السياسي ما لم نحتوِ على صحافة مسئولة توازن بين الحرية وبين المصالح الوطنية، وتتحرى الدقة فيما ينشر.

**رابعاً: تمويل الحزب ومؤتمره العام**

إن مسألة المليون دولار التي استلمها الحزب أمر مذاع يكرره الحزب كل مرة على صفحات الصحف وأجهزة الإعلام المختلفة مطالبا أن تفي الحكومة بالاتفاق الذي يقضي بإعادة ممتلكات الأحزاب المصادرة. مثلا جاء في مذكرة "قراءة في دفتر العام المنصرم" التي قدمها رئيس الحزب تعقيبا على مذكرة القطاع السياسي في مارس 2002م –وقد نشرت في الصحف حينها- الآتي: "اندفع عمل حزب الأمة التنظيمي ولكن قعد به أن النظام الذي صادر من الحزب ما قيمته 4.5 مليون دولار لم يسدد إلا ربعها، وعاقب الحزب النظام الإريتري على موقفه السياسي بحجز ما قيمته 2.5 مليون دولار من سياراته. هذه الإمكانيات كانت رصيد الحزب المهيأ للتمكين من الحملة التنظيمية والتحضير لمؤتمر الحزب العام في 26 يناير 2001م كما قدر".
وقال منتقدا الأداء المالي : "يجب أن نعمل على استنفار الطاقات المتاحة وأن نغير أولويات الصرف، وأن نعتمد أكثر وأكثر على الجهد الذاتي. لقد اتضح أن النظام لن يرد لنا أموالنا كما كنا نتوقع ربما لأنه يشترط مشاركتنا؟ أي لأسباب سياسية. كذلك الحال مع أموالنا في إرتريا وتقدر 2,5 مليون دولار. لعل النظام هناك أرادنا أن نستمر كرتا في يده فيدخولنا حرمناه من ذلك وحرمنا من مالنا. علينا أن نراجع المسألة المالية للاعتماد على الذات ولاستنفار الإمكانات ولإعطاء أولوية لتمويل الأنشطة على حساب تمويل الإعاشة والإدارة". هذه المذكرة كما قلنا منشورة. وقد نشرت هذه الفقرات أيضا في أدبيات أخرى متاحة للمستزيد. فالأقوال التي تريد أن تخرج هذه الحادثة الآن وتذيع أكاذيب حول ملكية فلان أو أحقية فلان يواجهها حزبنا بمواثيق الشفافية التي تصرف بها الحزب مع الأمر من قبل.
أما مسألة تمويل مؤتمر الحزب فبيانه كالتالي: إن المؤتمر العام السادس لحزب الأمة هو مثال العطاء الحزبي والعمل بأقل التكاليف الممكنة لحزب كبير كحزبنا ولكنه محاصر إعلاميا

وسياسيا ومصادر الممتلكات من قبل السلطة الحاكمة، ومن بعض الجهات الأجنبية. فهو حزب مستقل برأيه يدفع أثمان مبدئيته بتلك المحاصرة والمصادرة. نؤكد هنا الحقائق التالية:
**أولاً:** جزء لا يستهان به من الصرف على المؤتمر خارج رصد اللجنة المالية، وهو كالتالي:
أعضاء المؤتمر التابعين لكلية سودان المهجر والقادمين من الولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا، ألمانيا، وسويسرا، وإنجلترا، والمملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية، وقطر، ومصر، واليمن، وتشاد، وليبيا، وسوريا، وسلطنة عمان وعددهم 115، أتوا على نفقتهم الخاصة ولم يدفع الحزب فلسا في إحضارهم أو إقامتهم لحين عودتهم لمهجرهم.
كافة مطبوعات لجنة الإعلام ومنتجات تلك اللجنة تمت طباعتها بالتنسيق بين مكتب الحزب بسوريا وتمويل الأحباب بالمهجر. (خلفية المؤتمر- ملصقات- أقلام خاصة بالمؤتمر- علاقات مفاتيح- قبعات وقمصان ..الخ كلها عليها شعارات المؤتمر). قام الأحباب بالمهجر بسداد تكلفة المطبوعات والمنتجات وترحيلها وجماركها فلم تكلف الحزب شيئا. كذلك بعض مطبوعات لجنة السكرتارية (الجاكيت الفاخر للمؤتمرين - وجاكيت البرنامج المصغر).
المحليات أقامت مؤتمراتها بتمويل ذاتي وبدون تكلفة الحزب إلا إرسال المراقبين من لجنة التنظيم لمتابعة صحة إجراءات المؤتمرات المنعقدة. والكثير من المحليات تكفلت بترحيل المؤتمرين إلى المؤتمر العام وبالعكس منه إلى مواطنهم.
**ثانياً:** المبالغ المرصودة التي صرفت عبر لجنة المؤتمر المالية تبلغ حوالي 600 مليون جنيه سوداني، بعضها ظل ديونا على الحزب بعد المؤتمر. أما الجزء الأكبر من تلك الميزانية فقد تم تمويلها كالتالي:
اجتماعات الدعم "الشوبش" التي دعت لها اللجنة المالية وحضر بعضها رئيس الحزب، والتي غطت مجموعات عديدة قبلية وجهوية وفئوية تابعة للحزب منها مجموعات الجبلاب- نهر النيل - الحرفيون- الصيارفة. كما كانت إحداها خاصة بالنساء حيث أثبتن حماسا كبيرا لدعم الحزب.
قيام بعض المحليات بدعم المؤتمر مثلا محلية المحيريبا- محليات العاصمة (أم درمان شمال- أم درمان جنوب- الكباشي- الجبلي- بحري).
مجهودات جمع الدعم من رجال الأعمال التي قام بها قياديون في الحزب على رأسهم المرحوم الدكتور عمر نور الدائم والذي بلغ تمويل مجموعته للمؤتمر العام أكثر من ربع الميزانية، والأمير عبد الرحمن نقد الله شفاه الله، والسيد صلاح عبد السلام الخليفة، والسيد نصر الدين المهدي.
مساهمات رئيس الحزب وغيره مباشرة.
مساهمات فرعيات الحزب بالمهجر.
مساهمات أصدقاء الحزب السودانيين دعما لأحزاب الديمقراطية السودانية.
سيكون من فضول الكلام التأكيد على أنه لم تصرف جهة أجنبية، ولا أية جهة حكومية أو رسمية أو تابعة للنظام على مؤتمر الحزب، وعلى العكس، فقد واجه الحزب محاولات لتعويق قيام المؤتمر وراءها جماعة الفريق المفاوض السابق ومساندوهم داخل، وأولها الإحجام عن إعادة الجزء الأكبر من ممتلكات الحزب المصادرة، ثم الحرب الإعلامية التي فرضت على مؤتمر الحزب من قبل بعض الجهات الأمنية، وجعلته ينال أقل مما يستحق كمؤتمر عام يأتي بعد كل فترة الحل والملاحقة الطويلة لأكبر حزب سوداني. إن التغطية الإعلامية التي حظي بها مؤتمر حزب الأمة السادس في الفترة ما بين 14-17 أبريل 2003م كانت في القنوات العربية

والعالمية أضعاف ما كانت في أجهزة الإعلام المحلية، وما وجد طريقه للصحف أنذاك كان رغما عن أنف بعض الجهات داخل النظام. وهذا يعكس بوضوح الموقف الرسمي من ذلك المؤتمر.

نفس الشيء يقال عن تمويل مؤتمر هيئة شؤون الأنصار الذي مولته ذاتيا، وإن كانت الهيئة قد تكفلت بتبيان مصادر تمويل مؤتمرها ودحض الافتراءات التاريخية التي يسطرها البعض هذه الأيام.

**خامسا: ورقة القطاع السياسي في مارس 2002م ومناقشتها**

من ضمن الإفادات التاريخية المغلوطة الرائجة الآن الحديث عن ملابسات تقديم ومناقشة ورقة القطاع السياسي سابقا داخل الأجهزة. وللحقيقة والتاريخ فإن القطاع السياسي ومنسوبيه كانوا قد فقدوا أي أمل في الأجهزة الانتقالية أن تقبل المشاركة في السلطة بالطريقة التي يستعجلونها وبدون شرط أو ضابط. وكان فحوى مذكرتهم الأربعينية محاولة للضغط -أو التآمر- مع الرئيس والأمين العام المكلف لقبول فكرة الانقلاب على تلك الأجهزة من أساسها، وقد فشلت. وكانوا يرجون من لجنة تقويم الأداء أن تأتي بفكرة تجاوز تلك المؤسسات، ويوعزون لأعضائها في الصحف تارة بالإطراء وأخرى بالتحذير أن يقدموا توصيات تصب في صالحهم، وهو ما لم يتم حيث أكد التقرير على المؤسسة الانتقالية والتمسك بها. وقبل انتهاء اللجنة، وفي مارس 2002م وزع السيد مبارك المهدي رئيس القطاع السياسي مذكرة تحتوي على قراءة القطاع السياسي السياسية. وقد جاءت مشككة في صحة فكرة "الطريق الثالث"، متحدثة عن أن قراءتنا الإستراتيجية صحيحة ولكن تكتيكات الحزب غير صحيحة، ومحللة للمستجدات منذ قرار 18 فبراير 2001م وحتى مارس 2002م بشكل يرى أنها تستوجب مراجعة موقف الحزب. أي مدرك لتكوين التنظيم الانتقالي يعلم أن الرؤى السياسية والقرارات التي تشرّع لخط الحزب السياسي محلها الأجهزة التشريعية: المجلس القيادي الذي ينظر في المسائل ثم يحيلها إن لزم للمكتب السياسي، والذي يتخذ القرارات اللازمة ثم تحال للمكتب التنفيذي للتنفيذ. ورغما عن ذلك اللبس الإجرائي فإن الحزب قبل مناقشة الورقة. وقد عبر عن ذلك رئيس الحزب في مذكرة بعنوان "قراءة في دفتر العام المنصرم" كانت بمثابة تحليل وقراءة للمستجدات التي ذكرتها ورقة القطاع السياسي برؤية مغايرة هو أن موقفينا المبدئي والتكتيكي صحيحان، جاء فيها : "قدم الأخ رئيس القطاع السياسي رؤية للموقف السياسي للجهاز التنفيذي تشمل قراءة معينة للموقف السياسي والمستجدات. ولدى تنوير رئيس الحزب في اجتماع المجلس القيادي قبل الأخير لخص رئيس القطاع السياسي تلك الرؤية. وبعد ذلك أعلن رئيس الحزب أن علينا أن نعقد جلسة خاصة لقراءة الأحداث وتقييمها وتحديد ماذا بعد؟ ثم وزع رئيس القطاع السياسي مذكرة بدون تاريخ على المكتب السياسي في يوم الاثنين 13 مارس 2002م. التسلسل الصحيح لتناول هذا الموضوع هو أن يقدم التقييم المقترح للمجلس القيادي وقد اتفق على عقد جلسة لذلك. ثم يناقش الموضوع في المكتب السياسي وما يقرر يحال للجهاز التنفيذي لتنفيذه لا لرسم السياسات. هذه المسائل معلومة ما فيها من غموض إن وجد إجلاؤه لانحيا. ولكن بصرف النظر عن الخطأ الإجرائي فإن ما ورد في المذكرة رؤية يجب أن تناقش بجدية وموضوعية." كل ذلك تعبيرا عن أهمية المذكرة وضرورة إيلاء نقاشها أقصى درجات الانتباه لأنها لم تكن ورقة عادية مقدمة لتنفيذ خط متفق عليه، بل كانت ورقة تزمع تغيير خط الحزب السياسي ونقله من خانة الطريق الثالث إلى خانة المشاركة في الحكم بدون ضوابط قرارات 18 فبراير الشهيرة، قدم

رئيس الحزب قراءته لورقة القطاع السياسي في 23 مارس 2002م، وتم تحديد اجتماع مشترك بين المكتب السياسي والمجلس القيادي لمناقشة ورقة القطاع السياسي وتعليق رئيس الحزب عليها بتاريخ 1 أبريل 2002م. وكان من المتوقع أن تتنافس الرؤيتان أو تخرج رؤية ثالثة من نقاش الأعضاء، ثم يتخذ القرار بالتراضي أو التصويت. وقد اتضح داخل المكتب القيادي أن جماعة الفريق المفاوض لم تقدم الورقة للنقاش بل على أن تقبل كما جاءت، بدليل أنهم رأوا أن مشاركة الرئيس في المناقشة في حد ذاتها ديكتاتورية لأن ذلك سيؤثر على الأعضاء في زعمهم، أما أن يشارك بورقة مكتوبة فقد قارنوه بقمة التسلط. وللحزب أن يطالب بمده بأي تعريف للديمقراطية على وجه الأرض يعني أن يصمت رئيس أي جهاز عن الإدلاء برأيه حول مذكرة قدمت في الأجهزة التي يتسنم ذراها! أو أن يقتصر في حالة كان له رأي معين على التعاطي الشفاهي، فلا يأتي برؤيته مكتوبة!. الشاهد أن تلك الجماعة أيقنت أن ورقتها ستهزم من داخل الأجهزة، واستنكرت أن يظن البعض أن الأجهزة مجال للتنافس في الرؤى، ثم قررت الانسحاب من الاجتماع المزمع بافتعال مشكلة، فحضرت باصطحاب ممثلي كلية سيوف النصر الذين كانوا قد جردوا من كافة مناصبهم لتوقيعهم على بيان يناقش قضايا داخلية نشر في الصحف بدون إذن، وكان قرار تجريدهم من مناصبهم قد اتخذ في حقهم قبل أشهر عديدة من ذلك التاريخ، وكانوا قد استجابوا للقرار فلم يحضر منهم أحد لاجتماعات المكتب السياسي طيلة تلك المدة، ولكنهم حضروا في ذلك اليوم ومنعوا من دخول الاجتماع من قبل زملائهم القائمين على تأمين الاجتماعات، فدخل السيد مبارك المهدي للاجتماع الذي كان يزمع أن يناقش أمر مذكرته ورد الرئيس عليها، دخل قاعة الاجتماعات منفعلا ومحتجا من وجود "مليشيات" وقد هدأه السيد رئيس المكتب السياسي حينها الدكتور آدم مادبو، وقال له أن هذه المسألة ليست من الأجندة ولكن تقديرا لذلك الانفعال سنناقشها. وحينما فرغ من شكواه أعطيت الفرصة للسيد عبد الرحمن الصادق أمير جيش الأمة للتحرير سابقا للرد على الاتهامات الموجهة إليه ولكن السيد مبارك المهدي حاول إسكاته غير مرة ثم تحول من مكانه الأول إلى حيث يقف المتحدث وادعى أن الأمير عبد الرحمن حاول ضربه ثم انصرف مع 16 عضوا من أعضاء المكتب السياسي، وكرر روايته المجروحة غير مرة بالرغم أن الشهود كانوا بالعشرات، والشاهد أنه هو الذي تحرك من مكانه مهاجما ومسيئا. ولذلك فإن الاجتماع ناقش بعد ذلك مسألة الانسحاب المذكور، وأجل أجندته الأخرى، ثم خرج عن الناطقة الرسمية للحزب في 2 أبريل 2002م البيان التالي:

"عقد اجتماع مشترك بين المكتب السياسي والمكتب القيادي لحزب الأمة مساء أمس الاثنين الموافق 1 أبريل 2002م وذلك لمناقشة المستجدات السياسية المتمثلة في مذكرة قدمها رئيس القطاع السياسي للحزب، والتعليقات عليها في المكتب القيادي. وقبل البدء في الأجندة المذكورة وقع خلاف حول جزئية تتعلق بعضوية المكتب السياسي. ونود توضيح الآتي:

أعضاء المكتب السياسي يمثلون كليات.. الخلاف الذي أثير كان حول كلية سيوف النصر وهي كلية تابعة لمجموعة جيش الأمة للتحرير سابقا، وقد خصوا بتلك الكلية لما لهم من تاريخ نضالي، وذلك حتى يكون لهم تمثيل في المكتب السياسي.

أثار السيد رئيس القطاع السياسي خلافا حول ممثلي الكلية في المكتب السياسي، فبدأ المكتب في بحث هذا الخلاف ليجد له حلا عادلا وفق اللوائح، وشرع في مناقشة الأمر بالرغم من أنه لم يكن من الأجندة الموضوعة للاجتماع. وفي تطور غير مبرر للخلاف رأى السيد رئيس القطاع السياسي الانسحاب مع 16 من الأعضاء، ومجموع الحاضرين للاجتماع تسعة وثمانين عضوا.

بقية الحضور كانت تمثل نصابا قانونيا كاملا، وكان يمكن للمجلس أن ينعقد بصورة قانونية ويقرر في الأمر المثار، وفي الأجندة الموضوعة، ولكن الاجتماع رأي رفع الجلسة لمدة 48 ساعة، ومناقشة الأجندة المقررة في حينها.
أما بشأن القضية العارضة المثارة أمام الاجتماع –المتعلقة بكلية سيوف النصر- فقد كوّن الاجتماع المشترك للمكتبين السياسي والقيادي للحزب لجنة برئاسة د. عمر نور الدائم النائب الأول لرئيس الحزب ورئيس الجهاز التنفيذي، وعضوية كل من: الأستاذ/ بكري أحمد عديل النائب الثاني لرئيس الحزب- السيد / صلاح عبد السلام رئيس لجنة الرقابة وضبط الأداء- السيد/ عبد الرسول النور رئيس قطاع الجنوب- الأستاذ/ عبد المحمود الحاج صالح مساعد الرئيس للشؤون القانونية- السيد / السر الكريل عضو المكتب السياسي. وذلك للنظر في تلك الملابسات. وفوض الاجتماع اللجنة ليكون قراراها حولها نهائيا.
قرر الاجتماع أن هذا النوع من السلوك غير ديمقراطي وغير مقبول، ولكن يجب أن يمنح الخارجون فرصة أخرى، بعد أن تقرر اللجنة بشأن المسألة الخلافية.
ناشد الاجتماع الجميع ضبط النفس والاحتكام للوائح والقرارات المؤسسية."
ويتضح من سياق الأحداث أن الانسحاب عن الاجتماع كان معدا له قبلا، وقد تسربت معلومات مسبقة بان تلك الجماعة قد حزمت أمرها مع المشاركة بدون شروط، وأزمعت على تجاوز الأجهزة الحزبية، وعلى التحايل للانسحاب من الاجتماع المعني، ولكن الإخراج لمشهد الحيلة كان رديئا بحيث لم يصدقه حينها المشاهدون.
الخارجون عن الاجتماع عددهم 17 بمن فيهم السيد مبارك المهدي الذي أشر لهم فتبعوه. وقد لاقوا رئيس الحزب بعدها. هنالك كلام عن أن رئيس الحزب قال أنه يشعر بأن البعض يهدد قيادته وأنه طلب التأكيد على قيادته. وللتاريخ فإن رئيس الحزب الحالي انتخب كرئيس للحزب ثلاث مرات الأولى بأغلبية ساحقة عام 1964، والثانية والثالثة بالإجماع في العامين 1986 و2003م، وما يعرف عنه داخل الحزب أنه يأنف الأوامر المباشرة حتى للكوادر الناشئة ويحترم حتى الطلاب ويتعامل مع الجميع بندية وربما هذا من أهم أسباب تعلق الناس به، وهو من أسباب تذمر البعض من هذه الديمقراطية البالغة في مجتمع أبوي، فهذه الفكرة لو تسربت لأذهان البعض فربما هي إسقاط من ظنون سيئة نابعة عن أفعال سيئة اعتادوها. والحزب غير مسئول في هذه الحالة من أن البعض يعتبر العلاقات بين القيادات هي بالإشارة أو كما بين التلاميذ والمعلمين. ويؤكد أن الرئيس حتى لو غير أسلوبه المعتاد، فإن صلاحياته محدودة بالدستور واللوائح ولا يفيد أن يردد البعض ولاءهم لشخص طالما أن المؤسسات هي صاحبة القرار.
الجدير بالذكر أن الأجهزة استأنفت نقاش مسألة الخط السياسي تلك ثم توصلت إلى القرار رقم 122، ومفاده:
"يؤكد الاجتماع جدوى قراره التاريخي بتاريخ 18 فبراير 2001م وسعة أفق القرار مع تأكيد ضبط المشاركة في أحد الإطارين المذكورين: حكومة انتقالية قومية- انتخابات حرة نزيهة.
تداول الاجتماع الظروف المحدقة بالبلاد كافة وفرص الحل السياسي الشامل وقرر: مواصلة الحوار مع النظام بهدف الاتفاق على إصلاح دستوري وقانوني وسياسي بما يحقق التحول الديمقراطي وأسس السلام العادل بما يشكل أساسا للحل السياسي الشامل ويتطلع الحزب لإبرام هذا الاتفاق على ضوء ما يعرض عليه من تفاصيل نتيجة التفاوض.

يدعم الحزب عمله التعبوي الشعبي ويواصل مفاوضاته مع القوى السياسية السودانية للتعاون في سبيل السلام العادل والتحول الديمقراطي".
وهكذا لم يبق للجماعة المصرة على المشاركة بدون شروطها إلا الخروج عن الحزب. ولكنها رأت أيضا أن يكون الخروج عليه. وقد كان يكفيها أن تؤكد أن مشاركتها هي اختلاف في وجهات النظر وأنها ترى "الطريق الثالث" خطة غير ذات جدوى وستجرب طرقها التي تراها مجدية، ولكنها بدلا عن ذلك قررت أن تصاحب مشاركتها بإساءات لا أول لها ولا آخر موجهة للحزب، ولتاريخه كأن لم تلبث فيه عمرا.

**سادساً: لجنة تقويم الأداء الحزبي 2002م (يناير- مايو 2002م)**

ذكرنا أن ما يشاع عن كرونولوجيا تطور الأحداث لدى البعض كاذب. لأن مناقشة تقرير لجنة تقويم الأداء كانت بعد المذكرة الأربعينية بعام. ومن جديد تحاول الأقوال التي يروج لها الآن التشكيك في موقف قيادي أساسي آخر استغلالا لظرف إنساني مؤلم حيث أن ظروف ذلك القيادي الصحية الآن لا تدعه قادرا على الرد لمساندة حزبه، عجّل الله بشفاء الأمير نقد الله وهو بحمد الله يتحسن كل يوم. قصة لجنة تقويم الأداء بدأت حينما قرر المكتب السياسي الانتقالي تكوين لجنة لمراجعة الأداء العام للحزب، روعي فيها تمثيل كافة وجهات النظر المختلفة وقد ضمت 16 عضوا على رأسها الأمير عبد الرحمن نقد الله شفاه الله وعافاه، وذلك بتاريخ 14 يناير 2002م عبر قرار المكتب السياسي رقم 112. كلفت اللجنة بدراسة الموضوع وتقديم نتائجها للمكتب السياسي لبحث الأمر واتخاذ الرأي فيه. وصف القرار رقم 112 صلاحيات اللجنة وهي بحث أسباب عدم الانضباط الحزبي وتقديم اقتراح بالإصلاح المطلوب. قامت اللجنة بأعمالها على الوجه المطلوب فعقدت 63 اجتماعا مطولا استمعت فيها للقيادات المعنية والمتطوعين. قدمت اللجنة تقريرها في 1 أبريل 2002م، وقد حوى التقرير ثمانين صفحة بملاحقه. أما الجزء الخاص بتحليل أسباب القصور والمقترحات فقد انحصر في 57 صفحة. ونحن نحدد هذه الأرقام ليس للتقليل من حجم التقرير وأهميته ولكن لتصحيح بعض الأخطاء الواردة حول هذا الأمر في المادة الإعلامية الموزعة فهنالك من يقول أن بالتقرير 300 صفحة!. احتوى التقرير على تمهيد يؤكد ضرورة المؤسسية والتنظيم وأهمية الحزب ككائن حي، ثم على أبواب عديدة تغطي مهام اللجنة المرجعية وهي: عرض تحليلي لظاهرة عدم الانضباط- ملاحظات حول أجهزة الحزب ومتطلبات التطوير- تقييم أداء القطاعات المختلفة- المقترحات الخاصة بالتنسيق وتفعيل القطاعات- والتوصيات العامة.
قدّر المكتب السياسي والمجلس القيادي مجهود اللجنة وثمناه وناقشا التقرير بجدية. أصدر الحزب القرار رقم (123) ونصه: "نسبة لأهمية التقرير رأى الاجتماع ضرورة تسليم كل عضو من أعضاء المكتب السياسي والمجلس القيادي نسخة من التقرير لقراءته". وعبر القرار رقم (133) خط الاجتماع منهجية مناقشة التقرير وآليتها، وذلك بـ:
استمرار الاجتماعات اعتبارا من الثلاثاء 2002/5/7م وحتى الانتهاء من التقرير واتخاذ قرار بشأن التوصيات التي وردت فيه.
الاتفاق على منهجية نقاش التقرير: الرأي في عموم التقرير- أنه لتحسين الأداء وليس للتقويض- بشأن التوصيات التي وردت في التقرير يوضح العضو ما يوافق أو يعترض عليه ويطرح البديل في حالة الاعتراض- يذكر الثغرات الموجودة في التقرير وكيفية ملئها بمقترحات محددة.

.. وهذه أوليات لمنهجية مناقشة أي من الأدبيات في أي مجال عملي لمن كان له في مجالات البحث والدراسة أي باع... استمرت الاجتماعات يوميا فعقد 13 اجتماعا مشتركا بين المكتب السياسي والمجلس القيادي لمناقشة التقرير بمتوسط 3 ساعات للاجتماع. ناقش الأعضاء التقرير وفقا للمنهجية أعلاه، وفي الاجتماعين رقم 61 و62 للمكتب السياسي، تحدث 31 عضوا متطرقين للتقرير وفقا للمنهجية المذكورة، ثم أدلى رئيس الحزب بعد ذلك بدلوه في كيفية إجازة التقرير على ضوء المنهجية المقررة وعلى ضوء ما تم من نقاش، بتقديم ورقة توضح ما رآه مناط إجماع المناقشين من التوصيات، وما رآه يستحق المراجعة وما رآه غائبا في التقرير والخطوات العملية التي يراها لتفعيل توصيات التقرير ثم ماذا بعد التقرير؟ رؤية الرئيس وغيرها من الرؤى تم نقاشها بحرية كاملة، ومن الطبيعي أن يشترك الرئيس كغيره من الأعضاء في نقاش "مقترحات" مقدمة للمكتب السياسي، كما اعتاد رئيس الحزب أن تكون مخاطباته في المنابر وداخل الأجهزة الحزبية مكتوبة لمزيد من التركيز مما يعكس مدى جديته، ولا يقلل من هذه الميزة كون بعض المتشربين بالذهنية الشفاهية أو لأي سبب آخر يخلطون بين الجدية والتوثيق وبين الديكتاتورية. بعد الفراغ من النقاش الذي شارك فيه أعضاء المكتب السياسي والمجلس القيادي خرج الحزب إثر اجتماع مشترك بين المجلس القيادي والمكتب السياسي بالقرارات رقم 134، 135، 136 ، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145 ، 147، 148، 150، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، و159 والتي صدرت في بيان صحفي باسم مقررة المكتب السياسي والناطقة الرسمية للحزب السيدة سارة نقد الله بتاريخ 10 مايو 2002م (البيان المنشور صدر بالقرارات من 134-145). كانت تلك القرارات تحتوي على أكثر من ثلاثة أرباع توصيات التقرير، حاذفة منه ومضيفة إليه حسب النقاش داخل الأجهزة بما في ذلك رؤية رئيس الحزب، وأي حديث عن أن التقرير تم إلغاؤه أو استبداله برؤى جديدة عار من الصحة.

بعض الناس يتحدثون عن أن التقرير كان ضد مؤسسات الحزب أو أنه نعاها ووصفها بأنها جزيرة معزولة، بل بعضهم أتى باقتباسات وكتب: (قال تقرير الحاج نقد الله "جزيرة معزولة عن القواعد") هكذا.. وهذه أكاذيب ملفقة. والحقيقة أن التقرير لم يصف الحزب بتاتا بهذا الوصف في أية صفحة من صفحاته. صحيح احتوى التقرير على نقد للأداء الحزبي بل لقد قامت اللجنة نفسها لذلك الغرض فهي تمرين نقد ذاتي قام به حزب مسئول يريد أن يختط سابقة مؤسسية في بلاد يتعامى فيها الناس عن أخطائهم بدوافع عاطفية أو لشعور بالنقص يقابلونه بالعزة بالإثم. ولكن تقرير اللجنة أظهر في المقابل نقاط قوة الحزب وهي مفرقة في صفحاته، مثلا في الصفحات 5 و6 جاء بالتقرير الآتي: "إذا أخذنا مجموع الخبرة التاريخية الطويلة لحزب الأمة التي تمتد حتى الآن أكثر من ستة وخمسين عاما، لجاز لنا أن نقطع بأن حزب الأمة وبقياداته المؤهلة المختارة الرشيدة قد نجح بالوصول بلواء النصر إلى كل أهدافه". وحتى حينما تحدث عن قصور الحزب كان في إطار الإيمان به إذ قال "وحزب الأمة لا يملك عصمة من العثرات والكبوات، فهو كائن يمتلك مقومات الحياة والنمو والتطور وإلا فسيذبل". وجاء فيه "إن حزب الأمة يواجه اليوم تحديات خارجية جسام وأخرى داخلية عظام ولكن قدراته ومهاراته أكبر من أن تعوق مسيرته هذه التحديات". ولم يخص التقرير رئيس الحزب بالنقد كما توحي بعض الكتابات المغرضة بل على العكس، فحينما تحدث التقرير عن ظاهرة عدم الانضباط رأى من الأسباب غير المباشرة لها أن "حركة التثقيف والتحديث التي قادها السيد الرئيس في ربع

القرن الأخير من الزمان وجدت قبولا كاملا و هيجت آمالا وخاطبت عقولا وفتحت آفاقا لدى الشباب ولم نهيئ لها المهابط لتنزل أرض الواقع" وهذا بالطبع يشير لبطء سير المؤسسة الحزبية لتنزيل أطروحات القيادة النيرة على الأرض لا عن كون القيادة جزيرة معزولة عن الجماهير.. والتقرير مليء بالأفكار التي ترد على تلفيقات البعض معتبرين أن أهم فقرة في التقرير هي فكرة لم ترد فيه أصلا.. هذا من جانب.

ومن جانب آخر، إذا كان أصحاب الأقوال الرائجة بالاحتكام للتقرير كما جاء للأجهزة وقبل أن تصدر قراراتها بشأنه، يعتبرون أن التقرير قول فصل نهائي لا تجوز مناقشته باعتبار المناقشة ديكتاتورية، وليس مقترحا مقدما للنقاش كما أراد له المكتب السياسي، فإننا نسألهم الأسئلة التالية:

جاء في التقرير في ص **10** كأحد الأسباب المباشرة لعدم الانضباط التالي: "التفويض الكامل المطلق لبعض قيادات الخارج خلق إمبراطوريات صعب بعد العودة الخروج منها". وجاء أيضا من أسباب عدم الانضباط: "الاحتفالات والتكريم لكل العائدين من الخارج وإهمال دور أهل الداخل". كما جاء أيضا من الأسباب المباشرة أن الاستقطاب غير المرشد حول قضية المشاركة و"الخروج بالقضية من دهاليز الحزب إلى الإعلام والرأي العام سبب كل كارثة". هل يقبلون هذه التفسيرات لأزمات الحزب؟

جاء في التقرير بشكل واضح وكأول التوصيات وأهمها التالي: "الالتزام القاطع بالمؤسسية" باعتبارها تعني تمكين العمل الجماعي. و"الخروج عن ذلك الإجماع خرق للمؤسسية يستوجب المساءلة بكل جد وحسم وعزم. أما التمادي فهو يعني الخروج والخروج لا يعني إلا الخروج!!" وجاء "أما ظاهرة إفشاء أسرار الحزب ونقل ما يدور في داخله إلى الخارج دون إذن المؤسسة تعتبر خيانة للحزب تستوجب الردع. وأيضا "الحزب أكبر وأقيم من كل فرد مهما كانت وضعيته ومساهماته السابقة والآنية واللاحقة". و"القرارات الصادرة عن مؤسسات الحزب هي روح الحزب وزبدة الممارسة الديمقراطية فيه". وقد ظهرت هذه التوصيات في قرارات الحزب النهائية مع اختلافات طفيفة في الصياغة. فهل في هذه التحليلات ما يشير إلى أن التقرير نعى أجهزة الحزب وأعطاها شهادة الوفاة؟ وهل لا تعني هذه التوصيات على العكس أن التقرير أكد على تلك المؤسسات وجعل الخروج عنها وإفشاء أسرارها خيانة.

والسؤال الآن: هل مقدسو تقرير لجنة تقويم الأداء الحزبي بزعمهم مستعدون الآن لمحاكمتهم بنصوص ذلك التقرير وأحكامه عن الخروج والخيانة؟.

**سابعاً: الروايات عن عمليات إقصاء داخل الحزب**

إن التنظيم المرحلي كان بالانتخاب والتصعيد والتراضي كما ذكرنا، وليس بالتعيين، ولذلك فمن غير الممكن أن يتم الإقصاء على أسس فردية في تنظيم هذا أصله. فما هي حقيقة ما يقال من أن بعض القيادات التي كانت تؤيد الفريق المفاوض تم إقصاؤها؟ لقد ظهر جليا بعد تمام خروج جماعة الفريق المفاوض من الحزب أنها كانت ممثلة بأكبر من حجمها. وكانت بيدها ملفات حساسة جدا، فقد كان بيدها القطاع السياسي وقطاع الفئات ولجنة الإعداد للمؤتمر العام. ولكن بعض الأقوال الآن تشير إلى أن جماعة الوفد المفاوض والتي خرجت لاحقا على الحزب قد تم إقصاؤها بدليل: تغيير الوفد المفاوض، وإقصاء رئيس قطاع الشباب والطلاب، وإقصاء نائب رئيس قطاع الفئات (من منسوبيهم)، حل القطاع السياسي، وتحجيم قطاع الجنوب الذي يقوده عبد الرسول النور. عدم صحة هذه المزاعم تظهر في التالي:

**قطاع الشباب والطلاب:** مشاكل هذا القطاع بدأت منذ عام 2000م وقبيل عودة رئيس الحزب في "تفلحون"، ففي اجتماع المكتب السياسي بتاريخ 27 سبتمبر 2000م وجه بعض الطلاب نداء أخذ به المكتب السياسي علما وحوله للمكتب التنفيذي على أن يفاد المكتب السياسي بما تم في حل إشكاليتهم (الاجتماع رقم 7). وفي الاجتماع رقم (13) للمكتب السياسي الانتقالي استمع المكتب لتنوير من رئيس القطاع، والمشرف السابق على الطلاب، وبعد المداولات تم تكوين لجنة من ثمانية أشخاص لدراسة المذكرات المتبادلة بين أمناء الجامعات ورئيس قطاع الشباب والطلاب. كان ذلك بتاريخ 20 نوفمبر 2000م، وقد ناقش المكتب السياسي تقرير هذه اللجنة في 11 فبراير 2001م (الاجتماع رقم 17). لاحقا أثيرت مسألة الشباب والطلاب من جديد في الاجتماعين رقم 35 و36 في يومي 6 و20 أغسطس 2001 وخرجت توصيات منها تحويل قطاع الشباب والطلاب إلى قطاعين منفصلين، وتكوين لجنة تقوم بتنفيذ التوصيات من ثمانية أشخاص "على أن يقام القطاعان عن طريق الممارسة الديمقراطية ويكون هذا الدرس الأول في الديمقراطية الرابعة". وقد كان النائب الأول للرئيس رئيسا لتلك اللجنة، ورئيس قطاع الشباب والطلاب مقررا فيها. (القرار رقم 105 بتاريخ 20 أغسطس 2001م). كان من المفترض أن تقوم تلك اللجنة بإجراء الانتخابات اللازمة للقطاعين لتكوين أجهزتهما، وهو ما لم توفق فيه نسبة للخلافات البالغة والاستقطابات بين الشباب والطلاب حول موضوع المشاركة في السلطة والذي كان يقوده تيار الفريق المفاوض ويحشر فيه ذلك القطاع الحساس، وفي اجتماع المكتب السياسي الخمسين بتاريخ 25 مارس 2002م اتخذ المكتب السياسي القرار رقم 117 والقاضي بالتالي: حل لجنة قطاعي الشباب والطلاب- الدعوة لملتقيين طلابي وشبابي هدفهما محو آثار الفترة الماضية واستنهاض الهمة- الدعوة بأسرع وقت ممكن لورشتي عمل لكل من الطلاب والشباب- يحدد الرئيس بالتفاكر مع رئيس الجهاز التنفيذي الآلية التنفيذية للقيام بذلك، وقد أجيز هذا القرار بالإجماع. كما أمن تقرير لجنة تقويم الأداء على ضرورة فصل القطاعين والإسراع بعقد الورش (التقرير ص 30). إن مشكلة قطاع الشباب والطلاب قديمة بدأت مع التنظيم الانتقالي نفسه، وقد كانت تلك المشاكل أحد الأسباب التي حدت بنائب رئيس ذلك القطاع أن يقدم استقالته عام 2001، وقد جعلت المكتب السياسي يكون العديد من اللجان لحل مشاكل ذلك القطاع. أما حشر هذه الملابسات الخاصة بهذا القطاع في إطار تاريخي لاحق فقفز فوق الكرونولوجيا، وتزوير للتاريخ.

**القطاع السياسي:** إن مزاعم حل القطاع السياسي، وقد كان يرأسه السيد مبارك المهدي، لا أساس لها من الصحة. لقد جاء في تقرير لجنة تقييم الأداء إشادة بديناميكية ذلك القطاع، ورأت اللجنة في تقريرها بعض الملاحظات منها ما يتعلق بتسمية القطاع، وانعدام الشفافية في عمله (ما أشار له التقرير بعبارتي: الحرص والكتمان) مما فتح نوافذ الخيال والتكهنات، ومشاكل الإعلام، والتداخل في عمل القطاع مع بعض القطاعات الأخرى ثم اقترح التقرير عدة مقترحات لتفعيل هذا القطاع الهام منها: تحويل أمانة الإعلام التابعة للقطاع وترفيعها إلى قطاع، وأيضا تكوين دائرة الحل السياسي التي تشمل: القطاع السياسي، قطاع الاتصال والتنسيق والعمل الجماعي، وقطاع الشؤون الخارجية. كل مقترحات التقرير بشأن القطاع السياسي أجيزت. فصدر القرار رقم 141 والذي أجاز فكرة الدوائر لمزيد من التنسيق، وكون دائرة الحل السياسي التي تتكون من رؤساء كل من القطاعات الثلاثة ونوابهم برئاسة رئيس الحزب.

الجدير بالذكر أن ترفيع الإعلام إلى قطاع كان من مطالب الوفد المفاوض ومؤيديه منذ زمن حيث كان رئيس تلك الأمانة الأستاذ الزهاوي إبراهيم مالك من منسوبيهم وكانوا يدفعون باتجاه ترفيع مسئوليته لرئيس قطاع وليس نائبا لرئيس قطاع. كما أن تكوين دائرة الحل السياسي كان من توصيات تقرير لجنة تقويم الأداء التي يعترف هؤلاء بالاحتكام لها.. أما فرية حل القطاع السياسي فلم تحدث قط.

**قطاع الفئات:** هذا القطاع كان يرأسه الدكتور علي حسن تاج الدين، مستشار رئيس الجمهورية الآن ضمن التحالف مع جماعة الوفد المفاوض سابقا، وينوب عنه الأستاذ عبد الله بركات وهو من هذه الجماعة. لقد جاء في تقرير لجنة تقويم الأداء (ص 48) كأحد معوقات الأداء لقطاع الفئات هي أن "غياب رئيس القطاع أثر على القطاع"، وجاء في توصيات التقرير لهذا القطاع (ص 49) "ضرورة مراجعة قيادته بما يتماشى مع هذه الرؤية وخصوصية القطاع" بالإشارة إلى رؤية تؤكد أهمية القطاع لإحداث حراك مدني ونقابي واجتماعي. بعد نقاش تقرير لجنة تقويم الأداء أصدر الحزب القرار رقم (140) وهو يقضي بالآتي: "قبول التوصيات المتعلقة بالقطاعات في جملتها مع تعديل اسم مجلس الشورى في قطاعي الشباب والطلاب باللجنة المركزية لكل، وأيضا أن تتم إصلاحات مماثلة لما تم في قطاعي الشباب والطلاب لقطاع الفئات". إذا كان جماعة الفريق المفاوض سابقا قد ارتضت الاحتكام إلى لجنة تقويم الأداء كما تقول فأقل ما يتوجب عليها أن تقبل التوصيات المتعلقة بقطاع الفئات على أنها مؤسسية وعادلة.

**الوفد المفاوض:** لقد أورد تقرير لجنة تقويم الأداء المشاكل والمعوقات لأداء القطاع السياسي حسب رأي القطاع بنفسه، ثم حلل أداء القطاع وأكد التالي: "المسئولية الأساسية والمهمة المركزية للقطاع هي قيادة الحوار والتفاوض مع النظام بشقيه الحزبي والحكومي، وترك اختيار العضوية المشاركة فيه للقطاع الذي اختار أن يكون الجميع من المقبولين لدى (الطرف الثاني) غيب الرأي الآخر وأعطى العملية بعدا استفادت منه الحكومة تماما ورفضته المعارضة فهاجمته ونسجت حوله الأقاويل والأباطيل منها الخيالي وفيها الأصيل، وصور الحزب كأنه جسم واحد بقلبين" (التقرير: ص 35) ولهذا كان من توصيات تقرير لجنة تقويم الأداء "مراعاة التوازن في تركيبة القطاع" (ص 36)، ومن توصياته أيضا تكوين دائرة للحل السياسي الشامل "يتم في إطار هذه الدائرة التنسيق التام بين القطاعات الثلاثة المناط بها الأنشطة التفاوضية والحوار مع كافة القوى السياسية السودانية (حكومة – معارضة) والاتصال بالقوى الخارجية الداعمة لخط الحل السياسي في السودان وفقا للتضارب والتناقض والاستقطاب والاستقطاب المضاد الذي انعكس سلبا على أداء الحزب. والقطاعات الثلاثة هي: القطاع السياسي- قطاع الاتصال والتنسيق والعمل الجماعي- قطاع الشئون الخارجية" (التقرير ص 52). وهو ما تم التأكيد عليه في قرار المكتب السياسي رقم (140) القاضي بقبول التوصيات المتعلقة بالقطاعات. والقرار رقم 141 الذي أجاز فكرة وتكوين دائرة الحل السياسي بشكلها المذكور والذي يعني ببساطة إعادة تشكيل الأنشطة التفاوضية جميعها. ومن جديد فإذا كانت جماعة الوفد المفاوض سابقا قد ارتضت تقرير لجنة تقويم الأداء فمن غير المفهوم لماذا تتشكى من إعادة تكوين الوفد المفاوض؟. وبهذا ففي اجتماع المكتب السياسي رقم (71) بتاريخ 17 يونيو 2002م صدر القرار رقم (166) القاضي بتكوين لجنة الحل السياسي الشامل وهي بالتكامل مع دائرة الحل السياسي الشامل المكونة برئاسة الرئيس وعضوية رئيس القطاع السياسي ورئيس قطاع الاتصال والتنسيق وقطاع العلاقات الخارجية، يقومون بوضع فرق التفاوض المختلفة.

**قطاع الجنوب:** التوصية الوحيدة التي سلبت هذا القطاع أحد أماناته في تقرير لجنة تقويم الأداء، وتم التأمين عليها في قرار الحزب رقم 140 هي أن "أمانة السلام الموجودة في قطاع الجنوب وتلك الموجودة في القطاع السياسي وبالنظر لمهام القطاعين هي أقرب للقطاع السياسي لذلك لا بد من حسم التداخل بتبعيتها للقطاع السياسي" والقطاع السياسي كان يرأسه السيد مبارك المهدي، كما أمن القرار على ضرورة تمثيل الجنوبيين في أجهزة الحزب العليا مع وضع معايير واضحة لذلك، ووضع رؤية إستراتيجية لخلق قيادات للمستقبل من الشباب الجنوبي. وقد كانت التوصية بضرورة إيجاد قادة جنوبيين من رؤى السيد عبد الرسول النور نفسه التي رفد بها لجنة تقويم الأداء فتبنتها. ولا يعلم أحد داخل حزب الأمة ما هو المقصود بتحجيم قطاع الجنوب باعتبار ذلك إقصاء لجماعة الفريق المفاوض، حتى يتم الرد على أسس عارفة بمغزى تلك الجملة، فحسبنا هنا إيراد تأكيد قرار الحزب رقم 140 على أهمية هذا القطاع وضرورة تسخير كل الإمكانيات لدعمه.

**ثامنا: "مؤتمر" الوفد المفاوض للنظام ومؤيديه الاستثنائي باسم حزب الأمة: يوليو 2002م**

تنكر الجماعة التي عقدت مؤتمرها التأسيسي -باسم المؤتمر الاستثنائي لحزب الأمة- في يوليو 2002م على قيادة وأعضاء حزب الأمة أنهم اتهموا مؤتمرها ذلك بأنه عديم الشرعية بقياسات الحزب، وأنه كان مؤامرة بقولهم أنه كان علنيا ولكن لم تسمع به القيادة لعزلتها وأنه لم يكن متعجلا بل جرى الإعداد له منذ زمن كاف وبالتحضير كما يجب. وفي الحقيقة فإن حزب الأمة لا يهمه كثيرا إن كان ذلك المؤتمر حضر له كما يجب أم لا، ولكن الذي كان يهم الحزب إثباته هو أن ذلك المؤتمر لا يعني حزب الأمة المعروف بل هو تنظيم غير شرعي بقياسات الحزب، حتى ولو كانت قياداته وقاعدته تنتمي للحزب. ويهمنا هنا أن نثبت أن قولنا عن ذلك المؤتمر بأنه قام كمؤامرة وبسرية وبعجل حتى ولو خرج للعلن لاحقا، جاء من أقوال منظميه أنفسهم ومؤيديهم حينها في النظام. ففي مقابلة مع السيد مبارك المهدي بجريدة الصحافي الدولي -بتاريخ 17 يوليو 2002م- اعترف أنه حجب الأمر عن رئيس الحزب تحوطا من إجراءات مضادة تقطع عليهم الطريق. وفي مقابلة تلفزيونية في برنامج "في الواجهة" في يوم 15 يوليو 2002م أكد الدكتور قطبي المهدي توجس المؤتمرين من هجوم مضاد للحزب، وبرر الوجود الأمني المكثف في المؤتمر بذلك. وفي التغطية التلفزيونية للمؤتمر والتي تمت يوم 10 يوليو (أي يوم افتتاح المؤتمر) شاهد السودانيون السيد مبارك المهدي يقول "تنادينا في أسبوعين وجاء العدد ضعف ما نتوقع". وقد أعيدت تلك الفقرات في برنامج "في الواجهة" وكررت بحيث حفظها الناس عن ظهر قلب ولا مجال لنكرانها.

أما أن أجهزة الحزب لم تكن تعلم فهذه مجرد أوهام. إن الدعوة التي تمت في أسبوعين للمؤتمر قد بلغت الأجهزة العليا، ولكن المؤسسات العادلة تأخذ بالبينة. ولذلك فحينما تجمعت لرئاسة الحزب معلومات وافية عن تحرك المؤتمر التآمري -مع العلم أنه تم باعتباره مؤتمرا استثنائيا لحزب الأمة، ووفقا للدستور فهذا يعقد بدعوة من الرئيس أو ثلثي الهيئة المركزية- نوّر رئيس الحزب الاجتماع المشترك بين المكتب السياسي والمكتب القيادي رقم (72) بتاريخ 8 يوليو 2002م (أي قبل يومين من عقد المؤتمر المعني) بما يتم تحت بند "التفلت". وقد اتخذ الاجتماع المشترك حينها القرار رقم (170) الذي يبين كيفية التصدي للتحرك التآمري الذي حاول التخفي ولكن الحزب تابعه بدقة. ولذلك، وحينما انعقد المؤتمر التآمري كانت أجهزة الحزب مستعدة للتعامل معه مؤسسيا، فأصدرت الناطقة الرسمية باسم الحزب السيدة سارة نقد الله بيانا خرج في

نفس اليوم، جاء فيه: "في تاريخه الطويل تعرض حزب الأمة لانشقاق واحد وعدد من الاختراقات، والفرق بينهما هو أن الانشقاق انطلق من عوامل ذاتية وخلافات داخلية وقد حدث مرة واحدة في عام 1966م. أما الاختراق فقد حدث في الماضي مرتين في ديسمبر 1951م باسم الحزب الجمهوري الاشتراكي، وفي عام 1957م باسم حزب التحرر، وكلاهما اختراق لأنه استهدف قواعد حزب الأمة واستند لدعم خارجي.. التجمع المسمي مؤتمر تداولي لحزب الأمة اجتماع يتم خارج الشرعية والنظام وهو مستهدف قواعد حزب الأمة لمصالح الآخرين". أكد البيان أيضا أن الاجتماع المشترك للمجلس القيادي والمكتب السياسي في يوم الاثنين 2002/7/8 قرر إعلان أن المؤتمر المذكور نشاط مخالف للشرعية ولنظام الحزب المتفق عليه والمشاركة فيه خروج علي الشرعية والنظام ورأي الجماعة، وأن المشاركة فيه من قبل الذين يحتلون مواقع سياسية أو تنفيذية تعتبر استقالة من تلك المناصب. وأن أجهزة الحزب المعنية سوف تقوم بتعيين المسئولين الجدد في المواقع التي أخلاها أصحابها . كما نبه البيان كافة الأطراف الوطنية إلى أن هذا الاجتماع لا يمثل حزب الأمة وأن استخدام اسم الحزب تزوير يجب ألا ينطلي علي أحد. ورجا من أعضاء السلك الدبلوماسي أخذ علم بهذا الاجتماع وعدم الالتباس بأنه مؤتمر لحزب الأمة. وأكد أن حزب الأمة قد أوضح آلياته للإصلاح والتجديد في إطار الشرعية ولكن ما يحدث الآن يستخدم شعار الإصلاح والتجديد كلمة حق يراد بها دعم باطل المشاركة في السلطة دون المبادئ التي قررها حزب الأمة وأعلنها، فهي محاولة لاختراق قرارات حزب الأمة ويجب أن ترفض ويعلم القائمون بها أن حزب الأمة غير قابل للتدجين بهذه الوسائل وأنه سوف يحمي نظامه وقراراته المؤسسية الديمقراطية.

أما اتهام رئيس الحزب بأنه أصدر الكتاب الذي نشرته السيدة رباح الصادق، فكذب واضح وقد كفت الكاتبة الحزب القتال بدفاعها عن ملكيتها الفكرية لذلك الكتاب. صحيح أن السيد رئيس الحزب كان يردد في بعض المنابر أننا سنصدر كتابا نبين فيه حقيقة ما جرى، وصحيح أنه أشار لذلك الكتاب لمن يريد التأكد مما حدث، ولكن كتاب الحزب المفترض لم يخرج في الأوان المطلوب، وحينما خرج ذلك الكتاب استشهد به كما استشهد بغيره من قبل باعتباره كتابا صب في تعضيد رؤى حزب الأمة أصدرته إحدى المنتميات للحزب، وقد حدث ذلك من قبل كثيرا، مثلا الكتاب الذي أصدرته السيدة إخلاص مهدي عام 2000م حول الكتابات المتبادلة بين السيد الصادق المهدي والدكتور جون قرنق، حيث استبقت فيه اللجنة المنوط بها إصدار الكتاب بمجهودها الذاتي.

**تاسعاً: التقرير الأمني والتفريط في الديمقراطية**

للتدليل على أن الإمام الصادق المهدي رئيس حزب الأمة فرط في الديمقراطية، وزع في الصحف في الآونة الأخيرة تقرير أمني خاص بتاريخ 24 يونيو 1989م، موجه لكل من "السيد رئيس مجلس الوزراء- السيد وزير الدفاع- السيد وزير المالية"، ومعه تعليق من رئيس حزب الأمة- آخر رئيس وزراء سوداني منتخب- ينتقد التقرير ويرى تهافته. البيان كان عن تداعيات مذكرة الجيش واصفا لها وللتنوير الذي تلاها بالمحاولة الانقلابية وجاء في مقدمته: "أحدث البيان الذي أصدرته القيادة العامة لقوات الشعب المسلحة ردود فعل متباينة في أوساط الأحزاب والتنظيمات النقابية والعسكريين والمواطنين. الرصد التالي يوضح الرأي العام في المحاولة الانقلابية." ولم يشر الرصد من قريب ولا بعيد لمحاولة الانقلاب التي جاءت من بعد. الذين يتهمون حزب الأمة ورئيسه شخصيا بالتفريط في الديمقراطية، ويسوقون تلك المذكرة كدليل

على أن رئيس الوزراء علم بالانقلاب ولم يمنعه أمامهم أسئلة عديدة يجب أن يجيبوا عليها قبل أن يطالبوا الإنسان السوداني بقبول تحليلاتهم:
أولا: بعض هؤلاء كان مسئولا عن الأمن في حكومة السيد الصادق المهدي المتهمة بالتفريط في الديمقراطية. أحدهم وهو السيد مبارك المهدي كان وزيرا للداخلية، وقد كتب التقرير حسب توجيهه كما هو مذكور في الخطاب المرفق للتقرير، وبما أن المسئولية توجه لكل عن الذي يليه فإنه، وبافتراض أن المذكرة كانت حقيقة عن الانقلاب الذي قلب الديمقراطية(بينما هي للتطمين حول أثر مذكرة الجيش) فإن السؤال الموجه للسيد وزير الداخلية هو: لماذا لم يتخذ الإجراءات اللازمة لوقف الانقلاب، إذا كان معتقدا بصحة التقرير المعني؟، خاصة وأن رئيس الوزراء لم يكن يرى أن التقرير محكم بالدرجة التي تجعله سببا لاتخاذ إجراءات. هل من الضرورة أن يرجع وزير الداخلية لرئيس الوزراء، ووزير الدفاع، ووزير المالية في كل كبيرة وصغيرة؟ وما هي حقيقة ما تم؟ هل كان حقا ناصحا لرئيس الوزراء وزملائه وزيري المالية والدفاع لكي يقوموا له بعمله هو ولكن رئيس الوزراء رفض أن يقوم بعمل وزير الداخلية لأنه لم يقتنع بالتقرير؟ وهذه مجرد أسئلة منطقية، ومن أوليات المنطق يكون الرد عليها!.
ثانيا: التقرير الأمني الموزع، وكما ذكرنا جاء متتبعا ردود فعل مذكرة القوات المسلحة الشهيرة في 22 فبراير 1989م حيث كانت الحكومة الديمقراطية تتوجس من كونها بداية لانقلاب على السلطة المدنية، ومعلوم أن قيادة القوات المسلحة كانت مضادة للجبهة الإسلامية القومية بشكل سافر. بعد ذلك جاءت مرحلة محادثات القصر تحت إشراف السيد ميرغني النصري (عضو مجلس رأس الدولة حينها) تلك المحادثات أدت لاتفاق كامل بين القوى السياسية والنقابية، اتفاق شمل الموافقة على مبادرة السلام بالتوضيحات التي أشار إليها بيان 1988/12/27م ولكن الجبهة الإسلامية عزلت نفسها وصارت أسيرة للتعبئة المتطرفة التي شحنت بها قواعدها، وواجهت إجماع السودانيين في القصر بشعارات ثورة المصاحف وثورة المساجد والجهاد، وقامت بانقلاب يونيو 1989م. صحيح أن انقلاب 30 يونيو حينما جاء استفاد من جو التوجس الذي أتت به مذكرة القوات المسلحة وادعى الحديث باسم القيادة العامة للقوات المسلحة في البداية، ولكن هذا الادعاء سرعان ما ظهر عدم صحته وعلم الجميع أن الانقلاب كان بتدبير من الجبهة الإسلامية القومية.. فهل يعتقد مروجو هذا التقرير هذه الأيام أن انقلاب 30 يونيو 1989م حقيقة تابع لقيادة القوات المسلحة صاحبة "البيان" المعني في التقرير؟ هذا السؤال أجابت عليه من قبل إفادات قيادات المؤتمر الوطني بعد المفاصلة الشهيرة بينهم، حيث تأكد أن الانقلاب من صنع الجبهة الإسلامية. ولا ضير أن نتأكد من وعي الإجابة ممن يثير ضجة حول ذلك التقرير الغافل الآن.
ثالثا: التقرير مذيل بالتعليق التالي: " من خلال استطلاع آراء المواطنين اتضح أن الكثيرين وبسبب المعاناة في المعيشة والحياة أبدوا تعاطفهم مع التغيير وليس الانقلاب والبعض الآخر يرى ولتفادي السلطة لأية مغامرة جديدة أن تعالج مشاكل البلاد الاقتصادية والمعيشية وتحارب الفساد على أعلى المستويات وتقديم كل من يثبت فساده للمحاكمة وأن تمضي قدما في مساعي إحلال السلام في الجنوب والغرب. " فالفقرة تدل على أن المواطنين لا يريدون انقلابا وهي تطمئن السيد رئيس الوزراء إلى أن المطلوب فقط معالجة قضايا الاقتصاد والسلام والفساد. فلو نسب أي شخص هذه النصيحة لنفسه هل يمكنه أن يدعي أن رئيس الوزراء لم يستمع إليها؟ هل كان لرئيس الوزراء أن يعالج قضايا الاقتصاد والفساد والسلام في ستة أيام، لتنفيذ تلك النصيحة

التي دونها أعوام وعقود؟. وإن لم تكن الحكومة الديمقراطية تسعى حقيقة لرفاهية السودانيين الاقتصادية ومحاربة الفساد وإحلال السلام وكانت محتاجة لمثل ذلك التقرير الركيك لينصحها بذلك، فكيف يستمر أي وطني يحترم نفسه وشعبه وزيرا في صفها؟.
رابعا: تناول التقرير ردود الأفعال في الأوساط العسكرية في فقرة مقتضبة وإن كانت أطول فقرات التقرير، مستخدما عبارات مثل "يرى بعض العسكريين" و"آخرون يرون" و"يتردد أن بعض قيادات الجيش صرحت بأنها ." هكذا دون تحديد من هي هذه القيادات ومتى وأين صرحت، وبكم تقدر نسبة العسكريين من أصحاب الرأي الأول مقارنة مع غيرهم، مع ملاحظة أن التقرير معنون ب"سري للغاية" مما يوحي بدفق من المعلومات الأمنية وفي واقع الأمر فإن ما نشره التقرير لهو مما يمكن أن يقال في جميع المجالس علانية وعلى صفحات الجرائد اليومية ولو قدر أن نشر ذلك التقرير لما كان في الأمر غضاضة!. والسؤال هو هل رأى المحتفون بذلك التقرير المحتفظون به طيلة تلك السنين فيه أية قيمة أمنية تذكر؟ وهل أشار التقرير أية إشارة لاتجاه ثورة المصاحف نحو الدبابة؟ وحتى لو فعلها فلن يتعدى بلغته تلك أن يكون حدسا، لا تقريرا أمنيا مبنيا على الرصد والمتابعة والمعلومة الدقيقة.
خامسا: ربما منعت آفة الفهم مروجي التقرير والذين احتفوا به من إدراك دروس كثيرة. لقد كان تعليق السيد رئيس الوزراء لوزير داخليته مقتضباً ومركزا، وهو بالنص كالتالي: "أخي الحبيب: تحية، حتى الآن لم أطلع على تقرير للأمن الداخلي ألمس فيه الإحاطة بالحقائق أو شمولية التحليل. هذا التقرير كالعادة مبتسر من حيث الحقائق والتحليل، فالتنوير العسكري كان فيه رأي آخر وآراء المواطنين كان فيها ما جاء في التقرير ولكن كان ثمة رأي آخر. متى يرقى الأمن الداخلي للإحاطة بالحقائق والتحليل الأشمل؟ الله أعلم؟" هل يغالط أحد أن تلك الرسالة كانت نصيحة من رئيس الوزراء إلى وزير داخليته أن يعمل على تحسين أداء أمنه الداخلي؟! هل يمكن بأية حال رؤيتها على أنها رسالة وجهت لرئيس وزراء لم يستمع لنصيحة كان مفادها أن المواطنين لا يريدون انقلابا؟.
سادسا: التقرير الموزع ضعيف في لغته وفي فكرته وقد استحق أن يعلق عليه رئيس الوزراء بتلك الطريقة، وهذا ما شهدت به أقلام كثيرة تطرقت للمسألة بعد الاطلاع على التقرير وعلى التعليق.. ولكن السؤال الذي يتبادر للقارئ السوداني العادي هو: لماذا يتحسر المشاركون في نظام "الإنقاذ" اليوم من تفريط متوهم أتى بسلطة "الإنقاذ"؟.
أما التعليقات عن الأخلاقية والمبدئية حول هذه المسألة فإنها متروكة للمواطن السوداني الحصيف والنزيه.

**عاشرا: المصالحة الوطنية 1977، ومسألة أن الحزب ورئيسه صيادو سلطة:**

إن ما يقوله البعض بشأن مشاركة رئيس حزب الأمة في نظام مايو الشمولي باعتبار ذلك صيد سلطة، وأنه ما خرج إلا لأنه لم ينل المنصب الذي يريد.. يواجه أسئلة مبدئية بالنسبة للبعض الذي كان يسير في ركاب الحزب برئيسه الحالي، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، اللهم إذا استطاع من يردد تلك الأقوال أن يثبت أنه وجه أية معارضة حينها لخط الحزب المعلن في المصالحة الوطنية. ولأن البعض تلقف هذه الفرية فإن الحزب يحرص على إيضاح الإطار الذي تمت فيه المصالحة. وقد حرص الحزب على التوثيق لتلك الأحداث فخرج كتاب المصالحة الوطنية السودانية (1969- 1978م) منذ أواخر السبعينات. وفيه دحض لما أشاعه البعض من أن التحرك نحو المصالحة كان انفراديا، نعم لقد تمت اجتماعات فردية ولكن كافة القرارات

كانت عبر أجهزة الجبهة الوطنية وبإجماع أفرادها، وسيأتي اليوم الذي تتجمع فيه كل الحقائق والوثائق ويصدر التاريخ حكمه، كما فعل من قبل مع المهدية في طورها الأول بعد أن طالت عقود التشويه، ومع المهدية في طورها الثاني على يدي الإمام عبد الرحمن المهدي.
كانت الجبهة الوطنية التي تقود معارضة النظام المايوي عبارة عن تحالف ثلاثي ضم حزب الأمة والاتحادي الديمقراطي والأخوان المسلمون. وقد نظمت انتفاضة 2 يوليو 1976 المسلحة التي لم تطرح ثمارها ولكنها أقنعت النظام المايوي بجدوى المعارضة الخارجية. وبمبادرة ووساطة من بعض الوطنيين، وفي الفترة بين سبتمبر وديسمبر 1977م تمت اجتماعات عديدة بين رئيس الحزب السيد الصادق المهدي ورئيس النظام المايوي السيد جعفر نميري استغرقت عشرات الساعات ونتيجة لذلك تم الاتفاق على برنامج المصالحة الوطنية. على أساس ذلك البرنامج عادت قيادات حزب الأمة وبعض حلفائهم من الخارج، ومنذ العودة والنظام المايوي يصر على مشاركة الحزب في السلطة، وفي يوليو 1978م زار السيد جعفر النميري رئيس الحزب في منزله بصحبة السيد فتح الرحمن البشير، مؤكدا على ضرورة الاشتراك في الحكم بقوله: "لقد بحثنا كل الأمور واتفقنا عليها ولذلك ينبغي أن تكتمل المشاركة وننطلق من موقع موحد للعمل الوطني". ورد عليه رئيس الحزب بقوله: "صحيح أننا بحثنا كل شيء واتفقنا على برنامج المصالحة الوطنية ولكن هنالك مغالطات عن ماهية ما اتفق عليه ولم يعلن على الرأي العام السوداني ولذلك وقبل مناقشة موضوع المشاركة يلزمنا أن نحدد برنامج المصالحة الوطنية وأن نعلنه على الناس وأن نلتزم به ونمنع المغالطات الجارية حاليا والتشويه الذي تلحقه أجهزة الإعلام بالمصالحة." وقد وافقه النميري وسأله أن يضع خلاصة النقاط المتفق عليها في مكتوب ويرسلها له للمراجعة لتنقل للرأي العام السوداني عبر مؤتمر صحفي يعقده السيد الصادق المهدي يغطى داخليا وخارجيا ويذاع في الإذاعة والتلفزيون. وقد أكد السيد الصادق المهدي أنه إذا "تم الاتفاق على النقاط وأعلنت للرأي العام يزول كل مانع أمام المشاركة في كل المستويات والانطلاق من موقع واحد". (كتاب المصالحة الوطنية، حيث يوجد محضر ذلك اللقاء تفصيلا).
وفي اليوم التالي لهذا اللقاء أرسلت نقاط الاتفاق حسب الاتفاق ووجه رئيس الحزب الدعوة لقيادات الحزب لبحث الموقف فاتفق الجميع أنه إذا وافق النظام المايوي على النقاط الآتية وأعلنت للرأي العام السوداني يزول كل تحفظ في التعامل مع النظام وتمت المشاركة التامة:
إصلاح الاتحاد الاشتراكي وفق النقاط التسع المقترحة في برنامج المصالحة الوطنية وحله وإعادة انتخابه من القاعدة للقمة وتوقيت هذه الإجراءات.
إجراء تعديلات دستورية في دستور البلاد القائم تنص على إسلامية التشريع وتحقق مزيدا من الديمقراطية وتزيل النصوص التي تقيد الحريات.
إلغاء القوانين الاستثنائية المقيدة للحريات المؤثرة على سير العدالة.
الاتفاق النهائي على برنامج مصالحة الأنصار وإعلانه.
(انعقد هذا الاجتماع في منزل السيد الصادق المهدي وحضره مائة وخمسون شخصا من قيادات الحزب). (وهذا بالنص من كتاب المصالحة الوطنية).
وقبل انفضاض الاجتماع وصل السيد فتح الرحمن البشير موفدا من رئيس النظام المايوي ليبلغ رئيس الحزب بموافقته على النقاط المرسلة إليه وإبلاغه بدعوته لمؤتمر صحفي موسع ليخاطبه السيد الصادق المهدي أصالة عن نفسه ونيابة عن رئيس الجمهورية ليعلن للرأي العام السوداني برنامج المصالحة المتفق عليه. وبالفعل انعقد المؤتمر بوجود ممثلي الصحافة والإذاعة

والتلفزيون السوداني ومندوبي الصحافة العربية والأفريقية والدولية الموجودين في الخرطوم وقد خاطبه السيد الصادق المهدي بحديث خلاصته:

1/ أن المصالحة الوطنية مبادرة تاريخية أملتها ظروف ذاتية وموضوعية محددة وأهمها رغبة أهل السودان في إيجاد بديل سلمي صحيح للعنف والقهر ورغبتهم في حماية الإرادة السودانية من التدخلات الأجنبية.

2/ لقد حققت المصالحة عبر عام من الزمان إيجابيات محددة نذكر منها إطلاق سراح المحبوسين، العفو العام، إزالة أضرار المواطنين إقامة الجسور بين خصوم الأمس، إشاعة التفاهم بين السودانيين، تمكين السودان من الانطلاق بإرادة مستقلة في السياسات العربية والأفريقية على نحو ما انعكس في خطاب الرئيس في مؤتمر القمة الأفريقي الأخير (حينها)، تمكين الأطراف المتنازعة سابقاً من الاطلاع على أحوال بعضها بعضاً وإجراء انتخابات حرة في مجالات مختلفة، وتعطيل قانون أمن الدولة عملياً، وإتاحة الفرصة لنشر الآراء المختلفة حول قضايا البلاد الهامة، بحرية وأخيرا التوصل لنهج محدد للمصالحة الوطنية.

3/ وأعلن برنامج المصالحة الوطنية وخلاصته:

مراجعة أحوال الاتحاد الاشتراكي لإصلاحه وفق نقاط تسع ملخصها: مراجعة تكوين الاتحاد الاشتراكي لأنه تكون في حالة انقسام وفرقة ليكون مفتوحاً وديمقراطياً من القاعدة للقمة وأن تسقط معالمه الديوانية وأن تصفي علاقته بأجهزة الأمن وأن تعطي المنظمات الفئوية والجماهيرية المكونة له استقلالاً أكبر في تصريف أغراضها الخاصة بها وأن يكون تكوينها ديمقراطياً وشاملاً لكل سوداني أو سودانية مؤهلين. وأن يكون هذا الحزب الحاكم وأن تراجع وتصحح علاقاته بالحكم الشعبي المحلي وأن يوسع الولاء له ليكون وريثا لكل إيجابيات الحركة السياسية السودانية الحديثة ومولودا شرعيا لكل الثورات السودانية وأن يراجع اسمه ليكون له اسم يتجاوز مرحلة الانقسام..

حل أجهزة الاتحاد الاشتراكي وإعادة تكوينها من القاعدة للقمة عن طريق الانتخاب المباشر وهذا يشمل أجهزته القاعدية والفئوية والجماهيرية والعليا. على أن يتم ذلك بعد موسم الخريف والحصاد.

تعديل الدستور للنص على إسلامية التشريع ولتحقيق مزيد من الديمقراطية ولإزالة النصوص الاستثنائية المقيدة للحريات على أن تقدم التعديلات المتفق عليها لمجلس الشعب لاتخاذ قرار بشأنها.

تمت الموافقة على إلغاء القوانين الاستثنائية المقيدة للحريات وسيقدم المشروع الذي وضعته نقابة المحامين السودانيين بهذا الصدد لمجلس الشعب لدي انعقاده.

تمت الموافقة على مراجعة الجوانب الهامة من التجربة القائمة آنذاك وخاصة في مجالات الحكم الشعبي المحلي والتنمية والاقتصاد وغيرهما لدعم الإيجابيات وإسقاط السلبيات.

تم الاتفاق على الآتي: تمسك السودان بعدم الانحياز في السياسة الدولية. وحرصه على حسن الجوار مع كل جاراته. وقيام السودان بدور رائد في المجالين العربي والأفريقي وبدور واصل بين البعث العربي والصحوة الأفريقية. واتفق أن يكون التكامل مفتوحاً بين السودان والبلاد المجاورة له وخاصة السعودية ومصر وليبيا وأن لا يكون هذا التكامل محورياً بل موسعاً ليكون خطوة عملية في اتجاه الوحدة العربية.

واختتم المؤتمر الصحفي مؤكداً أن هذا البرنامج سيمكن أهل السودان من العمل معا لتحقيق الاستقرار في البلاد وإزالة الضائقات التي يعاني منها الشعب السوداني ومؤكدا أن المقياس الحقيقي لنجاح أو إخفاق المصالحة هو في مواجهة وعلاج ما يشكو منه أهل السودان. (كتاب المصالحة الوطنية).

هذا هو أساس الاتفاق مع النظام المايوي وأساس قبول الدخول في الاتحاد الاشتراكي، وهو أن يصفى روحا واسما، وهو ما لم يتم تنفيذه وما أدى لإعادة النظر في الاتفاق من قبل حزب الأمة.

لقد كانت الفترة التي دخل فيها الحزب النظام المايوي هي ثلاثة أشهر من يوليو إلى أكتوبر 1978، اختبر فيها جدية التحول والتنفيذ في النظام. وما كانت ملابسات إعلان الرأي حول اتفاقية كامب ديفيد إلا القشة التي قصمت ظهر البعير. إن كافة تلك الأحداث موثقة بتفاصيلها في كتاب المصالحة الوطنية المذكور، فقد اتضح جليا أن النظام نكث في تنفيذ البرنامج المتفق عليه، ولذلك قدم السيد الصادق المهدي مذكرة استقالة من عضوية المكتب السياسي خلاصتها:

**أولاً:** رفض صدور بيان التأييد لكامب ديفيد الذي يفترض أن الروابط الأزلية بين السودان ومصر توجب تأييد السودان لمصر في كل ما تفعل. ورفض اعتبار موقف الرئيس السادات هو بالضرورة موقف مصر. ورفض اعتبار التضحيات التي قدمتها مصر دفاعاً عن حقوقها الوطنية والقومية مبرراً لتنصلها عن التزاماتها الوطنية والقومية التي التزمت بها في مؤتمرات القمة العربية.

**ثانياً:** نقد اتفاقيتي كامب دافيد نقداً مفصلا. وبيان أنه ليس دور السودان هو تأييد مصر ظالمة أو مظلومة بل الالتزام بعهوده واتفاقاته التي دخل فيها في مؤتمر القمة العربية ومطالبة مصر بالالتزام المماثل والعودة عن طريق الانفراد. والعمل على توحيد الصف العربي للصمود دفاعاً عن الحق العربي والسلام العادل.

**ثالثاً:** إن كيفية إصدار البيان تدل على أن المؤسسات السياسية وعلى رأسها المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي لا وزن ولا قيمة للاشتراك فيها لذلك فهو مستقيل من المكتب السياسي واللجنة المركزية ولن يشترك في مؤسسات سياسية إلا إذا كانت منتخبة انتخاباً مباشرا وذات صلاحيات فعالة.

لقد خرج الحزب بكافة أعضائه عن مؤسسات النظام المايوي وفقا لقرار مؤسسي، والذين عصوا توجيهات المؤسسة وظلوا في مناصب النظام المايوي تمت محاسبتهم وفقدوا عضويتهم في حزب الأمة. أما قسم الولاء الذي أداه رئيس الحزب وزملاؤه حين اشتراكهم في تلك المؤسسات فقد كان مرتبطا بعهد وميثاق كان النظام المايوي هو الذي ابتدر نكثه، ورغما عن ذلك فقد برأوا ذمتهم الدينية والوطنية بصيام الكفارة عن القسم وإعلان الاستقالة على رؤوس الأشهاد، وهذا يختلف عن فكرة العمل في مؤسسات الدول الشمولية أو الديمقراطية وأداء القسم ثم الإصرار على الاستمرار مع تفاقم الريبة وبيان التذبذب، والقبوع على كراسي لا يؤدي الجالس من عليها شيئا.. وقد ظل الحزب يصر على أن يصاحب القول المبدأ ويتبع القول العمل.

لقد قبل حزب الأمة ورئيسه المشاركة في المكتب السياسي واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ليعمل على الدفع نحو تحقيق المطلوب من الناحية السياسية والتشريعية، بينما رفض رئيس الحزب أن يتقلد أي منصب تنفيذي بدون انتخاب وقد عرض عليه النظام المايوي حينها أن يكون نائبا أول للرئيس وخليفته. ولكنه تمسك بموقف مبدئي ألا ينال أية مناصب بدون انتخاب. على عكس ما يردد بعض الكاذبين من أن رئيس الحزب كان يريد أن يكون رئيسا للوزراء، ولو أراد

أي منصب خلا منصب رئيس الجمهورية لقدم إليه على طبق من ذهب، فالديكتاتوريون دائما يبحثون عن شرعية شعبية مفقودة، وهل من مغالط حول شعبية حزب الأمة ورئيسه؟!.
إن الدروس التي تلقاها الحزب من المصالحة الوطنية مفيدة جدا، فمن جهة ثبتت صحة الجنوح للسلم وإيجابيات العمل والحراك الداخلي والتي تجعل الحريات المصاحبة للاتفاق في حد ذاتها مكاسب للحراك الشعبي والذي أعطته المصالحة الوطنية دفعة قوية تصاعدت حتى أدت للانتفاضة الشعبية في مارس/ أبريل 1985م، ومن جهة أخرى ظهرت محاذير الاشتراك ولو في الأجهزة التشريعية في نظم تقوم ذهنيتها على الفرد لا المؤسسة. ولذلك استمر الحزب يجنح للسلم إذا جنح لها العسكريون، واستجاب للتحولات داخل الإنقاذ حتى وقع "نداء الوطن" وهو يدفع الآن باتجاه الأجندة الوطنية التي تربط بين السلام والتحول الديمقراطي وتدعو لنبذ العنف.
إن الموقف المبدئي الذي يرفض نيل المناصب بدون انتخاب هو الذي جعل الإمام الصادق المهدي يرفض مبايعة ملايين الأنصار له كإمام لأكثر من ثلاثة عقود من الزمان مصرا أن يتم انتخاب الإمام بصورة مؤسسية. وقد كثرت عروض السلطة لحزب الأمة وقيادته من قبل النظم العسكرية فلم يستجب. في أواخر عام 1993 عرض الدكتور حسن الترابي على رئيس حزب الأمة إقامة شراكة كاملة مع النظام يقتسمون السلطة فيها مناصفة فلم يجد عنده قبولا لذلك وطلب أن تناقش أية شراكة ممكنة في جو الديمقراطية والحريات. وفي عام 1996 وبعد انتخاب الرئيس عمر حسن البشير عرض على رئيس الحزب الاشتراك في الحكومة وفي لجنة الدستور على أن يختار الحزب عدد ونوع الوزارات. فكان رد رئيس الحزب أن لجنة الدستور ليست قومية التكوين وليس لحزب الأمة أو لغيره من الأحزاب عضوية في المجلس الوطني مما سيجعل الموافقين على عضوية لجنة الدستور تحت رحمة الأغلبية، وقد صح ذلك الموقف فحتى المسودة التي خرجت بها اللجنة لم تراع وأبدلت بدستور جديد. أما بالنسبة للحكم فقد كرر رئيس الحزب موقفه أنه يرفض الحديث عن شراكة واقتسام بدون أن تكون عبر الانتخابات الديمقراطية والحريات. وبالرغم من هذا الموقف الواضح تمت وساطة أخرى من السيد عثمان خالد مضوي الذي قال لرئيس الحزب إن تكوين الحكومة تأخر لأنهم ينتظرون مشاركة حزب الأمة، وكان رد رئيس الحزب كالسابق. وفي لقاء جنيف بين رئيس الحزب والدكتور حسن الترابي كانت الاستجابة لأن الحديث كان عن مبادئ وعن تحول ديمقراطي. ولهذا أيضا تم التوقيع على "نداء الوطن" لدى اللقاء بين رئيس الحزب ورئيس النظام، وهو إطار فضفاض يؤكد الحل السلمي والتحول الديمقراطي لا يتطرق لمناصب سلطوية.. وإبان مفاوضات الحزب مع النظام كان الأخير يصر على اشتراك الحزب في السلطة وعرض عليه عروضا أعجبت الفريق المفاوض من الحزب حينها، ولكن أجهزة الحزب المعنية هي التي قررت في 18 فبراير 2001م مؤسسيا ألا يشترك الحزب في السلطة إلا عبر حكومة قومية أو انتخابات حرة، وأكد على قرارها ذلك في أبريل 2002م.. هل يظن عاقل أن عدد الوزارات التي كان سيأخذها حزب الأمة لو قبل المشاركة كانت ستكون أقل من ضعف تلك التي أعطيت لجماعة الوفد المفاوض الآن وهم يمثلون حوالي 22% من قيادات حزب الأمة وأقل من 1% من قاعدة الحزب ؟. إنها مسألة رفضناها مبدئيا، وسنرفضها على الدوام. ولكن بعض المشاركين الآن تندروا من قبل على تلك المبدئية وقالوا: (شخص يقال له نقسم على اثنين يقول: اقسموا على عشرة!): تهكما من فكرة رفض المشاركة الثنائية والدعوة للمشاركة القومية!!. والسؤال هو: هل يمكن أن يصف صاحب قسمة الاثنين صاحب قسمة العشرة بأنه صائد سلطة؟!.

ختام

إن كان البعض من لاعبي الحركة السياسية السودانية يراهنون على أن ذاكرة الشعوب قصيرة، فإن حزب الأمة يؤكد على ضرورة تقوية ذاكرتنا بالتوثيق، والتأريخ الدقيق. إن الأحداث المذكورة هنا مرصودة ومقيدة بتفصيلات مذهلة. فكتاب المصالحة الوطنية وإن كانت نسخه قد نفدت إلا أن نسخة منه مودعة بدار الوثائق القومية، وكتاب "أدبيات الحل السياسي الشامل" الذي أعدته لجنة جمع أدبيات الحل السياسي الشامل في أغسطس 2002م، والذي يضم غالبية الوثائق المشار إليها هنا موجود بدار الوثائق ويمكن الحصول عليه من المركز العام للحزب. علاوة على قرارات ومداولات المكتب السياسي وهي مؤرشفة ومحفوظة لدى كل من رئيس ومقررة المكتب السياسي الانتقالي. أما اللقاءات الصحفية والتلفزيونية التي يستشهد بها البعض بشكل يخفي نصف الحقيقة أو يوحي بغيرها فإنها متاحة في مضابطها في دور الصحف المعنية أو بدار الوثائق القومية أو تلفزيون السودان.

تبقى جزء وحيد خاص بمالية الحزب وفرية تمويل نظام الإنقاذ له، وسيطالب الحزب الجهات الحكومية المعنية إيضاح أطر التعامل بيننا، وحقيقة المبلغ الذي تسلمه الحزب ومستحقاته التي لم يتسلمها بعد. فإن كانت الأقوال حول تمويل بعض الجهات بشكل غير منضبط وغير منصوص عليه في ميزانية الدولة قد راجت غير مرة ولم تكن الحكومة مكترثة بمثل هذه الأقوال، فإننا كحزب نكترث جدا لهذه المسألة ونطالب بإقرار خلو الذمة من مال الشعب السوداني الذي يوزع يمنة ويسرة بدون رقابة ولا شفافية مطلوبة.

لجنة تبيان الحقائق
19 مايو 2004م

# تلخيص محطات عملية السلام إبان الإنقاذ وما قبل 1997م

(من كتاب ميزان المصير الوطني في السودان للإمام الصادق المهدي)

لما كان انقلاب "الإنقاذ" بالأصل موجهاً لوقف إجراءات السلام المجدولة في الحكومة الديمقراطية بالاتفاق على المؤتمر الدستوري في 1989/9/18م ولقطع الطريق أمامه باعتباره تخليا عن الشريعة، فإن "الإنقاذ" اتخذت خطوات لتصعيد الحرب وتحويلها إلى حرب جهادية مقدسة ضد الكفار، وبالرغم من ذلك واصلت "الإنقاذ" في التفاوض مع الحركة الشعبية لتحرير السودان بداية بلقاء أديس أبابا الذي عقد في الفترة 19-20 أغسطس 1989 بين وفد الحكومة والحركة، ثم اجتماع نيروبي في الفترة 30 نوفمبر-5 ديسمبر 1989 بين وفد الحكومة برئاسة العقيد محمد الأمين خليفة ووفد الحركة برئاسة د. لام أكول. ثم مفاوضات أبوجا الأولى برعاية الرئيس النيجيري الأسبق إبراهيم بابنجيدا (26 مايو -4 يونيو 1992) وكانت بين وفد الحكومة برئاسة محمد الأمين خليفة ووفد الحركة برئاسة وليم نون ومجموعة الناصر بقيادة لام أكول، ثم مفاوضات عنتبي التي عقدت بدعوة من الحكومة اليوغندية وتحت إشراف الرئيس يوري موسفيني (في الفترة 22-24 فبراير 1993) بين وفد الحكومة برئاسة د. علي الحاج محمد ووفد الجيش الشعبي بقيادة د. جون قرنق، ومفاوضات أبوجا الثانية (من الأسبوع الأخير لشهر أبريل وحتى 15 مايو1993م) بين وفد الحكومة برئاسة محمد الأمين خليفة ومجموعة قرنق برئاسة وليم نون والفصيل الموحد برئاسة لام أكول.

كان الانقسام داخل الحركة نفسه بأيدي إنقاذية كما ذكرنا، وأدى لتوقيع اتفاقيات السلام من الداخل في أبريل وسبتمبر 1997م (اتفاقيتا الخرطوم وفشودة). وفي غضون هذه الاتفاقيات مع المنشقين بغرض إضعاف الحركة الشعبية لتحرير السودان، واصل التفاوض في نيروبي برعاية الإيقاد، وقد ظلت هذه اللقاءات والمفاوضات حوارات طرشان لا تسفر عن شيء، حتى غيرت الولايات المتحدة سياستها تجاه السودان في 2001م وكونت رافعا دوليا قويا للتفاوض في منبر الإيقاد.

**المفاوضات تحت مظلة الإيقاد**

في العام 1994م وبطلب من حكومة السودان، تدخلت منظمة الإيقاد للتوسط وتم عقد اجتماع الإيقاد بنيروبي في 17 مارس 1994م بدعوة لجنة أعضاء الإيقاد برئاسة الرئيس الكيني دانيال اراب موي وعضوية رؤساء يوغندا وإثيوبيا وإرتريا بحضور الرئيس عمر البشير ورئيس الحركة الشعبية د. جون قرنق، ود. لام أكول قائد الجناح المنشق، وفي 20 مايو 1994م، أعلنت دول الإيقاد مبادرتها لحل الأزمة السودانية التي بنيت على إعلان للمبادئ من ست نقاط[230].

وُقع هذا الإعلان من دول الإيقاد كينيا - يوغندا - أثيوبيا - جيبوتي - إرتريا والحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة د. جون قرنق، والحركة الشعبية المتحدة بقيادة رياك مشار آنذاك ورفضت حكومة الإنقاذ التوقيع عليه في جولة مفاوضات مايو 1994م باعتبار أن لجنة الوسطاء تبنت أطروحات الحركة الشعبية (بقيادة د جون قرنق) بتركيزها على حق تقرير المصير بينما ينبغي أن تُعطى الوحدة الأولوية.

---

230 إعلان مبادىء الإيقاد في ملاحق هذا الكتاب

وفي جولة مفاوضات الإيقاد التي انعقدت في (نيروبي) يوليو 1994م رفض وفد الحكومة النقاط التالية من (إعلان المبادئ):
1- حق تقرير المصير.
2- علمانية الدولة.
3- الاستقلال في حالة عدم الاتفاق عبر الاستفتاء[231].
وجرى تكفير وتخوين واسع النطاق لكل من يقول بحق تقرير المصير لأهل الجنوب. ثم قدم وفد الحكومة في جولة المفاوضات الرابعة في نيروبي (سبتمبر 1994م) ورقة حول تقرير المصير والعلمانية، وعلاقة الدين بالدولة، وبالطبع لم تصل الأطراف إلى أية اتفاقات، حيث توقفت بعد ذلك رعاية الإيقاد للمفاوضات حوالي ثلاث سنوات[232].
في يونيو 1995م عقد مؤتمر أسمرا للقضايا المصيرية وأعلن عن تصاعد العمل العسكري المشترك في العام 1996م وإضافة الجبهة الشرقية للجنوبية وأسندت قيادتها للقائد باقان أموم كما قامت قوات التحالف السودانية بتنفيذ عدد من العمليات في ذلك العام.
قام النظام بتهديدي بعد اعتقال لمائة يوم ويوم في بيوت الأشباح من مايو وحتى سبتمبر 1995م: إذا أطلقت طلقة واحدة في الشرق فستكون مسئولاً عنها، أي أن النظام سيتخذني رهينة ليعيق التحرك الخارجي؛ الشيء الذي حسم خيار الهجرة فكانت "تهتدون" بهجرتنا شرقاً لإرتريا في 12 ديسمبر 1996م. شكلت هذه الحادثة هزة عظيمة للنظام.
ومع تصاعد العمل العسكري المضاد في جميع الجبهات تنازل النظام عن صلفه القديم وعاد ووقع على إعلان مبادئ الإيقاد في 1997/7/9 من دون أي تعديل. ذلك أنه في يناير 1997م انطلقت المقاومة المسلحة من ثلاث جبهات: من اريتريا، توغلت داخل منطقة همشكوريب، ومن إثيوبيا، واحتلت فيه الكرمك وقيسان، ومن يوغندا، حدث توغل في منطقة غرب الاستوائية[233].
هذا الاستنزاف العسكري بالإضافة لزيادة الصرف الذي صاحب للتضخم الإداري بتقسيم البلاد إلى 26 ولاية[234] وما أوجبه من فرض ضرائب إضافية وتعديلات في الرسوم وزيادة في أسعار المواد الاستهلاكية؛ أشعل انتفاضة سبتمبر 1996م وجعل البلاد تغلي.
هذا مع تفاقم العزلة الدولية. أمريكا صنفت النظام من بين الدول الراعية للإرهاب. وتتالت إدانات الأمم المتحدة للنظام في ملف انتهاكات حقوق الإنسان منذ منتصف التسعينات. كان أولها قرار 22 ديسمبر 1995م من الجمعية العامة للأمم المتحدة حول (أوضاع حقوق الإنسان في السودان)، وقرار 23 أبريل 1996م الذي كرر الإدانة، وقرار 12 ديسمبر 1996م، وقرار لجنة حقوق الإنسان في 15 أبريل 1997م، والذي أدان سجل حكومة السودان خاصة فيما يتعلق بقصف المدنيين والرق والتعذيب والقتل خارج القانون والاعتقالات والتوقيفات التعسفية والاختفاءات القسرية، وطالب الحكومة بعدة مطالبات. كل هذا وذاك أدى لأن يراجع النظام تكتيكاته، وموقفه المتصلب من الإعلان فعاد وقبل به كما هو.

---

231 أحمد محمد عبد الغني رحلة السلام في السودان (3): من أديس أبابا 1972 إلى مشاكوس 2002م صحيفة 26 سبتمبر العدد 1025
232 نفسه
233 انظر أحمد محمد عبد الغني رحلة السلام في السودان-من أديس أبابا **1972**م الى مشاكوس **2002**م، في صحيفة 26 سبتمبر **العدد** - 1021 **التاريخ** :الخميس 08 أغسطس-آب 2002
234 حدث ذلك وفق المرسوم الدستوري العاشر في 1994م



بسم الله الرحمن الرحيم

# صَحِيفَةُ الإِمَامَةِ

أمر الدين لا يستقيم إلا بوجود قيادة مؤهلة تسعى لإعلاء أمره وتعميق مفاهيمه وتنفيذ مبادئه وتطبيق أحكامه وتحقيق العزة للمؤمنين. قال تعالى: { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ} (سورة النساء الآية 83). والقيادة في الإسلام اتخذت عدة مسميات فالإمامة، والخلافة، والإمارة كلها تفيد قيادة الأمة لفلاح الدنيا وصلاح الآخرة. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاةٍ إلا أمروا عليهم أحدهم" (رواه أحمد). أسس النبي صلى الله عليه وسلم دولة في المدينة وكان نبياً وإماما رئيس دولةٍ ثم خلفه الخلفاء الراشدون لمواصلة المسيرة في تطبيق أحكام الدين ونشر دعوته. اتخذت دولة الرسول صلى الله عليه وسلم الشورى ركنا أساسيا لها. قال تعالى: { **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**} (سورة الشورى الآية 38). قال أبو هريرة (رضي الله عنه): "ما رأيت أحدا قط أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم" (رواه أحمد) وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر (رضي الله عنه):" لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما" (رواه أحمد). والشورى هي الوسيلة الوحيدة التي تحقق مقاصد الشريعة في العدل وجلب المصالح ودرء المفاسد لدى اختيار الإمام لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا"، وذكر أولهم " رجل أمّ قوماً وهم له كارهون" (رواه ابن ماجة والترمذي). وقال الإمام علي بعد ما أصر بعض المسلمين عليه لمبايعته في منزله: إن كان ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا عن رضا المسلمين.

وبعد الصدر الأول تحولت الدولة الإسلامية إلى ملك عضوض ونقضت فريضة الشورى فأتى ذلك بالوبال عليها بعد حين فعطلت مبادئ الدين وضيعت مصالح المسلمين، ودخل العالم الإسلامي في عهد ظلامي جعل دوله لقمة سائغة للأطماع الاستعمارية، وبيئة صالحة لنمو الدجل والخرافة وشيوع التقليد. وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري والتاسع عشر الميلادي، هجمت الإمامة أو الخلافة الكبرى على الإمام محمد المهدي بن عبد الله عليه السلام، فأعلن دعوته وتصدى لمهمة بعث الدين بعد اندراسه قال: "أنا عبد مأمور بإحياء الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيما". كيان الأنصار في عهد المهدية كان جامعا وقيادة الإمام المهدي كانت إمامة جامعة ودعوته موجهة لكل أهل القبلة استجابة لقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ} (سورة الصف الآية14)، وبايعه الناس بيعة جامعة وملزمة. الوظائف القيادية في المهدية حددت بأمر المهدي وقراراته كانت عن طريقي الإلهام والشورى المسنونة. وبينما كان العرف الجاري في ذلك الزمان أن الخلافة في الكيانات الدينية السودانية تقوم على أساس القرابة باعتبار أن البركة تنتقل إلى الأبناء والأخوة، والخلافة في الكيانات القبلية تقوم على ذات الأساس باعتبار العصبية، فإن القيادات التي اختارها المهدي لم تستند على القربى أو العصبية القبلية وكان خلفاؤه من شتى الأعراق، وقد وصف الإمام المهدي ولي الأمر بأنه:" من تقلد بقلائد الدين ومالت إليه قلوب المسلمين".

وبعد نهاية الدولة المهدية عمل الاستعمار على إعدام أو أسر القياديين في المهدية، فأحدث ذلك فراغاً قيادياً لدى الأنصار. ودون استناد على لقب قيادي من عهد المهدية أقدم السيد عبد الرحمن

على ملء ذلك الفراغ القيادي فاعتبره الأنصار قيادة روحية وسموه الوسيلة، ثم وبعد خمسين عاماً من جهاده المدني، وبعد مرور قرن هجري كامل على مولد الإمام المهدي بايعه الأنصار إماماً في 1359هـ. هذه الإمامة مكتسبة، وبيعته سماها بيعة الرضا، وقال بشأنها: "والبيعة تابعة لأمر الدين وتعديل الإمام القائم لها حسب ظروف الأزمنة مع سلامة العبادات واتباع الأثر" وأقر بيعة الإمام المهدي عليه السلام كما هي إلا فيما يتعلق بالقتال والزهد، مع إبقاء الروح الجهادية حية، وروح الزهد بجعل المال في اليد دون القلب. وقبل وفاته في مارس 1959م سمى الصديق خليفة وأشار لذلك في وصيته، ولكن كبار آل المهدي والأنصار رأوا تسميته إماماً لمواجهة الظروف التي تواجه كيان الأنصار والبلاد في محنة الحكم العسكري الأول. وبما أن السيد الصديق كان اليد اليمنى لوالده أثناء حياته وشريكه في كل أعماله فإن خلافته امتدادٌ لخلافة والده. وحينما حضرت الإمام الصديق الوفاة في 2 أكتوبر 1961م إبان المواجهة مع نظام عبود قال في وصيته: "بعد وفاتي يتألف مجلس شورى برئاسة السيد عبد الله الفاضل المهدي وعضوية السادة الهادي، ويحي، وأحمد والصادق المهدي. ويرعى هذا المجلس شئوننا الدينية والسياسية بكلمة موحدة حتى تنقضي الظروف الحالية في البلاد، وعندما تلتفتوا لأمر اختيار الخليفة الذي يكون إماماً يكون ذلك عن طريق الشورى بقرار الأنصار". أعلن المجلس الخماسي أن ظروف البلاد الطارئة تقتضي تقديم السيد الهادي ليكون الإمام. ثم بايعه الناس.
إمامة السيد الهادي كانت على نهج الإمام عبد الرحمن وهي إمامة اختيار، فقد شكل عهده مع عهد الإمام الصديق امتداداً لحقبة المهدية في طورها الثاني طور الانتقال للتعايش مع الآخر الملي والوطني والانفتاح على العصر الحديث. وفي فبراير من عام 1969م سمى الإمام الهادي السيد الصادق المهدي الرجل الثاني في الكيان. ثم حدث انقلاب مايو 1969م وما تلاه من أحداث المواجهة الدموية مع الأنصار في الجزيرة أبا وودنوباوي، ثم استشهاد الإمام الهادي وصحبه الميامين عقب أحداث الكرمك في مارس 1970.
تولى السيد الصادق المهدي بعد استشهاد الإمام الهادي قيادة الأنصار بموجب تسمية الإمام الهادي له الرجل الثاني من بعده، وبموجب البلاء فقد تصدى لقضية الأنصار والبلاد متعرضا للمشقة وقائداً صفوف الأنصار إبان هجرتهم الأولى للتصدي لقهر النظام المايوي عسكرياً.
ولكن السيد الصادق المهدي رأى أن الدعوة المهدية تجابه تحدياً جديداً هو قيادة تيار التحديث المؤصل بين صفوفها، وفي جميع البلدان الإسلامية، مما يستوجب نقلة فكرية وعملية، من أهم خطوات هذه النقلة إتمام البناء المؤسسي لكيان الأنصار. فقام بعد العودة للوطن عقب المصالحة الوطنية في يوليو 1977م بإجراء مشاورات في صفوف الأنصار أسفرت عن تكوين هيكل حديث لكيان الأنصار تحت إشرافه باسم **هيئة شؤون الأنصار**، بموجب وثيقة سميت **الدليل التأسيسي** صدرت بتاريخ 1399هـ -الموافق 1979م. عدل ذلك الدليل مع المحافظة على جوهره وسمى **الدليل التأسيسي "2"** في عام 1986م. وفي عام 1994 بعد تشاور واسع تم تطوير **هيئة شؤون الأنصار**، وتمت مراجعة الدليل التأسيسي اسماً ومضموناً، فصار يعرف بـ**الدليل الأساسي**، أما المضمون فإن الدليل تم تعديله لمزيد من المشاركة والمؤسسية. الهيئة حسب ذلك الدليل مؤسسة ديمقراطية لها بنىً قاعدية وقيادية، والمناصب القيادية فيها تنال عبر التصعيد والانتخاب. والإمام هو قائد كيان الأنصار، ويتم ترشيحه بواسطة مجلس يسمى مجلس الحل والعقد، ويراعى عند ترشيحه البلاء والالتزام بالدين الإسلامي والكفاءة العلمية والاجتهاد في سبيل دعوته ورفع شأن الأحباب، ويكون ممن تقلد بقلائد الدين ومالت إليه قلوب المسلمين،

ومن أعلى الناس همة وأوفاهم ذمة. يبايع الإمام أولا بواسطة مجلس الشورى ثم المؤتمر العام، ويسعى عقب ذلك للحصول على البيعة من الجمعية العمومية للأنصار في مناطقهم كلها، ويصير ملزما بالعمل بالكتاب والسنة والجهاد والاجتهاد ونهج الشورى. تشمل مسئولية الإمام تقديم القيادة الدينية والروحية والقدوة الحسنة، والعمل على تحقيق أهداف هيئة شؤون الأنصار، والعمل على رعاية الأنصار، وتقديم الفتاوى والنصح في أمور الدين والدنيا، علاوة على المشاركة في تكوين مجالس الهيئة. الإمامة بالتالي أحد أركان مؤسسة الهيئة المزمع إكمالها.
إن مؤهلات الإمام حسب مراجع المهدية في مرحلتها الأولى هي الأهلية "التقلد بقلائد الدين"، والشعبية "ميل قلوب المسلمين"، أما آلية اختيار الإمام فلا يوجد في مراجع المهدية في مرحلتها الأولى ولا في طورها الثاني سوى القاعدة التي حددها الإمام الصديق في وصيته بأن اختيار الخليفة يكون عن طريق الشورى بقرار الأنصار، وقد آلت هيئة شؤون الأنصار على نفسها أن تنفذ هذه الوصية، فإمامة الأنصار المقبلة إمامة انتخاب، وهيئة شؤون الأنصار مؤسسة مشاركة وشخصية اعتبارية تجسد الولاء الأنصاري.
مؤسسات هيئة شؤون الأنصار يجري الآن تكوينها على أساس الشورى والمؤسسية وستكون هي آلية انتخاب الإمام. إن ما يشيعه بعض الأفراد والفئات من حديث عن الإمامة والبيعة خارج هذه المؤسسات استباق للزمن وخروج عن ما أجمع عليه الأنصار. من حيث المرجعية الأنصارية الخاصة كما نصت على ذلك وصية الإمام الصديق، ومن حيث مقتضيات مجابهة تحديات العصر، ومن حيث المرجعية الإسلامية العامة، لا سبيل لإمامة بلا شورى. قال عمر (رضي الله عنه): **"مَنْ بَايَعَ رَجُلاً عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ"** (رواه البخاري وأحمد). وقال زيد بن علي بن الحسين: "ليس الإمام منا من أرخى عليه ستره".
إن دور الأنصار في المرحلة الحالية هو دور توفيق بين الأصل والعصر، والتطلع لتوحيد أهل القبلة حول برنامج حد أدنى فصّله **"نداء المهتدين"**، ولجمع كافة أهل الملل على كلمة سواء على نسق **"نداء الإيمانيين"**، ولدعوة جميع أهل الأرض إلى الحوار والتعايش السلمي كمثل ما بيّن **"نداء الحضارات"**، والإمامة المنتخبة سوف تقود الهيئة في هذا الاتجاه. {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (سورة يوسف الآية108).

**هيئة شؤون الأنصار**
**أول شوال 1422هـ ديسمبر 2001م**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

هيئة شؤون الأنصار: المؤتمر العام الأول بالسقاي

**في الفترة ما بين 15-17 شوال 4231هـ**

**الجلسة الافتتاحية للورش: كلمة صاحب العهد مع أنصار الله**

**أحبابي في الله، وضيوفنا الكرام، مع حفظ الألقاب لكم جميعاً**

مرحباً بكم وأهلاً ومكاناً سهلاً.

اللهم إني أحمدك وأثني لك الحمد يا جليل الذات ويا عظيم الكرم وأشكرك شكر عبد معترف بتقصيره في طاعتك يا ذا الإحسان والنعم. وأسألك اللهم بحمدك القديم أن تصلي وتسلم على نبيك الكريم وآله ذوي القلب السليم. وأن تعلي لنا في رضائك الهمم وأن تغفر لنا جميع ما اقترفناه من الذنب واللمم.

كيان الأنصار الحديث تأسس مجددا على يد الإمام عبد الرحمن الصادق طيب الله ثراه وأعوانه الذين عززوا مواقفه الدينية والوطنية في أروع ملحمة قال شاعرها:

**حملوا لواء أبيك وهـو مؤزر　　　بالنصر متشح به ومنطـق**

**للدين للوطن العزيز صدورهم　　　تحمي وفيهم غضبة وترفق**

كانوا رغم هزيمة الدولة، حراساً أمناء ضد استلاب ضمير الشعب الديني فأجبروا المستعمر على تجنب ما يثير الوجدان الديني، وكانوا حراسا أمناء ضد استلاب الضمير الوطني من العاديات الخارجية فدعموا سيادة الوطن لأهله، وكانوا حراسا أمناء ضد استلاب الضمير الوطني من العاديات الداخلية رافعين لواء الحرية والديمقراطية.

الدعوة المهدية في السودان امتازت بأنها دعوة وظيفية لإحياء الدين، وبإخلاصها لأهدافها، وبتضحيتها في سبيل تحقيقها، وباستعدادها المستمر لاستيعاب المستجدات على قاعدة: لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال..أوضح الإمام عبد الرحمن الصادق كيف أنه بعث الدعوة في القرن العشرين الميلادي بصورة حافظت على سلامة العقيدة والعبادات، وحافظت على روح الجهاد، وحولت وسائله لتتخذ أسلوبا مدنيا، كما حافظت على روح الزهد لنزع حب الدنيا والمال من القلب فيكون سيدا ووضعه في اليد فيكون خادما.

فيما يلي أصف رحلتنا من الكيان الذي أسسه الإمام عبد الرحمن إلى حاضرنا عبر سبع نقاط:

**الأولى:** بعد مرور قرن على ميلاد الإمام المهدي أي في 1946م بويع السيد عبد الرحمن إماما فواصل الدعوة وطور كيان الأنصار على أساس أبوي أقام كيانا دينيا قويا.. كيانا صار مستودعا لضمير الشعب السوداني الديني والوطني.هذا الدور جعله هدفا لكل متعد على حرمات الدين والوطن. لذلك صار أئمة هذا الكيان مستهدفين فمات الإمام الصديق متأثرا بقمع الانقلاب الأول الذي وصل قمة عدوانيته في حوادث المولد الشهيرة فأصابته ذبحة قاتلة في أكتوبر 1961 .

ومات الإمام الهادي شهيدا في ساحة عدوان الانقلاب الثاني في مارس 1970.

لقد أشار الإمام الهادي في بيان عام 1969 أن الصادق هو الرجل الثاني بعده. ولكنني تصديت لأمر الأنصار بحكم الأمر الواقع، بعد أن قمعت حكومة النظام المايوي أكثر قادة الأنصار ودجنت القلة الباقية. ورأيت بعد المشورة المسنونة أن أتخذ أسلوبا جديدا في قيادة الأنصار.. أسلوبا ينتقل من الشكل الأبوي المعهود لشكل جديد فيه المشاركة والمؤسسية سميناه هيئة شؤون الأنصار.

لماذا هذا الانتقال وما هي مرجعيته؟ أما مرجعيته فهي قابلية دعوتنا المستمرة للتجديد. دعوتنا أصولية في العقائد والعبادات ومتحركة في المعاملات على أساس لكل زمان وأوان رجال. المرجعية الثانية هي مؤهلات القيادة في المهدية "من تقلد بقلائد الدين ومالت إليه قلوب المسلمين".

**أما لماذا الانتقال؟ فهنالك أربعة أسباب:**

**الأول:** التركيز على الإمامة الأبوية يجعل استهداف الكيان من قبل الطغاة سهلا.

**الثاني:** كل الكيانات القبلية والدينية تواجه مشكلة خلافة، وكل ابن خليفة يأنس في نفسه الكفاءة حتى أن القانون العثماني كان يبيح للخليفة أو السلطان قتل كل إخوانه من الذكور يوم صعوده على العرش!.. إن مبدأ التوارث يفتح أبواب تنازع كبير، وقد ظهر ذلك كثيرا في الكيانات القبلية والدينية في السودان. نحن محتاجون لآلية عادلة لتحقيق الخلافة السلمية.

**الثالث:** أوصى الإمام الصديق وهو في فراش الموت في حضرة مائة شخص وصية وثقها ستة أطباء كانوا معه على أن إمام الأنصار يختاره الأنصار. ولكن كيف يستطيع الأنصار أداء هذا الواجب؟ يجب أن يكون للأنصار جسم يمثلهم للقيام بهذا الواجب. **والرابع:** مراعاة تطور الزمان حيث الناس في هذا العصر يتطلعون لقيادة تقبل المشاركة وتمارس الشورى عبر مؤسسات، فالكيانات التقليدية التي تريد أن تكتب لنفسها عمرا جديدا عليها أن تتجدد أو تتبدد:

**إذا أنت لم تحم القديم بحادث — من المجد لم ينفعك ما كان من قبل**

إنها قاعدة منيرة تؤكد مرونة الشريعة الإسلامية وقبولها لتغير الفتوى واختلافها بحسب الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد على حسب تعبير الإمام ابن القيم.

**الثانية:** كونت هيئة شؤون الأنصار للأسباب الأربعة المذكورة في ظل الطغيان المايوي عام 1980م، وكان تكوينها بصورة تمهيدية وحققت عبر العشرين عاما الماضية الآتي:

أ. عمارة المساجد وتطوير منابرها. ورعاية الخلاوى بصورة زادت أعداد الحفظة أضعافا مضاعفة.

ب. إحياء المناسبات الدينية والاجتماعية والأعياد بصورة شملت القطر كله بخطابات موحدة.

ج. أداء الواجبات الاجتماعية للأنصار وغيرهم في الأفراح والمآتم بصورة غطت القطر كله. وفي هذا الصدد كان لهيئة ملازمية الإمام عبد الرحمن التي واصلت نشاطها منذ عهد الإمام عبد الرحمن حتى يومنا هذا دورا هاما.

د. العمل على تكريم ذوي العطاء من المبدعين والمؤرخين وكان أبرز ما تم في هذا الصدد تكريم المؤرخ الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم أبي سليم عام 1996م.

ه. عقد ورش العمل والندوات والمحاضرات في مختلف المواضيع مثل الصحة النفسية والزواج العرفي.

و. التصدي لتحريفات الإسلام ومساعدتي بصورة قوية في تعرية تلك التحريفات لكيلا يؤخذ الإسلام بجريرة هؤلاء الأدعياء.

ز. مساعدتي في تقديم النهج الإسلامي الصحوي الذي يوفق بين قطعيات الوحي في الكتاب والسنة ومطالب العصر الحديث.

ح. حفظ ا لكيان موحدا متماسكا دون الانجراف وراء ترتيبات عاطفية ارتجالية لتنصيب الإمام.

ط. القيام بمبادرات للإصلاح المجتمعي في كل المجالات.

ي. تطوير علاقات عالمية للكيان اتصالا بالأنصار خارج السودان في إفريقيا الغربية – في آسيا- وفي الغرب. وتواصلا مع ا لمنظمات الإسلامية العالمية، مثل رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة الدعوة الإسلامية، ورابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية الدولية.

ك. معاونتي بأقوى صورة في طرح نداءات العصر الثلاثة: نداء المهتدين الموجه لأهل القبلة- نداء الإيمانيين الموجه لحوار الأديان- ونداء الحضارات ا لموجه لحوار الحضارات.

ل. التعبير دون خوف أو تردد في أحلك الساعات عن ضمير السودان الوطني تمسكا بحقوق الإنسان وحرياته العامة ومطالبة بالنظام الذي يكفل كرامة الإنسان السوداني: النظام الديمقراطي، والتصدي للشبهات الفكرية التي تحاول إيجاد تناقض بين الإسلام والديمقراطية وبين الإسلام وحقوق الإنسان التصدي لها وإبطالها.

قامت هيئة شؤون الأنصار بكل هذه المهام وواجهت في سبيل ذلك الحل في عام 1983وإبعادها من مجمع الإمام المهدي ومسجد الخليفة. وبعد أن عادت الأمور لمجاريها بعد انتفاضة رجب/أبريل 1985 واجهت الهيئة محنة أخرى في عام 1993 بإبعادها من مجمع الإمام المهدي ومسجد الخليفة. وعندما أرادت السلطات رفع يدها عن هذه المواقع المصادرة لم ترجع لمستحقيها بل كونت هيئة ضرار وسلمتها الموقع.

واجهت الهيئة وقياداتها هذا والاعتقالات والضرب ولكنهم التزموا الصبر على الشدائد والمشاق رغبة في دوام القرب والتلاق. إن طريق الحق طريق ابتلاءات:ناح فيه نوح، ومس فيه موسى، وعس فيه عيسى، وحم فيه محمد عليهم صلوات الله وسلامه. وكان الصبر ولا زال وسوف يظل مفتاح الفرج صبرا على رضا الحبيب حتى يقول الناظر العجب العجيب..

إن المسجد الكبير الآن أسير والقبة أسيرة وهي المرة الثالثة التي تخضع هذه الرموز العظيمة للأسر ولكن:

**أعاذلتي مهلاً إذا مـا تأخـرت مواكبنا حتماً فسـوف تعـود**
**ولا بد من ورد لعطشى تطـاولت ليالي سراها واحتـواها البيد**

إن في مشهد المسجد العتيق الأسير والقبة الأسيرة درساً لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. الدرس المستفاد أنك تستطيع أن تحتل المباني والحيشان ولكنك لا تستطيع احتلال العقول والقلوب والعزائم. العزائم التي تعزلك بالمقاطعة إلى أن تعود يوما نراه قريبا ويرونه بعيدا والله من ورائهم محيط.

**الثالثة:** بالإضافة للعوائق الخارجية التي تعرضنا لها هناك عوائق ذاتية أهمها:

أ. صعوبة الانتقال من هياكل تقليدية إلى هياكل توفيقية بين القديم والجديد.هذه الصعوبة تمثلت في أن بعض كوادر الهيئة الذين شاركوا في تأسيسها ظنوا وظائفهم ثابتة لا تتغير لذلك حاولوا مقاومة التجديد والتطوير وعاونوا أعداء الأنصار على عرقلة نشاط الهيئة.

ب. عوائق سببها بعض وارثي الحسب الذين اعتبروا النظم الجديدة عازلة لهم من حقوق موروثة فشرعوا يقاومون أنشطة الهيئة بكل الوسائل بما فيها مساعدة الأجهزة الأمنية المضادة.

ج. كثير من الكيانات الدينية في البلاد هي في حقيقتها فروع لكيانات خارج البلاد تدعمها. وكثير من الكيانات حظيت بدعم السلطات السودانية في عهود الحكومات الدكتاتورية. ولكن هيئة شؤون الأنصار كائن اجتماعي لا ترضى عنه السلطات لذلك واجهت مسألة الموارد المالية واضطرت لتمويل عملها بقدراتنا الذاتية المحدودة.

د. قلة الموارد حالت دون تدريب الكوادر المؤهلة بالمستوى المطلوب ودون تنفيذ كثير من مشروعات الهيئة.

**الرابعة:** كان رأيي الشخصي أننا محتاجون لزمن أطول للتحضير لمؤتمر الأنصار العام لاسيما وعدد منا مشغول بالتحضير للمؤتمر العام للحزب. ولكن مجلس الحل والعقد قدم لي توصية باستعجال عقد مؤتمر عام الهيئة وفيما يتعلق بضيق الزمن قالوا إنهم يستطيعون مضاعفة العمل. كذلك فيما يتعلق بالإمكانات قالوا إنني إذا عاونتهم يستطيعون جمع المال المطلوب.لم أشأ أن أعطل هذه الحماسة الحميدة لذلك وافقت على رأيهم واندفعوا في العمل بهمة شارك فيها أصحاب الرأي والتنفيذ وفي وقت وجيز جدا استطاعوا أن يحققوا عملا عملاقا فالشكر والتقدير لمجلس الحل والعقد وللمكتب التنفيذي وقائده الأمين العام ولكافة الكوادر الحية النشيطة التي واصلت الليل بالنهار لتحقيق هذا العمل المجيد والشكر والتقدير للذين تبرعوا بالمال سخياً نقداً وعيناً **(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**[235]:

أ. في وقت قياسي نظموا خمس ورشات عمل حشد لها عدد كبير من المؤهلين وأصحاب التجارب في الفترة 14-17 شعبان الماضي. هذه الورشات قدمت فيها للدراسة ورقات متخصصة في جوانب مختلفة ودرست بأحدث أساليب ورشات العمل الفكرية واستطاعت بعد ذلك تقديم التوصيات التي بين أيديكم وعقدت حلقة دراسية لقضايا الخلاوى التي فات الورش إلقاء الضوء عليها.

ب. وشرعوا بهمة ونشاط في تكوين البناءات القاعدية للمرأة، والشباب، والوكلاء والفئات. كما أقاموا تنظيمات منتخبة للهيئة في المحليات المختلفة بحيث صار لكل محلية مجلس شورى منتخب ومكتب تنفيذي منتخب. فلم تقتصر مهام المؤتمرات التي عقدت على جمع القواعد لاختيار ممثليهم في المؤتمر العام وحسب، وقد تم ذلك بصورة واسعة في داخل السودان وخارجه.

**الخامسة: إن لهذا المؤتمر أهمية تاريخية لأنه:**

- أول تجربة من نوعها فقد كنا في الماضي نعقد مؤتمرات للوكلاء. أما مؤتمر عام من هذا النوع فهو تجربة جديدة وغير مسبوقة في كيان الأنصار. ويرجى أن يكون أنموذجا لكثير من كيانات البلاد التقليدية لتحقيق التحديث المؤصل والإنبات **(كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)**[236].
- إن سعة تمثيل قواعد الأنصار في هذا المؤتمر والطريقة الديمقراطية الشورية التي اتبعت فيه تمثل اختراقا للحائط الفاصل بين جسمنا التقليدي والحديث بصورة عملية. إن على كيان الأنصار أن يدرك أن عليه واجبا تاريخيا مصيرياً هو أن يكون: الواصل البشري بين سودان دار فور وسودان سنار أي بين غرب السودان وسودان وادي النيل. والواصل البشري عبر مناطق التجاور الممتدة من أم دافوق غربا إلى الرصيرص شرقا وبين شمال السودان وجنوبه. والواصل الفكري بين حياة البلاد التقليدية وحياتها الحديثة.. ينبغي أن نستشعر هذا الدور المصيري الهام.

---

[235] سورة الحشر الآية (9)

[236] سورة إبراهيم الآيتان (24،25)

- هذا المؤتمر سوف يختار ويقنن أجهزة الأنصار بصورة تستمد شرعيتها من أصول تاريخية ونظم حديثة.
- إن الأجهزة الجديدة سوف تكون درعا واقياً للكيان من التفلت والارتجال وتقيم مؤسسات للشورى والمشاركة تنظم حبات الجسم الأنصاري في مسبحة قاصدة.

**السادسة:** لقد وزعت على المؤتمرين برامج وصحائف مرجعية لدراستها واتخاذ القرارات بشأنها وهي:

أولا: الإلمام بالمرجعية الفكرية واعتمادها أساسا للمرحلة الثالثة من الدعوة. لقد كان من المفترض أن تسبق هذه الجلسة الافتتاحية المحاضرة المعنية عن العقيدة ومرتكزاتنا الفكرية: تذكرة أنصار الله. ولظروف إجرائية لم يتم ذلك. خلاصة تذكرتنا هي:

أن في الإسلام عشر مدارس مهدوية مختلفة سنية أو شيعية أو صوفية أو فلسفية. وأن مدرسة الإمام المهدي تمثل مدرسة سنية جديدة لها خصوصية بيانها:

- المهدية خلافة خاصة- خلافة مصطفوية عن النبي صلى الله عليه وسلم تؤهل صاحبها إصدار تعاليم خاصة لتجاوز الانتماء للمذاهب والفرق والتمسك بالنصوص الأصلية القطعية وحدها.
- المهدية هي وظيفة إحياء الدين بتكليف روحي خاص.
- المهدية دعوة جامعة لما تفرق بين الفرق من تعاليم صالحة لحياة الدين وصلاح المسلمين.
- المهدية أصولية في العقائد والعبادات والأخلاق متحركة في المعاملات على أساس فقه متطور لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال. لذلك فهي مستعدة للتمدد عبر أكثر من مرحلة.
- راتب الإمام المهدي هو الوثيقة الأصدق في بيان دعوته وفيه مطلق الامتثال لله، امتثال محبة ورجاء " اللهم إن عفوك عن ذنوبي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه، أدعوك آمنا وأسألك أدعوك آمناً وأسألك مستأنسا فانك أنت المحسن إلي وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودد إلي بنعمتك وأتبغض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فعد بإحسانك علي، إنك أنت التواب الرحيم". الراتب ينفي أي دعوى شطحية لصاحبه وهو ديوان لروح القرآن والسنة مرتبة ترتيبا لأدعية الأنبياء والصالحين المستجابة لتسليح المؤمن روحياً وخلقياً لجهاد النفس والاستخفاف بالمخاوف والمخاطر استعداداً لإصلاح البيئة المحيطة به وتعميرا لأخرته.
- ودعوة الإمام المهدي تخاطب أهل الإيمان كافة وليست محصورة على حد قوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله).**

هذه الدعوة لقت على يد الإمام عبد الرحمن الصادق بعثا بعد محاولات طمس، فبايعه الأنصار وسيلة بفهم الإرشاد إلى الله، وإماما باعتباره مقتف لأثر الإمام المهدي، وسمى بيعته بيعة الرضا، المقرة لتعاليم الإمام المهدي إلا فيما يتعلق بالزهد والجهاد. في هذا الطور واجه الإمام عبد الرحمن انقسام الرأي الإسلامي حول التعامل مع العصر الحديث إلى ثلاثة مواقف هي: موقف الانكفاء الرافض للعصر المتمسك بالموروثات- وموقف الاستلاب المتخلي عن التراث لصالح العصر- والموقف الصحوي الملتزم بالقطعيات لا سابق الاجتهادات المستصحب للنافع من العصر. فاتخذ النهج الأخير. وقد كانت إمامة خليفتيه الصديق والهادي امتدادا لهذا الطور الثاني للمهدية.

**تذكرتنا الفكرية للطور الحالي للدعوة المهدية ودورها هي:**
التطبيقات الإسلامية الخاطئة في السودان أفرزت مواجهة حادة علمانية إسلامية- وأخرى إسلامية مسيحية فيه. هذا مع تحدي العولمة للثقافات، وزيادة التوتر بين الأديان والحضارات، يجعل أولويات هذه المرحلة لدعوتنا مواجهة التحديات الداخلية والخارجية بعقيدة دينية راسخة وفكر إسلامي رصين وأن نعمل على استقطاب الفكر الإسلامي حولنا توحيداً لمواقف أهل القبلة. لذلك أصدرنا نداءات العصر الثلاثة: نداء المهتدين لمخاطبة الخلافات بين المسلمين، ونداء الإيمانيين لمخاطبة الخلافات بين الأديان، ونداء الحضارات لوضع أساس لحوارها. كان هذا فيما يتعلق بنشاط المؤتمر الفكري المصاحب وما علينا حسمه بشأنه.
**ثانياً:** دراسة صحيفة الإمامة واعتمادها أساسا مرجعيا للإمامة.
**ثالثاً:** دراسة صحيفة الأمة والهيئة لتحديد الموقف بين هيئة شؤون الأنصار وحزب الأمة.
**رابعاً:** مراجعة الدليل الأساسي للهيئة على ضوء التوصيات المقدمة للمؤتمر.
**خامساً:** اختيار أجهزة الهيئة القيادية والتنفيذية.
**سادساً:** تحديد عدد وأهداف الأمانات التنفيذية وإقرارا آلية لإدارة التأهيل والتدريب.
**سابعاً:** اتخاذ القرارات اللازمة بشأن تكوين هيئات ذات شخصية اعتبارية للأغراض الآتية: إقامة مؤسسات تعليمية من الروضة فصاعدا- إقامة مؤسسة للخدمات الطبية- إقامة مؤسسة إعلامية- اعتماد المؤسسة الإغاثية الحالية- مؤسسة طوعية باسم ظل المودة والرحمة لتبسيط الزواج وتشجيعه- مؤسسة إلى ربك الرجعى للمساعدة في الوفيات والمآتم.. وتكوين آلية مناسبة لتحديد العلاقة بين الهيئة وهذه المؤسسات دون مساس بمرونة حركتها.
كذلك تعديل الهياكل بحيث تقوم آليات متخصصة ملحقة بالأمانات المناسبة في مجال: تنظيم شبابي باسم فتيان المروءة. هيئة اختصاص للحوار مع الآخر المذهبي الإسلامي. هيئة للحوار مع الآخر الملي غير الإسلامي.
**ثامناً:** هذا المؤتمر سيكون بمثابة رباط شبيه برباط منى، يؤاخي المؤتمرون بعضهم بعضا ويتعارفون ويعيشون سويا في المأكل والمشرب دعما للإلفة بينهم استلهاما لعنقود المحبة الذي ألح في طلبه إمامنا في راتبه: "فانفذني ومن صحبني ومن أحبني على حب نبيك صلى الله عليه وسلم لأحبك يا من بيده الأكوان."
وسيجد الجميع في المعرض أدبيات دينية ووطنية ومعروضات ومقتنيات للإثراء الثقافي.كما يرجى أن يستمتعوا في ثاني أيام المؤتمر بالليلة المفتوحة وما فيها من المدائح والأشعار والأناشيد الوطنية شحذا للهمم واستنهاضا للعزائم.. "والعود ما بجيب النار بلا يفركو".
**ختاماً:** إنني إذ أرحب بكم في عاصمة الوطن وفي هذا الرباط المبروك أرجو أن تضربوا المثل في سلوكنا على الانضباط، فنحافظ على الأمن والنظام، ونبحث المواضيع بموضوعية وهدوء واحترام للرأي الآخر والالتزام بمواعيد الصلوات والجلسات وضبط الكلام في الزمن المحدد له وفي الموضوع المطروح، وطاعة رؤساء الجلسات لأن طاعتهم هي طاعة رأي الجماعة.. علينا أن نقدم أنموذجا حضاريا يبرئ ساحة الإسلام وصفحته الناصعة مما علق بها من تشويهات الغلاة ولا مبالاة الآخرين.
هذا المؤتمر لن يطرق شأنا سياسيا، ولكننا ينبغي أن ندعم بكل قوانا القضايا الوطنية مثل السلام العادل والتحول الديمقراطي في السودان، والأمن في البلاد، والأمن الغذائي، وأن نستنكر بكل

قوانا ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من إبادة، ونستنكر بكل قوانا الإرهاب الذي يصيب الأبرياء بعنف عشوائي..

نسألك اللهم يا جليلا ليس في الكون قهر لغيره، ويا كريما ليس في الكون يد لسواه، ولا إله إلا إياه، أن توفق مؤتمرنا وأن تبسط عنايتك علينا وأن توفق جهادنا المدني في سبيل ديننا ووطننا أرض جدودنا ومنبت رزقنا وأن توحد كلمة أهل السودان في الخير وأن تصرف عن البلاد الفتن والبلاء.. (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**)[237]

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

[237] سورة النور الآية (55)

بسم الله الرحمن الرحيم

**خطاب الإمام الصادق المهدي في الجلسة الختامية لمؤتمر السقاي**

17 شوال 1324هـ الموافق 21 ديسمبر 2002م

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد-

نحن إنشاء الله في هذه الجلسة الختامية سنحدثكم بما قل ودل.

أولا: أود أن أعتذر لكم عما صدر وبدر وحدث من تقصير في ضيافتكم فكانت الإمكانات ضعيفة وهذا أقل بكثير مما تستأهلوه من كرم وضيافة. نحن حقيقة (ضيفناكم ضيافة تيمم ولكن صليتم صلاة حرم) فالفرق كبير بين تيممنا المتواضع وصلاتكم الواصلة إنشاء الله.

هذا الأمر الذي أنجزناه أمر كبير وأنا أريد أن أضيف شيئا إلى كل المفاهيم التي تحملونها أنتم الآن.

نحن نستطيع أن نقول إننا حسمنا قيادتنا وقننا كياننا ولم نترك ولله الحمد أي مجال لأمر ناقص، فلا شك أنكم أديتم الأمانة وحفظتم الرسالة وأنجزتم عملاً كبيراً جداً.

وقد حدث كثيراً أن اجتمع الناس وطالبوني بأخذ البيعة. بيعة الإمامة وكنت أقول لهم لا بد أن تتم هذه إن تمت في حضرة أصحاب الشأن، فإن كنا نحن نريد إمامة الصدفة وإمامة الخطفة وإمامة النزعة والنزوة والرغبة الشخصية فقد حصلت لقاءات كبيرة عندما زرنا الجزيرة أبا في الثمانينات احتشد الناس بمئات الآلاف وجاءوني مقترحين البيعة وقلت لهم هذا لا يجوز، كما قال السيد صلاح عبد السلام الذي أحضر شهادة من السيد ولي الدين الهادي بما قاله الإمام الهادي، حدث كل هذا ولكنني قلت يجب أن يرجأ كل ذلك إلى حين حضور أصحاب الشأن فلا بد أن يحسم هذا الأمر الذين هم مفوضون من أهله، فإن كنا نحن نريد هذا النوع من إمامة الصدفة وإمامة اللقاء الطارئ لحسمنا الإمامة من (زمان).

أنا كنت مبطئاً في هذا الأمر لأن هناك ظروف كثيرة لا بد من إكمالها وإلا فأنا عندما كنت طفلاً أتيت الإمام عبد الرحمن طفلا مع والدتي السيدة رحمة، أثناء سلامه علي قال للسيدة رحمة ولدك هذا هو الذي يسد مكاني فقالت له أمي ( يا سيدي مكانتك إنشاء الله بسفر بعيد ما نشوفها)، وبكت فقال لها يا رحمة هذا أمر لا بد منه، وبالرغم من سماعي لكل هذه الأحاديث إلا أنني لم أبن عليها أساساً واستشهد بها لأنني اعتبرت أن الأمر هو ما تقرره الجماعة لأن إذا كان ما قاله صحيحاً فان الذي يصدقه هو الأحداث نفسها وليس رغباتي أنا.

عندما جئنا في العودة قلت إن هناك مهام نريد أن ننجزها أهمها تنظيم الأنصار وتنظيم الحزب وهذا كان ولا زال أملاً كبيراً والحمد لله أنتم الآن أنجزتم عملاً كبيراً لأننا قننا تنظيمنا. وأي نقص بعد ذلك سيكون مسئولية من كلفتموهم في هذا المؤتمر - هؤلاء هم الذين سيقومون بالأعمال الباقية فأنا أعتبر الآن أن مهمة كبيرة نزلت من عاتقي وإن كانت صحبتها مهام جديدة ولكن هذه المهام ضمن تنظيم. فقدمنا بذلك قدوة لكل القوى الاجتماعية في السودان لكي تنظم نفسها بطريقة مفهومة فيها المشاركة والشفافية. فكثيراً ما يتحدث الناس عن التحديث والتطوير والنهضة ولكن كيف يتم ذلك إذا تركنا القوى الاجتماعية في القبيلة وفي الطريقة وكل هذه التنظيمات الاجتماعية كما كانت في السلطنة الزرقاء فلا يمكن أن ننهض وننطلق من أصولنا القوية المثبتة إلى مستقبل فيه استصحاب للنافع من نظم وعلوم ومفاهيم العصر، ونحن في ذلك

أنجزنا إنجازاً كبيراً وكذلك في بلادنا مشاكل كبيرة لا بد أن نتطرق لعلاجها وفي العالم العريض الإسلام متهم ولا يحتاج إلي مجرد علماء وإنما علماء لديهم قدرات، فكثير من العلماء المسلمين ذوي القدرات ليس لديهم قدرة للتصدي ومن يملكون جرأة التصدي ليس لديهم قدرات.

نحن إنشاء الله بهذا العمل الذي قمنا به نستطيع أن نقول إن لدينا مؤسسة لديها الفكر ولديها القدرات ولديها القيادة ولديها الشعبية ولديها المؤسسية.

ومن هذا المنطلق نقول لهم في السلطة نحن ليس بيننا وبينكم إلا أن تقروا بوضوح أن هذا الدين ليس حكرا علي أحد فالمسلون في السودان يتعاونون في أساس ما يتفقون عليه وفيما يختلفون فيه يكون الأمر اجتهادياً ويعذر بعضهم بعضاً في هذا الأمر. في المسائل السياسية هناك قطعيات وثوابت وطنية: السيادة الوطنية، وحدة البلاد استقلال البلاد نتعاون فيها، أية قضية فيها اختلاف يكون الفصل فيها الشعب وبهذه الطريقة نتجنب الشقاقات والخلافات فالبلد الآن في خطر كبير، لا بد أن يدرك هذا النظام أن البلد الآن مهددة بمجاعة وهناك أوبئة كثيرة منتشرة (فالبلد دركانة) وهناك توجهات وتمزيق وتدويل لشأن البلاد والنظام لا يستطيع أن يبرم شيئاً بخصوص مستقبل السودان أو بخصوص مستقبل الإسلام منفرداً وقد أصبح المسئولون في النظام يعترفون بذلك وقد سمعتم حديث الوزير الذي ورد فيه هذا الكلام والذي نريده الآن هو البيان بالعمل.

نحن نريدهم أن يصدقوا فيما يقولون، فإن صدقوا فلا مشكلة وهذا يعني أننا سوف نحتكم في كل أمر للشعب وهذا يعني أننا لا بد أن نستعد في هيئة شئون الأنصار للقيام بدورنا الدعوى الإرشادي كما منصوص عليه في الدليل الأساسي. والآن مهمتنا الثانية هي تنظيم حزبنا السياسي فما كل الموجودين لديهم مهام في الحزب السياسي ولكن كلنا لا بد أن نمشي بفهم واضح: لا بد أن نكمل كل التنظيمات القاعدية لكي نفعل في حزبنا ما فعلناه في الهيئة: العمل المنهجي المنتظم بنظر في البرنامج والانتخاب لكل الأجهزة القيادية في الحزب حتى نقول أننا (كل سبحة نضمناها، نضمنا سبحة الهيئة ونضمنا سبحة الحزب) أي أننا قمنا بمهمة كبيرة وأساسية في كل منها، اختم حديثي هذا بشكركم الجزيل علي ما تكبدتم من مشاق وبشكر زملائي الذين قاموا بتنظيم هذا العمل مع ما فيه من نقص أصلا من اجتهد وأخطأ فله اجر فلهم علي كل حال أجر على ما أخطأوا وأجران فيما أصابوا، فالزمن كان ضيقاً والإمكانيات محدودة ولكن مع ذلك أنهم أنجزوا عملاً كبيراً مهماً.

سلموا علي كل الأهل وبلغوا التحيات الطيبة وأسأل الله سبحانه وتعالي أن يوفقني لأن أمر عليهم واسمع منهم ويسمعوا مني - حفظ الله زرعكم وضرعكم وذراريكم أبناءكم وبناتكم وأرجو أن تبلغوا عني الجميع أننا دخلنا في مرحلة نريد فيها أن يأخذ كل منا بيد أخيه أو أخته حتى نبني كياننا هذا ليقوم بمهامه الداخلية والخارجية بأكفأ صورة ممكنة. جمعنا الله بكم في ساعة خير وجمعنا في ساحة بركة وجعلنا وإياكم من الذي "يستمعون القول فيتبعون أحسنه" ويجعلنا جنوداً لإرادته في بعث هذا الوطن من جديد سامقاً مجيداً إن شاء الله وان يجعله في سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**كلمة الرئيس في الجلسة الختامية للمؤتمر العام السادس لحزب الأمة القومي**

**17 أبريل 2003م**

بسم الله الرحمن الرحيم، ضيوفنا الكرام مع حفظ الألقاب والمقامات،

أخواني وأخواتي أبنائي وبناتي،

أشكر لضيوفنا الكرام حرصهم على تلبية دعوتنا وحديثهم الطيب وإشادتهم بما حققنا في هذا المؤتمر، وأشكر وأقدر جهد العاملين فيه وأقدر صبرهم ومثابرتهم وعملهم الدءوب ليل نهار حتى تمكنا من إنجاز أجندة هذا المؤتمر المصيري الذي كان رحلة صلاح وفلاح ونجاح، رحلة انطلقت من قواعدنا في البوادي والأرياف والمدن وصعدت حتى بلغت هذا المؤتمر العام، نعم تأخر هذا المؤتمر زمناً طويلاً، بعض هذا التأخير كان لأن أيدينا كانت مقيدة ولأن أفواهنا كانت مكممة ولأن حركتنا كانت ممنوعة ولكن بعض التأخير كان بسبب تباطؤ وعجز ذاتي ولكنا تمكنا ولله الحمد رغم كل شيء من بلوغ صنعاء فلا بد من صنعاء وإن طال السفر.

**أعاذلتي مهلاً إذا ما تأخـرت قوافلنا يوماً فسوف تعـود**

ولا بد من ورد لظمأى تطاولت ليالي سراها واحتواها البيد

إن الديمقراطية تتعلق بالقرار البطيء ليس لأن الإبطاء جزء من طبيعتها ولكن لأنها تشمل الرأي والرأي الآخر وتراعي تدافع الآراء مما يجعل الاتفاق صعباً ولكن كما يقال السهل في السهل والصعب في الصعب، من السهل على الديكتاتورية أن تفعل ما تريد لأنها تعمل بأسلوب الأمر والنهي ولا مجال فيها للرأي والرأي الآخر. في الدكتاتورية الختان والزواج في يوم واحد! أما الديمقراطية فهي: **تدبير ذي حنك يفكر في غد**

لقد قالوا عنا مترددين، نعم مترددون في القرار الأحادي، ماذا كانت النتيجة عندما انقلبوا هم علينا ومارسوا القرار الفردي الحاسم؟

**رأي الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها**

قالوا عنا مثاليين، نعم مثاليون.

إن في السياسة أخلاق. ونحن نلتزم هذا الفهم للعمل السياسي، لقد جاءنا على طول مسيرتنا السياسية من يعرض علينا مجرد المناصب، قلنا لهم ولا زلنا نقول ليس السؤال هو من يحكم السودان، فليحكم السودان أي بنيه ولكن السؤال هو كيف يحكم السودان؟ وعندما أراد بعض نواب البرلمان في الديمقراطية الانضمام إلينا قلنا لهم إن أردتم ذلك فعليكم الاستقالة والرجوع لقواعدكم وإعادة الترشيح على أسس ومبادئ حزب الأمة. وعقب ثورة أكتوبر طلب منا أن نحاكم عصابة 17 نوفمبر فقلنا لقد وعدناهم بألا نحاكمهم ووعد الحر دين عليه. أساءت الشموليات إلينا وحاولت اغتيال شخصياتنا معنوياً فرفضنا التجاوب مع ذلك. السياسة لا بد فيها من مثل وأخلاق تميز بين من يلتزمها وبين من لسان حاله:

**نادمت كل جليس بمـا يلائمـــه حتى أروق الجليسا**

**فعند الرواة أدير الكـلام وعند السقـاة أدير الكؤوسا**

قالوا أكاديميين نشغل أنفسنا بالفكر، صحيح أن الفكر بلا عمل عاجز وكسيح ولكن الفكر هو قرن استشعار للعمل، العمل بلا فكر أعمى وأعشى وضال:

**الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني**
**ولربما طعن الفتى أقرانــه بالـرأي قبل تطـاعن الأقران**

مكة قبل المدينة.

بعض الناس يعتبرون أن السياسة هي تصيد السلطة وتصيد سقطات الآخرين، هذا هو ما أكسب السياسة سمعة سيئة مما جعل اللعنات تطاردها. نعم السياسة الانتهازية ملعونة، هذا الفهم الذي يفصل السياسة عن الأخلاق غير صحيح، ولا يجب أن يحصر السياسي نفسه في ميدان السلطة، بل عليه أن يوسع من مداركه وعلاقاته وثقافته وفكره وأدبه وأن يتخذ أسلوب النبوة: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ**)[238]، (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**)[239] لا بد من الاقتداء بهذا النوع بهذا من السياسة التي تثري نفسها بالأخلاق والمثل العليا والفكر.

ثم أي المناهج أنجح؟ هذا الذي يتصيد المناصب أم ذلك الذي يلتزم بالأخلاق، نعم في المدى القصير يربح النفعيون ولكن من يضحك أخيرا يضحك طويلا. وإذا سألنا الآن عن الذين نازلناهم ونازلونا وصارعناهم وصارعونا وانتقدناهم وانتقدونا، أين هم الآن؟ (**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**)[240].

إنني مهما تأملت في سياسة الكياسة وكياسة السياسة لا أجد في دفاترها معان استشهد بها في هذا الصدد مثل ما قيل في الشيخ ود رية، العبيد ود بدر:

**الهوي والشـرق بي ليمو لمـاهـــو**
**الزيـن والفسل بي فضلو عمـــاهو**
**حفـر العد غريق لامن يجيب مــــاهو**
**شال سعينات الرجال كباها في سقاهو**

أقول إن السياسة المرتبطة بالأخلاق والمثل والفكر هي الأبقى وهي الأنجح، إذا استعرضنا سيرتنا السياسية وجدنا الآتي: في الانتخابات الأولى التي خضناها عام 1964م كانت نتيجتنا فيها كما تعلمون، وفي انتخابات 1968م كانت نتيجتنا أقوى، والآن إذا عرضنا ما يحدث في هذا المؤتمر على أية عملية انتخابية حرة لوجدنا العجب، نقول لكل من يتقول علينا الأقاويل (**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ**[241]) والمرء يقيم بما يحسن.

قالوا لنا أطلتم البقاء في الرئاسة، أقول نعم لقد انتخبت أول ما انتخبت في 1964م، ولكن الأمر هنا شبيه بما يروى عن الشيخ حسن ود حسونة وقد كان معروفا بالكرم، وكان يقري الضيوف على مائدة العشاء بتقديم الدجاج لهم، ثم يتأخر هو عنهم، ظن أحد الضيوف أن الشيخ ربما يتأخر عنهم ليؤثر نفسه بما هو أشهى من الدجاج فحدثته نفسه بأن يتأخر ليلحق بعشاء الشيخ وقد كان، فلما جاء العشاء تبين أنه كسرة إدامها ماء! فندم الضيف ندم "الأبى ديكو مكشن" كما يقول المثل السوداني. وجبتنا التي حسدونا عليها هي: ثمان سنوات سجن، ثمان سنوات منفى، حكم بالإعدام، مصادرة جميع الأملاك مرتين، إعلام مسلط لاغتيال شخصياتنا معنويا، حرمان من الأسرة لدرجة أن صغرى بناتي- وقد كانت لا تراني إلا صورة – قالت لأمها وهي تراني لأول مرة عند عودتي من منفاي: إن الصورة تتحدث! هذا الرصيد هو الذي أتى بمحبة الناس وثقتهم، لم تأت هذه المحبة

---

238 سورة آل عمران الآية رقم (159)
239 سورة الأعراف الآية رقم (199)
240 سورة مريم الآية رقم (98)
241 سورة النساء الآية رقم (123)

لأشخاصنا الفانية، ولا لنسب أو حسب، فهناك الكثير ممن يشاركوني صلة القربى بالإمام المهدي بل وأقرب مني له فلماذا هذا التأييد لشخصنا؟ إن هذا التأييد الذي نلقاه إنما هو تأييد للمعاني والقيم والمثل والمصالح التي رأى أهلنا أنا نجسدها فأيدونا فيها ولولاها لانفضوا من حولنا، ولولا يقيني بهذه الحقائق لاغتررت واعتبرت أن هذا التأييد لشخصي وهو ما يناقض الحقيقة.

إن الله يبتلي الإنسان بالشر والخير ومن ابتلاءات الخير أن يعطى الله الفرد منا هذه المظاهر من المحبة والتأييد الكبير، فإن اغتر بها سقط وانحط وراح ووقع له "السلب بعد العطاء"، (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**)[242] "الكبرياء لي وحدي من شاركني فيه قصمته".

إن كياننا هذا لا يقبل قيادة إلا إذا انتسبت لشجرة نسب معنوية هذه الشجرة هي شجرة جهاد واجتهاد ووطنية وديمقراطية. هذا هو المعيار، كل من لم ينتسب لهذه الشجرة سقط مهما كانت الدماء التي تجري في عروقه. إنني لم أر كياننا هذا متحداً وقوياً مثلما أراه الآن. صحيح أن هناك أفراد ممن ابتعدوا عنا ولكنهم لم يبتعدوا عنا لحماً ودماً فصلة الدم واللحم لا زالت تربطنا بهم ولكنهم ابتعدوا عن شجرة نسبنا المعنوية فسقطوا. (**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ**)[243].

لقد دخل حزب الأمة طوراً جديداً، طوراً يغذيه تطور المهام والبرامج ومكاسب النضال في انتفاضتي أكتوبر ورجب والتصدي والمواجهة للشمولية باسم الشعب السوداني، فتمدد حزبنا في القرى والمدن والقوى الحديثة وعمق جذوره في القوى التقليدية. تطورت في هذا الطور مفاهيم الرئاسة والإمامة. أصبحت الإمامة إمامة دستورية، إمامة مشاركة ومساءلة وشفافية، وأصبحت الرئاسة رئاسة مسئولية وانتخاب ومؤسسية. بالطبع هناك من لا يريد أن يواكب هذا الطور ولا يزال مشدوداً لمفاهيم قديمة، فليكن، فالناس أحرار ولكن لا سبيل للتعامل الآن مع الأغلبية الساحقة والقوة المعنوية الغالبة في كياننا هذا إلا بقبول هذه المعاني. فمن قبلها انتسب ومن رفضها انقطع.

إن هذه المعاني لا نخضع لها وحدنا فجميع بلداننا العربية والإفريقية والإسلامية الآن مطالبة بأن تنتفض من أحابيل الماضي لكي توفق بين مطالب الأصل والعصر، حتى تصبح ذات جدوى وحتى تستطيع أن تتجاوز النظم والمفاهيم الأبوية الإقطاعية لنظم حديثة متطورة تقوم فيها العلاقات الاجتماعية على أساس المشاركة والمساءلة والشفافية وإلا انفصلنا عن عصرنا وصرنا جزء من التاريخ الغابر كعاد وثمود.

إننا نشكر القوى السياسية التي شاركتنا في هذا المؤتمر وأشادت بما أنجزنا ونقول:

- لإخوتنا في النظام عندما لمسنا تغيراً في لغتكم واستعداداً لقبول الرأي الآخر قررنا نبذ العنف وترك السلاح والعودة للداخل دون أي ضمانات، نعم لم نعط أي ضمانات ولم نطالب بها أصلاً، إن المناخ الآن لا يسمح بالخداع والمناورة، فأجهزة الإعلام مسلطة والعالم كله مكشوف تحتها، لقد كان ضماننا الوحيد هو صدقنا وعزمنا وجديتنا فعدنا للنضال من الداخل من أجل السودان والإسلام والعروبة وإفريقيا، وكنا ولا زلنا نتطلع لاتفاق سياسي جاد لحل الأزمة السودانية. عدنا من أجل معان محددة واضحة هي: السلام العادل الذي فيه نزيل أسباب الحرب، والتحول الديمقراطي الذي فيه نزيل أسباب احتكار السلطة ونجعل الاحتكام للشعب: السيد فوق كل سيد، الحاكم فوق كل حاكم. إننا نعترف أن بالماضي أخطاء علينا إحصاؤها لتجنبها مستقبلاً، ولكن الحاضر والمستقبل يشداننا بصورة قوية وفورية للخروج

---

[242] سورة الأعراف الآية 175.

[243] سورة آل عمران الآية رقم (68)

من مفاهيم حكم احتكاري لمفاهيم حكم ديمقراطي يتساوى فيه الجميع بصورة تعطي كل ذي حق حقه في جميع المجالات حتى يعيش السودانيون أحراراً أخوة في بلادهم.

- ونخاطب الحركة الشعبية معلنين تجاوبنا مع غصن الزيتون الذي مد لنا ونقول في هذا الصدد إن من يمشي نحونا شبراً من أجل السلام والتحول الديمقراطي في السودان مشينا نحوه متراً.
- ونخاطب الأخوة في الحزب الاتحادي الديمقراطي بقيادة السيد محمد عثمان الميرغني وزملائه بأن هلم لنضع أيدينا فوق بعض للتمدد في مساحة الحرية الموجودة الآن في السودان لكي نفعلها ونوسعها حتى تبلغ مداها بالدرجة التي تكفل حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، فهذا مطلب أساسي لشعبنا ونحن مطالبون بالعمل لتحقيقه. ونوجه ذات الخطاب لجميع القوى السياسية الأخرى كما أسلفت في خطابي لها في أول أيام هذا المؤتمر.

ولا يفوتني هنا أن أشكر أجهزة الإعلام السودانية والخارجية وبصفة خاصة الصحافة السودانية التي طالما أشدت باستغلالها لمساحة الحرية المتاحة في بلادنا لصالح الوطن، أشكرها جميعاً على حسن تغطيتها الجادة والمسئولة لمؤتمرنا هذا.

أما أنتم أيها الإخوة المؤتمرون والمؤتمرات فأقول لكم جزاكم الله خيرا، فقد أجزتم دستور التحول للحزب المجتمعي اللامركزي، وأجزتم برنامج الوثبة الجديدة لبناء الوطن وكونتم الأجهزة المركزية ديمقراطيا، وفي هذا أشيد بهذا السلوك الديمقراطي المنضبط الذي مارستموه بجدية ومسئولية فرأى كل منكم بأم عينيه كيف كانت كافة الإجراءات سليمة وديمقراطية وشفافة وغير قابلة للطعن وأهنئ الذين نالوا ثقة المؤتمرين الغالية. وأقول لكم المطلوب منكم عند عودتكم أن تستكملوا تسكين الهيكل الولائي في جميع الولايات حتى يكون لدينا تكوين حزبي مكتمل إلى أن تأتي المؤتمرات الإقليمية. هذا التكوين ضروري لنكون مستعدين لأي عمل سياسي سيما إذا قامت انتخابات عامة، انتخابات عامة ضمن قانون انتخابات جديد ولجنة انتخابات محايدة، وحريات عامة مكفولة للجميع وغياب للأجهزة الأمنية ذات الصلاحيات التي تحصي على الناس أنفاسهم.

والمطلوب من إخواننا وأخواتنا في سودان المهجر تسكين الهيكل الذي أقره هذا المؤتمر استعداداً للمرحلة القادمة.

**هناك أربع مهام لا بد من إنجازها في المرحلة القادمة هي:**

- إكمال كافة الأجهزة والتكوينات الولائية على وجه السرعة لملء الفراغ القيادي بالولايات بعد عقد المؤتمرات الولائية.
- إكمال كافة التكوينات القطاعية ديمقراطياً وفق الهيكل الجديد حتى يكون حزبنا في ظرف الأشهر القليلة القادمة مستعداً لأي تحول سياسي انتخابي وليتمدد في المجالات التي أقرها هذا المؤتمر في سبيل التحول لحزب مجتمعي تنموي. وسيعمل الأمين العام المنتخب على تنسيق هاتين المهمتين.
- العمل على مشروع التمويل الذاتي الذي يقوم على شعبتين أساسيتين هما: الاشتراكات والاستثمار. ولكن إلى حين قيام هذا المشروع لا بد من قائمة مرحلية تعمل على تمويل ما قررتموه في هذا المؤتمر وإلا أصبح حبرا على ورق. وسيبذل الأخوة المعنيون جهدهم في هذا الصدد بمساعدتكم مثلما ما حدث بالنسبة لتمويل هذا المؤتمر.
- المهمة الأخيرة وهي الطواف العام عليكم في مختلف الولايات لنسمع منكم وتسمعوا منا، ونحن نلتزم به على أن تسبقه التكوينات الولائية حتى تكون زيارتنا تتويجاً لها.

في الختام أقول لكم: لقد أسرتموني بمواقفكم مني، إنني أعتبر هذا التأييد والحماسة التي أحطموني بها والثقة التي أوليتموني لها ليست لشخصي وإنما للمعاني والأهداف والقيم والمثل والمصالح التي رأيتم أننا نجسدها والتي أرجو ألا أحيد عنها وألا أتوهم في هذا الدرب بلوغ الكمال، فالكمال لله وحده، وكل بن آدم خطاء ولكن أملي أن ترجح حسناتي سيئاتي، وغاية ما أرجو أن أجد مثل ما قال المتطلع:

**تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما**

ولا أجد ماحياً للغرور ومانحاً للرجاء أفضل من دعوة الإمام المهدي: (اللَّهُمَّ إِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذُنُوبِي وَتَجَاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي وَسِتْرَكَ عَلى قَبِيحِ عَمَلِي، أطمَعَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لا أَستَوجِبهُ مِمَا قَصَّرْتُ فِيهِ، أَدعُوكَ آمِناً وَأَسأَلُكَ مُسْتَأنِساً فَإِنَّكَ المُحسِنُ إِلَيَّ، وَأَنَا المُسِيءُ إِلى نَفسِي فِيمَا بَيْنِي وَبَينَكَ، تَتَوَدَدُ إِلَيَّ بِنِعَمِكَ، وَأَتَبَغَضُ إِلَيكَ بِالمَعَاصِي، وَلَكِنَّ الثِقَةَ بِكَ حَمَلَتنِي عَلَى الجَرَاءَةِ عَلَيكَ، فَعُدْ بِفَضْلِكَ وَإِحسَانِكَ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَوابُ الرَحِيم).

إننا أخواني وأخواتي وضيوفنا الكرام نفتح بهذا المؤتمر صفحة جديدة، وأرجو أنا وزملائي الذين انتخبوا معي في الأجهزة المختلفة أن نجد منكم الدعم والسند بالصورة التي تحقق أهدافكم وتطلعاتكم وطموحاتكم حتى إذا عدنا في المؤتمر العام القادم شكرتمونا وقلتم لنا أحسنتم.

عودوا إلى أهلكم سالمين وبلغوهم سلامنا وتحياتنا الطيبة. والتزامنا بتنفيذ ما قررتموه في هذا المؤتمر. ونسأل الله أن يوفقنا في ذلك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

# إعلان القاهرة

في قاهرة المعز وعلى أرض مصر التي تشارك شعبنا المصير والتاريخ والجغرافيا والمصالح منذ فجر التاريخ التقى زعماء الحزب الاتحادي الديمقراطي وحزب الأمة والحركة الشعبية لتحرير السودان.ويأتي اللقاء وبلادنا تمر بمرحلة دقيقة وهامة في تاريخها المعاصر,وقد تناول الزعماء الوضع السياسي الراهن والأزمة الوطنية العميقة التي يمر بها السودان والفرصة النادرة لتحقيق السلام التي تمخضت عن التوقيع على برتوكول مشاكوس في يوليو من العام الماضي والذي حظي بسند داخلي وإقليمي وعالمي متعاظم.

وقد امتدت لقاءات الزعماء طوال يومي الجمعة والسبت 23-24 مايو الجاري وتوصلت للأتي:

1. **دعم مسيرة السلام العادل والشامل وضرورة تحقيق الإجماع الوطني:** آخذين في الاعتبار تجارب وعبر ودروس شعبنا الكبرى في يناير 1956 وأكتوبر 1964 وأبريل1985 واتفاق أديس أبابا مارس 1972 فإن السلام العادل والدائم والديمقراطية الحقيقية والمستدامة لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل إجماع وطني بين كافة القوى السياسية وبين أبناء شعبنا جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً ووسطاً,ولذا فإن الزعماء الثلاثة سيبذلون كل جهد ممكن لدعم مفاوضات الإيقاد المحلية وتحقيق الإجماع الوطني عبر مشاركة ودعم كافة القوي السياسية لأي اتفاق سلام قادم.
2. **إعلان مشاكوس والحل الشامل:** اتفق الزعماء الثلاثة علي أن برتوكول مشاكوس تضمن الكثير من العناصر التي إذا ما أحسن التعامل معها بإمكانها فتح فرص لبناء الإجماع الوطني والانتقال والتحول الديمقراطي الحقيقي وفي هذا فإنهم يؤكدون علي:

أ- تكوين الحكومة ذات القاعدة العريضة والمشاركة في كافة مستويات الحكم في المركز والإقليم وحتى أدنى مستوياته للقوى السياسية وبشكل فاعل.

ب- تؤدي مشاركة كافة القوى السياسية ومنظمات المجتمع المدني في صياغة دستور الفترة الانتقالية إلي تحول ديمقراطي حقيقي.

ج- يجب أن يؤدى عمل لجان الخدمة المدنية والقضاء وغيرهما التي نص عليها اتفاق مشاكوس غلي تحويل دولة الحزب الواحد إلي دولة الوطن الواحد.

د- قيام انتخابات عامة عبر رقابة دولية ولجنة انتخابات قومية مستقلة.

3. **وحدة السودان علي أسس جديدة:** أكد الزعماء أن الحل السلمي والاتفاق النهائي فرصة تاريخية نادرة لشعبنا للحفاظ علي وحدته عبر أسس جديدة وجاذبة كما جاء في برتوكول مشاكوس ,وفي هذا فإن الزعماء الثلاثة سبق وأن توصلوا إلي اتفاق حول القضايا المصيرية وعلي رأسها شكل الحكم وحق تقرير المصير,وعلاقة الدين بالدولة والتي تمت معالجتها في إعلان نيروبي 1993 ومواثيق اسمرا 1995 بطريقة تتيح الحفاظ على وحدة السودان عبر المساواة في الحقوق والواجبات الدستورية ؛ولذا فإنهم يرون بأن الاتفاق على قومية العاصمة التي تساوي بين كافة الأديان والمعتقدات فهو ضرورة لازمة للحفاظ علي وحدة بلادنا علي أسس جديدة,وأكدوا علي تمسكهم بكافة المواثيق التي وقعوها من وفي مقدمتها مواثيق اسمرا للقضايا المصيرية التي تتيح فرصة واسعة لوحدة بلادنا علي أسس جديدة الآن وفي المستقبل.

**4. العمل المشترك:**

اتفق الزعماء على التنسيق والتشاور بين حزب الأمة والتجمع الوطني الديمقراطي الذي يضم الحركة الشعبية لتحرير السودان والحزب الاتحادي الديمقراطي وبينهم بقية القوي السياسية السودانية.

إن الزعماء الثلاث يزفون البشري لأهل السودان بأن سعيهم للإجماع الوطني وما يحظى به من سند شعبي وتأييد إقليمي ودولي سوف يحقق أماني شعبنا في السلام العادل والتحول الديمقراطي الحقيقي.

**توقيع**

| | | |
|---|---|---|
| **السيد محمد عثمان الميرغني** | **السيد الصادق المهدي** | **الدكتور جون قرنق دي مابيور** |
| **رئيس الحزب الاتحادي الديمقراطي** | **رئيس حزب الأمة** | **رئيس الحركة الشعبية لتحرير السودان** |

**القاهرة في 24 /5/ 2003م**

**متابعة قطاع مصر وشمال أفريقيا**

بسم الله الرحمن الرحيم

## إعلان الخرطوم الداعم لإعلان القاهرة

أربعة عشر عاما من حكم الإنقاذ فاقمت أزمة الحكم في بلادنا إلى درجة انفراط العقد وتمزق وحدة البلاد. استبشر شعبنا خيرا ببرتوكول مشاكوس الموقع بين حكومة الإنقاذ والحركة الشعبية لتحرير السودان لتحرير السودان في يوليو 2003م.

انتظر شعبنا طويلا على رصيف الأمل راجيا أن ينجلي الليل الطويل بالتوقيع على الاتفاق.. وأن ترفرف رايات السلام.. ولكن هيهات.

ما زال التكتيك يغلب على الاستراتيجي.. والشعار يطغى على الهدف الحقيقي.

رغما عن ذلك وفي قاهرة المعز على أرض مصر، يتجدد الأمل، يبرق في سماء السلام "إعلان القاهرة" الموقع بين الحزب الاتحادي الديمقراطي.. حزب الأمة .. الحركة الشعبية لتحرير السودان.

**نحن أهل السودان ممثلين في أحزابه ونقاباته ومؤسسات المجتمع المدني:**

- نؤكد دعمنا اللا محدود والغير مشروط لإعلان القاهرة.

**وعلى ذات النهج والطريق، مستلهمين روح إعلان القاهرة نؤكد نحن الموقعين أدناه على الآتي:**

1- دعم مسيرة السلام العادل والشامل وضرورة خلق إجماع وطني حولها.

2- بروتكول مشاكوس يمثل مرتكزا يمكن أن تنهض عليه اتفاقية سلام شامل إذا ما أشركت فيه كافة القوى السياسية ومؤسسات المجتمع المدني.

3- ضرورة إشراك كافة القوى السياسية ومؤسسات المجتمع المدني في صياغة دستور الفترة الانتقالية.

4- تكوين حكومة انتقالية تشترك فيها كافة القوى السياسية في جميع مستويات الحكم.

5- تفكيك دولة الحزب الواحد وبناء دولة الوطن وفقا للترتيبات التالية:

أ) إعادة بناء مؤسسات الخدمة المدنية على أسس قومية وعلى الكفاءة العلمية.

ب) سيادة القانون واستقلال القضاء.

ج) قومية القوات النظامية وأجهزة الأمن.

د) حرية وديمقراطية الحركة النقابية.

ه) حرية وديمقراطية الصحافة والنشر.

و) حرية وديمقراطية وقومية أجهزة الإعلام المملوكة للدولة (الإذاعة والتلفزيون).

ز) حرية وديمقراطية واستقلالية الجامعات والمعاهد العليا.

6- قيام انتخابات حرة نزيهة بعد نهاية الفترة الانتقالية التي يتم الاتفاق على مدتها بين كافة القوى السياسية وذلك تأسيسا على مهام الفترة الانتقالية المطلوب إنجازها.

- نؤكد التزامنا بكافة المواثيق التي وقعها التجمع حول القضايا المصيرية وعلى رأسها شكل الحكم وحق تقرير المصير وعلاقة الدين بالدولة.

- نؤكد التزامنا بدولة المواطنة التي يتساوى فيها الجميع في الحقوق والواجبات. بذلك نؤكد ونشدد ونتواثق على ضرورة أن تكون العاصمة القومية تتساوى فيها كافة الأديان والمعتقدات والثقافات عاصمة لكل أهل السودان الوطن المتعدد الأديان والأعراق والثقافات.

نوقع
من أجل السودان الوطن الواحد..
من أجل تحقيق السلام والتنمية..
من أجل الحرية والديمقراطية..
من أجل عاصمة قومية..
من أجل أطفال السودان..
وليشهد التاريخ.. اللهم فاشهد.

## نص المنشور: مطلب الشعب السوداني

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**منشور من الإمام الصادق المهدي إلى جميع السودانيين**

**إلى أهل الوطن العزيز رجالا ونساء وأطفالا في مفرق الطريق الوطني إلى السلام العادل والتحول الديمقراطي الحقيقي.**

**يا أهلنا،**

لقد عقدنا مع نظام "الإنقاذ" نداء الوطن في نوفمبر 1999م. وكنا نريد لهذا النداء أن يصير وثبة وطنية تبرمج لمشروع سلام عادل وتحول ديمقراطي حقيقي وتلتف حوله كافة القوى الوطنية على نمط ما حدث في جنوب إفريقيا بعد مؤتمر الكوديسا الذي فتح الطريق أمام التحول العظيم.

وحقا وصدقا صفينا وجودنا الخارجي، ووضعنا السلاح، ونبذنا العنف، ودخلنا مع النظام في تفاوض جاد لتحقيق المطالب الوطنية المشروعة.

لم يبادلنا النظام حقا بحق، ولا صدقا بصدق، بل عاملنا بالمناورة، والمراوغة، وفي عملية هي من أفدح ما عرف في تاريخ السودان الحديث اعتبر الوكيل المندوب هو الأصيل المتجذر وابرم معه اتفاقا انخرط بموجبه في النظام، واعتبر أهل النظام هذا الانخراط الجزئي انخراطا لحزب الأمة، وألغوا بموجبه كل مجاهدات حزب الأمة وتضحياته واجتهاداته وثقله الجماهيري في أبلغ صورة من مشاهد الآية (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)سورة النمل الآية14.

رغم هذا الاستفزاز لم نغيّر من إستراتيجية العمل من أجل الحل السياسي الشامل المتفاوض عليه، بل حرصنا على الإستراتيجية بإلحاح ومثابرة أنجحتها وجعلتها مكان إجماع كافة القوى السياسية في السودان وقطعنا طريقا وعرا في مشوار فلاح وطني معالمه:

أولا: قمنا بحملة تعبوية شملت منابر عديدة ومواقع كثيرة داخليا وخارجيا بشرنا فيها بالحل السياسي الشامل وأوضحنا مرتكزاته وجمعنا الرأي حوله.

ثانيا: في إطار كيان الأنصار العريق قمنا بحملة تنظيمية إصلاحية هدفها نقل هذا الكيان الأوسع شعبية من أطر تقليدية ساهم بها في ظروف الماضي في صلاح الدين وفلاح الدنيا إلى أطر تستصحب الحداثة والمستجدات الاجتماعية على أساس لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال. حملة سوف يجني الدين والوطن منها ثمار بعث واستنهاض لكافة كياناتنا التقليدية تفعيلا لدورها في الحياة العامة وفي التسامح والتعايش بين الملل والمذاهب والاجتهادات.

ثالثا: حملة تنظيمية لحزب الأمة الذي كان الرقم الأول في التصدي للنظم الديكتاتورية، والرقم الانتخابي الأول في كافة الانتخابات العامة الحرة. حملة تنظيمية حققت طفرة في قومية حزب الأمة وديمقراطيته ومكنته من دراسة وتبني برنامج شارك في إعداده مئات الدارسين والمتخصصين.

رابعا: ورغم تغييبنا اتخذنا موقفا إيجابيا من محادثات السلام للدفع بها نحو النجاح في إطار المبادرة المشتركة ثم في إطار مبادرة الإيقاد.

وعندما تعثرت المبادرة المشتركة رغم ما أسهمنا به في إنعاشها وتقدمت مبادرة الإيقاد برافع دولي فعلها، دعمناها بإيجابية فاقت حماسة طرفي التفاوض فيها. وكنا ولا زلنا نقوم بالاتصال المباشر مع طرفي التفاوض، والوسطاء، وبالمشاركة في المؤتمرات والمنابر الدراسية داخل السودان وخارجه ندفع بقوة في سبيل اتفاق يحقق سلاما عادلا وتحولا ديمقراطيا حقيقيا.

خامسا: ظهر لنا بوضوح أن طرفي النزاع المسلح بعد أن اتفقا على بروتوكول مشاكوس في يوليو 2002م لن يتمكنا من التحرك بالمرونة التي يوجبها الحل الوسط مما جعل اللقاءات بعد إبرام البروتوكول حوارات عقيمة تقف في خانة: مكانك سر!!.
إن السلام العادل والتحول الديمقراطي هما مطلبان شرعيان للشعب السوداني ولكن الإقدام اللازم للاتفاق بشأنهما لن يأتي من داخل طاولة المفاوضات بل لا يرجى أن يصل التفاوض بينهما درجة اللقاء وجها لوجه.
هذا الموقف يعني أن الحسم نحو الاتفاق ربما جاء من مبادرات الوسطاء أو جاء من موقف وفاقي شعبي سوداني يدفع طرفي التفاوض نحوه . لذلك فكرنا منذ ديسمبر 2002م في مشروع التعاهد الوطني الذي تطرق لكل النقاط المختلف عليها وأحصاها عددا واقترح لها حلا وسطا.
بخصوص العاصمة جاء في مشروع التعاهد النص الآتي:

- عاصمة البلاد هي الخرطوم بحدود إدارية معلومة يتفق عليها وتمثل العاصمة الإدارية القومية وتخضع للقوانين المستمدة من الدستور الاتحادي.
- ولاية الخرطوم الحالية تختار لها رئاسة ولائية أخرى.
- الخرطوم الولاية تكون لها نفس حقوق الولايات الأخرى وتستثنى الخرطوم العاصمة القومية.

هذه الآراء هي من نوع الحل الوسط الذي لا بد منه في ظروف التفاوض، وقد طرحناها على كل القوى السياسية السودانية الحاكمة والمعارضة،استجابت الكثير من القوى السياسية للمبادرة بردود مكتوبة وكونت لجنة من تلك القوى لبحث الاتفاق النهائي، ولكن المؤتمر الوطني الحاكم والذي وعد بتقديم رده المكتوب لم يفعل حتى الآن، وما زلنا نجري اتصالاتنا لإبرام اتفاق شامل تتراضى عليه القوى السياسية السودانية.
سادساً: وفي مايو 2003م صدر إعلان القاهرة بين الزعماء السودانيين الثلاثة. جاء في هذا الإعلان بخصوص العاصمة النص الآتي: "ولذا فإن (الزعماء) يرون بأن الاتفاق على قومية العاصمة التي تساوي بين كافة الأديان والمعتقدات لهو ضرورة لازمة للحفاظ على وحدة بلادنا على أسس جديدة". هذا نص عام يفصله ما ورد بشأنه في وثيقة التعاهد الوطني.
وكالعادة انطلقت أصوات الحماسات العاطفية التي كالت للجميع الاتهامات ودبجت الإدانات.
صحيح أن ردود فعل الحكومة على الإعلان في البداية لم تكن هجومية إذ جاء الترحيب مضمرا تارة ومعلنا أخرى وانحصرت التحفظات حول الخشية من أن يكون العمل محورا جديدا ضد الحكومة حسب تصريح مستشار الرئيس السياسي، وكذلك الخشية من المطالبة بإشراك التجمع والأمة في الجولات القادمة حسب تصريح مستشار الرئيس لشئون السلام، أما الأمين العام للمؤتمر الوطني الحزب الحاكم فقد رحب برمزيات اللقاء وأضاف بان مضمون الإعلان لا يحمل جديدا، ثم فجأة تغيرت اللهجة وابتدأت حملة شرسة حول وضع العاصمة القومية، وحولت التحفظات السياسية إلى تحفظات فقهية من باب المزايدة.. ردة الفعل المتأخرة والهجمة من قبل النظام جاءت بعد مرور خمسة شهور على طرح مبادرة التعاهد الوطني الحاوية لنفس أفكار الإعلان، والجديد الآن أن حزب الأمة اتفق مع الحزب الاتحادي الديمقراطي والحركة الشعبية لتحرير السودان على تبني الحل الوسط الذي كان تقدم به من قبل، أما الحكومة وحزبها فقد ظننا أنها فرصة يمكن أن تستغل لنسف عملية السلام. ولو أن أهل النظام تفكروا لأدركوا أن ما جاء

من حل بشأن العاصمة متسق مع ما أبرموا من اتفاقيات وما شرعوا من دستور ففي تلك الوثائق ترد المعاني الآتية:
أ) فكرة التنوع القانوني والدستوري.
ب) فكرة المواطنة كأساس للحقوق والواجبات.
ج) فكرة المساواة بين الأديان في الأمور المشتركة بين المجموعات الوطنية.
وما دامت العاصمة رمز للجميع ومقام مشترك فلا غرابة أن تحظى بمعاملة قومية لا سيما وهذا الوضع ينسجم مع وحدة البلاد ويبطل الانفصال الذي تراه أغلبية أهل السودان مفسدة ودرء المفاسد شرعاً مقدم على جلب المصالح.
سابعاً: إن الإسلام دين تسامح واعتدال والخوض في واجباته السياسية يوجب التفقه والتدبر: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)- سورة محمد الآية 24. (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)- سورة الفرقان الآية 73.. المسلم يعلم أن قطعيات الوحي في الكتاب والسنة هي مرجعياته ولكنه كذلك يعلم أن عليه وهو يلتزم بالأحكام أن يراعي الحكمة، وأن يراعي مقاصد الشريعة، وأن يراعي ظروف الزمان والمكان.. فما معنى التشدد في الموقف إذا كان سوف يؤدي إلى نقيض مقاصد الشريعة؟. قال العز بن عبد السلام: "كل موقف يأتي بنقيض مقاصده باطل".
عندما وقع انقلاب 30 يونيو 1989م كنا على وشك عقد مؤتمر قومي دستوري في 1989/9/18م. وكانت أجندة ذلك المؤتمر يومئذ مكونة من أربع نقاط: علاقة الدين بالدولة- توزيع الثروة- لا مركزية الحكم- والمشاركة في السلطة.
ولكن النظام الجديد اتخذ نهجا جديدا ملتزما بسياسات حزبية إسلاموية ضيقة ومسميا الحرب الأهلية جهادا.
هذا النهج الحزبي الضيق خلق استقطابا داخليا، وإقليميا، ودوليا استفاد منه الطرف الآخر في الحرب الأهلية حتى أن زعيمه الذي كان في عام 1989م يعامل بسرية صار يعامل الآن "كرأس دولة". فيما يلي حصاد 14 عاما من سياسات نظام "الإنقاذ" في هذا الصدد:
أ- فيما يتعلق بعلاقة الدين والدولة قبل النظام الصيغة التي قررتها قوى المعارضة في مؤتمر أسمرا 1995م وهي اعتماد المواطنة أساسا للحقوق والواجبات الدستورية، واحترام الحريات الدينية، والاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية في البلاد.
ب- التوجه الإسلاموي العروبي الحزبي الذي اندفع فيه النظام غذى رد فعل جنوبي واسع فاتجه نحو تقرير المصير. لقد صار تقرير المصير لأول مرة في تاريخ السودان الحديث مبدأ ضروريا لاتفاقية السلام.
ج- في عام 1989م كان الحوار بين أطراف النزاع السودانية حوارا سودانيا سودانيا. لكن فجوة الثقة الواسعة التي خلقتها سياسات نظام "الإنقاذ" جرت إلى الساحة طرفا ثالثا –طرفا دوليا- مما أدى لتدويل القضية السودانية بصورة غير معهودة في تاريخ السودان ما بعد الاستقلال.
د- كانت جبهة القتال واحدة جنوبية شمالية، ولكن الآن صارت جبهات القتال ست بإضافة دارفور –الجبهة الجديدة- وصارت كل حدود السودان مع جيرانه خاضعة لقوات إما معارضة أو أجنبية!
خسر السودان ما خسر من أرواح وأموال عبر 14 عاما من التنطع والمكابرة، وفرّط النظام في جزء كبير من أراضي الوطن، وعرض النظام عبر تقرير المصير الذي أفرزته سياساته مصير

السودان لخطر التمزق، ووضعت سياسات النظام مستقبل البلاد في يد التدويل.. هذا كله بسبب غلو النظام في توجهاته الأيديولوجية وسياساته الحزبية.. إننا نحاول الآن إنقاذ ما يمكن إنقاذه. ولكن ها هي نفس العقلية التي أورثتنا الضياع تطل علينا بنفس النظرة المتحمسة بغير وعي.. النظرة التي إذا جاريناها لعرضنا البلاد لتمزّق أكيد ومزيد من التدويل البغيض.
ولو أن هؤلاء تفكروا هل العاصمة السودانية اليوم أقرب للإسلام أم في عام 1989م عندما قامت السلطة الجديدة؟ لأدركوا أنه مهما كانت القوانين في الدفاتر فإن النظام المصرفي اليوم أكثر ربوية منه في عام 1989م، وأن الزكاة اليوم تطبق بصورة أبعد عن الإسلام منها في عام 1989م لأنها اليوم محض جباية وثنوية ضريبية يرزح المسلم تحت وطأتها. أما من ناحية الأخلاق فلا أحد ينكر أن الذمة والأمانة اليوم أقل كثيرا مما كانتا في عام 1989م، وأن الشارع السوداني اليوم أكثر استهتارا خلقيا، ففي كل هذه الحالات الضرورة الاقتصادية التي خلقتها السياسات خلقت فقرا والفقر أخو الكفر. هذا علاوة على استغلال الدين لتثبيت السلطان، ورفع الشعار الديني غطاء للكسب الدنيوي، والتلاعب بالدين على غرار حفلات عرس الشهيد والعقد على الحور العين، وإعلان الجهاد بغير ضوابطه وشروطه، وابتداع صلاة الشكر والإجماع السكوتي، والبيعة البعدية وتعدد البيعات، وغير ذلك من الألاعيب، كل ذلك أدى للاستهتار بالدين وبالخطاب الديني لدى الكثيرين.
سابعا:الالتزام الإسلامي لا يكون مجردا من الظروف المحيطة بالمسلمين. فالتوجيه الإلهي يبدأ من (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) سورة آل عمران الآية 102 إلى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)سورة التغابن الآية 16.. وفي حالة الإكراه يجوز للمسلم أن يظهر الكفر (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ)- سورة النحل الآية 106.
وفي مكة كان التوجيه (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)- سورة النساء الآية 77. وفي المدينة كان القتال دفاعيا (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) سورة الحج الآية39، ولدى قيام الدولة الإسلامية العظمى في دمشق ثم بغداد صار القتال هجوميا، وأمام غزو التتار ظهرت فتاوى ابن تيمية الأكثر هجومية.
وهنالك ظروف جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يعطل الحدود –أي أثناء القتال- وجعلت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يعطّل حد السرقة كما في عام الرمادة. والنبي صلى الله عليه وسلم عقد مع أصحاب الملل الأخرى صحيفة المدينة، وفي ظروف أخرى أجلاهم عمر (رضي الله عنه) عن جزيرة العرب. وفي ظروف معينة أبرم النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين اتفاق الحديبية الذي انطوى على "تنازلات" أدرك النبي صلى الله عليه وسلم حكمتها التي فاتت على أكثر الصحابة. ومع ذلك، سمى المولى تعالى هذا الاتفاق فتحا جنا المسلمون ثماره.
نحن اليوم في ظروف وطنية بالغة الحساسية، وظروف إقليمية بالغة الخطورة، وظروف دولية بالغة النذر، والعمل على إيجاد حل وسط يضع حدا للحرب الأهلية أولوية وطنية وإسلامية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.
ثامناً: إن إنقاذ السودان من سياسات "الإنقاذ" التي أوصلته إلى ما هو عليه الآن من مخاطر التمزق والتدويل، بل إنقاذ "الإنقاذ" من نفسها يوجب العمل على إبرام اتفاق شامل يحسم كل النقاط المختلف عليها ويواجه الوسطاء والمتفاوضين بموقف شعبي موحد حول كل القضايا.
فبالإضافة لموضوع العاصمة هنالك أربع قضايا مختلف عليها:

- المناطق المهمشة وحولها خلاف. والحل الوسط هو أن تعامل كسائر المناطق المتأثرة بالحرب في كافة الحقوق والواجبات على أن يترك أمر مستقبلها لممثليها المنتخبين انتخابا حرا.
- وضع القوات المسلحة مختلف عليه في الفترة الانتقالية. والحل الوسط هو أن يجري عليها ما جرى في منطقة جبال النوبة من إعادة انتشار، ورقابة لوقف إطلاق النار، وتنسيق دفاعي انتقالي. هذا مع حل المليشيات وإيجاد سبل حياة بديلة لها. وضع القوات المسلحة الانتقالي ينتهي بنهاية الفترة الانتقالية. وفي هذا الأثناء يدرس برنامج الدمج وبرنامج الفصل للتطبيق بعد الاستفتاء.
- توزيع الثروات الطبيعية يكون على أساس ثلاثي بين المنطقة الحاوية وبين صندوق للتوازن التنموي لصالح المناطق الأقل نموا وبين الخزينة المركزية.
- الحكومة الانتقالية تقوم على أساس ثنائي لمدة عامين مع تمثيل رمزي للقوى السياسية الأخرى لضمان نزاهة الانتخابات. وفي هذا الأثناء تتكون لجنة قومية للدستور لتضع الدستور القومي. وتجري انتخابات عامة حرة لتأتي بحكومة ديمقراطية مساءلة.

.. هذا النهج الوسطي في حل نقاط النزاع يطبق على كل النقاط الوارد الخلاف عليها. من المؤسف أن المؤتمر الوطني وحكومته ظلا أسيران لشعارات فارغة ربطت الإسلام بالديكتاتورية والقهر والنهب والأحادية، وبقية أهل السودان ترى في الإسلام العدل والرحمة والصدق والأمانة والتسامح والاعتدال والحرية، وهذا خلاف أساسي بيننا وبينهم، يوجب على المؤتمر الوطني وحكومته مراجعة موقفهما حتى يتحقق الخير والسلام لأهل السودان.

ختام: لقد اندفع النظام وراء سياسات وإعلام يناقض روح التسامح والتطلع لحل وسط لا بديل له إن أردنا تحقيق السلام العادل والتحول الديمقراطي الحقيقي وأقام المنابر للأصوات المتشنجة التي تعتقد أن اختلاف الملة سبب كاف لإعلان القتال بل وتعتقد أن المسلم بنص القرآن يجب أن يكون إرهابي في فهم جهول لمعنى آيات القرآن وردة إلى عهود الطالبانية. لقد عكرت إجراءات الاعتقال والاستجواب والتضييق على الصحف، وحماقات الإعلام الجارية الآن المناخ السياسي في البلاد مما أجبرنا للقيام بحملة تعبئة داخلية وخارجية للكشف عن هذه النكسة لكل الأطراف المعنية واتهام النظام بأنه يتذرع بمسألة العاصمة ليخفي تنازله عن مشروع السلام العادل والتحول الديمقراطي حفاظا على مصالح ذاتية وحزبية يخشى زوالها. إن ما نسعى إليه هو اتفاق سياسي شامل لا يستثني النظام بل يشمله، ولكننا لن نترك مصير بلادنا لأهواء نظام تحركه مصالح ذاتية يقدمها على مصالح الدين والوطن.

إن أمر السودان أهم من أن يترك لتفاوض ثنائي ووسطاء دوليين. لذلك ينبغي أن نعمل لإبرام اتفاق شامل بين القوى الفكرية والسياسية والمدنية السودانية في فترة لا تتجاوز ثلاثة أسابيع من الآن. وفي هذا الأثناء، على حماقات النظام الحالية أن تتراجع، وأن يتم الإفراج عن المتعقلين السياسيين وتتاح الحريات الصحفية والعامة توطئة لتحقيق الاتفاق الوطني بمشاركة قومية.

هذا الاتفاق هو مطلب الشعب السوداني العادل والمشروع ومن شأنه أن يحقق إجماعا من تخلف عنه فقد عزل نفسه.. إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

أخوكم
الصادق المهدي
رئيس حزب الأمة المنتخب أبريل 2003م
وإمام الأنصار المنتخب ديسمبر 2002م

بسم الله الرحمن الرحيم

**كلمة المؤتمر الصحافي بعد زيارة دارفور**

**في الفترة من 23-25 يونيو 2004**

في بحر العامين الماضيين قام حزبنا بحركة دراسية وفكرية وتعبوية وتنظيمية واسعة للتصدي لمشكلة دار فور الكبرى وحرصنا على جمع المعلومات من أجهزتنا في الإقليم والمصادر الرسمية وغير الرسمية والمصادر الدولية.

ظلت مسألة دارفور في تصاعد منذ أن دعا الحزب فعاليات دار فور الفكرية والسياسية والأهلية في يونيو 2002م للتفاكر بداره حول المسألة وشارك في المجهودات القومية الساعية لتنوير الرأي العام السوداني بالمشكلة والعاملة لحلها فدعم لجنة محامي دارفور والمبادرة النسوية لمناصرة دارفور وهيئة تطوير دارفور. وأرسل وفدين من قيادات الحزب العليا المركزية للإقليم ودعا القوى السياسية في مارس 2003 وتمخض عن تلك الاجتماعات تكوين لجنة قومية لدارفور. ظلت المسألة في تصعيد وتطورت من مشكلة إلى أزمة فانفجرت الحرب في مارس 2003 ثم قدم الحزب بعد دراسة مستفيضة ورقة "مسألة دار فور" في أول ديسمبر 2003م، وفي 9 فبراير 2004 حددنا معالم الحل للأزمة.

ولكن النظام في نفس يوم مؤتمرنا بادر بتكوين لجنة سماها قومية وهي حزبية وقيد صلاحياتها. وبعد حوار طويل بيننا وبين النظام اتفقنا على تصور مشترك بيننا وبين المؤتمر الوطني في 12 مايو 2004م. ولكن هذا التفاهم لم يأت بجديد فظل حبرا على ورق، وواصل النظام علاج الأزمة في إطار سياساته المعهودة.

أما حزب الأمة فقد أنشأ غرفة عمليات في 9 مارس 2004م لمتابعة الوضع الإنساني المتردي بالنسبة للنازحين وحث المجتمع المدني السوداني والدولي والمشاركة معه في الإغاثات الإنسانية. وفي الفترة 20-22 نظم ورشة عمل أشرك فيها عناصر مؤهلة لتخرج بتصور للحل في دار فور الكبرى، وقررنا أن تعقب الورشة زيارة ميدانية للإقليم لتفقد الأحوال والاستماع للقوى السياسية الحاكمة والمعارضة، ولأجهزتنا هناك، ولزعماء العشائر، ولتفقد الحالة الإنسانية، وللدعوة لنبذ العنف، وتوحيد الكلمة من أجل حل اقترحنا بنوده. وقد تمت في الفترة 23-25 يونيو كما هو معلوم.

**زيارة الوفد**

شملت الزيارة ولايات دارفور الكبرى الثلاث ( شمال وغرب وجنوب دارفور )حيث شملت الزيارة حواضر الولايات :الفاشر، الجنينة ونيالا. واحتوت الزيارة في المدن الثلاث على لقاءات شعبية-زيارات لمعسكرات النازحين-ولقاءات بوفود المحليات -لقاءات مع المسؤولين في حكومات الولايات ولقاء مع قيادات الحزب الاتحادي بمدينة الفاشر. وأقام الوفد ندوتين في كل من الفاشر ونيالا.

**<u>تقييم الوضع في دارفور:</u>**

بعد الزيارة يحزننا أن نرى مشكلة دار فور تتدهور من مشكلة إلى أزمة والآن إلى كارثة سياسية وأمنية وإنسانية.

- من الناحية السياسية هنالك مواجهة بين قوى مسلحة غير نظامية مكونة من عناصر أغلبها عربية الانتساب ولكنها ليست تحت سيطرة القيادات القبلية المعروفة في غرب السودان،

وعدد كثير من أفرادها ينتمون لقبائل عربية غير سودانية،(يعتقد أن الحكومة تقف وراءها) في مواجهة قوى احتجاج مسلح (يعتقد أن عوامل خارجية تقف وراءها)وتتكون هذه القوى من قبائل غير عربية مثل الفور والمساليت والزغاوة، وهي كذلك تضم عناصر غير سودانية.

- هذه المواجهة مستمرة في تصاعد سريع وأعداد الأفراد والقدرات العسكرية للطرفين في زيادة مستمرة.
- إدارة النظام للمشكلة ثم الأزمة ثم الآن الكارثة أدت للتصعيد المستمر وإذا لم يحدث تغيير نوعي وجذري في أسلوب إدارة الكارثة فإن الاحتمال الراجح هو أن تتحول الحالة إلى حرب أهلية عرقية شاملة تخرب دارفور وتتعداها لبقية السودان لأن سكان دارفور منتشرون في كل أقاليم السودان،وتتعداها أيضاً إلى دول الجوار في أفريقيا الغربية والوسطى التي تشترك مع دارفور في مكوناتها السكانية.

وما لم يتحرك الجسم السياسي السوداني بسرعة وجدية لحسمها فإن الكارثة السياسية العسكرية والإنسانية في دارفور الكبرى سوف تتطور لحرب أهلية شاملة وتجر معها تدخلاً دولياً تحت الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة.

**<u>الشواهد والحقائق المؤكدة للمخاطر:</u>**

**أولاً: النازحين:**

- تنحصر الأغلبية الساحقة من النازحين في قبائل الفور والزغاوة والمساليت وتفوق جملة أعدادهم المليون ومائة ألف نازح موزعين على 26 معسكراً بالولايات الثلاث.
- تتفق روايات النازحين مع زعماء ومثقفي القبائل التي ينتمون إليها (وبعضهم ينتمي للحزب الحاكم) في أنهم يتعرضون لهجوم من الرعاة واستباحة لمزارعهم وأموالهم وإحراق للقرى وقصف بالطائرات وهجوم من قوات مسلحة غير نظامية تلبس زياً عسكرياً على ظهور الجياد والإبل وهم يعتقدون أن هذا العدوان استهداف لأرضهم وأموالهم وعنصرهم وأنه مدعوم من الحكومة أو من عناصر بعينها داخل الحكومة.

**ثانياً: فشل الحكومة في إدارة الأزمة:**

ومهما كانت صحة اتهام الحكومة أو عناصر فيها من عدمه فإن الاتهام محل إجماع هذه العناصر .ولكن مما لا شك فيه أن الحكومة فشلت في إدارة الأزمة وتسبب السلوك الآتي في ذلك الفشل:

1. الاستخفاف بحجم الكارثة والتأكيد المستمر إن سياسات النظام سوف تقضي عليها سريعا.
2. الحرص على الانفراد بالحل وتهميش دور القوى السياسية الأخرى.
3. التعتيم الإعلامي
4. التقلب السريع ما بين منطق القوة وقوة المنطق.
5. التستر الخطر على الحقائق. التستر الذي اتسمت به سياسات الحكومة وحتى أبناء الإقليم الذين سهلت الحكومة زيارتهم للإقليم في الفترة 22-26 مايو 2004م. هذا التستر من شأنه أن يضلل السلطات العليا. والدليل عليه بالنسبة لهذا التقرير الهام (التقرير مرفق) الذي وقع عليه 29 من أبناء الإقليم هو:

- تحدث التقرير عن حجم النازحين دون أن يبين أسباب النزوح ودون أن يتطرق لهوية هؤلاء النازحين، ويعطيك التقرير الانطباع أن قوة الاحتجاج المسلح هي التي سببت هذا النزوح.
- يتحدث التقرير عن إعراض أصحاب الشاحنات عن العمل في دار فور دون أن يذكر أن السبب هو وجود قوات الاحتجاج المسلح في كثير من المناطق خارج المدن. ففي الطريق إلى نيالا وحده صادروا أكثر من خمسين سيارة وقبل شهر صادروا كنفوي يحمل الوقود إلى نيالا.
- لم يذكر التقرير أبدا تنامي أعداد القوى المعادية عسكريا بينما يقول قائد عسكري مسئول أن تقديره أنها نمت من 10 ألف قبل عام في جملتها إلى 10 ألف في محيط نيالا وحدها الآن.
- لم يذكر التقرير من قريب أو بعيد الاتهام الذي يجمع عليه النازحون وزعماء قبائلهم وأبناؤهم المثقفون بأن الحكومة تقف وراء هذا العدوان، اتهامهم يتفاوت بين أن الحكومة تغمض عينها، إلى أنها منحازة للمليشيات المعتدية إلى أنها هي الموجهة لهم.
- لم يذكر التقرير المطلب العام من الجهات المعنية وهو التحقيق في الجنايات والمحاسبة للجناة.
- تحدث التقرير عن عودة النازحين إلى قراهم كأنها احتمال وارد بينما الصحيح هو أنه مع الظروف الحالية فإن عودتهم مستحيلة في الشهور القليلة القادمة.
- وكانت قمة التستر عندما يذكر أن الموقف في غرب دار فور "يبدو هادئا بولاية غرب دار فور لانحسار التمرد أو عدم تواجده بها".

هذا فيه تضليل مزدوج الأول أن التمرد هو الذي أدى للنزوح، والثاني أن الهدوء سببه انحسار التمرد بينما الحقيقة هي أن كل قرى المساليت قد هجرت وانحصر المواطنون في معسكرات نازحين أي أن الهدوء دليل على قمة سوء الحال.

**ثالثاً: المدن واقتصاد الحرب:**

المدن الرئيسية مختنقة وأمنها معتمد على حراسة عسكرية مكثفة، وأسواقها أسواق محاصرة لذلك ارتفعت أسعار المستهلكات فيها (كيلو اللحم في الجنينة ارتفع من ألفين جنيه إلى عشرة، وجالون البنزين في نيالا وصل إلى 12 ألف جنيه) وبقدر امتلاء المعسكرات صارت الأرياف خالية. هذه الظاهرة ليست عامة فكثير من محليات القبائل العربية الكبيرة كالرزيقات، والهبانية، وبني هلبة، والفلاتة ...الخ تعيش حياة عادية بل وتمنح مأوى لبعض النازحين.

**رابعاً: الغضب وقود للاحتجاج المسلح:**

الروح السائدة في معسكرات النازحين عدائية جدا وتشكل مصدرا مستمرا للاحتجاج المسلح، وروح الاحتجاج لا تقف عند النازحين بل تعم زعماء عشائرهم على أعلى المستويات.

**خامساً: تنامي قوة المليشيات:**

قوة المليشيات غير النظامية في الجانبين في تنام وزيادة وثقة زائدة بالنفس وإذا لم يوجد حل سياسي فإن المعارك القادمة ستكون أفظع من السابق.

صحيح أن الحكومة أعلنت سياسة لتجريد القوى غير النظامية المحسوبة عليها من السلاح ولكن الكثيرين يقولون أن الحكومة تعمل على التخلص منها شكلا بإخفاء هويتهم.

**سادساً: الكارثة الإنسانية:**

هناك كارثة إنسانية محققة قادمة إذا لم يجر تحرك واسع رسمي، وقومي، ودولي. عدد النازحين الآن هو مليون وزيادة. والعدد المسجل الذي تصله إغاثات الآن هو 20% من الجملة . والإغاثة المتوفرة لهؤلاء حتى سبتمبر القادم هذا وينبغي أن ندرك أن هذا المليون سوف يخصم من القوة المنتجة لعام قادم من الزمان مما يوجب الإعداد لهم إغاثة وخدمات. وعندما يأتي وقت العودة فالمطلوب توفير الأمن والتعويض لهم عن أموالهم الضائعة بالإضافة لجعل العودة جاذبة وينبغي منذ اليوم العمل الرسمي والقومي والدولي لزراعة مساحات في أقاليم السودان الآمنة لإغاثة هؤلاء النازحين. ويمكن أن تقتسم الحكومة المهمة مع المنظمات الدولية أن تتكفل المنظمات بالخدمات والأغذية المساعدة والحكومة بالقوت. مع ضرورة بحث مسألة الوقود فهذا المليون يضطر للاحتطاب من الأحزمة الواقية حول المدن مما يشكل خطرا على البيئة يزيد من حالها السيئ سوءا.

**سابعاً:هشاشة إجراءات وقف إطلاق النار**

هنالك اتفاق لوقف إطلاق النار مع أحد الحزبين المسلحين وهو اتفاق مصحوب بكثير من الشكاوي بالخرق المتبادل وسوف تدخل قوة أفريقية غربية للمراقبة ولكن صغر حجمها مع ظروف موسم الأمطار سوف يقللان من فاعليتها.

ومع ذلك فهناك بعض الصور الإيجابية ومنها أن القوى غير النظامية المنسوبة عربيا لا تمثل الكيانات العربية المعروفة في دار فور. بل هذه الكيانات تقول نحن محتاجون للتعايش مع كافة إثنيات دار فور وقد كان هذا رأينا. ووقفت هذه الكيانات موقفا وطنيا مسئولا ورفضت أن تستجيب لنداءات بعض أبنائها المهووسين للانخراط في الفتنة. هذا الموقف المسئول هو أحد إشراقات الموقف القائم الحالي.

**الموقف في الولايات الثلاث:**

الصورة بين ولايات دارفور تختلف من منطقة لأخرى:

**الفاشر:** كان انطباعنا أن الأوضاع هناك أقل سوءا حيث خلت الشكاوى من الإشارة للتصفية العرقية وكان وضع النازحين والإحصائيات أكثر دقة. أما الوضع الأمني في الفاشر فهي ومنذ ضربة الفاشر في مارس 2003م محاطة بسور رملي وخندق لمنع العربات الدخول إلا عبر بوابات معينة محروسة وتسري على المدينة كما على الجنينة ونيالا الأحكام العرفية وحظر التجمع ليلا. لم نسمع في الفاشر بتعديات أمنية بالغة.

**أما الجنينة:** فينعدم فيها الأمن وتكثر فيها المليشيات المنفلتة التي يرى الأهالي أنهم غير سودانيين وفدوا من شاد،وتكثر فيها روايات التصفية العرقية،والتعدي حتى على النازحين داخل معسكراتهم،بل والتعدي حتى على أعضاء الحزب الحاكم وممتلكاتهم دون أن يجرؤ أحد على التبليغ لدى الشرطة.

أما **نيالا:** فالأمر مختلف فهي أحسن حالاً داخل المدينة وإن وجدت حلقات غير آمنة خارج المدينة.والجنجويد هنا أكثر انضباطا منهم في غرب دارفور .والملاحظة الجديرة بالانتباه هي أن كثيراً من الإدارات الأهلية للقبائل العربية غير ضالعة في الجنجويد مثل الرزيقات (أغلبيتهم) والمعاليا والفلاتة والقمر والهبانية.

**<u>عاشراً: المطلوب الآن:</u>**

أزف الوقت لإجراءات حاسمة وحازمة من شقين:

**الشق الأول: إجراءات فورية لبناء الثقة تفاصيلها:**

1. الجهاز الإداري الحالي فيه صالحون وفيه آخرون ولكنه عموما صار متهما بسياسات ساهمت في خلق الكارثة. المطلوب تنحية الجهاز الإداري الحالي وتسليم المسئولية لأشخاص مؤهلين بالكفاءة والموضوعية والالتزام القومي.
2. تكوين آليات محايدة للقيام بالآتي:
3. تقصي الحقائق.
4. محاسبة الجناة.
5. تعويض المتضررين
6. تكوين لجنة قومية عليا رسمية شعبية لتنسيق الجهد الوطني والدولي للإغاثة الإنسانية في دار فور.
7. حصر عمل الدولة الدفاعي والأمني في القوات النظامية ودعمها لتتمكن من مهامها وإيجاد بدائل مدنية للقوات غير النظامية.
8. مراجعة حالة الأمن داخل معسكرات النازحين لضبطها داخل المعسكرات وفيما حولها.
9. اتخاذ خط إعلامي قومي متفق عليه يتسم بالشفافية ونبذ العنف والتصالح.

**الشق الثاني:المؤتمر القومي**

عقد مؤتمر قومي جامع على النحو المقترح لبحث الأجندة السباعية الشاملة واتخاذ القرارات اللازمة والتزام كافة الأطراف بها. لا مجال لأي تراخ لأن الحالة الكارثية متفجرة وسف تدفع نحو حرب أهلية طاحنة وتفتح الطريق لقوات دولية لحفظ السلام.
التحرك الفاعل الناجز في دار فور الآن أو الطوفان.

بسم الله الرحمن الرحيم
هيئة شؤون الأنصار



ورشة العمل تحت عنوان:
**نحو مرجعية إسلامية جديدة**
**متحررة من التعامل الإنكفائي مع الوافد من الماضي والتعامل الإستلابي مع الوافد من الخارج**
في الفترة ما بين 30 جمادى الآخرة – 2 رجب 1425هـ الموافق 16ـــــ18 أغسطس 2004م

**البيان الختامي**

بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله، وبعد-
استشعارا لحاجة المسلمين الماسة لنسيج فكري اجتهادي يوفق بين ضرورات التأصيل والتحديث ويحقق الحكم الراشد الذي تتضامن به الشعوب مع حكوماتها،
وإدراكا لأهمية الاجتهاد الجماعي المؤسسي وتجاوز الاجتهاد الفردي بالرغم من تقدير مجهودات الأفراد،
ووصولا لمرجعية فكرية إسلامية خالية من التعامل الإنكفائي مع الماضي والتعامل الاستلابي مع الوافد،
وإيمانا بأن الظروف العالمية الحالية برغم قسوتها البالغة على المسلمين تشكل فرصة سانحة حيث العالم يتشكل ويتأطر من جديد،
ونشدانا للنهضة الإسلامية الشاملة التي تنزع المسلمين من وهدتهم الحالية وتعيد الشعوب الإسلامية إلى صفحة التاريخ وتجعل لهم مستقبلا ذا جدوى،
وتأكيدا على أن كل ذلك لن يتأتى إلا عبر صحوة ثقافية تعيد لنا التجدد في الفكر والتوثب في المجتمع،
وتحضيرا لمؤتمر إسلامي جامع يشارك فيه المفكرون والعلماء المسلمون من جميع المشارب الفقهية والدول داخل وخارج العالم الإسلامي
نظمت هيئة شؤون الأنصار ورشة عمل تحت عنوان: نحو مرجعية إسلامية جديدة خالية من التعامل الانكفائي مع الماضي والتعامل الاستلابي مع الوافد، جرت فعالياتها في الفترة ما بين الاثنين 30 جمادى الآخرة- إلى الأربعاء 2 رجب 1425هـ الموافق 16-18 أغسطس 2004م، وجهت الدعوة فيها لكافة المجموعات العاملة في حقل العمل الإسلامي من جماعات وحركات وطرق صوفية، وكافة المنظمات الإسلامية في السودان والأفراد المهتمين بالفكر الإسلامي في السودان، ولقيادات الرأي العام السوداني من كتاب وإعلاميين. وقد قدمت في الورشة ورقة أعدها الإمام الصادق المهدي تتكون من 31 محورا أساسيا، وانعقدت لمناقشتها ست جلسات عمل قدمت فيها مداخلات رئيسية ومناقشات شارك فيها نخبة من العلماء والمفكرين والكتاب السودانيين، وقادة الهيئة وأعضاؤها رجالا ونساء.

انقسمت الورشة إلى مجموعات عمل لبلورة الرأي حول محاور الورقة، ثم تحولت إلى مجموعة عامة لتداول الرأي حول المؤتمر المزمع عقده والخيارات المطروحة حول الزمان والمكان والتمويل والحضور.

**وخلصت الورشة إلى التالي:**

**أولاً: فكرة المؤتمر:** ثمنت الورشة عاليا فكرة المؤتمر كما أكدت على ضرورة الاجتهاد الجماعي المؤسسي الذي يخرج بحدود دنيا للاتفاق ويتجاوز تفرق المسلمين الحالي. وأوصت بتكوين لجنة تحضيرية للمؤتمر تتكون من أعضاء للجنة التحضيرية للورشة والمشاركين في الورشة، للتحضير للمؤتمر بروية وبتخطيط سليم.

**ثانياً: المادة المقدمة في المؤتمر:** ثمنت الورشة الورقة المقدمة والجهد الذي بذل في إعدادها، ورأتها تصلح كأساس للمادة التي تقدمها الهيئة في المؤتمر الذي يزمع الخروج بمرجعية فكرية متجددة على أن تقوم اللجنة التحضيرية للمؤتمر بمراجعتها وفقا للتالي:

إعادة تبويب المحاور في شكل أبواب حاوية لمحاور تفصيلية

التوسع في بعض المحاور كما تقتضي الأهمية.

إضافة بعض المحاور التي لم ترد في الورقة مثل التعليم- الإعلام –الطفل- الصحة عامة بما فيها الصحة الإنجابية.

إدخال الملاحظات والإضافات على المحاور الواردة في الورشة بعد بت الرأي حولها.

إضافة مقدمة للورقة تحلل وضع المسلمين الحالي وتذكر أهمية المرجعية بشكل أكثر توسعا.

يحتوي كل محور على مقدمة تمهيدية تبدأ بتحليل السائد الفقهي الحالي والاختلافات حوله ثم تخلص إلى الفكر الذي يشكل مخرجا، وإلى خطة عملية في كل محور.

على أن تمد سكرتارية الورشة اللجنة بالتوصيات التفصيلية وكافة المداولات والإضافات والتعليقات التي دارت داخل الورشة.

**ثالثاً: خيارات انعقاد المؤتمر:**

**المكان** :ناقشت الورشة أهم الخيارات المتاحة حتى الآن لعقد المؤتمر وخلصت إلى أن أفضل الخيارات هي السودان (ويفضل أن يكون في أم درمان)، لاعتبارات كثيرة أهمها التأكيد على الدور الذي يلعبه السودان في العالم الإسلامي والعربي والإفريقي، ودور السودانيين الرائد في البعث الديني. وقد اطلعت الورشة على صعوبات عقد المؤتمر في الأوضاع الحالية وضرورة أن يتم انعقاده في جو من الحرية والديمقراطية وسيادة الحكم الراشد. كما اطلعت على الخيارات الأخرى وأكدت على ضرورة أن يعقد المؤتمر – إن تعذر عقده بالسودان- في بقعة حرة تتيح وبدون أية قيود كافة الوسائط الإعلامية والتعبوية المطلوبة.

**الزمان** :قدرت الورشة ضرورة البعد عن العجلة، والتأكيد على أن يشكل المؤتمر نقلة في العمل الإسلامي فلا يكون شبيها بالمؤتمرات الكثيرة التي تعقد في العالم الإسلامي اليوم والتي لا تزيد كثيرا عن كونها منابر علاقات عامة. وفي نفس الوقت رأت أن يتم تحديد زمان محدد لعقد المؤتمر، وألا يتجاوز ذلك العام المقبل (عام 2005) خاصة إذا انعقد بالسودان حيث يشكل ذلك عام الخرطوم عاصمة للثقافة العربية.

**التمويل** :اطلعت الورشة على خيارات التمويل المتاحة والجهات التي عرضت تمويل المؤتمر، كما اطلعت على مجهودات اللجنة التحضيرية التي شرعت في إعداد ميزانية للمؤتمر، ورأت أن التمويل الذاتي للمؤتمر أفضلية ولكن ذلك قد يستغرق زمنا طويلا، كما رأت أن يفتح التمويل لكافة

الدول والمنظمات التي تبدي استعدادا للتمويل بشرط عدم التدخل في التوجهات، وأن يكون التمويل متعدد المصادر متوازنها، كما رأت أن يفتح الباب للتمويل الفردي للمساهمين.

**رابعاً: المشاركون في المؤتمر:** رأت الورشة أن معايير اختيار المشاركين في المؤتمر هي:

التخصص في المجالات الشرعية والحديثة المختلفة.

مراعاة تمثيل المدارس الإسلامية المختلفة في كافة الفصائل السنية والشيعية والصوفية والحركية.

وتمثيل كافة القيادات الفكرية في العالم الإسلامي عامة.

الاعتدال والإيمان بفكرة تجميع المسلمين والوصول لمرجعية إسلامية متجددة.

كما خرجت الورشة بالعديد من قوائم العلماء والمفكرين المقترحين من قبل المشاركين لتقدم للجنة التحضيرية للمؤتمر كإسهام في إعداد القائمة النهائية.

**خامساً: الإعداد للمؤتمر:** رأت الورشة أن تقوم اللجنة التحضيرية بتكوين آلية للاتصال والتنسيق مع المشاركين المقترحين وتأكيد استعدادهم للمشاركة في بلورة المرجعية المتجددة ومتابعة مشروع النهضة الإسلامية المنبثق عنها. كما رأت أن تقوم اللجنة بإجراء دورات تدريبية لإعداد السكرتارية العاملة في المؤتمر. وأكدت على ضرورة التخطيط لآلية المتابعة المستقبلية منذ الفترة الإعدادية.

إن هيئة شؤون الأنصار إذ تعلن عن هذا البيان، تعبر عن عظيم امتنانها لكافة ممثلي التيارات الفكرية والحركية والصوفية، وكافة المفكرين والعلماء والكتاب والإعلاميين وقادة الرأي الذين حضروا الورشة وأثروها بنقاشهم، وصولا لبلورة المرجعية الإسلامية المتجددة بإذن الله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

**والله أكبر ولله الحمد.**

هيئة شؤون الأنصار - البقعة المباركة في الأربعاء 2 رجب 1425هـ - الموافق 18 أغسطس 2004م

**خطاب للرئيس النيجيري أوليسون أوباسانجو**
**بسم الله الرحمن الرحيم**

**22 أغسطس 2004م**

**صاحب الفخامة الرئيس أوليسيغن أوبا سانجو**

**رئيس الاتحاد الأفريقي**

أخي العزيز.. إننا نقدر لك جهودك المضنية التي تبذلها لمساعدة السودان.
يواجه السودان مشاكل إنسانية وأمنية ضخمة الأبعاد، لا سيما في إقليم دارفور بغرب البلاد.
ويحمل الوضع على أرض الواقع في أحشائه مخاطر على أمن وطمأنينة أكثر من مليون نازح داخل السودان ولاجئ في المعسكرات خارج السودان.
**ثانياً:** يمكن للوضع في أقاليم دارفور الثلاثة أن يخرج عن السيطرة محولا مجموعتين اثنيتين سودانيتين ضد بعضهما في تطور غير مسبوق بالأقاليم.
**ثالثاً:** مع حقيقة وجود قبائل مشتركة في السودان مع جيرانه في الغرب فإن أزمة دارفور ستلقي بانعكاساتها عابرة لحدود البلاد الغربية.
**رابعاً:** نسبة للفهم السائد للأزمة في دارفور فهناك إمكانية للخلاف بين الاتحاد الأفريقي والجامعة العربية.
**خامساً:** ونسبة لاستمرار المأساة الإنسانية ومسؤولية مجلس الأمن تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة ونسبة لاحتمال أن تتخذ الحكومة السودانية موقفا سلبيا تجاه قرارات الأمم المتحدة فهناك احتمال نشوء نزاع بين الحكومة السودانية ومجلس الأمن.
**سادساً:** الأسباب الجذرية لمشكلة دارفور توجد في أقاليم أخرى في السودان "غياب المشاركة السياسية والتنمية الاقتصادية... الخ" وإذا ساد نهج استخدام القوة كوسيلة للحصول على الحقوق فسيكون هناك دائما احتمال حدوث نفس الانفجار في أماكن أخرى.
لا شك أن النظام الحالي أساء إدارة أمور دارفور ففاقم المشاكل القديمة وخلق أخرى جديدة. ولما رفعت حركة العدل والمساواة وحركة تحرير السودان السلاح استجابت الحكومة السودانية بسياسة طائشة فسلحت وحرضت مليشيات من بعض الإثنيات المخالفة. ومهما كانت نوايا الحكومة السودانية فإن بعض المليشيات كانت لها أجندة بعيدة المدى، بلغت ذروتها في فظائع انتهاكات حقوق الإنسان التي وقعت على المدنيين عامة ومن قبائل معينة على وجه الخصوص.
ومن حق الحكومة السودانية أن تدحض أي تهديد مسلح للقانون والنظام ولكن الحكومة السودانية فشلت في توسيع المشاركة القومية واتجهت لإستراتيجية عسكرية غير حكيمة وحاولت تغطية المأساة الإنسانية المترتبة على ذلك. واستمرت الحكومة السودانية في النظر لاهتمام الرأي العام العالمي واهتمام مجلس الأمن الناتج عنه على أنه نوع من المؤامرة.
وقعت الحكومة السودانية وثيقة مع الأمين العام للأمم المتحدة آملة أن تبيض صورتها السالبة بينما تحرص الأمم المتحدة على نتائج ترضي الضغط العام المحتشد.
وقعت الأمم المتحدة والحكومة السودانية اتفاقية أخرى غير حكيمة في 5 أغسطس 2004م ذلك أن ما يمكن تصوره كمناطق آمنة قد يكون هو أكثر ما يخشاه النازحون.

وإذا تركتا وحيدتين فإن التزامات الحكومة وتوقعات مجلس الأمن ستراوحان مكانهما.
بالسودان منظمات مجتمع مدني ومجتمع سياسي متطور ومع ذلك فقد استبعدته الحكومة السودانية في سياساتها تجاه دارفور بصورة كبيرة وهذا غير منطقي على ضوء حقيقة أن حزبنا -حزب الأمة- كسب 34 مقعدا من جملة 39 مقعدا في دارفور في آخر انتخابات عامة حرة أجريت في 1986م.
وعبر سلسلة من المذكرات والمبادرات الوطنية حاولنا خلال العامين الماضيين تغيير سياسات الحكومة السودانية المأساوية دون جدوى.
لا تستطيع الحكومة السودانية ولا القوى الإقليمية ولا المجتمع الدولي تجاوز المجتمع السياسي السوداني.
ولتفادي الأخطار الستة الواقعة والمحتملة التي ذكرناها فإننا نقترح معالجة بديلة وهي:

1. تطبيق برنامج عاجل ذي ثلاث نقاط:
   أ- إصلاح إداري شامل في ولايات دارفور الثلاث لاستبدال الولاة الحاليين بطاقم جديد يختار على أسس قومية مع مراعاة الكفاءة والقبول القومي.
   ب- لجنة محايدة لتقصي الحقائق ذات صلاحيات. من الضروري التحري حول انتهاكات حقوق الإنسان وتحديد مرتكبي تلك التجاوزات وتقييم حجم الضرر وإيجاد سبل ووسائل لتعويض المواطنين المتضررين.
   ج- جسم قومي أعلى لتنظيم الإغاثات.
2. يجب أن يضمن الجيش السوداني حماية المدنيين وأن يمكن من فعل ذلك.
3. المؤتمر القومي:

يجب عقد مؤتمر قومي كامل التفويض لإيجاد حل جذري للمشكلة على النحو التالي:

**الأجندة:**

يناقش المؤتمر الأسباب الجذرية للمشكلة لاقتراح الحلول الممكنة تحت المحاور التالية:

1. المحور السياسي.
2. التنمية الاقتصادية.
3. الخدمات الاجتماعية.
4. القضايا الإدارية.
5. المسألة القبلية والإدارة الأهلية.
6. القضايا الأمنية.

**التكوين:**

الشركاء السودانيون:

- الأحزاب السياسية التي كانت ممثلة في آخر برلمان ديمقراطي منتخب في الانتخابات الحرة في 1986م.
- الحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان.
- حركة/ جيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة.
- شخصيات مؤهلة سياسيا وأكاديميا واقتصاديا من مثقفي دارفور داخل وخارج السودان.
- ممثلون لزعماء القبائل.

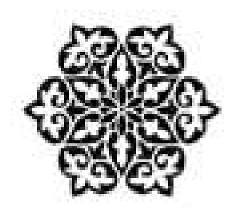
المراقبون والدوليون:
الاتحاد الأفريقي – الجامعة العربية- الأمم المتحدة ودول مختارة مثل: شاد- ليبيا- أفريقيا الوسطى- نيجريا- مصر.
المكان: أية دولة محايدة يتفق عليها.

**ختاما:**

إن الأوضاع السودانية حبلى بالانفجارات الداخلية والخارجية، وهي تستدعي مدخلا قوميا لمخاطبتها.
مدخل تبلور في تكوين حكومة قومية قادرة على خلق مناخ قومي جديد. لقد ظللنا ندعو باستمرار القوى السياسية السودانية بما فيها الحكومة السودانية لذلك.
إننا نتطلع لمساعدة الاتحاد الأفريقي والمجتمع الدولي للشعب السوداني ليساعد نفسه.

**مخلصكم**
**الصادق المهدي**
**رئيس وزراء السودان المنتخب أبريل 1986م**
**رئيس حزب الأمة المنتخب أبريل 2003م**
**إمام الأنصار المنتخب ديسمبر 2002م**

**صورة للأمين العام للأمم المتحدة**
**صورة لحكومة السودان.**
**صورة للقوى السياسية.**



# المراجع


1. الصادق المهدي، كتاب العودة: من تهتدون إلى تفلحون، 2000م.
2. الصادق المهدي، ميزان المصير الوطني في السودان، 2010م.
3. الصادق المهدي، خطابات داخلية لقيادات حزب الأمة في تواريخ مختلفة.
4. الصادق المهدي، نحو مرجعية إسلامية متجددة، 2004م
5. الصادق المهدي، حقوق المرأة الإنسانية والإسلامية، 2006م
6. الصادق المهدي، نحو مشروع قومي للفن التشكيلي، مارس 2003
7. الصادق المهدي، نحو مشروع قومي للرياضة، مارس 2003م
8. الصادق المهدي، خطب متفرقة في الأعياد والجمع، مقالات، دراسات، ومنشورات في الفترة 2000- 2004م
9. الطيب محمد الطيب الشعر والمدائح بين يدي الإمام عبد الرحمن، في يوسف فضل، محمد إبراهيم أبو سليم، الطيب شكاك الإمام عبد الرحمن المهدي، مكتبة مدبولي
10. رباح الصادق، الاختراق والانسلاخ في حزب الأمة 2002م
11. صالح عبد القادر صالح قراءة في المذكرة الأربعينية الرأي العام في 2002/7/23م
12. عبد الرحمن الصادق، تجربة العمل العسكري في حزب الأمة، ورقة مقدمة للرباط الإستراتيجي، حزب الأمة، 2008
13. عبد الرحمن الغالي، حتى لا تكون فتنة، إعلان القاهرة: دحض الأباطيل، 2003م
14. عبد الرحمن الغالي تجربة برنامج حزب الأمة في محوري الدين والثقافة، ورشة إعداد برنامج الحزب السياسي، معهد أبحاث السلام بجامعة الخرطوم بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة الإنمائي. أبريل 2004م
15. عبد الماجد عليش، أولاد الترابي
16. فيصل عبد الرحمن علي طه **الحركة السياسية السودانية والصراع المصري البريطاني بشأن السودان 1936-1953م** دار الأمين- القاهرة- 1998م.
17. محمد المكي إبراهيم، فقه الذبائح في الخرطوم، يوليو 2002م
18. رئيس حزب الأمة القومي السيد "الصادق المهدي" لـ(المجهر) (2/1)، المجهر السياسي، 11 نوفمبر 2016م
19. محمد عبد السيد، مقال نشر في الأيام- الصفحة الأخيرة – 21 أغسطس 2002م.
20. جريدة أخبار اليوم في 13 يوليو 2002م
21. البيان الإماراتية بتاريخ 14 يوليو 2002م
22. البيان الإماراتية – العدد 11 سبتمبر 2002م
23. نهار وصف القرار بالعشوائية والديكتاتورية، صحيفة الصحافة، تقرير إسماعيل حسابو، 18 أغسطس 2003م

24. مجموعة الفاضل تتهم مسئولين حكوميين بمساندة المنشقين، صحيفة البيان الإماراتية، أغسطس 2003م
25. صحيفة الشرق الأوسط، 11 ديسمبر 2004م
26. صحيفة الخليج في 7 أكتوبر 2004م
27. محضر اجتماعات اللجنة المشتركة، إس إم سي، 11 أكتوبر 2004م
28. حزب الأمة الإصلاح والتجديد يقيل ثلاثة من أعضائه يشغلون مناصب وزارية في الائتلاف الحكومي، الشرق الأوسط، 11 ديسمبر 2004
29. عثمان ميرغني، شر البلية ما يضحك، 13 ديسمبر 2004م
30. الرأي العام، في 2005/9/19م
31. أخيراً.. نائبه ومدير مكتبه: مبارك يفقد أسنانه- صحيفة الرأي العام 19 سبتمبر 2005م
32. صحيفة الحياة بتاريخ 21 فبراير 2001م، العدد 13857.
33. محضر اجتماع الإمام الصادق المهدي بالفنانين التشكيليين السودانيين في 31 يناير 2003م
34. تقرير المؤتمر العام لحزب الأمة، مايو 2003م
35. حزب الأمة، كلمة رئيس الحزب في اجتماع المكتب السياسي الأول بتاريخ 6 مايو 2003م
36. حزب الأمة، تقرير حول ما خلص إليه الاجتماع الخاص بمشروع الإجماع الوطني الذي قدمه حزب المؤتمر الوطني، 28 يوليو 2003
37. كتاب أدبيات الحل السياسي، حزب الأمة، 2002م
38. وثائق المؤتمر الرابع – منشورات الأمة- 1998م- والبيان الختامي لورشة التنظيم- 10 يوليو 2000م
39. تقرير حزب الأمة حول زيارة ولايات دارفور، يونيو 2004م
40. بيان من المكتب الخاص للإمام الصادق المهدي، 28 يوليو 2003
41. بيان صحفي من المكتب الخاص للإمام الصادق المهدي بتاريخ 1 أكتوبر 2003
42. بيان صحفي من المكتب الخاص للإمام الصادق المهدي بتاريخ 17 مايو 2003م
43. بيان صحفي من المكتب الخاص للإمام الصادق المهدي بتاريخ 19 مايو 2003م
44. صحيفة أخبار اليوم الصادرة يوم 23 مايو 2004م.
45. ندوة واشنطن، 5 سبتمبر 2004م، تلخيص أبو هريرة زين العابدين
46. البيان في 16 يناير 2003
47. موقع الأمم المتحدة، قرارات مجلس الأمن الخاصة بالسودان
48. History of Senator John Danforth as Envoy for Peace in Sudan, Fact Sheet, Released by the Office of the Press Secretary, The White House, Washington, DC, May 14, 2002
49. President's Speech https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2002/02/20020207-1.html

US Policy to End Sudan's War – CSIS, Report of the CSIS Task Force on U.S.-Sudan Policy, Co-chairs: *Francis* M. Deng and J. Stephen Morrison, Feb. 2001 .50
Human Rights Situation is Sudan, April 2003. Umma Party .51
Sanusi Lamido Sanusi, Institutional Framework of Zakat: Dimension and Implications, http://www.gamji.com/sanusi/sanusi.htm .52
Sanusi Lamido Sanusi, Basic Needs and Redistributive Justice in Islam--The Panacea to Poverty in Nigeria, 2001, http://www.gamji.com/sanusi/sanusi.htm .53
Ali A. Mazrui, Shariacracy and Federal Models in the Era of Globalization: Nigeria in Comparative Perspective, a papil for the conference Restoration of Shariah in Nigeria: Challenges and Benefits, April 14, 2001 (http://\trww.gamji.com l6'8.01). .54



# تراجم الأعلام

**أبيل ألير كوي،** (ولد 1933م) مولانا، قاضي سابق وسياسي جنوبي، كان من قيادات جبهة الجنوب في عهد الديمقراطية الثانية، وصار نائباً لرئيس السودان ورئيس أول حكومة للجنوب بعد اتفاقية أديس أبابا 1972م. نصب رئيساً للمجلس الانتقالي العالي (الفترة الأولي من 6 أبريل 1972الي فبراير1978م، والفترة الثانية من 30 مايو 1980 إلي 5 أكتوبر1981)، عمل مستشارا قانونيا لمنظمات إقليمية ودولية، ومستشارا في مفاوضات سلام نيفاشا 2005م، بعدها اختير رئيسا لمفوضية الانتخابات التي أجرتها حكومة (الإنقاذ) في 2010م.

**أبو قرون عبد الله أبو قرون** (ولد 29مارس 1940)، اللواء (م)، عسكري سابق، شاعر، من مواليد العباسية، تخرج مع الكلية الحربية في 1963م، شغل منصب مدير العمليات الحربية، وأحيل للمعاش بعد انقلاب الإنقاذ في 1989م، له العديد من القصائد المغناة أشهرها (عزة وعزة)، كما له ديوان (نغم على سطح خندق) كما أسس فرقة ود سعد التي ألف ولحن لها العديد من الأناشيد في تخليد أبطال المهدية.

**أحمد عبد الحليم محمد، الدكتور، السفير** (15 أبريل 1933- 19 مارس 2005) خريج جامعة الإسكندرية 1958 من الناصريين المشاركين في الانقلاب المايوي، تقلد عدة مناصب العهد المايوي منها وزير الثقافة والإعلام 1975م، ومناصب قيادية في الاتحاد الاشتراكي ومجلس الشعب المايوي، من المايويين الذين اعتقلوا عقب انتفاضة أبريل 1985م. بعد انقلاب الإنقاذ صار مستشار رئيس الجمهورية للتنمية الاجتماعية 1989م، ثم سفيراً للسودان بالقاهرة حتى وفاته. له العديد من الإسهامات الأكاديمية والدراسات.

**أحمد عبد الرحمن المهدي،** (ولد 1935م)، تقلد منصب وزير الداخلية إبان الديمقراطية الثانية، تعاون مع نظام مايو حيث قلده النميري إمامة الأنصار، وسلمه قبة المهدي المصادرة في 1982م. تكرر نفس الشيء بعد قيام نظام الإنقاذ إذ صودرت قبة المهدي من هيئة شؤون الأنصار في 1993م ثم سُلمت له في 1999م. بعد انتخاب الأنصار للإمام الصادق المهدي في المؤتمر العام الأول لهيئة شؤون الأنصار في 2002م تمسك بإمامته.

**أحمد ود سعد** (1243هـ/1827م- 1926م) شاعر المدائح النبوية الشهير وهو من الجعليين السعداب، كان الشاعر الأمير محمد ود التويم تلميذا له وقد سبقه باتباع المهدي. لا زالت مدائحه النبوية والمهدوية من أبدع المديح الباقي.

**آدم موسى مادبو، (ولد 1942م)** دكتور، مهندس معماري وسياسي بارز.من قيادات حزب الأمة منذ ستينات القرن العشرين، وذلك قبل تجميده لعمله داخل الحزب في فبراير 2009 احتجاجاً على مخرجات المؤتمر العام السابع، تقلد منصب وزير الدفاع (1967-1968م) إبان الديمقراطية الثانية وكان أصغر وزير حينها (25 عاماً)، وانتخب في الأمانة الخماسية للحزب في 1986م، وتقلد عدداً من الحقائب الوزارية خلال الديمقراطية الثالثة. كان رئيساً للمكتب السياسي للحزب في التنظيم الانتقالي (2000-2003م)، وعين ثم انتخب نائباً لرئيس الحزب (2003م-2009).

**أرنولد توينبي** (1889-1972) المؤرخ البريطاني الشهير، وأشهر أعماله قاطبة كتابه ذو الاثني عشر مجلدا (دراسة التاريخ) نشر ما بين عامي 1934 و 1961م. ويعتبر كتابا موسوعيا في تاريخ العالم.
**أروك طون أروك (ت ١٢فبراير ١٩٩٨م) العميد، عسكري وسياسي جنوبي، كان ضمن الضباط** بالقوات المسلحة الذين كونوا مع العقيد د. جون قرنق والحركة الشعبية لتحرير السودان في 1983م، اختلف مع الحركة وكان ضمن الذين وقعوا اتفاقية الخرطوم للسلام في أبريل 1997م وعاد للخرطوم، ولقى حتفه بعدها بعام في حادثة طائرة الناصر الغامضة التي توفي فيها كذلك نائب رئيس النظام حينها اللواء الزبير محمد صالح.
**إسماعيل الأزهري(1900-1969م)** رئيس حزب الأشقاء داخل مؤتمر الخريجين ثم رئيس الحزب الوطني الاتحادي المكون في 1952م، رئيس وزراء السودان(1954-1956م)، ورئيس مجلس السيادة في الفترة (1965-1969م).
**التجاني سيسي، الدكتور** (ولد 31 يناير 1955م) زالنجي، ابن الدمنقاوي (سيسي محمد اتيم) وهي اعلى سلطة أهلية بإدارة الفور، يحمل دكتوراة في الاقتصاد، تولي حكم دارفور (1988-1989م) في حكومة الديمقراطية الثالثة، كان قياديا بحزب الأمة، لاحقاً في 2006م صار رئيس حركة التحرير والعدالة نصب رئيسا لسلطة دارفور الإقليمية بعد توقيعه في 18 مارس 2010م لاتفاق إطاري مع حكومة الإنقاذ.
**التجاني يوسف بشير** (1912-1937م) أحمد التجاني بن يوسف بن بشير بن الإمام جزري الكتيابي، الشاعر السوداني المعروف، فصل من المعهد العلمي بأم درمان، وأصيب بداء الصدر وبالمعاناة النفسية حتى مات في غض الشباب، له ديوان إشراقة.
**الحاج وراق سيد أحمد** ولد في 2 يناير 1960م برفاعة، درس برفاعة الشرقية الابتدائية، ثم رفاعة الأميرية الوسطى، ثم رفاعة الثانوية، تخرج من كلية الاقتصاد جامعة الخرطوم 1984م، وفي الجامعة انتمى للجبهة الديمقراطية ثم الحزب الشيوعي، في 1995م خرج عن الشيوعي وأسس حركة القوى الحديثة الديمقراطية (حق) بالداخل، ثم انشق معها عن الخارج بقيادة المرحوم الخاتم عدلان في 2000، لاحقا استقال واعتزل الانتماء الحزبي. في 2001م أسس وكان المدير العام لصحيفة الحرية وكاتبا بها، ثم كاتبا بصحيفة الصحافة، في 2008م كان من مؤسسي صحيفة أجراس الحرية وكاتبا بها ورئيسا لهيئة تحريرها، وقد تعرض للعديد من المضايقات بحجب عموده ومقاضاته وإيقاع أحكام بالغرامات الطائلة والسجن عليه فغادر البلاد إلى السويد حيث أسس صحيفة حريات الإلكترونية في 2010، ثم انتقل لكمبالا ثم القاهرة حيث يقيم منذ 2013م. له العديد من المؤلفات.
**الصديق عبد الرحمن المهدي** (الإمام) (1911-2 أكتوبر 1961م). خريج كلية غردون قسم الهندسة، أول رئيس لحزب الأمة انتخب في 1949م، بويع إماماً للأنصار بعد وفاة والده الإمام عبد الرحمن المهدي في مارس 1959م. قاد مقاومة انقلاب عبود وكان رئيس الجبهة الوطنية المتحدة. توفي إثر علة قلبية بسبب حوادث المولد 21 أغسطس 1961م.
**الهادي عبد الرحمن المهدي، (1918- 31 مارس 1970م)**، الإمام، تولى إمامة الأنصار خلفاً لأخيه الصديق المهدي في أكتوبر 1961م، تصدى للنظام المايوي الذي ارتكب مجزرة الجزيرة أبا في 27 وحتى 31 مارس 1970 ومجزرة ودنوباوي وقتل فيهما مئات الأنصار. أزمع الهجرة شرقاً حينما أسر بالكرمك وقتل مع الخال محمد أحمد مصطفى والملازم سيف الدين الناجي. ولم يعرف مكان دفنه إلا في عام 1987م حيث تم نقل رفاته في موكب مهيب ودفن بقبة الإمام المهدي.
**البابا جيمس سرور** (21 نوفمبر 1930- 17 أغسطس 2014) ولد في منقلا بالاستوائية من قبيلة البوجولو، وكان قياديا بحزب اتحاد الأحزاب السودانية الأفريقية- Union of Sudan African Parties USAP، يوساب، قبل أن يؤسس حزب يوساب-2 المنشق عن الحزب الأصل. حارب مع

أثيانيا الأولى قبل اتفاقية أديس أبابا للسلام، 1972م. انتخب عضوا بالجمعية التأسيسية خلال الديمقراطية الثالثة 1986م. تعرض للاعتقال والتعذيب أثناء الإنقاذ عام 1994م وسافر لكينيا للاستشفاء ثم التحق بالجيش الشعبي لتحرير السودان، وفي يوليو 2010 أعلن دمج حزبه (يوساب-2) مع الحركة الشعبية استعدادا للاستفتاء على تقرير المصير في 2011م. توفي في كمبالا.

**بشير عمر محمد فضل الله (ولد 1951/3/1م)، دكتور،** أستاذ جامعي واقتصادي عالمي اختير ضمن خمسمائة زعيم عالمي للقرن الجديد في 2008م، قيادي بحزب الأمة القومي وتقلد عدة مناصب وزارية إبان فترة الديمقراطية الثالثة، مدير إدارة التنمية بالبنك الإسلامي للتنمية، جدة.

**بكري أحمد عديل، (ت 12 نوفمبر 2017م)** السيد، من قيادات حزب الأمة القومي، تقلد منصب الحاكم المكلف لشمال كردفان في العهد المايوي. انتخب في 1986م ضمن الأمانة العامة الخماسية لحزب الأمة، واختير في (2000-2003) نائباً ثاني لرئيس الحزب. كان وزيراً للتربية والتعليم، والتعليم العالي والبحث العلمي، ووزيراً للطاقة والتعدين، وزعيم الجمعية التأسيسية إبان الديمقراطية الثالثة.

**بوش، جورج واكر (دبليو) بوش** George W. Bush (الابن) (ولد 6 يوليو 1946)، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثالث والأربعون (2001 -2009).

**جعفر محمد نميري** (1930-2009)، المشير، قاد الانقلاب المايوي الذي أطاح بالحكم الديمقراطي الثاني في السودان وأسس حكما شمولياً دموياً دمر الاقتصاد واتخذ سياسة خارجية منحازة، في الفترة (1969-أبريل 1985م) حيث أطاحت به الانتفاضة الشعبية، وظل مقيماً في القاهرة طيلة عهد الديمقراطية ولكنه عاد إبان حكومة (الإنقاذ) وتم تكريمه من قبلها.

**جورج كونقور أروب** (مواليد 1951م) سياسي جنوب سوداني، النائب الثاني لرئيس الجمهورية من فبراير 1994 إلى أكتوبر 2000. وكان ضابط شرطة، وحاكم بحر الغزال، منح الدكتوراه الفخرية من جامعة جوبا في العلوم السياسية. في يناير 2006م تزعم 140 من قيادات منبر الجنوب بالمؤتمر الوطني وأعلنوا انسلاخهم من المؤتمر الوطني وتكوين حزب جديد باسم المؤتمر الوطني الأفريقي متحدثين عن تهميش دورهم، وصار رئيساً للحزب الجديد.

**جون قرنق دي مابيور** ( 23يونيو 1945م- 30 يوليو 2005م) الدكتور، العقيد، سياسي ومفكر وعسكري جنوبي، زعيم الجيش/ الحركة الشعبية لتحرير السودان المكونة في 16 مايو 1983م. النائب الأول لرئيس جمهورية السودان ورئيس حكومة الجنوب في الفترة (9-30 يوليو 2005م) بعد توقيع اتفاقية نيفاشا للسلام، من دعاة السودان الجديد. قتل في حادث تحطم مروحيته وهو عائد من يوغندا.

**حسن عبد الله دفع الله الترابي** (فبراير 1932م- 5 مارس 2016م) الدكتور، سياسي بارز وأستاذ سابق بكلية القانون جامعة الخرطوم، انضم لتنظيم الإخوان المسلمون وصار من أبرز قياداته. انشق التنظيم لاحقا إلى جناحين أحدهما بقيادته والآخر بقيادة الأستاذ صادق عبد الله عبد الماجد. تحول التنظيم تحت قيادته إلى جبهة الميثاق الإسلامي، ثم الجبهة الإسلامية القومية، إبان الديمقراطية الثالثة، التي دبرت بقيادته انقلاب 30 يونيو 1989م، ودخل سجن كوبر للتمويه، أطلق سراحه وصار الأمين العام للمؤتمر الوطني الحزب الحاكم، في 2000م حدثت مفاصلة بينه وبين المشير البشير رئيس النظام، وفي العام 2001م انشق الحزب وصار أمينا عاما للمؤتمر الشعبي الذي عارض النظام وثم حاوره ضمن صيغة حوار الوثبة التي قاطعتها المعارضة، صاغ للنظام منظومة النظام الخالف عشية وفاته.

**دانفورث، جون كالفيت،** سناتور من ميسوري (ولد في 5 سبتمبر 1935)، انتخب في مجلس الشيوخ للولايات المتحدة في 1976 عن الحزب الجمهوري، انتهت مدة خدمته في 1995 ورجع لمهنته في القانون ونشاطه بالكنيسة الأسقفية Episcopal– وفي سبتمبر 2001م تمت تسميته مبعوثا خاصا

للرئيس الأمريكي للسودان ولعب دورا مهما في اتفاقية سلام نيفاشا، وفي 2003 صار ممثل الولايات المتحدة في مجلس الأمن.

**رياك مشار**، (ولد 1953م) هو نائب رئيس جمهورية جنوب السودان سابقا وقد شغل هذا المنصب في يوليو 2011 بعد الانفصال مباشرة، من مؤسسي الحركة الشعبية لتحرير السودان، قام في منتصف ديسمبر 2013م بمحاولة انقلابية فاشلة ضد الرئيس سلفا كير تفجر على اثرها نزاع قبلي بين الدينكا والنوير. انشق رياك مشار -وينتمي لقبيلة النوير- عن الحركة الشعبية لتحرير السودان عام 1991، وأسس مجموعة الناصر (نسبة إلى مدينة الناصر بجنوب السودان). كما أسس الفصيل الموحد عام 1992، ثم حركة استقلال جنوب السودان عام 1995. وتفاوض مع حكومة البشير حتى وقع معها اتفاقية الخرطوم للسلام 1997م. بعد ذلك عاد للحركة الشعبية لتحرير السودان وصار عضوا في الوفد المفاوض في اديس أبابا وفي نيفاشا.

**سارا الفاضل محمود** (نوفمبر 1933-6 فبراير 2008م) زوجة صاحب السيرة الثانية منذ (24 فبراير 1963م) وزميلته في العمل العام وابنة عمته عائشة عبد الرحمن المهدي. وأول سودانية تتلقى تعليمها الجامعي بالولايات المتحدة الأمريكية، بالكلية الغربية للنساء، أكسفورد أوهايو حيث نالت بكالوريوس في العلوم الاجتماعية، ونالت الماجستير في السيسولوجيا من جامعة نيويورك 1961م. اعتقلت مرتين إبان العهد المايوي وحوكمت عسكرياً عقب انتفاضة 2 يوليو 1976م المسلحة، انتخبت في الأمانة العامة الخماسية لحزب الأمة في 1986م وكانت مسئولة التنظيم بالحزب. اعتقلت في أيام حكومة (الإنقاذ) الأولى، وتقلدت عدة مناصب في حزب الأمة آخرها مساعدة الرئيس للشئون الخارجية. أسست منظمة (الناس للناس).

**سارة عبد الله عبد الرحمن نقد الله** (ولدت 16 ديسمبر 1954م) من مواليد مدني، والدها الأمير نقد الله من مؤسسي حزب الأمة وقيادات الأنصار، خريجة علوم رياضيات جامعة القاهرة فرع الخرطوم 1978م، حاصلة على ماجستير رياضيات جامعة الخرطوم 1983م، من قيادات حزب الأمة النسوية تقلدت منصب أمينة المرأة إبان الديمقراطية الثالثة وكانت مساعدة مدير شئون الخدمة حتى 15 نوفمبر 1989م حينما أحيلت للصالح العام من مؤسسي جامعة أم درمان الأهلية وكانت وكيلة الجامعة في الفترة (2007-2013م)، كانت أول ناطقة رسمية امرأة لحزب الأمة (2003-2009م)، وأول رئيسة للمكتب السياسي (2009-2014م)، وأول أمينة عامة لحزب سوداني كبير (2014م وحتى الآن) حيث تشغل منصب الأمينة العامة لحزب الأمة والناطقة الرسمية باسمه.

**سالم عزام** (1924م- 10 يناير 2008م) مفكر وسياسي ودبلوماسي سعودي من أب مصري وأم سعودية. تخرج من كلية الحقوق جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً) في 1949م، ثم انتقل إلى فرنسا وواصل دراسته في مجال العلوم السياسية والإعلام في جامعتي ستراسبورغ والسوربون. وعاد لمصر في 1952م، والتحق بالعمل في السلك الدبلوماسي السعودي، ثم استقال وتفرغ للعمل الإسلامي، وفي 1973م أسس المجلس الإسلامي الأوربي في لندن. له مواقف مشهودة في معارضة كامب ديفيد والموقف الشجاع في الحرب العراقية الإيرانية بإدانة الحرب، منع من دخول مصر سنوات عديدة، مرض وعاد للقاهرة في آخر أيام حياته.

**سيد أحمد الحاردلو**- (1940- يونيو 2012م)، شاعر وقاص ودبلوماسي ومفكر سوداني، سفير سابق، له العديد من الدواوين، والقصائد الغنائية الشهيرة.

**سيد أحمد الحسين سيد أحمد بن الشيخ الحاج موسى** (1928م- 18 مارس 2017م) تلقى تعليمه الأولي والإعدادي والثانوي في الأزهر الشريف، وتخرج من كلية الحقوق بجامعة القاهرة فرع الخرطوم، عمل بالمحاماة وكان مستشارا لعدد من الشركات الأجنبية بالخرطوم، وكان نائبا في برلمان 1986م عن دائرة كريمة بالإقليم الشمالي. تقلد في فترة الديمقراطية الثالثة عن الحزب الاتحادي

الديمقراطي بزعامة الميرغني وزارة الداخلية، ثم الخارجية. اعتقل بعد انقلاب "الإنقاذ" وحكم عليه بالإعدام ثم خفف الحكم، انتخب في مؤتمر المرجعيات للحزب الاتحادي الديمقراطي الذي انعقد بالقاهرة في 2004م أمينا عاماً للحزب وظل بذلك المنصب حتى وفاته.

**صدام حسين عبد المجيد التكريتي (1937 –2006)**: رابع رئيس لجمهورية العراق (1979م - 2003م). دخل في حرب مع إيران (1980 - 1988) ثم غزا الكويت في 2 أغسطس عام 1990 ما أدى إلى نشوب حرب الخليج الثانية عام 1991م، بعدها ظل العراق محاصراً دولياً حتى احتلت بالكامل عام 2003 من قبل القوات الأمريكية بحجة امتلاكها لأسلحة الدمار الشامل ووجود لتنظيم القاعدة، تم القبض عليه في ديسمبر 2003م في عملية سميت بالفجر الأحمر، ومن ثم تمت محاكمته بالإعدام ونفذ في 30 ديسمبر 2006م.

**صلاح الدين عبد السلام خليفة المهدي (1930/5/15- 2006م)** تخرج ضابطا في القوات المسلحة السودانية ثم استقال في 1959م وعمل بشركة أجيب ثم بالقطاع الخاص. كان من قيادات حزب الأمة وإبان الانشقاق كان في جناح الإمام الهادي، صار من أبرز مقاومي النظام المايوي واعتقل ضمن قادة الكيان بعد مقاومة قوانين سبتمبر 1983م، وتقلد منصب وزير شئون الرئاسة طيلة فترة الديمقراطية الثالثة. آخر منصب حزبي تقلده هو رئيس هيئة الضبط ورقابة الأداء منذ تكوينها في 2003م حتى وفاته.

**ضياء الحق، محمد**- الجنرال.(1924-1988م) الذي أطاح بنظام بوتو وأعدمه ثم أعلن برنامجا إسلاميا وفي عام 1984م ربط بين انتخابه رئيسا وبين الشعار الإسلامي.

**عالم عباس محمد نور، ولد عام 1948 في الفاشر.** شاعر سوداني معاصر.

**عبد الحميد صالح عبد القادر** (1922- 2011/3/4م)، الدكتور، سياسي وطبيب وقيادي بحزب الأمة، ولد بالخرطوم والده الشاعر المعروف صالح عبد القادر، وتخرج في كلية طب القصر العيني في مصر عام 1947م، أسس أول مستشفى خاص بالسودان – دار الشفاء – في عام 1958م ، والتقى مبكرا بالسيد عبد الرحمن المهدي وعمل ضمن القوى الاستقلالية وحزب الأمة، كان وزيرا لشؤون الرئاسة في 1965م، ووزير دفاع، لعب دورا بارزا في تحقيق المصالحة الوطنية مع النظام المايوي عام 1977م. عيّن رقيبا لمجلس الشعب بناءا على ترشيح من حزب الأمة ثم أصبح نائبا لرئيس مجلس الشعب القومي، ولم يخرج من مؤسسات مايو بعد إعلان فشل المصالحة من قبل حزب الأمة في 1978م.

**عبد الرحمن المهدي (الإمام)** (25 يونيو 1885م- 24 مارس 1959م- أول شوال 1302هجرية- **15 رمضان 1378هـ)**: مؤسس حزب الأمة وباعث المهدية وإمام الأنصار منذ 1949م وحتى وفاته. أبو الاستقلال، وعرف بمبادراته في كافة أوجه العمل الاجتماعي والزراعي والصناعي والصحافي والتعليمي السوداني وكافة أوجه النشاط في السودان الحديث.

**عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب، المشير** (ولد 1935م) من مواليد الأبيض، تخرج من الكلية الحربية عام 1955م، تم إبعاده عن الخدمة (تعسفيا) في العام 1972وأرسل لدولة قطر .عاد بعد الرضا عنه من قبل المايويين وعين رئيسا لهيئة الأركان وتدرج إلى أن تم تعيينه في مارس 1985 قائدا أعلى للقوات المسلحة السودانية بعد أن ظل المنصب شاغراً لفترة. في الخامس من أبريل جرت محاولات عديدة من زملائه بهيئة القيادة لاستلامه السلطة وإنهاء العهد المايوي تجاوباً مع الانتفاضة الشعبية وحقناً للدماء فقام بالخطوة، وصار رئيسا للمجلس العسكري الذي تولى الحكم في عام الانتقال (أبريل 1985- مايو 1986م). بعد ذلك ترأس الهيئة الشعبية للدفاع عن الوطن والعقيدة وهي تنظيم كونته الجبهة الإسلامية القومية للدعوة الحربية أثناء الديمقراطية، ثم صار رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية.

**علي الحاج محمد، دكتور** (ولد 1939م) مواليد منطقة منواشي نواحي نيالا التي درس فيها مراحله الأولية ودرس الثانوية بخور طقت حيث فصل لنشاطه مع الأخوان المسلمين انتقل لمدرسة المؤتمر بالخرطوم وتخرج من كلية الطب جامعة الخرطوم التي تخرج منها 1966م. كان نائب رئيس جبهة نهضة دارفور في الستينات، عمل طبيباً بعد التخرج بمدن كثيرة في السودان، وذهب للتخصص في لندن وشارك في معارضة النظام المايوي ضمن تنظيم الأخوان (جبهة الميثاق) وعاد بعد المصالحة عضوا بالاتحاد الاشتراكي 1978، ثم وزيرا للخدمات بدارفور (80-1982م)، وكان من مؤسسي الجبهة الإسلامية في 1985م، ووزيرا للتجارة في حكومة الوفاق الوطني 1988م. كان ضمن لجنة السبعة التي خططت ونفذت انقلاب 1989م. بعد المفاصلة صار نائبا لأمين المؤتمر الشعبي ومن ثم خرج من البلاد وظل معارضاً شرساً ولم يعد للبلاد إلا لزيارة قصيرة بعد وفاة الدكتور الترابي في مارس 2016م.

**علي حسن تاج الدين، الدكتور**، من قيادات حزب الأمة القومي، وحفيد السلطان تاج الدين سلطان المساليت، كان عضوا بمجلس رأس الدولة (1986-1989م)، كما تقلد منصب الأمين العام المكلف لحزب الأمة بعد حل الأمانة الخماسية (1988-1989)، حالياً مساعد رئيس حزب الأمة.

**علي عثمان محمد طه**، الأستاذ، (ولد 1 يناير 1944م)، تخرج من جامعة الخرطوم كلية القانون 1971م، من قيادات الأخوان وصار رائدا لمجلس الشعب بعد المصالحة الوطنية في الفترة 1977-1985م، خلال الديمقراطية الثالثة كان زعيم المعارضة داخل البرلمان عن الجبهة الإسلامية القومية، من أعضاء لجنة السبعة التي خططت ونفذت لانقلاب الجبهة في 1989م، صار النائب الأول لرئيس الجمهورية في 1998م بعد وفاة الزبير محمد صالح. ثم نائب ثاني لحكومة الوحدة الوطنية في 9 يوليو 2005م التي كونت بعد توقيع اتفاقيات نيفاشا للسلام، بعد انفصال الجنوب صار نائبا أول للرئيس مرة أخرى حتى أقيل في 8 ديسمبر 2013م.

**عمر حسن أحمد البشير** (ولد 1 يناير 1944م)، الرئيس الحالي للسودان ورئيس حزب المؤتمر الوطني، حيث قاد انقلابا عسكريا على الحكومة الديمقراطية المنتخبة برئاسة رئيس الوزراء المنتخب السيد الصادق المهدي وتولى منصب رئيس مجلس قيادة ثورة الإنقاذ الوطني في 30 يونيو 1989م، أجرى العديد من الانتخابات الصورية في 1996م و2000 و2010 و2015م أعيد فيها انتخابه رئيساً في كل مرة. في 14 يوليو 2008م صدرت مذكرة توقيف بحقه في قضية دارفور بتهم ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية أضيفت لها لاحقاً تهمة الإبادة الجماعية.

**عمر محمد نور الدائم الفكي إدريس (الدكتور)** (1934- 28 أكتوبر 2003م)، خريج الزراعة بجامعة الخرطوم1957م. دكتوراه بجامعة قوتنقن ألمانيا 1963م. من رموز حزب الأمة عمل في وزارة الزراعة واستقال في ديسمبر 1964م وتفرغ للعمل الحزبي، كان وزير الزراعة (1966م)، انتخب بأعلى الأصوات في الأمانة الخماسية للحزب 1986م، وتقلد العديد من المناصب الوزارية في الديمقراطية الثالثة، اعتقلته الإنقاذ وصادرت منزله، تقلد منصب النائب الأول لرئيس حزب الأمة. وهو صديق للسيد الصادق وساعده الأيمن في الحزب، توفي في حادث أليم هو وسيدنا عبد الله إسحق بطريق الدويم.

**غازي سليمان، المحامي** (ت فبراير 2014م) كان من رموز المعارضة السودانية في عقد التسعينات، حيث أسس تجمع حركة القوى الجديدة (جاد) وكان رئيساً لها، وبعد التوقيع على اتفاقية نيفاشا للسلام أعلن انضمامه للحركة الشعبية لتحرير السودان، وتم تعيينه عضواً بالمجلس الوطني في 2005م ممثلاً للحركة الشعبية، وصارت مواقفه أقرب للمؤتمر الوطني خاصة بعد توجيه المحكمة الجنائية الدولية اتهامات لرئيس الجمهورية في 2007م.

**فاروق مصطفى عمر أبو عيسى** (ولد 1933/8/12م) دخل الحزب الشيوعي عام 1950م، تخرج من كلية الحقوق جامعة الإسكندرية في العام 1957م، كان سكرتيرا لنقابة المحامين في عهد عبود، وفي 1963م ترشح في انتخابات المجلس المركزي ونال عضويته، وشارك في ثورة أكتوبر 1964م.. ساهم في 1964/11/9م فيما سمي بـ(ليلة المتاريس). وبعد الانقلاب المايوي عين وزير دولة لشئون الرئاسة، عاد للمحاماة ثم اختير نقيبا للمحامين العرب 1983م وغادر صفوف الحزب الشيوعي ثم عاد عضواً باللجنة المركزية. بعد قيام انقلاب الإنقاذ 1989م وتكون التجمع الوطني الديمقراطي بالخارج كان عضوا بهيئة القيادة كمستقل، وبعد اتفاقية القاهرة 2005م عين عضوا بالمجلس الوطني وفقا لاتفاقية السلام، حتى أقيل منه. وهو الآن رئيس هيئة القيادة في تحالف قوى الإجماع الوطني، والذي صار عضواً في تحالف نداء السودان، ديسمبر 2014م.

**فضل الله برمة ناصر،** (ولد 1939/1/1م)، لواء (م)، عسكري وسياسي، خريج الدفعة (13) من الكلية الحربية 1962م. عضو المجلس العسكري الانتقالي (1985-86م)، ثم انتمى لحزب الأمة، عُيِّن وزيرا للدفاع ووزيرا للنقل والمواصلات إبان حكومات الديمقراطية الثالثة.. وهو الآن نائب رئيس حزب الأمة.

**كوفي عنان** (ولد 8 أبريل 1938): دبلوماسي غاني والأمين العام السابع للأمم المتحدة في الفترة 1997-2006م.

**لام أكول أجاوين،** دكتور (ولد 15 يوليو 1950م) سياسي وأكاديمي جنوب سوداني من قبيلة الشلك. كان محاضرا بكلية الهندسة بجامعة الخرطوم. من قادة الحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان (SPLA) منذ 1986م، وانشق عنها ملتحقا بالجيش الشعبي- جناح الناصر، (الجناح الموحد لاحقا) ثم أقيل عنه وفاوض نظام الإنقاذ ووقع معه اتفاقية فشودة للسلام في 20 سبتمبر 1997م، وعين وزيرا للمواصلات في 1998م حتى 2002م، في أكتوبر 2003م عاد للجيش الشعبي، وبعد اتفاقية نيفاشا صار وزيرا للخارجية حتى أكتوبر 2007. في يونيو 2009م انشق عن الحركة من جديد مكونا الحركة الشعبية لتحرير السودان - التغيير الديمقراطي (SPLM-DC).

**مالك عقار** من مواليد باو بولاية النيل الأزرق، رئيس الحركة الشعبية لتحرير السودان قطاع الشمال. وقيادي مؤثر في تحالف نداء السودان (ديسمبر 2014م)

**مبارك عبد الله الفاضل المهدي** (ولد 1950م)، السيد، سياسي وقيادي بحزب الأمة القومي سابقاً، تقلد العديد من المناصب الوزارية إبان الديمقراطية الثالثة: الصناعة، والاقتصاد والتجارة، وآخرها وزارة الداخلية. خرج سرا بعد انقلاب (الإنقاذ) وقاد المعارضة من الخارج، عاد ضمن قيادات الحزب في أبريل 2000م ورأس التفاوض مع النظام حيث انشق في 2002م وأسس حزب (الأمة الإصلاح والتجديد) وانخرط في النظام وصار مساعداً لرئيس الجمهورية منذ (2002) وحتى إعفائه في 2004، عاد بعدها للمعارضة فترة وهو الآن ينسق مع النظام لعرقلة خطوات المعارضة وحزب الأمة.

**مجذوب الخليفة** (1952-2008م) طبيب الخواض،المستشار السابق للرئيس السوداني عمر حسن البشير، كان مسئول ملف دارفور وترأس المفاوضات التي أفضت إلى توقيع اتفاق أبوجا في مايو عام 2006.

**محجوب شريف (1948- 2 أبريل 2014م)** شاعر الشعب، معلم، وناشط إنساني. وُلد بقرية أب قدوم ريفي المسلمية، أشاد بالنظام المايوي في بدايته، يونيو 1969م، وسرعانما أدرك سوء النظام فهاجمه بقصائد (كلمة شرف) في نفس العام، و(لا حارسنا ولا فارسنا ) في 1971م، اعتقله النظام المايوي في 1971م وانتمى للحزب الشيوعي أثناء الاعتقال وقضى ما مجمله عشر سنوات في معتقلات مايو. كتب أبدع القصائد بمناسبة انتفاضة رجب أبريل 1985م وتغنى له فنانون كثر أغانٍ وطنية وعاطفية. تكرر اعتقاله إبان حكم (الإنقاذ) فقضى ما مجمله ست سنوات، كما فصل تعسفياً منذ 1989. تأثرا

ببيئة الاعتقال السيئة أصيب بمرض التليف الرئوي الذي توفي جراءه. أسس مع آخرين منظمة رد الجميل التي عملت في مختلف القضايا المجتمعية ولمساعدة الضعفاء والفقراء والمهمشين والمرضى. كان يصدر مجلة (نفاج) كما صدر له عدد من الدواوين.

**محمد إبراهيم نقد** (1930 م - 22 مارس 2012) سكرتير عام الحزب الشيوعي السوداني منذ اغتيال عبد الخالق محجوب في يوليو 1971م وحتى وفاته. له العديد من الأعمال الفكرية.

**محمد أحمد محجوب** (1908- 1976م)، السياسي البارز والقانوني والأديب والشاعر، تخرج وعمل مهندسا ثم تحول للقانون وعمل بالقضاء ثم المحاماة وصار نقيبا لمحامين عدة سنوات. التحق بحزب الأمة في ديسمبر 1956م، كان زعيم المعارضة في برلمان الاستقلال، وزير الخارجية في الديمقراطية الأولى، رئيس للوزارة إبان الديمقراطية الثانية. له مؤلفات أدبية، كما أخرج مذكراته في كتاب باللغة الإنجليزية تمت تعريبه بعنوان (الديمقراطية في الميزان).

**محمد الحسن عبد الله يس** (ت 2015م) السيد، قطب الحزب الوطني الاتحادي ثم الاتحادي الديمقراطي، تقلد منصب عضو مجلس رأس الدولة عن الحزب الاتحادي الديمقراطي المؤتلف مع حزب الأمة في مايو 1986، واستقال في يوليو 1987م.

**محمد المكي إبراهيم** الشاعر دبلوماسي، من مواليد مدينة الأبيض عام 1939م من أبرز الشعراء السودانيين المعاصرين.

**محمد المهدي المجذوب (1919- 1982م)**، شاعر سوداني ولد بمدينة الدامر شمال السودان، ويعد من المجددين في الشعر العربي والسوداني ومن جيل ما بعد رواد النهضة الشعرية السودانية والعربية مباشرة، له عدة دواوين بالشعر العمودي والحديث.

**محمد حسني السيد مبارك** (ولد في 4 مايو 1928): الرئيس الرابع لجمهورية مصر العربية (1981- فبراير 2011م)، تنحى عن الحكم على إثر ثورة 25 يناير في 11 فبراير 2011م، قدم للمحاكمة العلنية بتهمة قتل المتظاهرين في ثورة 25 يناير، أدين وتم الحكم عليه بالسجن المؤبد يوم السبت 2 يونيو 2012م، وضع في 2013/8/22م تحت الإقامة الجبرية وفي 29 نوفمبر 2014م تمت تبرئته وأطلق سراحه.

**محمد عثمان الميرغني**، السيد، مرشد الختمية وراعي الحزب الاتحادي الديمقراطي منذ وفاة والده السيد علي الميرغني في 1968، تقلد رئاسة الحزب في 1986م، دعم النظام المايوي وأيده وشارك فيه حزبه بوزراء وبعضوية في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي. والآن حزبه مشارك في حكومة (الإنقاذ) بعد أكثر من عقد ونصف قضاها في المعارضة.

**محمد قطب إبراهيم** (ولد 26أبريل 1919م) كاتب إسلامي مصري له عدة مؤلفات وهو شقيق سيد قطب، مقيم حالياً بمكة المكرمة.

**مصطفى عثمان إسماعيل** (ولد في 1955 في دنقلا، السودان) خريج طب الأسنان جامعة الخرطوم، قيادي بحزب المؤتمر الوطني، ومن قيادات الجبهة الإسلامية قبلها، تقلد خلال الإنقاذ عدة مناصب منها وزارة الخارجية من 18 فبراير 1998 إلى 18 سبتمبر 2005. ومنصب مستشار رئيس الجمهورية.

**مصطفى كمال أتاتورك** (1881-10نوفمبر1938) قاد معارضة الخلافة العثمانية والتوجه الإسلامي، وإقامة الجمهورية التركية وعاصمتها أنقرة في 1923 وانتخب رئيسا لها، ومثلت تعاليمه أصولية للدولة في تركيا حتى الآن.

**معمر القذافي (العقيد) (1942 – 2011م)**. حكم ليبيا لأكثر من 42 سنة، تمت الإطاحة بحكمه بعد قيام ثورة 17 فبراير 2011م الليبية واغتيل من قبل الثوار في 20 أكتوبر 2011م.

**منصور خالد، الدكتور،** (ولد يناير 1931م) مواليد حي الهجرة بأمدرمان، سياسي وكاتب ودبلوماسي شهير، ينحدر منصور من أسرة أمدرمانية عريقة فجده الشيخ (محمد عبد الماجد) المتصوف المالكي له كتابات غزيرة في السياسة السودانية، كان مستشارا للراحل جون قرنق، ومشاركاً في وفود التفاوض الخاصة بالحركة الشعبية لتحرير السودان، عمل وزيرا للشباب وللتربية وللخارجية ومساعد لرئيس الجمهورية في العهد المايوي، وتقلد منصب مستشار رئيس الجمهورية بعد اتفاقية السلام في نيفاشا 2005م.

**نزار بن توفيق القباني** (1342 - 1419 هـ/ 1923/3/21م -1998/4/30 م) دبلوماسي ومن أشهر الشعراء العرب المعاصرين. شكلت هزيمة 1967م علامة فارقة في حياته الشعرية إذ تحول للشعر السياسي الثائر. قضى السنوات الأخيرة في حياته بلندن، ودفن في مسقط رأسه دمشق.

**ياسر سعيد عرمان** (مواليد 1961 م) الأمين العام للحركة الشعبية لتحرير السودان- شمال. كان مرشحاً من قبل الحركة الشعبية للانتخابات الرئاسية 2010م، كان من كوادر الحزب الشيوعي السوداني الذي انضم له في منتصف السبعينات وغادره 1986م وانضم للحركة الشعبية. من القيادات المؤثرة في تحالف نداء السودان.